



الاذى التعين



تأليف
د. حسني البشبيشي

البيجين الكاذب



دار حروف منثورة للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

الكتاب: اليقين الكاذب

المؤلف: د. حسني البشبيشي

تصنيف الكتاب: إسلاميات

تصميم الغلاف: أيمن محفوظ

تنسيق داخلي: راسلن أحمد السيد

مراجعة لغوية: بمعرفة الكاتب

رقم الإيداع: ١٦٨٤٧ / ٢٠٢٥ م

الترقيم الدولي: ٩٧٨٩٧٧٨٨٤٣٣٣٠



مؤسس الدار

مروان محمد

Website: <https://horofbooks.com>

Fan page: <http://facebook.com/horofsbooks>

Email: info@horofbooks.com

هاتف جوال: ٠٠٢٠١١٣٠٠٦٢٩٦ – هاتف جوال: ٠٠٢٠١٠٦٤٠٥٤٩٩٥

دار حروف منثورة للنشر والتوزيع لا تتحمل أي مسؤولية تجاه المحتوى الذي
يتحمل مسؤوليته

هذا الكتاب من أراد أن يطبعه فليطبعه دون إذن.



اليقين الكاذب

تأليف

د. حسني البشبيشي



المقدمة

- بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد الأولين والآخرين، أما بعد:

- قد يكون الإنسان موقنا بالخالق والآخرة لكنه في الحقيقة جاهل يرتدي ثوب اليقين، فما أكثر ما سمع كلاما عن الخالق والآخرة لكنه سماع كاذب، فيحسب أنه سمع وهو في الحقيقة لم يسمع شيئا، بل إنك مهما أسمعته كلاما عن الخالق والآخرة فلن يسمع ساما حقيقيا وسيظل جاهلا بالله والآخرة، وذلك لأنه لم يتأثر قلبه وجوارحه بما يومن به.

- هذا الكتاب يبين ما يحدث للإنسان الطبيعي عندما يعلم لأول مرة بوجود الخالق والآخرة، والهدف من ذلك أنك سوف تفاجئ أن ما يحدث هو تأثر هائل جدا على القلب والجوارح وتغير كامل في حياته.

- فالطبيعي أنه بمجرد أن يعرف الإنسان بوجود الخالق والآخرة ويؤمن بذلك فإن حياته كلها من مشاعر وأهداف وطموحات وسلوك وتصرفات وانفعالات وفرح وحزن وغضب وأخلاق وكلام ونية وعمل سوف تتأثر تأثرا كبيرا، وسوف تتغير حياته بزاوية مائة وثمانين درجة.

- كل هذا يحدث إذا تحققت المعرفة الحقيقية بوجود الخالق والآخرة، وذلك لأن كل لذات الدنيا وألامها ليست بشيء أمام لذات وألام الآخرة، وسنوات العمر الطويلة ليست بشيء أمام الخلود في الآخرة، وانتقال الإنسان إلى حياة أخرى من جديد هو أمر خطير ومثير، وكذلك فروئية الخالق لنا وسمعه لنا في كل لحظة ووصول كلامهلينا ولقاءنا به ومحاسبته لنا هو أمر خطير ومثير، لكن لأننا نعيش في زمن الغفلة فالكثير من الناس لا يعلمون أن مجرد المعرفة الحقيقية بالخالق والآخرة هو أمر خطير جداً ومؤثر جداً إلى هذه الدرجة، وأصبحت الغفلة هي الوضع الطبيعي المألوف الذي اعتاد عليه الكثير، فإذا جاء أحد ليقول لهم

تعالوا نعرف من جديد معنى أن لنا خالقاً ومعنى أننا ذاهبون إلى الآخرة لقلوا إنه مجنون أو مختلف!، لكنهم سوف يعلمون ذلك عندما يجدون أنفسهم واقفين على أرض المحشر في الآخرة.

- فإذا لم تتأثر حياة الإنسان بالله والآخرة بهذا التأثير الكبير جداً، أو كان تأثيرها قليل جداً أو شكلياً في بعض المظاهر فهذا يدل على أن اليقين كاذب.

- أصل العبادة الخضوع، والخضوع معناه أن تنتقل من التعلق بالنفس إلى التعلق بالله والآخرة، وهذا معناه أن تتغير طبيعة نظرتك للأشياء ومشاعرك وهمومك وطريقة معيشتك، وتغيير هذه الأمور من أصعب ما يمكن، والطبيعي أن هذا التغيير يحدث بمجرد أن يتحقق اليقين، فيجب عليك أن تزيل المانع الذي منع من حدوث أثر هذا اليقين، لأنه بدون الخضوع أصبح اليقين والدين مجرد صورة لا معنى لها.

- القلب إما أن يتعلق بالله والآخرة أو بالنفس والدنيا، وهذا التعلق يمكن أن يتغير كل ساعة وكل يوم، فيمكن أن يزيد أو ينقص أو يزول أو يعود كل ساعة وكل يوم، وبالتالي يجب على الإنسان كل يوم أن يبعد تعلقه عن النفس والدنيا و يجعله يتعلق بالله والآخرة ويحافظ على هذا التعلق ويزيده وينميه من خلال التفكير والتدبر والذكر وما يعين على ذلك كالأذكار مثلاً، ولذلك أنسح بقراءة هذا الكتاب مرات كثيرة والقراءة والسماع عن كل من يتحدث عن الله والآخرة باستمرار، ففي الحديث: ((لقلب ابن آدم أشد انقلاباً من القدر إذا استجمعت غلياناً))^(١)، فقد يهتم الإنسان بأن يزداد علماً بأمور الدين أو يهتم بقيامه ببعض أعمال الدين في حين قلبه يسير في عكس الاتجاه، فقلبه يتراجع شيئاً فشيئاً عن تعلقه بالله والآخرة حتى يتعلق بالدنيا فيكون خاسراً وهو يحسب أنه يزداد التزاماً بالدين!.

- هذا الكتاب هو بحث منهجي في إطار القرآن والسنة، والمادة العلمية في هذا الكتاب مستقاة من نصوص القرآن والسنة الصحيحة المحققة ومن

(١) تحقيق الألباني: صحيح (انظر حديث رقم: ٥١٤٧ في صحيح الجامع)



خلال كتب التفسير وأقوال العلماء والسلف الصالح وأمهات كتب التراث،
وجميع ذلك محققا وفي شكل منهجي ذو عناصر محددة واضحة وفي
إطار منهج أهل السنة والجماعة.

- ونظراً لخطورة القضية التي يعرضها الكتاب فقد استخدمنا أسلوب
الشرح المبسط الواضح بعناصر محددة وتكرار شرح المعنى الواحد
بأكثر من صيغة لمزيد من الإيضاح، وكل قضية ذكرها في الكتاب ذكر
الأدلة القاطعة عليها من القرآن والسنة الصحيحة وكتب التفسير وأقوال
العلماء.

والله المستعان وعليه التكلان.





الفصل الأول

مفهوم اليقين الكاذب

- الهدف من اليقين بأي أمر هو تحقيق أثره وليس مجرد اليقين، فمثلاً ما الفائدة من يقين الإنسان أن أمامه قنبلة يمكن أن تنفجر في أي وقت لكنه لم يتأثر ولم يخاف ويفر هارباً، فمعرفته بالأمر مثل عدم معرفته بالأمر.

- مفهوم اليقين الكاذب:

- اليقين الكاذب هو اليقين الذي ليس له أثر على القلب والجوارح.
- الطبيعي أن الإنسان يتأثر بقلبه وجوارحه بما يومن به بحسب مدى أهمية وخطورة ما يومن به، فإذا كان أمراً شديد الأهمية والخطورة تعلق به (أي تأثر به تأثراً شديداً).
- فالإنسان يعرف الامر ثم يومن به ثم يتأثر بالأمر ويعمل به، فإذا عرف ولم يومن أو عرف وأيقن ولكنه لم يتأثر بالأمر ويعمل به فمعرفته كاذبة ويقينه كاذباً.
- فالاليقين الكاذب معناه وجود اليقين مع عدم التأثر بما يومن به.

- معنى وجود اليقين مع عدم التأثر بما يومن به:

- اليقين معناه أن الإنسان يتعامل مع المعلومة مثل جهاز الكمبيوتر تعطي له معلومات ومعطيات فيعطي لك نتيجة سواء كانت النتيجة مكسب أو خسارة فهو لا يشعر بخطورة النتيجة فليس لديه شعور بالقيمة وليس عنده فرق بين أن يكون حجم النتيجة كبير جداً أو صغير، وليس لديه فرق بين رقم مليون ورقم واحد، فكلاهما بالنسبة له مجرد أرقام، فليس لديه مشاعر ليفرح بالمكسب أو يحزن بالخسارة، فلا يوجد أي تفاعل سواء سلباً أو إيجاباً، فالكمبيوتر يعطي نتيجة بأن هناك آخرة وغيببيات وأن ذلك حق فقط.

- فهو يتعامل مع المعلومة عن طريق الحسابات والنتائج فقط بغض النظر عن طبيعة المعطيات وطبيعة النتائج، فالأمر لا يهمه ولا يعنيه في شيء، ولا يتأثر بأهمية أو خطورة هذه المعطيات أو النتائج، فالمسألة لا تزيد عن كونها حسابات ونتائج لا أكثر، بغض النظر عن ما هي هذه الحسابات وما هي هذه النتائج، فمثلاً هو يصدق على أنه لو وضع عود كبريت مشتعل على البنزين فإنه يحدث حريقاً، لكن لا يهمه الأمر مطلقاً ولا يتصور مدى خطورته.

- أنت إذا وقفت أمام أسد حقيقي ولم تتصور خطورة الأمر فلم تشعر بالخوف فهذا معناه أن هذا الأسد في حقيقته بالنسبة لك هو تمثال أو صنم، والفرق بين الأسد الحقيقي والأسد الصنم أن الأخير لا ينفع ولا يضر، وهما مشتركان فقط في الاسم، فالأول له اسم حقيقي والثاني له اسم مخترع.

- فالإنسان الذي لا يشعر إطلاقاً بألم الخوف من مهابة النار أو بلذة الشوق إلى الجنة هو في حقيقة أمره لا يعرف شيء اسمه النار ولا شيء اسمه الجنة، فهي في مشاعره أمور مثل الأمور التي لا تنفع ولا تضر فيقتنع بها ولكن لا يعرفها معرفة حقيقة، فهو بذلك قد سلب خاصية الألم من النار وخاصية اللذة من الجنة فأصبحت أمور نظرية لا قيمة لها، وكذلك إذا لم يشعر إطلاقاً بشيء من الخوف من مهابة الله أو شيء من الحب لله فهو لا يعرف ماذا تعني كلمة (الخالق)، وإن كانت كلمات (الخالق) و(النار) و(الجنة) موجودة في الاقتناع واليقين فهي غير موجودة في شعور الإنسان ولا تتأثر بها مشاعره وهمومه وأهدافه وأمانيه وعمله.

- إذا كان الإنسان يومن بمدى قدرة الله على إيجاد كل هذا الكون ومدى علمه في تدبير كل شيء في الكون والمخلوقات ولم يؤدي ذلك إلى التهيب من مدى قدرته وعلمه وحب الإعجاب بمدى هذه القدرة والخوف من غضبه ورجاء نعمائه والعمل من أجل رضاه فهو لا يعرف الله.

- تصور أنه حدث زلزال في أحد المباني وكان بداخلة ثلاثة، الأول علم بحدوث الزلزال فخاف وفر هارباً، والثاني كان نائماً فلم يعلم بشيء فسقط عليه المبني والثالث أمره عجيب جداً فقد كان جالساً في مكتبه يأكل



الحلوى ويستمع إلى الموسيقى وعلم بحدوث الزلزال ولكنه لم يخف ولم يتحرك وبقي في مكانه هادئاً كما هو يأكل الحلوى ويستمع إلى الموسيقى، فال الأول كان لديه معرفة وكان لهذه المعرفة أثر هو أن دفعته إلى الخوف والفرار، والثاني كان جاهلاً وبالتالي لم يتأثر بشيء، والثالث كان لديه معرفة ولكن ليس لهذه المعرفة أي أثر فهذه المعرفة كاذبة لأنها لم يكن لها أي أثر وهو كالجاهل تماماً ومصيره مثل مصير الجاهل في أن سقط عليه المبنى ولم تنتفعه معرفته، بل إن النائم كان معذوراً لأن النائم لا يدرى بشيء أما الذي عرف فلم يخف ويتحرك فليس له عذر ومعرفته حجة عليه.

- قضية الغيبيات والرسل أخطر بكثير من الزلزال لكن المعرفة بها بلا أثر كالرجل الثالث الذي بقي في مكانه يأكل الحلوى ويستمع إلى الموسيقى، فمعرفته كاذبة وهو كالجاهل بالغيبيات والرسل.

- الهدف من المعرفة واليقين وجود الفائدة منه، أي وجود أثره:
- الإنسان إذا علم أن أمامه قنبلة يمكن أن تنفجر في أي وقت فلم يتأثر ولم يخاف ويفر هارباً، فما الفائدة من إخباره، ومعرفته بالأمر مثل عدم معرفته بالأمر، فهذه المعرفة كاذبة لا قيمة لها لأنها لم ينشأ عنها أي أثر ولن ينفع معرفة حقيقة.

- الهدف من اليقين بأي أمر هو تحقيق أثره وليس مجرد اليقين.
فاليقين الذي يؤثر في القلب والجوارح هو اليقين النافع، أما اليقين الذي لا يؤثر في القلب فهو مجرد كلام باللسان، قال الحسن البصري: ((العلم علمن: علم في القلب، وعلم على اللسان، فعلم القلب هو العلم النافع، وعلم اللسان هو حجة الله على عباده))^(١).

- إذا كنت تمتلك سيارة ولكنك لا تقودها ولا تستفيد منها وتتركها في مكانها دون أن تتحرك فلا قيمة لهذه السيارة ووجودها كالعدم رغم أن

(١) طريقك إلى تقوية إيمانك (ص: ٤٠) الناشر: المكتب التعاوني للدعوة

السيارة سلية وليس فيها أي مشكلة، ففي هذه الحالة فالذي لا يمتلك سيارة هو مثالك تماما بالنظر إلى النتيجة.

- كذلك فالهدف من معرفة أي أمر واليقين به هو أنه يستفيد منه، فإذا كان شيئاً نافعاً أحبه وحرص عليه وإن كان شيئاً ضاراً خافه وابعد عنه، فالمهم هو الأثر الذي ينتج من المعرفة واليقين، فإذا عرفت شيئاً نافعاً فلم تحبه وتحرص عليه فمعرفتك لا قيمة لها، والجاهل بذلك الشيء مثال تماماً بهذه المعرفة كاذبة لأنها لم تتحقق الهدف منها.

- فتحقيق المعرفة واليقين بأي أمر ليس هو المقصود بذاته ولكن المقصود من المعرفة واليقين هو أن يؤدي الهدف منه.

- وكذلك فتحقيق المعرفة واليقين بالله والآخرة ليس هو المقصود بذاته ولكن المقصود من المعرفة واليقين هو أن يؤدي الهدف منه، والهدف منه هو أن يؤدي أثره، فإذا عرف الإنسان الخالق والآخرة تعلق بالله بقلبه وجوارحه، والتعلق بغير النفس هو الخضوع وهو أصل العبادة.

ـ ما هو أثر اليقين بأي أمر؟:

- يقين الإنسان بأي أمر من الأمور يؤثر على قلبه وجوارحه بحسب مدى خطورة ذلك الأمر، فإذا كان أمراً شديداً خطورة تعلق به بقلبه وجوارحه.

- تأثر القلب والجوارح عبارة عن أربعة وظائف هي نظرة الإنسان إلى قيمة الامر وتأثر مشاعره به وانشغال همه به وتأثر جوارحه به.

- فإذا كان أمراً شديداً خطورة كان أعظم ما يدهشه من مدى عظمته (شدة التأله) وتعلقت به مشاعره وكان شاغله الأكبر وتعلقت به جوارحه.

- فالتعلق هو أعلى درجة في التأثر بالأمر، ويكون للأمر شديد الأهمية والخطورة.

ـ أثر اليقين بالخالق والآخرة:

- أثر اليقين بالخالق هو وجود صلة بين الإنسان والخالق وأن تصل هذه الصلة إلى درجة التعلق به سبحانه وترك التعلق بما سواه.



- الطبيعي أن مجرد اليقين بالخلق والآخرة لا يؤدي فقط إلى التأثر ولكن إلى التأثر الشديد، والتأثر الشديد هو التعلق بالأمر، فالعجب أن البعض لا يتأثر والأعجب منه أن يتعجب الإنسان فيسأل ولماذا هذا التأثر الشديد؟ والأعجب منه أيضاً أن يكون غير متأثر بالأمر ويجهل أنه لا يتأثر به.

- التعلق هو تعامل الإنسان مع الامر بتفاعل وتأثر شديد، وهذا التعلق هو لسان الحال الذي يكشف حقيقة يقينه، فقد يوقن الإنسان بالخلق والآخرة والجنة والنار لكنه يتعامل معها كأنها أمور غير حقيقة أو لا قيمة لها أو غير موجودة أو لم يسمع عنها فلا يتأثر بها.

- فأثر اليقين بالخلق والآخرة هو التعلق بالخلق والآخرة، وهذا التعلق يتمثل في أربعة عناصر تدل عليه هي شدة التأله وتعلق المشاعر والهم الأكبر وتعلق الجوارح (وتم شرح كل عنصر في فصل مستقل).

البيقين الكاذب هو صورة من صور الجهل:

- اليقين الكاذب معناه أن يكون الإنسان موقفنا لكن في حقيقته هو كالجاهل تماماً، فالجاهل بشيء لا يتأثر به ولا أثر له في قلبه ولا في جوارحه وكذلك فصاحب اليقين الكاذب لا يتأثر بما يوقن به ولا أثر له في قلبه ولا في جوارحه.

- ربما يحصل إنساناً ما على شهادة في الطب أو في الهندسة أو في مهنة معينة لكن عندما يقوم بمهنته تجد أنه لا يفقه شيء، فهو حصل على مجرد لقب أو اسم أو شهادة فقط، كذلك الذي حقق اليقين بأمر ما خطير ولكنه لا علاقة له بهذا الامر ولا يتأثر به ولا أثر له في حياته فهو فقط حصل على لقب أنه موقفنا، فالبيقين عنده مجرد اسم ولقب وحقيقة أمره أنه كالجاهل تماماً بالأمر.

- فقد يوقن الإنسان بالله والآخرة ويحسب أنه يعرف ما يوقن به، وفي الحقيقة هو جاهل بما يوقن به ولا يدرى بأنه جاهل ويقينه كاذب.



- فالـ**اليقين الكاذب** معناه أن المعرفة موجودة والـ**اليقين** موجود ولكن تم إيقاف المعرفة عن القيام بوظيفتها فأصبح الإنسان جاهلا بالأمر، وبالتالي أصبح اليقين كاذبا.

- فالـ**اليقين الكاذب** هو صورة من صور الجهل يبدو فيها الإنسان موقفنا وهو في حقيقته جاهل يرتدي ثوب اليقين.

- اليقين الكاذب ليس معناه غياب اليقين أو أنه يقين مختلف ولكنه يقين مع معرفة كاذبة فعندئذ يصبح يقيناً كاذباً لعدم وجود أثر اليقين، وهذا اليقين هو حجة على الإنسان وليس له.

- إذا انتقل الإنسان من الجهل إلى المعرفة والـ**اليقين** وبقي حاله كما هو فوجود اليقين مثل عدم وجوده لأنه لم يؤثر فيه شيء، وهو عندئذ كأنه لا يدرك وكأنه لا ينتبه لخطورة ما يقول ويؤمن، فإذا كان حال الإنسان الموقن مثل حال الجاهل فيقينه كاذب.

- صاحب اليقين الكاذب مثل الجاهل تماماً من ناحية الحال، فالـ**الجاهل** لا علاقة له بالشيء الذي يجهله فلا يؤثر في مشاعره أو انفعالاته أو حياته فلا صلة له به، وقد يكون عمله مفتعل أو عادة أو تقليداً أو مجرد مظاهر روتينية وليس ناشئاً عن تأثيره بالأمر، فكذلك صاحب اليقين الكاذب.

- وطالما أن عالم الغيب أمر خطير وأنت تعلم ذلك ولم تتأثر مشاعرك وحياتك به فسبب ذلك هو أنك لا تزال لا تعرفه معرفة حقيقة كأنك لم تسمع عنه أو كأنك لا تفهم معناه.

- الهدف من المعلومة تحقيق أثرها وليس مجرد المعرفة بها والـ**اليقين** بها، فإذا لم يتحقق أثرها فلا يزال الإنسان كالـ**جاهل** بها وإن سمعها آلاف المرات.

الجهل نوعين هما:

١- جهل ظاهر:

- وهو جهل لعدم السمع أو الرؤية أو لعدم الفهم، وفي هذه الحالة فالإنسان معذور بجهله.

٢- جهل خفي:

- الجهل الخفي معناه أن الإنسان يعرف الامر في الظاهر ويحسب أنه يعرفه وهو في الحقيقة جاهم به.
- وهو جهل بسبب التجاهل والمعرفة الكاذبة (السماع والرؤية والفهم الكاذب)
- والجهل الخفي قد يكون معه يقين وقد لا يكون، وفي الحالة وجود اليقين يكون يقيناً كاذباً.

أسباب غياب أثر اليقين:

- أي إنسان عاقل إذا عرف أمراً ما وعرف أدله فإنه يؤمن به، وينشأ عن هذا اليقين أنه يتأثر به بقلبه وجوارحه بقدر ما فيه من أهمية وخطورة.
- فإذا عرف ولم يؤمن أو عرف وأيقن ولكنه لم يتأثر بالأمر ويعمل به فهناك حل في وظائفه الطبيعية.
- وظائف الإنسان عبارة عن جانب معرفي وجائب عملي، الجانب المعرفي هو المعرفة واليقين بالأمر، والجانب العملي هو أثر المعرفة واليقين على القلب والجوارح.
- المعرفة واليقين بأي أمر خطير لابد أن تؤثر على قلب الإنسان وجوارحه، بحسب مقدار ما فيها من الأهمية والخطورة، فإذا لم يحدث هذا التأثر فهذا معناه وجود خلل في وظائف الإنسان الطبيعية وهو حدوث انفصال بين الجانب المعرفي والجانب العملي.
- المعرفة بالخلق والآخرة لابد أن تؤثر على قلب الإنسان وجوارحه، فإذا حدث انفصال بين المعرفة وأثرها فهذا معناه وجود خلل في وظائف الإنسان الطبيعية، وهذا معناه وجود انفصال بين العلم والعمل.
- فالدين عبارة عن علم وعمل، والعلم يؤدي تلقائياً إلى العمل، فإذا تحقق العلم ولم يتحقق العمل فهذا يدل على وجود انفصال بين العلم والعمل، والعلم يقصد به المعرفة واليقين والعمل يقصد به عمل القلب والجوارح.

- فقد يحدث تناقض بين العلم والعمل، فالعلم يسير في اتجاه العمل في اتجاه العكس، فهو يعرف شيئاً خطيراً لكنه يتعامل معه مثلاً يتعامل مع الشيء التافه أو الشيء الذي يجهله أو الشيء الذي نسيه فهو يهمله ولا يتاثر به ولا يشغل همه به ولا تتأثر به مشاعره ولا جوارحه، فهو يعرف الطريق الصحيح لكن لا يسير فيه ويعرف ما يفيده ويختار ما يضره، ويعرف الهدایة لكن لا يهتدي.

- والسبب هو وجود حاجز بين العلم والعمل، فإذا أرشدت إنسان لشيء فيه مصلحته فلم يستجب لهذا معناه أن هذا الرجل غير طبيعي لأن لديه خلل ما أو مانع ما منعه من الاستجابة.

ـ مواطن أثر اليقين نوعان هما:

- الذي يمنع من تأثر الإنسان بدعوة الرسل والغيبيات بعد أن عرفها هو إما مواطن يعتمدتها الإنسان أو مانع هو عقاب من الله تعالى كالتالي:

ـ مواطن يعتمدتها الإنسان (تعطيل العقل):

- الإنسان بمجرد أن يعرف أمراً ما عليه دليل فإنه يتاثر به تلقائياً بحسب مقدار خطورته، فلا يستطيع الإنسان أن يجعل نفسه جاهلاً بأمر ما عليه دليل بعدهما عرفه ولم ينساه، وبالتالي لا يستطيع الإنسان أن يمنع نفسه من التأثر بأمر ما مؤثر عليه دليل لأنه تلقائياً يقتنع به ويتأثر به، ولكن يستطيع ذلك بأحد أمرين هما:

أـ تعطيل العقل فلا يوقن بأمر عليه دليل:

- عقل الإنسان مصمم بحيث أنه يقتنع بالشيء إذا عرف أداته ولا يقتنع بشيء لا يعرف أداته، ولكن يستطيع الإنسان أن يخالف الفطرة فلا يقتنع بأمر عليه دليل، وذلك بأن يعطل عقله ويمنع نفسه من التفكير السليم في الأمر ويوقف تفكيره عند شبهة معينة أو تقليداً أو يعطل عقله عن النظر في الأدلة، ومهما أسمعته الأدلة فإنه يوقف تفكيره عند ظاهر أمر ما.

- والذي لا يوقن بأمر عليه دليل يكون مهزوماً أمام نفسه، لذلك يلجأ إلى التجاهل ليهرب من مواجهة نفسه بالأدلة الواضحة لأن تذكر الأمر قد

يجعله يوقن به: ((فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكَسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عِلِّمْتَ مَا هُوَ لِإِيمَانِهِمْ يَنْطِقُونَ))^(١).

ب - تعطيل العقل بالتجاهل (تعطيل المعرفة):

- أي يجعل نفسه كالجاهل بها، فيبطل معرفته بتجاهله للأمر

- والتجاهل معناه أنه يتوهם ويتصور لنفسه كأنه لم يسمع عن الأمر أو لا يفهمه، ويتعامل مع الأمر كأنه لعب ولهو وهزل ومزاح وليس جدًا، ويبيتعد عن التذكر والتدبر والتفكير في الامر كأن الامر لا قيمة له أو لا يستحق التفكير فيه، ويتعامى عن النظر في الآيات الكونية وينمّي نفسه من كل ما يذكره بالله والآخرة ويهرب من سماع ما يذكر بالله والآخرة وقد لا يرد على المحدث إذا تكلم في ذلك ولا يتكلم في الأمر مع أي أحد، ويتهلهل بشغلهم بقضايا الدنيا على حساب تذكر الآخرة وشغل الوقت والجوارح بالأعمال التي تذكر بالدنيا على حساب الاعمال التي تذكر بالله والآخرة حتى لا يفكر في شيء غيرها، ويترك أي عمل يتعلق بالغبيّات بطريقة الهروب والتجاهل وعدم الحديث في الأمر.

- وإذا استمر في التجاهل طبع الله على قلبه فيظل دائماً كالجاهل فمهما ذكرته فلن يتذكر أبداً.

- والتجاهل قد يكون مع وجود أو غياب اليقين.

٢- مانع هو عقاب من الله للإنسان (المعرفة الكاذبة):

- هناك وظيفة طبيعية في الإنسان هي أن الجانب المعرفي (المعرفة واليقين) يؤدي إلى الجانب العملي (تأثير القلب واليقين بحسب مقدار خطورة الجانب المعرفي)، فالله سبحانه يوقف هذه الوظيفة الطبيعية وهو ما يسمى بالمعرفة الكاذبة (السماع والرؤيا والفهم الكاذب).

- المعرفة الكاذبة معناها أنك إذا أخبرته بأمر ما فلن يعرفه مهما أخبرته وكررت له المعلومة فلن يعرفها لأن الله عطل هذه المعرفة، فمهما سمع

(١) الأنبياء: ٦٤، ٦٥



عن الخالق والآخرة فسيظل جاهلاً، ولو رأى المعجزات أمام عينه فسيظل كأن لم يراها، ومهما أفهمته الأمر فسيظل كأن لا يفهم.

- المعرفة الكاذبة هي عقاب من الله للإنسان بسبب الوقوع في أي صورة من صور الشرك بالله أو بسبب الران وهو التمادي في المعاصي حتى يسود القلب وبخاصة معاصي القلوب، وبالتالي فالإنسان هو المسئول عنها أيضاً.

- فالله يطبع على قلب الإنسان فيجعل معرفته كالجهل ويمنع عنه أثر هذه المعرفة فلن يهتدي أبداً مهما علم إلا إذا أراد الله أن ينفك هذا الطبع.

- والفصل الثالث هو بيان لمفهوم المعرفة الكاذبة.

أسباب اليقين الكاذب:

- هناك أمور لا تنقض اليقين ولكن تجعله كاذباً، وهي الأمور التي تمنع من حدوث أثر اليقين وهي سببان هما التجاهل والمعرفة الكاذبة.

- وهي أمور قد يحسب الإنسان أنه أبعد ما يكون عنها والحقيقة عكس ذلك.

- فالآخرة ولقاء الله تعالى من أخطر ما يمكن ولكن لماذا لا يؤثر فينا ونتأثر به؟ ذلك لأننا نعيش في غيوبة لا ندرى ما الله وما الآخرة في حقيقة الأمر.

- فالمعرفة موجودة ولكن تم إيقاف المعرفة عن القيام بوظيفتها فأصبح الإنسان جاهلاً بالأمر، وسبب إيقاف المعرفة أحد أمرين هما التجاهل والمعرفة الكاذبة (السماع والرؤيا والفهم الكاذب).

- فكما أن النسيان يجعل الإنسان يعود بعد المعرفة بالأمر إلى الجهل به، فكذلك التجاهل والمعرفة الكاذبة يجعلان الإنسان يعود بعد المعرفة بالأمر إلى الجهل به، ولكنه عندئذ يكون جهلاً خفياً حيث يحسب الإنسان أنه يعرف الامر وهو في حقيقته لا يعرفه لأن المعرفة تعطلت، فهو في الظاهر عرف الامر لكنه في الحقيقة جاهل به، ولو أخبرته بالأمر ألف مرة فسيظل جاهلاً به.

ـ فإذا طبع الله على قلب انسان أو تجاهل ما عرفه عاد إلى الجهل وهو لا يدرى، وإذا كان موقفنا بالأمر فيقينه عندئذ كاذب لأن حقيقة أمره أنه جاهل بالأمر، وهذا ليس معناه غياب البيقين، فالبيقين موجود لكنه كالعدم.



الفصل الثاني

اليقين الكاذب بوجود خطر هائل

- الانسان الغافل يعيش في هدوء تام وعزلة تامة وسط مخاطر هائلة تحيط به، ولا يوجد له أي تأثر بها رغم أنه يومن بوجود هذه المخاطر، فهو يتعامل معها كأنه لا مشكلة ولا يوجد شيء يدعو للانزعاج ويحسب أن حياته الهدئة هي الوضع الطبيعي.

- وجود الخالق والآخرة هي أمور من أخطر ما يكون ولكننا غافلون:

- بعض الناس ليس لديهم أي تأثر أو انفعال أو تفاعل أو رد فعل تجاه الغيبيات فحالهم يقول بأنهم لم يسمعوا عن الغيبيات رغم أنهم يومنون بالغيبيات ورغم أنهم يعلمون أن الغيبيات مسألة من أخطر ما يمكن في حياة الانسان، فكيف يحدث هذا التناقض العجيب؟

- كل الناس يعلمون أن لهم خالقا وأنهم ذاهبون إلى الآخرة وأن الله أرسل لهم الرسل وأن الدنيا ضئيلة وزائلة ولا قيمة لها وأن الحياة الحقيقة الأبدية في الآخرة ورغم ذلك فإن بعضهم لا تتعلق مشاعرهم ولا همومهم ولا أهدافهم إلا بالدنيا التي يومنون بأنها ضئيلة وزائلة، فحال هؤلاء يقول أنهم لا يعلمون شيئاً عن الخالق والآخرة والرسل، بهذه المعلومة البسيطة التي تقول بوجود الخالق والآخرة وإرسال الرسل مات معناها وتحولت لمجرد مظاهر روتينية، فهؤلاء الناس كأنهم مخدرين غافلين كأنهم لم يسمعوا عن ذلك تماماً.

- نحن نتعامل مع مسألة وجود الخالق والآخرة بدون تأثر أو تأثر قليل لا يتناسب مع خطورة الأمر ونكتفي بوجود اليقين والقيام ببعض أعمال الجوارح.

- أثر المعرفة بالخالق والآخرة هو أمر خطير جداً، فالطبيعي أنه بمجرد أن يعرف الإنسان بوجود الخالق والآخرة ويومن بذلك فإن نظره الانسان

لأشياء تتغير فيرى الأشياء على حقيقتها وبالتالي يرى عظمة الخالق وخطورة الآخرة ويرى ضعف نفسه وضالة الدنيا وبالتالي تتغير همومه وأهدافه التي يعيش لها ، وتتغير نظرته للحياة، فتتغير مشاعره فيصبح يحب شيئاً غير الذي كان يحب ويرجو شيئاً غير الذي كان يرجو يخاف من شيء آخر غير الذي كان يخاف، فتتغير انفعالاته وفرجه وحزنه وغضبه، وبالتالي تغيير طبيعة تصرفاته وسلوكه وأخلاقه وكلامه ونيته، فتتعلق مشاعره وهمومه وأهدافه بالله والآخرة ولا تتعلق بالدنيا وتتغير حياته كلها من مشاعر وأهداف وطموحات وسلوك وتصرفات وانفعالات وفرح وحزن وغضب وأخلاق وكلام ونية وعمل بزاوية مائة وثمانين درجة.

- كل هذا يحدث إذا تحققت المعرفة الحقيقية بوجود الخالق والآخرة، لكن لأننا نعيش في زمن الغفلة فالكثير من الناس لا يعلمون أن مجرد المعرفة الحقيقية بالخالق والآخرة هو أمر خطير جداً ومؤثر جداً إلى هذه الدرجة، فهي معلومة بسيطة جداً لكن مات معناها، وأصبحت الغفلة هي الوضع الطبيعي المألوف الذي اعتاد عليه الكثير فإذا جاء أحد ليقول لهم تعالىوا نعرف من جديد معنى أن لنا خالقاً ومعنى أننا ذاهبون إلى الآخرة لقالوا إنه مجنون أو مختلف!، لكنهم سوف يعلمون ذلك عندما يجدون أنفسهم واقفين على أرض المحشر في الآخرة.

- وكذلك فالطبيعي أن رؤية الشمس والسماء والآيات الكونية هو أمر مؤثر جداً لكن الكثير يتعاملون معها على أنها أمور عادية جداً لا تدعوا للتأثير.

- فنحن لا نتكلم في هذا الكتاب عن معلومات عويسة في الدين ولكننا فقط نتكلم عن أبسط معلومة في الدين وهي أن لنا خالقاً وأن هناك آخرة.

- فإذا لم تتأثر حياة الإنسان بالله والآخرة بهذا التأثير الكبير جداً، أو كان تأثيرها قليل جداً أو شكلياً في بعض المظاهر فهذا يدل على أن المعرفة كاذبة واليقين كاذباً وحقيقة الإنسان عندئذ أنه كالجاهل تماماً.

- إن مجرد العلم بأن لنا خالقاً فهذه ليست معلومة سهلة؛ لأن معناها أننا نعيش حياتنا خاضعين للخالق، وكذلك مجرد العلم بأن هناك آخرة فهذه ليست معلومة سهلة؛ لأن معناها أننا نعيش حياتنا مترقبين ليوم الميعاد، ولكن لا يزال البعض يعيش في غيوبية أو في غفلة وسكر لم يفق بعد إلى حجم الخطر الذي ينتظره ولا يدرى بما هو صائر إليه بعد لحظات من الخطر العظيم، فنحن مقبلون على خطر عظيم وحدث هام جداً، والعد التنازلي مستمر الآن، ويوشك أن نلحق بالأخرة، لكننا لا نشعر بذلك، ونظن أن الأيام طويلة والعمر مديد، وإذا كان هناك أحد عنده شيء من الشعور بقدر الآخرة فتكون درجة شعوره ودرجة إفاقته لا تتناسب أبداً مع خطورة الحدث، فلابد أن تشعر بمدى الفرق الهائل بين الدنيا والآخرة، فعندئذ تشعر بمدى خطورة الآخرة ومدى ضآلتنا الدنيا فتشعر بالمهابة من ذلك الخطر العظيم (الآخرة).

- فالآخرة ولقاء الله تعالى من أخطر ما يمكن ولكن لماذا لا يؤثر فينا ونتأثر به؟ ذلك لأننا نعيش في غيوبية لا ندرى ما الله وما الآخرة في حقيقة الأمر، أي أن المعرفة الموجودة كاذبة والمعرفة الحقيقة غائبة.

- والآخرة هي الحقيقة الكبرى المرعبة: ((يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذَهَّلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُّ كُلُّ ذَاتٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَّارَى وَمَا هُمْ بِسُكَّارٍ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ))^(١)، ((فَلْ هُوَ نَبَّا عَظِيمٌ) ٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ^(٢)، وقد سبقنا إليها الكثير والدور علينا، ورغم ذلك فإن مشاعر الناس تجاه الآخرة وأمور الدين فاترة باردة، في حين تتفاعل مشاعرهم وانفعالاتهم تجاه أمور الدنيا الفانية، فالآخرة أمر جاد جداً وخطير جداً ولا يحتمل التراخي، ونحن نتعامل معه بلا مبالاة وفتور شديد بغير جدية وإدراك لخطورته، هذا معناه أن هناك غفلة تامة عن الخطر العظيم الذي نحن مقبلون عليه بعد وقت ضئيل جداً يمر سريعاً دون أن ندرى.

(١) الحج: ٢
(٢) ص: ٦٧، ٦٨

- التناقض بين تعامل الانسان مع الدنيا والآخرة يدل على التناسي للغيبيات:

- لو أن رجلاً عاش في الآخرة ثم جاء إلى أهل الدنيا ماذا يمكن أن يقول لهم؟ إنه سوف يجد أهل الدنيا يعيشون في حالة من السكر في غياب تام عن الانتباه لما في الآخرة من خطر، فينادي عليهم: أفيقوا من العيوبية!، ورغم أنه سوف يجد الناس على يقين واقتناع تام بالله واليوم الآخر وكل ثوابت الدين، وربما عندهم تفاصيل قد أيقنوا بها أكثر منه هو نفسه، ورغم ذلك فالله والآخرة ليس لهما وجود في شعور البعض ومشاعرهم وهمومهم وأهدافهم، إنه سوف يعجب من هذا الانقسام التام الذي يتمثل في وجود مسلمين يقرون بالغيبيات ولكن الغيبيات غائبة تماماً من شعور بعضهم ومشاعرهم وهمومهم وأهدافهم، فكيف يوقن الإنسان بالآخرة التي هي المستقبل والمصير ثم لا يشعر بالمهابة وخوف العقاب وكيف لا يشعر بالغربة وهو مسافر إليها؟! وكيف يوقن الإنسان بالله الذي صنع بقدرته كل البشر والكون وهم مفهورون تحت قدرته ثم لا يشعر بالمهابة والحب إعجاباً بقدرته وخوف العقاب ورجاء الثواب؟! ذلك لأن المعرفة بخطورة الأمر لم تتحقق بعد.

- كل الناس يعلمون أن لهم خالقاً وأنهم ذاهبون إلى الآخرة وأن الله أرسل لهم الرسل وأن الدنيا ضئيلة وزائلة ولا قيمة لها وأن الحياة الحقيقة الأبدية في الآخرة ورغم ذلك فإن بعضهم لا تتعلق مشاعرهم ولا همومهم ولا أهدافهم إلا بالدنيا التي يوقنون بأنها ضئيلة وزائلة، فحال هؤلاء يقول أنهم لا يعلمون شيئاً عن الخالق والآخرة والرسل، فهذه المعلومة البسيطة التي تقول بوجود الخالق والآخرة وإرسال الرسل مات معناها وتحولت لمجرد مظاهر روتينية، فهؤلاء الناس كأنهم مخدري غافلين كأنهم لم يسمعوا عن ذلك تماماً.

- إن الآخرة التي في مشاعر البعض تختلف عن الآخرة الحقيقة، فإن الآخرة التي في مشاعر بعض الناس اليوم هي آخرة أليفة ودودة لا مشكلة فيها ولا خطر فيها، وإن شعورهم بالآخرة مثل شعورهم بأي شيء عادي! إنك لو قارنت بين خطر الآخرة وبين أي أخطار أو مخاوف في

الدنيا فسوف تجد أن الآخرة لا تمثل في مشاعرك خطراً حقيقياً أو أهمية حقيقة مثل أي خطر تواجهه أو تتعرض له في الدنيا فتجد المشاعر متفاعلة به وبالال مشغول، وذلك رغم الفارق العظيم بين كل أخطار ومخاوف الدنيا وبين خطر الآخرة، إن الذي لا يتاثر بشيء مؤثر جداً فإنه غافل عنه كأنه لم يسمع عنه، فهو لا عقل له، إن الآخرة أمر مؤثر جداً وخطير جداً ولكن لا يوجد تأثر بها!!، فلا يزال الإنسان كالذى لا يعرف الآخرة حتى تكون الآخرة حقيقة واقعة في ذهنه يشعر بخطورتها وبالتالي تؤثر على مشاعره وهمومه وتفكيره وأمانيه؛ لأنها الخطير المرتقب والحياة المنتظرة.

- فكلمة (الآخرة) عند من لم يشعر بخطورتها تختلف عن كلمة (الآخرة) عند من يشعر بخطورتها، فال الأول يراها أمراً عادياً ومجيئها لا يمثل خطورة، والثاني خائف منها: ((يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا))^(١)، والأول سوف يفاجأ المفاجأة الرهيبة بيوم القيمة لأنها مفاجأة لم يكن يسمع عنها لأنه لم يكن يشعر بخطورة الآخرة، ففي تفسير التيسير: ((وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبَلِّسُ الْمُجْرُمُونَ}) أي تصيبهم الحيرة والذهول، لأنهم لم يكونوا يتوقعون قيام الساعة أبداً، يقال: (أبلس الرجل) إذا سكت وانقطعت حجته ولم يوكل أن تكون له حجة^(٢)، أما الثاني فكان يعيش وعنه تهيئة نفسية فلا يفاجأ بالآخرة وإنما هو منظر مجئها ومنظر تحقيق وعد الله تعالى.

- عدم الانتباه لخطورة الآخرة جعل كلمة (الآخرة) اسمًا فقط بلا مسمى حيث تم إفراط الكلمة من المعنى والقيمة، فأصبحت الآخرة مجرد شكل فقط تم تفريغه من قيمته وتم حجب جميع أثره حيث حدث إفراط لكلمة (الآخرة) من محتواها الحقيقي فأصبحت كأنها عديمة الأهمية، فهو يتعامل مع كلمة (الآخرة) كأنها تتحدث عن بشر غير موجودين على الأرض وأن هؤلاء البشر سوف يذهبون لعالم آخر غير الأرض، إذن فالقضية لا تخصه هو ولا تعنيه ولا تضره ولا تنفعه فلا يشعر بقيمتها،

(١) الشورى: ١٨

(٢) التيسير في أحاديث التفسير (٢٦ / ٥)



ولا مانع من أن يوافق عليها ولكن لا يستشعر خطورتها لأنها لا تخصه، فهو يتعامل مع المعلومة كأنها تخاطب بشرًا آخرين في كوكب آخر ليسوا على الأرض فلا يخصه الأمر، كأن الكلام ليس موجهًا له، أو كأن هذا الكلام باللغة الإنجليزية وهو لا يعرف غير العربية فبالنسبة له كأنه طلام.

- الإنسان في حياته قد يواجهه مشاكل حياتية كثيرة، عند كل مشكلة قد يغضب ويثور ويتضايق وينفعل، أما الآخرة عنده فليس بمشكلة رغم أنها الخطر المرتفع والامتحان العصيب والحياة الأبدية، ورغم أن الدنيا أيام قليلة تفني بمشاكلها، أما الذي يشعر بحجم الخطر في مشكلة الآخرة أمام ضالة مشاكل الدنيا فتهون عليه مشاكل الدنيا وتنفعه مشاعره ويقلق ويغضب ويضطرب أمام مشكلة الآخرة.

- الله سبحانه له قدرات هائلة جدًا فوق كل التصورات ولو اجتمع البشر جمیعاً لن يستطيعوا أن يصنعوا شيئاً ولو بسيطاً مما يصنعه الخالق لأن يخلقوا ذبابة مثلاً، وعلم الله بكل شيء حتى ما سيكون ومقدرته على كل شيء فوق كل التصورات، ولكن الإنسان لا يشعر بالخوف من مهابة هذه القدرات، ولا يشعر بالانبهار والإعجاب والحب لهذه الصفات الخارقة التي تصل إلى الكمال، ولا يشعر بالحب لإنعام الله له بكل هذه النعم والتي بدونها لا يستطيع أن يعيش، ولا يشعر بالشوق والرجاء في الجنة بما فيها من المتع والحوار العين والخمور والملذات التي تفوق كل التصورات، ولا يشعر بالخوف والرعب والفزع من آلام النار المحرقة.

- وجميع آلام الدنيا وملذاتها ليست بشيء أمام الآخرة ورغم ذلك تتفاعل معها مشاعر الإنسان وانفعالاته في حين لا تتفاعل وتنثر بالغبيات، فذلك يدل على حماقة الإنسان وعدم وجود المعرفة الحقيقية بالغبيات.

- الغبيات أمر خطير جداً ومؤثر لكن إذا لم يتأثر بها الإنسان فهذا معناه أن الإنسان لا يزال لا يعرف ما هي الغبيات وكأنه لم يسمع عنها، فالغبيات من أخطر ما يمكن ولكن لماذا لا تؤثر فينا وتنثر بها؟ ذلك لأننا غافلون نعيش في غيوبية لا ندرى ما الله وما الآخرة في حقيقة الأمر.

٤- ظاهر الأمور على عكس حقيقتها:

- الدنيا لها ظاهر وباطن، والآخرة كذلك، والظاهر عكس الباطن تماماً، فظاهر الآخرة أننا لا نراها، وظاهر الدنيا زينة هائلة توحى بأن الدنيا عظيمة في متعها وألامها، والعاقل هو الذي لا ينخدع بالظاهر ويفكر في الباطن ليعرف حقيقة الشيء.

- فمثلاً لو كان في يدك ظرف فارغ لا شيء فيه ومكتوب عليه مليون جنيه، فالذي ينظر إلى المكتوب على ظاهر الظرف ولا ينظر إلى حقيقة ما بداخله هو أحمق لا عقل له، فالمكتوب على الظرف هو زينة الدنيا، وما بداخل الظرف هو حقيقة الدنيا، والعكس لو كان في يدك ظرف مكتوب عليه صفر ولكن بداخله مليون جنيه فالعاقل هو الذي ينظر إلى داخل هذا الظرف ليعرف حقيقته، فالدنيا والآخرة كاذبتان تقولان عكس ما بداخليهما تماماً.

- العاقل هو الذي لا ينخدع بهدوء الدنيا كأنه لا خطر يتعرض له أو يوشك أن يلحق به، ويسارع بالفرار قبل الكارثة والطامة الكبرى.

- الدنيا هادئة تماماً ومعزولة عن خطر الآخرة الهائل، وهي تافهة ولا قيمة لها بالمقارنة بالآخرة، ولكن الدنيا نراها ونعيش فيها والآخرة لا نراها، ولكن عدم رؤية الخطر لا يمنع وقوعه، فعدم رؤية الملائكة والجن من حولنا، وعدم رؤية الله، وعدم رؤية الجنة والنار الموجودتين الآن كل هذا لا يغير من حقيقة الأمر شيئاً، فكل هذا واقع سواء رضينا أم أبينا، سواء تجاهلنا الأمر أم انتبهنا له، ونحن بعد وقت وشيك من الآن سوف نجد أنفسنا في الآخرة ونجد أنفسنا واقفين أمام الله ونرى الملائكة والجنة والنار أمامنا، سواء رضينا أم أبينا، سواء تجاهلنا ذلك أم انتبهنا له.

- فنحن نعيش في عزلة تامة عن الخطر الهائل في حياة هادئة تماماً مناقضة تماماً للحياة الحقيقة، ونحن معزولون تماماً عن رؤية الخالق ورؤية الملائكة والجن، ومعزولون تماماً عن رؤية ما يحدث في القبر ورؤية أهوال الحساب ورؤية الجنة والنار، وعلى العكس تماماً نعيش

في حياة خادعة تماماً في ظاهرها، فتبدو كأنها حياة الإقامة والخلود وكأنه لا حياة بعدها.

- ظاهر الأمور في الدنيا على عكس حقيقتها، وهذه خدعة كبيرة جداً لا يفطن إليها إلا الذي يتأمل ويتدبّر الحقيقة دون أن ينخدع بالظاهر، وفي تفسير ابن كثير: ((وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْعُرُورُ}) أي هي متاع فأن غارٌ لِمَنْ رَكَنَ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ يَغْتَرُ بِهَا وَتُعْجِبُهُ حَتَّى يَعْقِدَ أَنَّهُ لَا دَارَ سِوَاهَا وَلَا مَعَادَ وَرَاءَهَا، وَهِيَ حَقِيرَةٌ قَلِيلَةٌ بِالنَّسْبَةِ إِلَى دَارِ الْآخِرَةِ))^(١)، فتبدو الحياة حلوة خضرة بما فيها من شهوات تبدو عظيمة القيمة في حين أن الحقيقة عكس ذلك تماماً، فالمتع التي نعيشها ليست هي المتع، والآلام التي نعيشها ليست بالآلام، وإنما المتع هي متع الجنة والآلام هي آلام النار ونحن نومن بذلـك ولكنـا نتنـاسـى ونـتـغـافـلـ.

- وبالتالي يعيش الإنسان في هدوء تام جداً ومحاط بسور هائل جداً يعزله تماماً عن الخطر الذي يحيط به من كل جانب، وبالتالي كلما نظر الإنسان إلى ما وراء الحائط تذكر ثم إذا نظر داخل الحائط نسي، والعاقل هو الذي لا يغفل نظره عن الواقع الحقيقي الذي هو الخطر المحيط به وليس الواقع المزيف الذي هو مجرد سور يعزله عن الخطر.

- العجيب أن الإنسان يومن بهذه المخاطر ولكن يعيش في هدوء تام وغفلة تامة عن هذه المخاطر الهائلة ولا يشعر بخطرها مطلقاً.

- وأراد الله أن تكون الدنيا معزولة تماماً عن هذه المخاطر وهادئة تماماً ليختبر الإنسان، والرسل جاءت تحذير من هذه المخاطر ولكن لا حياة لمن تنادي، ولكن بعد لحظات من الآن نجد أنفسنا واقفين على أرض المحشر لنتذكر تحذير الرسل ولكن ذلك لا ينفع.

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية (٨/٥٧)

ـ عندما تصبح الغفلة هي الوضع الطبيعي يرى الناس الغيبات غير مؤثرة:

ـ من الناس من ليس عنده أي هم بالأخرة رغم ما بها من أهوال وأنها المصير، لدرجة أنك قد تجد المرء يستغرب ولماذا الهم بالأخرة؟! وكأنه لا يوجد أي شيء يدعو لهم بالأخرة! فهو في غفلة تامة عن الآخرة فلا يوجد أي تأثر بالأخرة سواء سلباً أو إيجاباً فلا يخاف الآخرة ولا يكرها ولا يحبها؛ لأنه لا يشعر بها أصلاً وكذلك كل الغيبات.

ـ إذا كان امامك خطر كبير ولكنك تتعامل معه كأنك لا تعرفه أو كأنه أمر عادي لا يدعو للانزعاج والقلق فهذا معناه أنك رجل غير طبيعي، فإذا جاء رجل فأخذ يصور لك مدى هذا الخطر وأنه مثير للقلق والانزعاج وأنك تحسب أن هذا الرجل غريب وغير طبيعي ولا تتأثر بكلامه لأنه في نظرك رجل غير طبيعي، فأصبحت الأمور معكوسه

ـ وكذلك عندما أحدثك عن مدى خطورة الغيبات وأنها مؤثرة غاية التأثير على كل المشاعر والهموم والحياة فأنت قد تستغرب الكلام لأنك تعودت على أن الطبيعي أن الغيبات لا تؤثر فيك شيئاً.

ـ فرغم أن كل الناس يعلمون أن لهم خالقاً وأنهم ذاهبون إلى الآخرة وأن الله أرسل لهم الرسل لكن حال البعض يقول أنهم لا يعلمون شيئاً من ذلك فهذه المعلومة البسيطة مات معناها، وأصبحت الغفلة هي الوضع الطبيعي المألوف الذي اعتاد عليه الكثير فإذا جاء أحد ليقول لهم تعالى ما نعرف من جديد معنى أن لنا خالقاً ومعنى أننا ذاهبون إلى الآخرة لقالوا إنه مجنون أو متخلف!

ـ إذن هناك خلل ومشكلة ومانع جعلك لا تتأثر بالغيبات وتنفعل بها وتفاعل معها كأنها غير موجودة أو كأنك لا تعرفها أو كأنها شيء عادي غير مؤثر كالحوادث أو كأنك نسيتها، هذا المانع جعل الغيبات مجرد كلام ومعرفة ويقين بلا أي تأثر، وأصبح الطبيعي أن الغيبات في نظرك ليست شيئاً يدعو للانزعاج والقلق والتأثر، وهذا المانع أمران هما التجاهل والمعرفة الكاذبة (السماع والرؤية والفهم الكاذب)، ومعناها أنه

أصبح لا يتأثر بالغيبيات كأنه لا يفقه معناها أو كأنه لم يسمع عنها أو كأنه نسيها أو كأنها غير موجودة أصلا لأنها أصبحت غير مؤثرة على قلبه.

· أمثلة توضح مفهوم اليقين الكاذب بوجود خطر هائل:

- مثال (١):

- كان أحد الناس يجلس على مكتبه داخل أحد المباني الكبيرة يؤدي عمله في هدوء، ثم فجأة دق جرس الإنذار، لكنه لم ينزعج وبقي هادئاً في مكانه جالساً على مكتبه، رغم أنه كان يعلم أن جرس الإنذار يعني أن هناك حريق بالمبنى وأنه سوف يسقط ويُوْقَن بذلك تماماً، وأسرع الناس في المبنى يلوذون بالفرار وهم ينادون على هذا الرجل الجالس على مكتبه: احذر النار احذر النار! ألا تعلم أن هناك حريق كبير بالمبنى؟ فيقول لهم في بروء أعلم ذلك، وبقي في هدوءه منشغلًا بأعماله، وظل الناس ينادون عليه حتى نبح صوتهم من كثرة النداء، لكن لا حياة لمن تنادي، فكأنما ينادون رجلاً لا عقل له أو ينادون أصماً لا يسمع أو ينادون جماداً من الجمامدات أو ينادون رجلاً ميتاً ليس لديه أي إحساس أو عقل أو وعي، إنه فعلًا ميت وليس بحي، وكما يقول الشاعر: لقد أسمعت إذ ناديت حياً، ولكن لا حياة لمن تنادي، فمهما أذنرته فلن يستجيب إلا إذا كان حياً: ((إِنِّي نَذَرْتَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحْقِقُ الْقُولُ عَلَى الْكَافِرِينَ))^(١)، ((إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَ الْدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْا مُذْبِرِينَ))^(٢)، {إِنَّمَا يَسْتَحِيُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ})^(٣).

- فهذا الرجل كان عليه أن يتصور خطورة الأمر فيشعر بالمهابة، ويخاف من الضرر إذا لحقته النار، ثم يسرع للهرب.

(١) يس: ٧٠

(٢) التمل: ٨٠

(٣) الأنعام: ٣٦

- فكذلك الذي يقول بأنه يؤمن بالآخرة وبسقوط الدنيا وبأنه راحل إلى الآخرة ثم هو لا يتصور هذا الخطر ولا يخافه ولا يسرع بالاستعداد لذلك ويعيش في الدنيا هادئاً منشغلًا بأمور الدنيا التي سوف تسقط حالاً يسمع الموسيقى ويأكل الحلوى!

- فهو يتجاهل كل الأخطار التي حوله من رؤية الله له وما ينتظره من أهوال القيمة ويعيش في الحياة هادئاً مطمئناً لأن حياته إنما هي على ظهر هذه الأرض، فهو مطمئن وراضٍ بالحياة الدنيا رغم أن وجود الإنسان على الأرض ليس حياة يقيم فيها ويسكن ولكنها مجرد طريق وسفر واختبار وليس معدة للمعيشة، والحياة التي يعيشها الناس ويقيمون فيها إنما هي في الآخرة: ((إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ إِمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ))^(١).

- إن الرسل جاءت لتنذر الناس بوجود الآخرة والجنة والنار، وهذا الإنذار أشد من الإنذار بوجود حريق أو خطر ما، ورغم ذلك هناك من لا ينزعج للأمر ولا يتصور خطورته ويدعى أنه يخاف الآخرة.

- مثال (٢):

- الدنيا عبارة عن حجرة هادئة تماماً وساكنة، وداخل هذه الحجرة يوجد رجل يلهمه ويلعب وسط هذا الجو الهادئ، وخارج الحجرة توجد نار هائلة تقترب وتوشك أن تشتعل بالحجرة، والرسل جاءت تدق الباب بشدة وتتنادي بصوت عالٍ: احذروا النار احذروا النار! وتتنادي على من في الحجرة أن ينظر إلى الشباك ليرى النار، وتتلهم على ممر للنجاة وسط النار يؤدي إلى حدائق وقصور فيها الأمان والتمتع والملذات (الجنة)، فسمع الرجل النداء ورأى النار من الشباك، ولكنه تجاهل الأمر وتغافل عنه كأنه لم يسمع النداء وكأنه لم يرِي النار من الشباك وكأنه لم يفهم ما قالته الرسل، واستمر في لعبه ولهمه وسط الجو الهادئ داخل الحجرة، ولم تتأثر مشاعره ولم يتحرك للهرب، فكان هذا الرجل لا سمع له ولا

(١) يونس: ٨، ٧

بصر له ولا عقل له ولا مشاعر له وكان جواره لا تعمل فكانه ميت، فرغم أن هذا الرجل يلعب ويلهو لكنه في الحقيقة ميت! فمهما أخذت تنادي فيه: احذر النار! فكأنما تكلم ميتاً لا روح فيه: ((إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمُؤْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَ الْدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْا مُذْبِرِينَ))^(١)، فهذا الرجل كالأنعام يأكل ويشرب ويتناول وينام، والبهائم لا تفقه خطاب البشر مما ناديتها: ((وَلَقَدْ ذَرَانَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبَصِّرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامُ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ))^(٢)، فما زالت الرسل تدق الباب وتنادي وهو يستمع إليهم وهو يلعب مثلاً يستمع إلى أمر تافه أو لا قيمة له: {اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون} (١) ما يأتيهم من ذكرٍ من ربهم محدثٌ إِلَّا استماعوه وهم يلعبون (٢) لا هية قلوبهم} ^(٣).

- مثال (٣):

- يمكن تشبيه دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم بأن رجلاً جاء إلى الناس ليحذرهم من أن هناك خطر عظيم سوف يجتاحهم، هذا الخطر هو جيش جرار جاء ليقضي عليهم، فكان طائفة منهم لم يتأثروا ولم يتبهوا لخطورة الأمر ولم يشعروا بالخوف والرعب، ومن أثر ذلك أنهم لم يتحركوا من مكانهم ولم يهربوا، وكان شيئاً لم يكن، وكأنهم لم يسمعوا، وكأنهم كالحائط الذي لا يحس، وبقوا مكانهم منشغلين بحياتهم وطعامهم وشرابهم، فهو لاء جاء الجيش إليهم فقضى عليهم، وطائفة أخرى تحركت مشاعرهم وشعروا بالخوف ولاذوا بالفرار فنجوا من الجيش، وهذا المثل هو ما أوضحه الرسول صلى الله عليه وسلم، ففي الحديث: ((إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإنني أنا النذير العريان فالنجاء النجاء، فأطأعوه طائفة من قومه فأدخلوا فانطلقا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلتهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت

(١) النقل: ٨٠

(٢) الأعراف: ١٧٩

(٣) الأنبياء: ١ - ٣



بـه ومثل من عصـانـي وكـذـبـ بما جـئـتـ بهـ مـنـ الـحـقـ))^(١)، وـمـعـنىـ (ـالـنـذـيرـ)ـ العـرـيـانـ)ـ أـنـ الرـجـلـ إـذـاـ كـانـ عـلـىـ مـكـانـ عـالـ فـبـصـرـ بـالـعـدـوـ نـزـعـ تـؤـبـهـ فـأـلـاحـ بـهـ لـيـنـذـرـ الـقـوـمـ، فـبـيـقـىـ عـرـيـانـاـ، وـعـرـيـ النـذـيرـ أـلـبـغـ فـيـ الـإـنـذـارـ؛ لـأـنـ الـقـوـمـ إـذـاـ رـأـوـهـ عـرـيـانـاـ عـلـمـواـ أـنـ الـأـمـرـ عـظـيمـ، وـقـيـلـ مـعـنـاهـ: أـنـاـ النـذـيرـ الـذـيـ أـدـرـكـنـيـ جـيـشـ الـعـدـوـ فـأـخـذـ ثـيـابـيـ، فـانـفـلـتـ مـنـهـمـ، فـأـنـاـ أـنـذـرـكـمـ عـرـيـانـاـ، وـفـيـ حـدـيـثـ آـخـرـ: (ـمـثـلـ كـمـثـلـ رـجـلـ اـسـتـوـقـدـ نـارـاـ فـلـمـ أـضـاءـتـ مـاـ حـولـهـ جـعـلـ الـفـرـاشـ وـهـذـهـ الـدـوـابـ الـتـيـ يـقـعـنـ فـيـ النـارـ يـقـعـنـ فـيـهـاـ وـجـعـلـ يـحـزـهـنـ وـيـغـلـبـنـهـ فـيـقـتـحـمـنـ فـيـهـاـ، فـذـلـكـ مـثـلـيـ وـمـثـلـكـمـ أـنـاـ أـخـذـ بـحـزـكـمـ عـنـ النـارـ هـلـمـ عـنـ النـارـ هـلـمـ عـنـ النـارـ فـتـغـلـبـوـنـيـ فـقـتـحـمـوـنـ فـيـهـاـ))^(٢).

- لـذـلـكـ فـتـبـلـيـغـ دـعـوـةـ الرـسـلـ يـسـمـيـ (ـإـنـذـارـ)ـ أـيـ تـحـذـيرـ مـنـ أـمـرـ خـطـيرـ وـلـيـسـ مـجـرـدـ تـعـرـيـفـ بـالـأـمـرـ، فـالـخـطـرـ قـادـمـ وـعـلـيـكـ أـنـ تـقـيـهـ بـأـنـ تـخـافـ وـتـهـرـبـ وـلـيـسـ مـجـرـدـ أـنـ تـعـرـفـ وـتـوـقـنـ بـهـ.

- مـثـالـ (ـ٤ـ):

- الـإـنـسـانـ يـعـرـفـ أـنـ الـقـبـلـةـ شـيـءـ خـطـيرـ جـاـداـ وـيـعـرـفـ أـنـ الـكـرـةـ شـيـءـ تـافـهـ رـغـمـ أـنـ كـلـاـهـمـاـ مـتـشـابـهـ فـيـ الشـكـلـ، لـكـنـ إـذـاـ تـعـاـمـلـ مـعـ الـقـبـلـةـ مـثـلـاـ يـتـعـاـمـلـ مـعـ الـكـرـةـ دـلـ ذـلـكـ عـلـىـ أـنـهـ لـاـ يـرـالـ لـاـ يـعـرـفـ مـعـنـىـ كـلـمـةـ (ـقـبـلـةـ)ـ مـعـرـفـةـ حـقـيقـيـةـ، فـمـعـرـفـتـهـ لـكـلـمـةـ (ـقـبـلـةـ)ـ لـاـ تـكـوـنـ مـعـرـفـةـ حـقـيقـيـةـ حـتـىـ يـشـعـرـ بـالـخـوـفـ مـنـهـاـ وـيـحـتـاطـ عـنـدـ التـعـاـمـلـ مـعـهـاـ، فـعـنـدـ ذـكـرـ يـكـونـ قـدـ عـرـفـ مـعـنـىـ كـلـمـةـ (ـقـبـلـةـ)ـ.

- فـإـذـاـ كـنـتـ أـحـدـثـكـ عـنـ قـبـلـةـ مـوـجـودـةـ الـآنـ أـمـامـكـ وـأـنـتـ تـشـرـبـ كـأـسـاـ مـنـ الـخـمـ، فـأـنـتـ عـنـدـئـذـ قـدـ عـلـمـتـ نـظـرـيـاـ أـنـ الشـيـءـ الـذـيـ أـمـامـكـ هوـ قـبـلـةـ لـكـنـ لـمـ تـتـبـهـ لـخـطـورـةـ الـأـمـرـ، فـلـمـ تـخـفـ وـلـمـ تـجـرـيـ هـرـبـاـ؛ وـذـلـكـ لـأـنـكـ سـكـرـانـ، فـحـقـيقـةـ الـأـمـرـ أـنـكـ لـاـ تـعـرـفـ مـاـذـاـ تـعـنـيـ كـلـمـةـ قـبـلـةـ.

- نـفـسـ الشـيـءـ فـالـآـخـرـةـ عـبـارـةـ عـنـ قـبـلـةـ أـمـامـكـ لـأـنـهـ أـمـرـ خـطـيرـ جـاـداـ فـهـيـ مـسـتـقـبـلـكـ وـحـيـاتـكـ وـتـوـشـكـ أـنـ تـبـلـغـ وـفـيـهـاـ الـأـهـوـالـ، فـعـنـدـمـاـ أـخـبـرـكـ بـالـآـخـرـةـ

(١) تـحـقـيقـ الـأـلـبـانـيـ: صـحـيـحـ (ـانـظـرـ حـدـيـثـ رـقـمـ ٥٨٦٠ـ فـيـ صـحـيـحـ الـجـامـعـ)

(٢) تـحـقـيقـ الـأـلـبـانـيـ: صـحـيـحـ (ـانـظـرـ حـدـيـثـ رـقـمـ ٥٨٥٨ـ فـيـ صـحـيـحـ الـجـامـعـ)

فلا تنتبه لخطورتها وتعامل مع الآخرة كأنها كلمة عادية ولا تهابها ولا تستعد لها وتترقب مجئها فهذا معناه أنك كالذى في غيبوبة تامة كالسکران الذي لا يدرى بشيء، فعندئذ أنت لا تعرف ماذا تعنى كلمة الآخرة) معرفة حقيقة

- الإنسان قد يتتجاهل الآخرة فتصبح كأنها لا قيمة لها، فهي عندئذ غير موجودة في شعوره، وهو بذلك قد أفرغ الكلمة من محتواها، مثل الطفل الذي في يده أسد مصنوع من البلاستيك فهو يلعب به رغم أنه يومناً تاماً أنه أسد لكنه مسلوب القوة، فكلمة (الآخرة) تعنى الأهوال والمصير والمستقبل، لكن كلمة (الآخرة) عند الغافل هي كلمة ودودة أليفة لا مشكلة فيها وليس لها تأثير على المشاعر والهموم والأهداف، فإذا سلبت من النار خاصية الاحراق فلم تطهي الطعام فهي نار بالاسم فقط لكن فعلياً ليست ب النار، كذلك الآخرة إذا لم تؤثر على مشاعر الإنسان وانفعالاته وأهدافه وسلوكه وتصرفاته فهي مجرد اسم فقط والمعرفة بها كاذبة.

- ونفس الشيء فمعنى وجود الخالق أي وجود من له القدرة الهائلة المسيطرة القاهرة على كل شيء وأنت لا تنتبه لخطورة ذلك ولا تتأثر مشاعرك بذلك، فأنت كالذى في غيبوبة لا تدرى ماذا يعني أن لك خالقاً، رغم أنك تعرف في اللغة والشرع ماذا يعني (الخالق) وما هي صفاتيه لكن غير منتبه، لذلك فأنت لا تعرف الخالق معرفة حقيقة.

- مثال (٥):

- لو أن إنساناً سكراناً يقف في ميدان المعركة، والقنابل والرصاص يدور من حوله في كل اتجاه، ولكنه هادئ جداً غير مضطرب لأنه سكران، فعندما تحدثه بالخطر الهائل من حوله ليقيق تجده يتعجب من قولك ولا يلقي له بأساً، فقدرة الله الهائلة تحيط بنا وفي أقل من لحظة نرحل إلى حياة كل ما فيها هائل وعجب لكتنا هادئين تماماً!

- مثال (٦):

- المتغافل عن حقيقة وجوده وحكمة خلقه هو مثل رجل دخل مغارة مظلمة في مكان موحش، فوجد عند مدخلها بقايا لجثة إنسان، فما كان

منه إلا أن وضع رأسه وأسلم جفنيه للنوم، غير آبه بما يتحمل أن يكون في جوف هذه المغارة من وحش ضاربة، وهو يمْتَي نفسه بالفرار إذا استيقظ، مع أن الموت قد يفاجئه في أي لحظة، ولذلك ففي الحديث: ((ما رأيت مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها))^(١).

- فهذا الرجل على يقين تام بأن هذه المغارة فيها مخاطر كبيرة ورغم ذلك فهو يتجاهل هذه المخاطر وينام كأنه لا شيء، فهذا الرجل ليس لديه شعور بخطورة الأمر.

- مثال (٦):

- تصور لو أن رجلاً عاد من الآخرة إلى الناس ماداً يمكن أن يقول لهم؟ إنه سوف يقول للناس: ليس أمامكم إلا ثوانٍ معدودة والعد التنازلي مستمر، فأنتم مقبلون على خطر هائل جداً من أشد ما يمكن ويوشك أن تلتحقوا بالآخرة فأدركوا أنفسكم، لكنه سوف يجد الناس هادئين تماماً ويعتبرون أن هذه الحياة التي يعيشونها سنوات طويلة وعمر مدید وليس ثوانٍ معدودة، ويعتبرون الذهاب إلى الآخرة مثلما يتسلى الإنسان بلعبة مملة قد مل منها، إنه سوف يجد الناس يعيشون في هروب وتجاهل للموت، وهروب وتجاهل للآخرة، وهروب وتجاهل وتجاهل عن الله، رغم أن هذا الهروب وتجاهل والتجاهل لن يغير من حقائق الأمور شيئاً، فالخطر قائم وهم مقبلون عليه، رضوا أم لم يرضوا والأمر خطير وعظيم: ((قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ))^(٢)، فهم يعيشون في غيوبة مثل السُّكُرَان الذي لا يدرى ما الذي ينتظره، وإذا كان هناك أحد عنده شيء من الشعور بقدر الآخرة فتكون درجة شعوره ودرجة إفاقته لا تتناسب أبداً مع خطورة الحدث، فينظر إلى الآخرة بفتور شديد ومشاعر باردة، رغم أن الآخرة هي الحقيقة الكبرى المرعبة: ((يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَدْهُلُ كُلُّ مُرْضِعٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتٍ حَمْلٍ حَمْلَهَا

(١) تحقيق الألباني: حسن (الصحيحه: ٩٥١).

(٢) ص: ٦٧، ٦٨.

وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ^(١)) وَقَدْ سَبَقَنَا إِلَيْهَا الْكَثِيرُ وَالْدُورُ عَلَيْنَا.

- فِي الْآخِرَةِ وَلِقَاءُ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَخْطَرِ مَا يُمْكِنُ وَلَكِنَّ لِمَاذَا لَا يُؤْثِرُ فِي نَا
وَنَتَأْثِرُ بِهِ؟ ذَلِكَ لِأَنَّا نُعِيشُ فِي غَيْوَةٍ لَا نَدْرِي مَا اللَّهُ وَمَا الْآخِرَةُ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ، أَيْ أَنَّ الْمَعْرِفَةَ الْمُوْجُودَةَ كَاذِبَةُ وَالْمَعْرِفَةُ الْحَقِيقَيَّةُ غَائِبَةٌ.

- مَثَلٌ (٧):

- أَنْتَ إِذَا رَأَيْتَ سَاحِرًا يَقُومُ بِأَعْمَالٍ سُحْرَىٰ فَأَنْتَ تَعْجَبُ بِهِ وَتَتَبَهَّرُ بِمَا يَعْمَلُهُ، فَإِنْ قَدْرَةُ اللَّهِ أَكْبَرُ مَا يَعْمَلُهُ السَّاحِرُ فِي أَنَّهَا قَدْرَةٌ كَبِيرَةٌ عَلَىٰ عَمَلِ أَيِّ شَيْءٍ، وَفِي أَنَّهَا قَدْرَةٌ حَقِيقَيَّةٌ وَلَيْسَ سُحْرًا وَخِيَالًا، فَلِمَاذَا لَا تَتَعْجَبُ وَتَتَبَهَّرُ وَتَتَعَلَّقُ بِقَدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَىٰ.

- السَّاحِرُ يَسْحِرُ لَكَ أَشْيَاءً تَدْعُو لِلْدَّهْشَةِ وَالْعَجَبِ فَيَحْدُثُ خَوْفَ مِنْ مَهَابَةِ الْأَمْرِ، أَمَّا شَهْوَاتُ الْجَنَّةِ فَهِيَ فَوْقَ مَسْتَوِيِّ الْخِيَالِ وَأَعْجَبُ مِنَ السُّحْرِ، فَكِيفَ لِإِنْسَانٍ أَنْ يَعِيشَ بِلَا مَوْتٍ وَلَا مَرْضٍ وَلَا شِيَخُوَّةٍ وَفِي مَنْتَعٍ لَا تَحْصِي، فَلِمَاذَا لَا يَحْدُثُ خَوْفَ مِنْ مَهَابَةِ الْأَمْرِ؟ ذَلِكَ لِأَنَّ الْجَنَّةَ غَيْرُ مَوْجُودَةِ فِي الْمَشَاعِرِ، وَلِمَاذَا يَلْهُثُ الْإِنْسَانُ وَرَاءَ شَهْوَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَلْهُثُنَّ وَرَاءَ شَهْوَاتِ الْحُورِ الْعَيْنِ، ذَلِكَ لِأَنَّ الْحُورَ الْعَيْنَ فِي الْمَشَاعِرِ الْبَعْضُ هِيَ خِيَالٌ أَوْ وَهْمٌ أَوْ شَيْءٌ مَصْنُوعٌ مِنَ الْبِلَاسْتِيْكِ.

- وَالنَّارُ هِيَ أَغْرِبُ مِنَ الْخِيَالِ وَالسُّحْرِ، وَأَشَدُ رُعَبًا مِنْ كَابُوسِ مَرْعَبٍ، وَأَشَدُ رُعَبًا مِنْ رُؤْيَا أَشْيَاحٍ، لَكِنَّ النَّارَ فِي الْمَشَاعِرِ الْبَعْضُ هِيَ أَمْرٌ عَادِيٌّ جَدًا لَا خَطُورَةَ مِنْهُ وَلَا مَشْكُلَةَ فِيهِ.

- فَالَّذِي يَتَعَالَمُ مَعَ الْآخِرَةِ فِي بِرُودِ تَامٍ هُوَ فِي حَقِيقَةِ أَمْرٍ مُغَيِّبٍ عَنِ الْوَعْيِ.

- مَثَلٌ (٨):

- لَوْ افْتَرَضْنَا أَنَّ إِنْسَانًا يَسِيرُ فِي الشَّارِعِ وَأَمَامَهُ نَارٌ هَائِلَةٌ وَكَانَ يَعْرِفُ وَيَوْقَنُ بِأَنَّ أَمَامَهُ نَارٌ هَائِلَةٌ وَلَكِنَّ كَانَتْ مَعْرِفَتُهُ وَيَقِينُهُ بِذَلِكَ كَاذِبًا فَهَذَا

(١) الحج: ٢

معناه أنه لن يخاف ولن يندهش من غرابة الأمر وسوف يظل يسير حتى يدخل النار، وذلك لأن اليقين معطل عن العمل، ولسان حاله يقول بأنه لم يعرف بوجود هذه النار أمامه أو عرف ولكن لا يوقن بوجودها.



الفصل الثالث

مفهوم المعرفة الكاذبة (السماع والرؤيا والفهم الكاذب)

- أثر المعرفة بالخلق والأخرة هو أمر خطير جداً، فالطبيعي أنه بمجرد أن يعرف الإنسان بوجود الخالق والأخرة فإن حياته كلها من مشاعر وأهداف وطموحات وسلوك وتصيرفات وانفعالات وفرح وحزن وغضب وأخلاق وكلام ونية وعمل سوف تتأثر تأثراً كبيراً، وسوف تتغير حياته بزاوية مائة وثمانين درجة.

- لكن المشكلة أن الكثير من الناس لا يعلمون أن مجرد المعرفة الحقيقة بالخلق والأخرة هو أمر خطير جداً ومؤثر جداً إلى هذه الدرجة، لكنهم سوف يعلمون ذلك عندما يجدون أنفسهم واقفين على أرض المحشر في الآخرة.

- فإذا لم تتأثر حياة الإنسان بالله والأخرة بهذا التأثر الكبير جداً، أو كان تأثيرها قليل جداً أو شكلياً في بعض المظاهر فهذا يدل على أن المعرفة كاذبة والبيقين كاذباً وحقيقة الإنسان عندئذ أنه كالجاهل تماماً.

- فالآخرة ولقاء الله تعالى من أخطر ما يمكن ولكن لماذا لا يؤثر فينا ونتأثر به؟ ذلك لأننا نعيش في غيوبة لا ندرى ما الله وما الآخرة في حقيقة الأمر، أي أن المعرفة الموجودة كاذبة والمعرفة الحقيقة غائبة.

ـ المعرفة الكاذبة هي صورة من صور الجهل:

- الهدف من المعرفة هو حدوث الأثر، فإذا عرف ولم يحدث الأثر فكأنه لم يعرف، فشرط المعرفة الحقيقة وجود أثرها، فالمعنى بلا أثر كالجهل تماماً وهي معرفة كاذبة.

- المعرفة الكاذبة هي نوع من الجهل، فهي في الظاهر معرفة وفي الحقيقة جهل، فهي جهل خفي.

- فالجهل نوعين هما:

١- الجهل الظاهر:

- وهو جهل لعدم السمع أو لعدم الفهم أو لعدم الرؤية.

- فهو لم يسمع عن الامر ولم يراه أو لا يفهم معناه أو عرفه ثم نسيه، وهذا الجهل يعذر الانسان به، وفي هذه الحالة فالبيقين غير موجود.

٢- الجهل الخفي:

- الجهل هنا بسبب المعرفة الكاذبة أو التجاهل

- وفي هذه الحالة قد يكون البيقين موجودا وهو عندئذ يقين كاذب.

الفرق بين المعرفة الكاذبة والجهل:

- إذا لم تصل دعوة الرسل للإنسان فالمعرفه هنا غائبة وهو غير مكلف، أما إذا بلغته دعوة الرسل وكانت معرفته كاذبة فليس ذلك عذر له.

مفهوم المعرفة الكاذبة:

- مجرد أن يسمع الانسان عن أمر ما ويفهم معناه فهذا ليس معناه أنه عرف الامر، فقد يسمع عن الامر كثيرا ويفهم معناه ولكن لا يزال جاهلا به تماما، وذلك إذا أصيب الانسان بمرض المعرفة الكاذبة (السماع والرؤية والفهم الكاذب)، فمهما سمع عن الله ومهما رأى من الآيات الكونية فلا يزال كأنه لم يسمع وكأنه لم يرى رغم أنه سمع وفهم الامر تماما وفي الحقيقة هو كالجاهل الذي لم يسمع عنه مطلقا.

- مجرد المعرفة بالخلق والآخرة هو أمر خطير جدا يؤثر على حياة الانسان كلها لكن الكثير لا يعلمون ذلك، وطالما أن هذا الأثر لا يزال لم يتحقق فالمعرفه الحقيقية بالخلق والآخرة لا تزال لم تتحقق.

- المعرفة الحقيقية ليست مجرد معلومات ولكنها المعرفة التي تؤدي أثرها.

- الطبيعي أنك إذا أخبرت إنسانا بأمر ما فإنه يعرفه، ولكن المعرفة الكاذبة معناها أنك إذا أخبرته بأمر ما فلن يعرفه مهما أخبرته وكررت له المعلومة فلن يعرفها لأن الله عطل هذه المعرفة.

- المعرفة الكاذبة هي عقاب من الله تعالى للإنسان بسبب وقوعه في الشرك أو استمراره في المعاصي حتى يتكون الران على قلبه، فيطبع الله على قلبه، أي يحرمه من معرفة الله والآخرة، فالله سبحانه يستطيع أن يعطل وظيفة السمع، فيسمع الإنسان عن الامر ويحسب أنه قد سمع لكنه في الحقيقة لم يسمع، وكذلك يعطل وظيفة العين فلا يرى ووظيفة العقل فلا يفهم، وهذا هو المعرفة الكاذبة (السماع والرؤية والفهم الكاذب)، ومعناه أن الله يمنع المعرفة عن الإنسان فمهما سمع عن الله والآخرة فكأنه لم يسمع عن الله ولا عن الآخرة مطلقا رغم أنه يحسب أنه سمع وعرف.

- المعرفة الكاذبة هي عقاب من الله تعالى للإنسان بإيقاف المعرفة ولا نعرف كيف؟، فهي عقاب من الله للإنسان حيث يقول للأذن لا تسمع وللعين لا تنتظري وللعقل لا تفهم، رغم أنه في الظاهر سمع ورأى وفهم ولم ينسى الامر، وذلك مثلما قال للنار: ((كُوئني بِرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ))⁽¹⁾، وكانت النار لا تحرق، فهي في ظاهرها نار وفي حقيقتها ليست بنار، فالأذن تسمع ولكنها سمع كاذب لا أثر له فكأنها لم تسمع والعين ترى ولكنها رؤية كاذبة فكأنها لا ترى والقلب يفهم ولكنها فهم كاذب فكأنه لا يفهم، وبالتالي فالإنسان يعرف الامر لكنها معرفة كاذبة.

- فالله سبحانه جعل معرفته بالله والآخرة معرفة كاذبة فأصبح كأنه لم يسمع عن الخالق والآخرة رغم أنه سمع ولكن الله جعل سمعه كاذبا، ورغم أنه فهم المعنى ولكن الله جعل فهمه كاذبا.

أسباب العقاب بالمعرفة الكاذبة:

- أسباب العقاب بالمعرفة الكاذبة هي الوقوع في أي صورة من صور الشرك بالله أو بسبب الران وهو التمادي في المعاصي حتى يسود القلب

(1) الأنبياء: ٦٩

وبخاصة معاصي القلوب لأنها أشد من معاصي الجوارح مثل حب المال والشهوات الدنيا وانشغل بهم بها والنظر إليها نظرة تعظيم.

- وفي الحديث: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْثَةُ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ فَإِنْ تَابَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِّلَ قَلْبُهُ وَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ فَذَلِكُمُ الرَّأْنُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى {كَلَّا بَلْ رَأَنَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} ^(١)، وَقَالَ الْحَسْنُ: هُوَ الذَّنْبُ عَلَى الذَّنْبِ حَتَّى يَعْمَلِي الْقَلْبُ) ^(٢) .

- وقد يفتح للإنسان باباً للمعاصي كالكسب الحرام أو الشهوات أو بدعة في الدين فيعجبه ذلك فيقع في الحرام ويتمادي فيه حتى يعمى قلبه، لذلك في الحديث: ((تُعَرَّضُ الْفَتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا، نُكِّتَ فِيهِ نُكْثَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِّتَ فِيهِ نُكْثَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَافِ فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُزْبَادًا كَالْكُوزِ، مُجَحِّيًّا لَا يَعْرُفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاه) ^(٣) .

ـ خطورة المعرفة الكاذبة:

- أخطر قضية في الدين هي أن يعيش الإنسان في غيوبة ثم يفيق بعد أن يموت ويكتشف أن هذه الحياة التي كان يعيشها في الدنيا هي حياة كاذبة لأن الحياة الحقيقية في الآخرة، ويكتشف أنه كان غافلاً، ويكتشف أن الناس نائم فلما ماتوا انتبهوا، ففي هذا الكتاب نبين حقيقة الغفلة التي يعيشها أهل الدنيا ونبين خطرها وكيفية النجاة منها.

- فلو أن رجلاً عاش في الآخرة ثم جاء إلى أهل الدنيا ماذا يمكن أن يقول لهم؟ إن هذا الكتاب هو تصور لما يمكن أن يقوله هذا الرجل.

- أعجب شيء أن يسمع الإنسان عن شيء ويفهمه ويوقن به ولكن يتعامل معه كالجاهل فلا يتأثر بمدى خطورته، والأعجب منه أن يكون ذلك الأمر الذي يجهله هو من أبسط المعلومات التي يعرفها البشر وهو وجود

(١) رواه أَحْمَدُ وَالْتَّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهٍ وَقَالَ التَّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

(٢) تهذيب الداء والدواء (ص: ٦٣)

(٣) تحقيق الألباني: صحيح (انظر حديث رقم: ٢٩٦٠ في صحيح الجامع)

الخالق والآخرة، والأعجب من كل ذلك أن الإنسان قد يكون من العلماء المتخصصين في الدين ولديه معلومات كثيرة عن الخالق والآخرة لكنه لا يزال رغم كل ذلك كالذى لم يسمع مطلقاً عن الخالق والآخرة فلا يتأثر بشيء.

- الجهل المركب معناه أن يكون الإنسان جاهلاً بالأمر وهو يحسب أنه أعلم الناس به، فكذلك المعرفة الكاذبة بالله والآخرة حيث يحسب الإنسان أنه يعرف الله والآخرة وفي الحقيقة هي معرفة كاذبة رغم يقينه التام بالله والآخرة، وهو يحسب أنه من المهدتين: ((وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ ثُقِّلَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَخْسِبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَمُونَ))^(١).

- الإنسان الجاهل إذا أخبرته بالأمر عرفه، أما الذي لديه معرفة كاذبة إذا أخبرته بالأمر فلن يعرف المعرفة الحقيقة لأنّه يحسب أنه يعرف الأمر.

ـ المعرفة الكاذبة تشمل ثلاثة أمور هي:

- المعرفة الكاذبة تشمل ثلاثة أمور هي السماع الكاذب والرؤية الكاذبة (عمى القلب) والفهم الكاذب، وهي كالتالي:

ـ أولاً: مفهوم السماع الكاذب:

- السماع الكاذب معناه أن لسان حال الإنسان يقول بأنه لم يسمع عن الأمر.

- ما أكثر ما سمع الإنسان كلاماً عن الخالق والآخرة لكنه قد يكون سمعاً كاذباً فيحسب أنه سمع وهو في الحقيقة لم يسمع شيئاً، بل إنك مهماً أسمعته كلاماً عن الخالق والآخرة فلن يسمع سمعاً حقيقياً وسيظل جاهلاً بالله والآخرة، فلا يزال الإنسان لا يعرف معنى الخالق والآخرة ولا يزال لا يومن حتى يتأثر قلبه وجوارحه بالله والآخرة لأنّه لا يمكن لإنسان عاقل يعرف مدى قدرة الخالق ومدى علمه ومدى ملكه ومدى خضوع

(١) الزخرف: ٣٦، ٣٧



الانسان كونيا تحت أمره ومدى خطورة الحياة في الآخرة ويوقن بذلك ثم لا يتعلق بذلك بقلبه وجوارحه، فإذا كان عاقلاً وموثقاً ولم يتأثر بذلك لأن الله طبع على قلبه فأبطل معرفته أو أنه تجاهل الخالق والآخرة وحصر عقله وسعيه وراء دنيا فانية.

- إذا أخبرت إنساناً بأن هناك أنسداً يجري خلفه لكنه لم يخف ولم يهتم ولم ينظر خلفه ولم يفر هارباً رغم أنه يومناً يومناً أخبرته، فهذا الرجل سمع ما أخبرته به لكنه في حقيقة الأمر كأنه لا يسمع وكأنه ممنوع من السمع، فهل يمكن أن تخبر إنساناً بمعلومة لكنه لا يزال لم يسمع ويعرف ما تقول؟، وهو يحسب أنه سمع وعرف لكنه لا زال جاهلاً بالأمر.

- لو جاء أحد من الآخرة إلى الدنيا لأقسم أن الكثيرون من الناس لا زالوا لم يسمعوا عن وجود الخالق والآخرة، وعندما يخبرهم بذلك يقسم بأنهم صم لا يسمعوا؛ فهذه المعلومة لا تصل إليهم مهما كررها لهم مئات المرات، والأعجب أنهم يحسبون أنهم سمعوا وعرفوا بوجود الخالق والآخرة والحقيقة أنهم لا زالوا لم يسمعوا شيئاً من ذلك، فهل هؤلاء ممنوعون من السمع والمعرفة؟ بل إنهم يحسبون أن هذا الرجل الذي جاء إليهم من الآخرة هو المجنون وأنهم هم العقلاة!

- أغرب شيء أن يكون هناك شيئاً تسمعه كثيراً وتحسب أنك تعرفه تماماً ورغم ذلك لا تعرفه ومما سمعته لا تزال لا تعرفه فأنت ممنوع من معرفته، والأغرب منه أن يكون ذلك الشيء هو أبسط شيء يعرفه الأطفال والكبار وهو معرفة الإنسان بالخالق والآخرة.

السماع الكاذب هو السمع الذي لا أثر له:

- أي إنسان عاقل بمجرد أن يسمع الامر فإنه يعرفه ويوقن به ويتحقق فيه أثر هذه المعرفة، فإذا لم يتحقق هذا الأثر فسماعه كاذب وكأنه لم يسمع.

- طالما أن الإنسان لا يزال لم يتأثر بخطورة ما سمع فهو لا يزال لم يسمع، ((إِنَّمَا يَسْتَحِيْبُ الَّذِيْنَ يَسْمَعُوْنَ))^(١)، ((فَأَعْرَضْ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُوْنَ))^(٢).

ـ السماع الكاذب هو عقاب من الله:

- السماع الكاذب هو عقاب من الله حيث يجعل السماع كاذبا، فيسمع الإنسان لكن يكون حاله كأنه لم يسمع، ومهما أسمعته يظل كأنه لم يسمع. - فهم يسمعون السماع الذي تقوم به الحجة عليهم لكن هذا السماع معطل عن العمل فلا أثر له.

ـ تعبيرات القرآن عن السماع الكاذب:

- ((إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَ الْدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْا مُذْبِرِيْنَ))^(٣)، ((وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُوْنَ إِلَيْكَ أَفَإِنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُوْنَ))^(٤)، ((أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُوْنَ أَوْ يَعْقِلُوْنَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامَ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيْلًا))^(٥)، ((مَا كَانُوا يَسْتَطِيْعُوْنَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبَصِّرُوْنَ))^(٦)، ((إِنَّمَا يَسْتَحِيْبُ الَّذِيْنَ يَسْمَعُوْنَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُوْنَ))^(٧)، ((إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَ الْدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْا مُذْبِرِيْنَ))^(٨)، ((وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُوْنَ إِلَيْكَ أَفَإِنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُوْنَ))^(٩)، ((حَتَّمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ))^(١٠)، ((أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُوْنَ أَوْ يَعْقِلُوْنَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامَ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيْلًا))^(١١)، ((فَأَعْرَضْ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُوْنَ))^(١٢).

(١) الأنعام: ٣٦.

(٢) فصلت: ٤.

(٣) النحل: ٨٠.

(٤) يومن: ٤٢.

(٥) الفرقان: ٤.

(٦) هود: ٢٠.

(٧) الأنعام: ٣٦.

(٨) النحل: ٨٠.

(٩) يومن: ٤٢.

(١٠) البقرة: ٧.

(١١) الفرقان: ٤.

(١٢) فصلت: ٤.

- وفي تفسير الدرر في تناسب الآيات والسور: ((وَفِي آذانِهِمْ وَقَرَاءَةً)) أي ثقلاً يمنع من سمعه حق السمع، لأنه يمنع من وعيه الذي هو غاية السمع))^(١)، ((وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَى مُسْتَكِبِرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا كَانَ فِي أَذْنَيْهِ وَقُرَاءَةً فَبِشِّرْهُ بِعَذَابِ الْيَمِ))^(٢).

- وفي أيسر التفاسير: ((وَمَا أَنْتَ بِمَسْمَعٍ مِّنْ فِي الْقُبُورِ)) أي فكذلك لا تسمع الكفار فإنهم كالأموات))^(٣)، وفي تفسير القرطبي: ((فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى)) أي وضاحت الحجج يا مُحَمَّدَ، لَكَنَّهُمْ لِأَفْهَمٍ تَقْلِيدَ الْأَسْلَافِ فِي الْكُفَرِ مَا تَثْعَبُ عُقُولُهُمْ وَعَمِيَّتُ بَصَارُهُمْ، فَلَا يَتَهَيَّأُ لَكَ إِسْمَاعِيلُهُمْ وَهِدَايَتُهُمْ))^(٤)، وفي تفسير الزمخشري: ((مَنْ كَانَ حَيًّا)) أي عاقلاً متاماً، لأن الغافل كالمليت))^(٥)، وكما يقول الشاعر: لقد أسمعت إذ ناديت حيَا، ولكن لا حياة لمن تنادي، فمهما أندerte فلن يستجيب إلا إذا كان حيَا.

ـ آيات تبين أنه لا فائدة من إخبار من لا يسمع سمعاً حقيقياً:

- أي إنسان عاقل بمجرد أن يسمع الامر فإنه يعرفه ويوقن به ويتحقق فيه أثر هذه المعرفة كالخشية والانابة، فإذا لم يتحقق هذا الأثر فسماعه كاذب وكأنه لم يسمع، وبالتالي فلا فائدة من إخبارك له بالأمر لأنه لا يسمع سمعاً حقيقياً، فكأنك لم تخبره.

- فهو لا يسمع ما تنذر به الرسل: ((إِنَّمَا تُنذَرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَسِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ))^(٦)، ((وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ))^(٧)، ((إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنْ يَحْشَاهَا))^(٨)، ((سَيَذَكَّرُ مَنْ يَحْشَى))^(٩)

(١) تفسير الدرر في تناسب الآيات والسور (٨٤ / ٧).

(٢) لقمان: ٧.

(٣) أيسر التفاسير للجزائري مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية (٣٤٩ / ٤).

(٤) تفسير القرطبي (٤ / ١٤).

(٥) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤ / ٢٧).

(٦) يس: ١١.

(٧) الأعاجم: ٥١.

(٨) النازعات: ٤٥.

(٩) الأعلى: ١٠.

((فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدًا))^(١)، ((وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ))^(٢)،
((إِنَّمَا يَحْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِ الْعُلَمَاءِ))^(٣).

٢- الروية الكاذبة:

- أي إنسان له عين بمجرد أن يرى آيات الله في كل شيء فإنه يعرف الخالق ويؤمن به ويتحقق فيه أثر هذا اليقين، فإذا لم يتحقق هذا الأثر فرؤيته كاذبة وكأنه لا يرى:

- ((أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمَى))^(٤)، ((أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ))^(٥)، ((صُمُّ بُكْمُ عُمَى فَهُمْ لَا يَعْقُلُونَ))^(٦)،
((قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا))^(٧)،
((أَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ))^(٨)، ((أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ))^(٩)،
((وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ أَعْمَى))^(١٠)،
((أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ سَبِيلًا))^(١١)، ((أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَنَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْفُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ))^(١٢)، ((وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا))^(١٣)، ((وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُونَ وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ))^(١٤)، ((وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ))^(١٥).

(١) ق: ٤٥.

(٢) غافر: ١٣.

(٣) فاطر: ٢٨.

(٤) الزخرف: ٤٠.

(٥) محمد: ٢٣.

(٦) البقرة: من الآية ١٧١.

(٧) الأنعام: ١٠٤.

(٨) الأعراف: ٦٤.

(٩) يونس: ٤٣.

(١٠) الرعد: ١٩.

(١١) الإسراء: ٧٢.

(١٢) الحج: ٤٦.

(١٣) الأعراف: ١٧٩.

(١٤) الأعراف: ١٩٨.

(١٥) يونس: ٤٣.

- وفي تفسير الدر المصون: ((وَمَن يَعْشُ...} أَي: يتعامى ويتجاهل))^(١)، وفي تفسير السمعاني: ((عَاشَا يَعْشُ إِذَا ضَعَفَ بَصَرَهُ، وَعَشَى يَعْشَى إِذَا عَمِيَ بَصَرَهُ، {يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ} أَي: يذهب عن ذكره؛ فَيُسِيرُ فِي ظُلْمَةٍ وَخُبْطَةٍ عَنْ جَهَالَةٍ))^(٢).

٣. الفهم الكاذب:

- الفهم الكاذب هو عقاب من الله حيث يجعل الفهم كاذبا، فيفهم الإنسان معنى الخالق والآخرة لكن يكون حاله كأنه لا يفهم المعنى، ومهما أفهمته يظل كأنه لا يفهم.

- ففي تفسير الهدایة إلى بلوغ النهاية: ((وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلُ الَّذِي يَتَعَقَّبُ بِمَا لَا يَسْمَعُ} أَي: مثل الكافر في قلة فهمه لما يتلى عليه من عند الله عز وجل وما يدعى إليه ويوعظ به، مثل البهيمة التي تسمع الصوت إذا نعف بها، ولا تعقل ما يقال لها، قال عكرمة: "معناه: مثلهم كمثل البعير أو الحمار تدعوه فيسمع الصوت، ولا يفقه ما تقول له"، قال ابن عباس: "معناه: مثل الكافر كمثل البعير أو الحمار أو الشاة، إذا قلت لبعضها: كُلْ، لم تعلم ما تقول، غير أنها تسمع الصوت، كذلك الكافر إن أمرته بخير أو نهيتها عن شر أو وعظته لم يعقل ما تقول غير أنه يسمع صوتك")^(٣).

- وفي تفسير الجلالين: ((وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقَرْ} ثُقِلَ فَلَا يُسْمِعُونَهُ {وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمِيٌّ} فَلَا يَفْهَمُونَهُ {أُولَئِكَ يَنادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} أَيْ هُمْ كَالْمَنَادِيْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ لَا يُسْمِعُ وَلَا يَفْهَمُ مَا يَنادِي بِهِ))^(٤).

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكتون (٥٨٦ / ٩).

(٢) تفسير السمعاني (١٠٢ / ٥).

(٣) الهدایة إلى بلوغ النهاية - الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة (٥٤٤ / ١).

(٤) تفسير الجلالين (ص: ٦٣٦).

- وفي تفسير عبد الرزاق: ((كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا))^(١) قال: «مَثَلُ الْحِمَارِ يَحْمِلُ كُتُبًا لَا يَدْرِي مَا عَلَى ظَهْرِهِ»^(٢)، وفي تفسير مجاهد: ((كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ كُتُبًا لَا يَدْرِي مَا فِيهَا، وَلَا يَعْقُلُهَا))^(٣).

- ((أَمْ تَحْسِبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَصْنَلُ سَيِّلًا))^(٤)، ((أَوْلَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَصْنَلُ أَوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ))^(٥).

- وفي تفسير ابن جزي: ((كَانُوكُمْ حُسْبٌ مُسَنَّدٌ}) شبههم بالخشب في قلة أفهمهم، فكان لهم منظر بلا مخبر)^(٦)، وفي تفسير الباب: ((شبههم بخشب مسندة إلى الحائط لا يسمعون ولا يقلون أشباح بلا أرواح، وأجسام بلا أحلام))^(٧)، وفي التفسير الحديث: ((كأنهم خشب مسندة: تعبير تنديدي يراد به وصفهم بفقد العقل والروح رغم ما هم عليه من الجسامنة والوسامة اللتين تعجب الناظر فكأنهم أحشاب مسندة بالدعائم))^(٨).

- وفي تفسير روح المعاني: ((فهم لا يعقلون: أي لا يدركون شيئاً لفقدان الحواس الثلاثة وقد قيل من فقد حسّاً فقد فقد علماً، وليس المراد نفي العقل الغريري باعتبار انتقاء ثمرته))^(٩).

- في تفسير ابن كثير: ((إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَيْ: قُلُوبٌ هُوَلَاءُ {أَكِنَّةٌ} أَيْ: أَغْطِيَةٌ وَغَشَاؤَةٌ، {أَنْ يَفْقَهُوهُ أَيْ: لَئِلَّا يَفْهَمُوا)) (١٠)، وفي تفسير زاد المسير: ((وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ) أَيْ: في أغطية فلا تفقه قوله) (١١).

- جاء في تفسير القرطبي: ((خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ فُلُوْبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاؤَهُمْ فَالْخَتْمُ عَلَىٰ الْقُلُوبِ عَدْ الْوَعِيِّ عَنِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ

٥) الجمعة:

٢) تفسير عبد الرزاق (٣٠٩ / ٣).

(٣) تفسیر مجاهد (ص: ٦٥٩).

الفقران: ٤٤ (٤)

١٧٩ الأعراف:

(٦) تفسير التسهيل لعلوم التنزيل لайн جزى -شركة دار الأرقام بن أبي الأرقام- بيروت (ج: ٢، ص: ٣٧٧).

(٧) اللباب في علوم الكتاب - دار الكتب العلمية - بيروت (ج: ١٩، ص: ١٠٧).

^{٨)} التفسير الحديث - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة (٤٥٨ / ٨).

^٩ تقسيم الألوسي، [روح المعانى] -دار الكتب العلمية- بيروت

(١٧٣) /٥ تسلامة كتب ابن تفسير [روح المدح] - درس بـ [البيروت] (ج. ٢٠٠٠) س. ٢٠٠٠.

(٤٥) زاد المسير في علم التفسير (٤/٤٥)

(۱۰) رائے اسیری سے سیر (۱۰۰۰)



مفهوم مخاطباته والكفر في آياته، وعلى السمع عدم فهمهم للقرآن إذا تلّى عليهم أو دعوا إلى وحـانـيـته، وعلى الأـبـصـارـ عدم هـدـايـتـهاـ للـنـظـرـ فيـ مـخـلـوقـاتـهـ وـعـجـائـبـ مـصـنـوـعـاتـهـ هـذـاـ مـعـنـىـ قولـ اـبـنـ عـبـاسـ وـابـنـ مـسـعـودـ وـقـتـادـةـ وـغـيـرـهـمـ))^(١).

- وفي التفسير المظہري: ((خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ - فَلَا تَعْيَ خَيْرًا - وَالْقَلْبُ هُوَ الْمُضْغَةُ وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى الْمُعْرِفَةِ وَالْعُقْلِ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ})^(٢).

- وفي تفسير القرطبي: ((أولئك الذين طبع الله على قلوبهم أي عن فهم المـواـعـذـ وـسـعـهـمـ عنـ كـلـامـ اللـهـ تـعـالـىـ وـأـبـصـارـهـمـ عنـ النـظـرـ فيـ الـآـيـاتـ وأـوـلـئـكـ هـمـ الـغـافـلـونـ عـمـاـ يـرـادـ بـهـمـ لـاـ جـرـمـ أـنـهـمـ فيـ الـآـخـرـةـ هـمـ الـخـاسـرـونـ))^(٣).

وفي التفسير المنير: ((وَتَنْقِلَبُ أَفْئَدَتَهُمْ) حول قلوبهم عن الحق فلا يفهمونه وَأَبْصَارَهُمْ عَنْهُ فَلَا يَبْصِرُونَه))^(٤).

- وفي أيسير التفاسير: ((والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر: أي ثقل فهم لا يسمعونه وهو عليهم عمى فلا يفهمونه، [أولئك ينادون من مكان بعيد]: والمنادى من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم ما ينادي له))^(٥).

- لاحظ أن مكان الفهم موجود في القلب وليس في المخ لقوله تعالى: ((لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا))، فيعبر القرآن عن عدم الفهم بوجود خلل في القلب، ومن هذه التعبيرات: الختم والطبع على القلب والأكنة على القلب والفقل على القلب وتنقلب الأفئدة والأبصار والحيلولة بين المرء وقلبه وقسوة القلب والصرف وضيق الصدر.

(١) تفسير القرطبي دار الكتب المصرية. القاهرة (ج: ١، ص: ١٣٦).

(٢) التفسير المظہري - مكتبة الرشیدية. الیاکستان (١/ ٢٣).

(٣) تفسير القرطبي دار الكتب المصرية. القاهرة (ج: ١٠، ص: ١٩٢).

(٤) تفسير الطبرى = جامع البيان ط هجر (١١١/ ١١١).

(٥) أيسير التفاسير للجزائري (٤/ ٥٨٤).

الفهم الكاذب لما ي قوله الانسان ويوقن به:

قد يتكلم الانسان بكلام لكن هو في حقيقته لم يتكلم لأنه لا يفهم معنى ما يقوله فهما حقيقيا: ((إِنَّ شَرَ الدُّوَابِ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُ الْبُكُمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ))^(١)، ((صُمُّ بُكُمُّ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ))^(٢).

ففي التفسير الوسيط: ((إِوَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ أَلِيقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ})^(٣) (فأنى يؤفكون) أي: فكيف ينقلبون وينصرفون عن عبادته تعالى؟!))^(٤) أي إذا كان الله هو الخالق وجب أن يكون هو المعبدود، فهو يوقن بالخالق ويفهم معنى ما يقوله ولكنه يقين كاذب وفهم كاذب لأنه لو كان يقيناً حقيقياً وفهم حقيقياً لأدى ذلك إلى أمرتين هما الإسلام والخضوع للخالق (والخضوع هو أصل العبادة)، فإن انتسب للإسلام ولم يخضع للخالق فهو لم يحقق العبادة ويفقنه وفهمه لا يزال كاذباً.

فقد يوقن الانسان بأن الدين هو الحق لكنه يجعل الله هواه؛ ففي تفسير البحر المحيط: ((أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَحَتَّمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاؤَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدَ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ})^(٥) (وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ) أي من الله تعالى سأليق، أو على علم من هذا الضلال بأن الحق هو الدين، ويعرض عنده عيادة، فيكون كقوله: [وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنُتْهَا أَنْفُسُهُمْ])^(٦).

فقد يتكلم الانسان عن الله والآخرة والدين مع الفهم واليقين لكنه فهم كاذب ويفقنه كاذب فلا يتأثر قلبه ولا جوارحه بما يقوله.

(١) الأنفال: ٢٢.

(٢) البقرة: من الآية ١٧١.

(٣) العنكبوت: ٦١

(٤) التفسير الوسيط - مجمع البحوث (٨٣٨/٩)

(٥) الجاثية: ٢٣

(٦) تفسير البحر المحيط في التفسير (٤٢٢/٩)

الفصل الرابع

مفهوم التعلق وعناصره

- المعيشة نوعين هما معيشة مبنية على أساس الغيبيات، فهي معيشة ناشئة من التأثر بالغيبيات، ومعيشة مبنية على أساس الدنيا ومعناها أن الإنسان دنيوي وليس آخروي.

- إذا لم يكن هناك غيبيات فالناس يعيشون حياتهم على أساس الدنيا لأنهم لا يعرفون غيرها، وجود الغيبيات جعل الناس يعيشون حياتهم على أساس الغيبيات لأن الدنيا وما عليها ليست بشيء أمام الغيبيات.

- وجود اليقين والانتساب للدين معناه أن معيشة الإنسان مبنية على أساس الغيبيات، فإذا كانت معيشته دنيوية فهذا معناه أن اليقين والانتساب للدين مجرد صورة ليس لها معنى.

- والمعيشة المبنية على أساس الغيبيات ليس معناها مجرد القيام ببعض أعمال الدين ولكن معناها التعلق بالغيبيات، وسوف نبين مفهوم التعلق.

مفهوم التعلق:

- التعلق هو التأثر الشديد بقضية خطيرة جداً، فيعيش حياته متاثراً بها، والتعلق بشيء ما معناه أن يكون هو أكبر شيء يدهشك من عظمته وأكبر شيء تحبه وتحافظه وترجوه في حياتك وأكبر شيء يشغل همك وأكبر شيء تعمل له، وهذه هي العناصر الأربع للتعلق.

- فالإنسان يتعلق بقلبه وجوارحه بأمر ما من شدة تأثره به، أي إذا تأثر بشيء بشدة تعلق به، ومعنى أنه تعلق به أي رأه مدهشاً جداً وتعلق به بهمه ومشاعره وجوارحه.

ـ الفرق بين مجرد التأثر بالأمر والتعلق به (شدة التأثر به):

ـ مجرد التأثر بأمر ما يجعل الإنسان يراه ذا قيمة ويحبه أو يخافه أو يرجوه أو جميعهم ويشغل ذلك الأمر همه ويطيعه في عمل أو قليل من الأعمال فلا تكون كل أعماله متوجهة اليه.

ـ أما إذا كان المؤثر قويا جدا فإنه يجعل الإنسان بكل قلبه وجوارحه يسير في اتجاه ذلك المؤثر، فينظر اليه نظرة تعظيم واكبار ويرجحه بكمال الحب ويخافه ويرجوه بكمال الخوف والرجاء ويكون الشاغل الأكبر الدائم لهم ويُسخر جوارحه للعمل له.

ـ فكل انسان يتأثر بما يومن به بحسب مدى أهمية وخطورة ما يومن به، فإذا كان أمرا فائق الخطورة تعلق به، فالتعلق هو التأثر الشديد.

ـ فالتعلق يكون بالأمر الخطير جدا وليس بالأمر التافه أو الامر غير فائق الخطورة.

ـ صفات الخالق ووجود الآخرة هو أمر في غاية الأهمية والخطورة وبالتالي يتأثر به الإنسان تأثرا شديدا وهو التعلق به.

ـ تعلق القلب والجوارح هو أثر اليقين بالأمر الخطير جدا، ويشمل أربعة أمور هي شدة التأله وتعلق المشاعر والهم الأكبر وتعلق الجوارح.

ـ فالإنسان يتأثر بالأمر بحسب مدى خطورته، فإذا كان الأمر لا خطر فيه فلا تأثر به، وإذا كانت خطورته ضئيلة فالتأثر به يكون ضئيلا، وإذا كان الأمر خطيرا فلابد أن يكون التأثر كبيرا، وإذا كانت خطورته هائلة جدا كان التأثر به شديدا جدا.

ـ فإذا كان الامر خطيرا جدا ولم يتأثر به الإنسان فهذا معناه أنه لا يعرفه أو معرفته به كاذبة، وحيث أن قدرة الله وصفاته تصل إلى الكمال فالإنسان يتأثر به ويتعلق به لدرجة أنه يعيش له تعظيمها له، فإذا لم يتأثر به ويتعلق به لدرجة أنه يعيش له تعظيمها له فهو لا يعرفه أو معرفته به كاذبة.

- اليقين بأمر خطير يؤدي إلى التأثر به بحسب درجة خطورته:

- هناك فرق بين الشيء التافه والشيء المؤثر، فالشيء المؤثر هو شيء مختلف عن المألوف فهو شيء عجيب وغريب ومدهش، وبالتالي يلفت الانتباه فيتأثر به الذهن ويراه الإنسان عظيماً وتتأثر مشاعره وهمه وجوارحه بقدر ما فيه من أهمية وخطورة، أما الشيء التافه الغير مهم فلا يتأثر به الإنسان؛ فيراه تافهاً حقيراً ولا تتأثر به المشاعر ولا يشغل به الهم ولا تتفاعل معه الجوارح سواء سلباً أو إيجاباً.

- هناك قاعدة فطرية هي أن الإنسان إذا عرف أمراً ما مؤثراً وأيقن به فإنه يتأثر به، فإذا كان أمراً مخيفاً فإنه يخافه، وإذا عرف أمراً ممتعاً فإنه يشتاق إليه وهكذا، فمثلاً إذا عرف وأيقن أن أمامه قنبلة يمكن أن تفجر في أي وقت فإنه يشعر بالخوف ويفر هارباً.

- الطبيعي أن الشيء العظيم الخطير المعجز الخارق للأسباب العجيبة المدهش المبهر الرهيب المهيب المخيف الغريب المثير المزعج المذهل المؤثر هو شيء يدعو إلى التعجب والدهشة والانبهار والرعب والمهابة والاستغراب والتحير والانزعاج والذهول والتهيب وتأثر المشاعر به وانشغال الهم به والعمل للوصول لنفعه أو تجنب ضرره، وذلك من مدى روعة وهول وغرابة الأمر المثير.

- فالتأثر يتمثل في أربعة أمور هي الدهشة من غرابة الأمر (التأله) وتأثر المشاعر به وانشغال الهم به وعمل الجوارح للوصول لنفعه أو تجنب ضرره.

- والتأثر الشديد (التعلق) عبارة عن أربعة أمور هي دهشة شديدة من خطورة الأمر وتعلق الهم والمشاعر والجوارح به، وهذه هي عناصر التعلق الأربعة.

- الدافع إلى التأثر الشديد (التعلق) هو الخطورة الشديدة للأمر:

- وظائف الإنسان الطبيعية مصممة بحيث يتأثر بالشيء الهام الخطير ولا يتأثر بالأمر التافه، ويتأثر أكثر بأخطر شيء ثم الأقل في الخطورة

والأهمية وهكذا، فيكون مقدار التأثير بحسب مقدار ما فيه من خطورة وأهمية.

- فالامر الذي تصل خطورته الى درجة الكمال لابد أن يصل التأثر به الى درجة الكمال (التعلق).

فالتعامل مع المعلومات يتاسب بحسب قيمة ومقدار المعلومة، فالعلومة فائقة القيمة يكون معها تفاعل شديد جداً وانفعال كبير، فمثلاً يكاد الإنسان يصعق ويموت عندما يسمع بخبر وفاة أهله واحتراق بيته، أو إذا سمع بأنه تم اختياره لينال جائزة هائلة، والإنسان العاقل يحترق من داخله ويسرع بالفرار عندما يعلم بوجود الجنة والنار والحساب في الآخرة واقتراب أجله، فإذا لم يحترق من داخله أو يتاثر خوفاً ورهبة وترقب فهذا معناه أنه لا عقل له وكأنه غير واع لما هو مقبل عليه أو أنه كالمليت، وهذا حال الغافلين عن الآخرة، وهكذا.

- اليقين بالخلق والآخرة يؤدي الى شدة التأثر (التعلق) وليس مجرد التأثر:

- كلما زادت أهمية وخطورة الأمر كلما زاد التأثر به واشتد التعلق به، فالشيء الهام جدا والخطير جدا والمؤثر جدا والذي يصل إلى الكمال في العجب والغرابة والدهشة سواء في صفاته الحميدة أو الذميمة أو نفعه أو ضرره يؤدى إلى التعلق به.

- اليقين بأن أمراً ما هام وخطير ومثير ومذهل ومعجز وخارق للعادة
لابد أن يؤدي تلقائياً إلى تعلق القلب والجوارح به بقدر مدى ما فيه من
الخطورة والأهمية.

- أثر اليقين بخطورة صفات الخالق وخطورة الحياة في الآخرة هو تعلق القلب والجوارح بالخالق والآخرة.

- فإذا لم يؤدي هذا اليقين إلى تعلق القلب والجوارح فهو يقين كاذب وحقيقة لسان حال الإنسان عندئذ أنه جاهم بهذا الأمر أو جاهم بخطورته.



- فقد يكون التأثر بقضية الغيبات موجوداً لكن مقدار هذا التأثر لا يتناسب أبداً مع مدى خطورة الغيبات وهذا معناه أنه يقول بلسان الحال أن الغيبات لها قيمة ولكن قيمة ضئيلة.

- فالمشكلة أن رد فعل الإنسان وانفعالاته ومشاعره لا تتناسب مع حجم الألم أو اللذة الشديدة جداً فوق كل التصورات، فالجنة فيها متع ونفع كبير جداً فوق كل التصورات لكن الإنسان لا يشعر بلذة الشوق تجاهها، وإذا كان عنده شعور بلذة الشوق لها فلا يتناسب أبداً مع حجم المتع والملذات الهائل جداً الذي يفوق كل التصورات.

- والنار فيها ضرر كبير جداً فوق كل التصورات لكن الإنسان لا يشعر بألم الخوف من مهابتها وألم الخوف من دخولها، وإذا كان عنده شعور بألم الخوف من مهابتها فلا يتناسب أبداً مع حجم الضرر والألم الهائل جداً الذي يفوق كل التصورات.

- فمثلاً عندما يعلم الإنسان بوجود حريق ما أو وجود خطر يهدد حياته أو عنتر على مبلغ هائل لم يكن يتوقعه مثلاً فهنا تتأثر مشاعره وتفاعلها بالأمر بشدة.

- قضية الغيبات والرسل هي من النوع الخطير جداً وبالتالي لا يكفي مجرد وجود التأثر ولكن لابد من التأثر الشديد.

· استمرارية التعلق:

- طالما أن الخطر ما زال قائماً فلابد من استمرارية التأثر به، فطالما أن قدرة الله دائمة فالتأثير بخطورتها يكون دائماً، وطالما أن الآخرة لم تأتي بعد فالتأثير بخطورة مجئها يكون مستمراً.

· عناصر التعلق الأربعة:

- التعلق يشمل أربعة أمور هي شدة التأثر (يراه مدهشاً جداً) وتعلق المشاعر والهم الأكبر وتعلق الجوارح، وقمنا بشرح كل عنصر من هذه العناصر الأربعة في فصل مستقل.

ـ العناصر الأربع للتعلق تعبّر عن معيشة الإنسان وحياته:

ـ حياة الإنسان ومعيشته عبارة عن أعمال باطنية وأعمال ظاهرة، الاعمال الباطنة هي في الأساس عبارة عن ثلاثة أمور هي طبيعة نظرته للحياة وللأمور من حوله ومشاعره وانشغال همه.

ـ تعلق الإنسان بأمر ما معناه أن أعماله الباطنة والظاهرة متعلقة بهذا الامر أو أن أعماله الباطنة والظاهرة هي في جملتها متعلقة بهذا الامر.

ـ فتعلق الإنسان بأمر ما معناه أنه متوجه بكليته إليه، أي حياته ومعيشته متعلقة به، أي أعماله الباطنة والظاهرة في جملتها متعلقة به، أي عناصر التعلق الأربع في جملتها متعلقة به، أي هو متعلق بالأمر بقلبه وجوارحه.

ـ فالتعلق بأمر ما ليس معناه القيام بأعمال معينة تجاهه، ولكن معناه أن أعمال القلب والجوارح متعلقة بهذا الامر أو مجموع أعمال القلب والجوارح يعطي معنى أنها متعلقة به.

ـ أي أن التعلق بأمر معناه أن طبيعة نظرته للأمور وانشغال همه ومشاعره وفرجه وحزنه وأمانه وطموحاته وتطلعاته ونيته وتصرفاته وردود افعاله وأقواله ونقاشاته وأعمال جوارحه وانفعالاته وسلوكه متعلقة بهذا الامر أو أنها في جملتها تعطي معنى التعلق به.

ـ ارتباط عناصر التعلق ببعضها البعض:

ـ عناصر التعلق الأربع مرتبطة ببعضها البعض، فتعلق أحد عناصرها بالنفس والدنيا يدل على تعلق باقي العناصر بالنفس والدنيا على سبيل الاحتمال الأكيد، والعكس صحيح فتعلق أحد عناصرها بالله والآخرة يدل على تعلق باقي العناصر بالله والآخرة على سبيل الاحتمال الأكيد.

ـ معاني التعلق بالله والآخرة والتعلق بالدنيا في آيات القرآن:

ـ أولاً: ما جاء في القرآن عن التعلق بالله والآخرة:

- ((قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أَمْرَتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ))^(١)، ((وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ))^(٢)، ((فَاعْبُدُ اللَّهَ مُحْلِصًا لَهُ الدِّينِ))^(٣)، ((فَإِنْ حَاجُوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنْ اتَّبَعَنِ))^(٤)، ((وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّدِينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ))^(٥)، ((فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ الْقَيْمَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَدَّعُونَ))^(٦)، ((إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ))^(٧).

- ثانياً: ما جاء في القرآن والسنة وأقوال العلماء عن التعلق بالنفس والدنيا:

- يقول تعالى: ((أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَإِنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا))^(٨)، ((أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ))^(٩)، ((فَإِنْ لَمْ يَسْتَحِيُوا لَكَ فَأَعْلَمُ أَنَّمَا يَتَنَعَّمُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِعِيرٍ هُدِيَ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ))^(١٠)، ((فَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرَدَى))^(١١)، ((وَلَا تُطْعِ مَنْ أَغْفَلَنَا قَلْبُهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ))^(١٢).

- وفي التفسير الوسيط: (({مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَزِينَتَهَا ...}) : والمعنى: من كان كل همه ومقصده من وجوده الدنيوي التمتع بذلك الدنيا وما يتزين به فيها فيعمل للتمتع بملذاته فيها، دون أن يهتم بقاء الله تعالى والعمل للأخرة بالبر والإحسان وتركيبة النفس بالإيمان والتقوى،

(١) الأنعام: ١٦٣، ١٦٢

(٢) لقمان: ٢٢

(٣) الزمر: ٢

(٤) آل عمران: ٢٠

(٥) يونس: ١٠٥

(٦) الروم: ٤٣

(٧) الأنعام: ٧٩

(٨) الفرقان: ٤٣

(٩) الجاثية: من الآية ٢٣

(١٠) القصص: ٥٠

(١١) طه: ١٦

(١٢) الكهف: من الآية ٢٨

{نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ}: أي نعطيهم جزاء أعمالهم وأفيًا في الدنيا، من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الأولاد وغير ذلك، وهم فيها لا ينقصون شيئاً من أجورهم الدنيوية {وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} ثم بين الله تعالى عاقبة أمر هؤلاء في الآخرة فقال: {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبْطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}: أي أولئك الذين لا يريدون إلا زينة الحياة الدنيا وبهجهتها وإشباع غرائزهم فيها ولم تمت أبصارهم وأعمالهم إلى ما وراء هذه الحياة - أولئك - ليس لهم في الآخرة مثوى إلا النار))^(١).

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الدنيا حلوة خضرة فمن أخذها بحقها بارك الله له فيها ورب متخوض فيما اشتهرت نفسه ليس له يوم القيمة إلا النار))^(٢).

- يقول ابن القيم: ((القلب الميت الذي لا حياة به فهو لا يعرف ربه ولا يعبده بأمره وما يحبه ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته ولذاته ولو كان فيها سخط ربه وغضبه ، فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته وحظه رضي ربه أم سخط ، فهو متبع لغير الله حبا وخوفا ورجاء ورضا وسخطا وتعظيمها وذلا ، إن أحب أحب لهواه ، وإن أبغض أبغض لهواه ، وإن أعطى أعطى لهواه ، وإن منع منع لهواه ، فهو أثر عنده وأحب إليه من رضا مولاه ، فاللهوى إمامه والشهوة قائد و الجهل سائقه والغفلة مرکبه ، فهو بالفکر في تحصيل أغراضه الدنيوية مغمور ، وبسکرة الهوى وحب العاجلة مخمور))^(٣).

- ثالثاً: آيات تبين أن الإنسان عليه الاختيار بين التعلق بالدنيا أو التعلق بالله والآخرة:

- ((مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلَنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ تُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَدْمُومًا مَدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا

(١) التفسير الوسيط - مجمع البحوث (٤/١٧٤).

(٢) التخريج: صحيح الترغيب والترغيب ج: ٣ ، برقم: ٣٢١٩

(٣) إغاثة للهفاف من مصائد الشيطان - مكتبة المعرفة، الرياض (ج: ١ ، ص: ٩)

وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا)^(١)، ((مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزَدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ))^(٢)، ((فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَأَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهُوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى))^(٤) (وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٢) الَّذِينَ يَسْتَحْبُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ))^(٥)، ((فَأَعْرَضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا))^(٦)، ((كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ))^(٦)، ((إِنَّ هَوَّلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَدْرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا))^(٧)، ((ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ))^(٨)، ((بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا))^(٩)، ((كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةِ))^(١٠).

- تعلق القلب والجوارح هو لسان الحال:

- لسان الحال يقصد به حال القلب والجوارح وليس الجوارح فقط، بل إن حال القلب هو الأساس والأهم، فالتتعلق هو لسان الحال.

- فالإنسان قد يقول بلسانه أنه يؤمن بالله والآخرة ولكن ذهنه ومشاعره وجوارحه تقول بأنه لم يسمع عن الخالق والآخرة، فهذا هو لسان حاله، فالحالة يكذب يقينه.

(١) الإسراء: ١٨ ، ١٩

(٢) الشورى: ٢٠

(٣) النازعات: ٤١ - ٣٧

(٤) إبراهيم: ٢ ، ٣

(٥) النجم: ٢٩

(٦) القيامة: ٢٠

(٧) الإنسان: ٢٧

(٨) النحل: ١٠٧

(٩) الأعلى: ١٦

(١٠) المدثر: ٥٣

١٠- هل المشكلة في التعلق بالدنيا أم في عدم التعلق بالخالق والآخرة؟:

١- هناك أمران لا ثالث لهما إما التعلق بالدنيا وعدم التعلق بالخالق والآخرة أو العكس.

٢- أساس ما هو مطلوب من الإنسان هو التعلق بالخالق والآخرة.

٣- التعلق بالدنيا ليس هو أصل المشكلة ولكن المشكلة أن التعلق بالدنيا يدل على عدم التعلق بالخالق والآخرة.

٤- فالله يريد منك أن تعظمه فتجعله أعظم شيء في حياتك، فإذا جعلت المال والدنيا هي أعظم شيء في حياتك فأنت بذلك لا تعظمه.

٥- وبتعبير آخر فلابد أن يكون الله هو المحبوب الأعظم، أي يكون أعظم ما تحبه في حياتك فإذا جعلت المال والدنيا هي هو المحبوب الأعظم (أي يكون أعظم ما تحبه في حياتك) فأنت بذلك لا تحبه.

٦- فمعنى توحيد الربوبية (لا رب إلا الله) أي هو أعظم من كل شيء ولا عظيم غيره، فإذا كان توحيد الربوبية صادق فأنت تعظمه فتجعله أعظم من كل شيء.

٧- فكون الإنسان يرى المال والدنيا عظيمة وانشغال همه بالدنيا وتعلق مشاعره وجوارحه بالدنيا ليس هو أصل المشكلة ولكن المشكلة في أنه لا يرى الله عظيما ولا يشغل همه به ولا يتعلق بمشاعره وجوارحه به لأن ذلك معناه أنه لا يعظم الله ويتعامل معه بإهمال، أي أن ارتباط عناصر التعلق الأربع بالدنيا ليس هو أصل المشكلة ولكن أصل المشكلة في عدم ارتباط عناصر التعلق الأربع بالخالق والآخرة.

١١- مفهوم عدم التعلق بالخالق والآخرة:

١- عدم التعلق بالخالق والآخرة معناه أن يكون حال الإنسان أحد الأصناف التالية:



- ١- يكون حاله مثل حال الجاهل بالأمر ، فهو يعيش كأنه لم يسمع عن الخالق وكأنه لم يسمع عن شيء اسمه الآخرة، أو كأنه لا يفهم معنى الغيبيات، كأن الغيبيات طلاسم وأمور مبهمة لا يفهمها، أو كأنه لا يفهم ما معنى الخالق وما معنى الآخرة فيعيش للدنيا.
- ٢- يكون حاله مثل حال الانسان الذي يتعامل مع أمر تافه فهو يتعامل مع الآخرة كأنها ودودة أليفة لا مشكلة منها ولا خطر فيها، كأنها غير مؤثرة وليس لها قيمة وكأن صفات الخالق ليست عظيمة وخارقة.
- ٣- يكون حاله فيه تأثر بالأمر ولكن تأثره ضعيف لا يتناسب أبداً مع مدى خطورة الامر.
- فهو يتعامل مع الغيبيات بغير اهتمام ولا يشغل بها همه ولا تتأثر بها مشاعره كأنها أمر غير مهم أو قليل الأهمية أو كأنها مجرد اساطير ووهم أو كأنها أمر لا يعرفه ولم يسمع عنه أو أمر نسيه.



الفصل الخامس

التعلق يكشف حقيقة الهدف وحقيقة البيقين

- التعلق يكشف حقيقة الهدف، فإذا كان تعلق الإنسان بالآخرة فهدفه الآخرة وإذا كان تعلقه بالدنيا فهدفه الدنيا.

- فهدف الإنسان هو ما يتعلق به وليس ما هو مقتضى بأنه هدفه، فقد يحسب أن هدفه رضا الله والجنة وهو متعلق بالدنيا، فحقيقة هدفه عندئذ هو الدنيا وإذا كان يدعى أن هدفه الآخرة فهو مجرد ادعاء وهم يكذب به على نفسه، فقد يخدع الإنسان نفسه ويكذب على نفسه ويدعى أن هدفه الذي يعيش له هو رضا الله والجنة وليس الدنيا والحقيقة عكس ذلك تماماً.

- تعلق القلب والجوارح هو لسان الحال الذي يكشف حقيقة البيقين هل هو صادق أم كاذب وحقيقة هدف الإنسان هل هو الدنيا أم الآخرة؟

- التعلق بالدنيا يكشف ادعاء الإنسان بأن هدفه رضا الله والجنة، فطبيعة نظره للأشياء وهمه ومشاعره وسلوكيه وانفعالاته وكلامه وعمله يكشف حقيقة هدفه، فتجده لا يرجو ولا يشتق إلا إلى المال والدنيا، ولا يخاف إلا من فوات المال والدنيا، ولا يحب غير المال والدنيا، وينظر إلى المال على أنه أعظم شيء في الوجود، ولا هم له غير المال وكيفية الحصول عليه، ويلهث وراء جمع المال ليلاً ونهاراً، وقلبه يتقطع على المال حزناً وفرحاً وغضباً، وتناثر مشاعره بالمال حباً ورجاءً وخوفاً من ضياعه، وخلقه السيء يرتبط بالمال حسداً لغيره وحقداً وطمعاً في المال، وأكثر كلامه عن المال وكيفية الحصول عليه، وكل عمله للحصول على المال، وربما يقع في السرقة والرشوة للحصول على المال وغير ذلك، ورغم ذلك تجده على افتتان تام بأنه لا يعيش من أجل المال ويحسب أنه يعيش من أجل الله والآخرة رغم أنه لا يعرف الله الذي يدعى أنه يعيش من أجله ولا يعرف الآخرة التي يدعى أنه يعيش من أجلها؛ لأنه لو عرف الله والآخرة لعاش لله وليس للمال.



- والذي يقول أن هدفي الجنة ولا يسعى لها فهو كذاب، وفي الحديث: ((ما رأيت مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها))^(١)، والذي يقول بأن هدفه الآخرة ولا يسعى إليها فهو كذاب: ((مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلَنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءَ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْهُورًا))^(٢) (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا))، والسعى يكون بحسب خطورة ما يسعى إليه، فإذا كان أمراً عظيماً كان السعي بتعلق القلب والجوارح، أي يسخر حياته للوصول إليه، وسعي الآخرة من هذا النوع لخطورتها.

ـ تعلق القلب والجوارح يكشف حقيقة يقين الإنسان:

- التعلق بالله والآخرة هو تصديق للبيقين وبرهان على صدق البيقين، فالطبيعي أن تكون مشاعر الإنسان وتصرفاته وردود أفعاله موافقة للبيقين ومصدقة للبيقين وليس مناقضة للبيقين، فإذا أيقن الإنسان بأن الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فلابد أن يتعلق بها أشد التعلق ويسارع إليها فإذا تلهى عنها وتعلق بالدنيا فيقينه كاذب.

ـ أصل العبادة وأصل الدين هو تعلق القلب والجوارح بالله:

- الدين معناه أن الإنسان يبني حياته على أساس الغيبيات، فإذا بنى الإنسان حياته على أساس الدين فكان مادياً دنيوياً فهذا معناه أنه لا يريد الدين.

- الإنسان إما أن يتعلق بنفسه وبالدنيا أو يتعلق بالله والآخرة، التعلق بالله والآخرة معناه أنه يتعلق بغير نفسه، والتعلق بالغير معناه الخضوع، فالتعلق بالله معناه الخضوع لله، والخضوع هو أصل العبادة.

- أصل العبادة معناه أن الإنسان تعلق بأحد تعلقاً شديداً بقلبه ومن شدة تعلقه به أنه عاش حياته ذليلاً له تعظيماً له، فهو بذلك يعبد.

(١) حديث حسن (صحيح الترغيب والترهيب برقم ٣٦٦٢)

(٢) الإسراء: ١٨، ١٩

٤- التناقض بين اليقين وبين تعلق القلب والجوارح:

- قد يومن الانسان بالله والآخرة وينتسب للدين ويدعى أنه يعيش الله والآخرة وبأنه يريد الدين وبأن هدفه رضا الله والآخرة.
- لكن قلبه وجوارحه متعلقة بالدنيا وغير متعلقة بالله والآخرة، فقلبه وجوارحه يقولان بأنه يعيش للدنيا وبأنه لا يريد الدين وبأنه مادي دنيوي وبأن هدفه الدنيا.

٥- التعلق يكشف حقيقة قيام الانسان ببعض أعمال الدين:

- قد يقوم الانسان ببعض اعمال الدين فيبدو أن هدفه الآخرة وأن يقينه صادقاً، لكن تعلقه بالدنيا يكشف أن هدفه الدنيا وأن يقينه كاذب، فهو يتاله الدنيا ويتعلق بها بمشاعره وهي أكبر همه ويتعلق جوارحه بها فهذا يدل على أن هدفه الدنيا رغم قيامه ببعض أعمال الدين.

٦- الذين يعيشون للدنيا (هدفهم الدنيا) صنفين:

- ١- الصنف الأول لم يدخلوا في الإسلام، وهذا طبيعي لأن حقيقة أمرهم أنهم يريدون أن يعيشوا الدنيا.
- ٢- الصنف الثاني ولدوا من أب وأم مسلمين فهم يقولون الشهادتين ويعلمون ببعض أعمال الدين تكلاً أو رباءً أو تعوداً أو يريدون بها ثواب الله لهم في الدنيا فقط أو من تأثرهم الضعيف الذي لا يصل إلى التعلق بالآخرة، وهو لاء صنفين:
 - أ- الصنف الأول ليس لديهم يقين وهو لاء هم المنافقين.
 - ب- الصنف الثاني لديهم يقين وهو يقين كاذب.
- الذين يعيشون للدنيا كلهم واحد من ناحية الحال (تعلق القلب والجوارح) ويختلفون في اليقين (وهو يقين كاذب) والقيام ببعض أعمال الدين.



الفصل السادس

شدة التأله (أكبر ما يدهشك)

- أول عنصر من عناصر التعلق القلبي هو شدة التأله.
- شدة التأله بأمر ما أي يراه مدهشا جدا، أي هو أكبر ما يدهشك من مدى عظمته وغرابته.
- والتأله هو أول وأهم أعمال الإنسان الباطنة.
- كلمة (التأله) في اللغة معناها التحير والدهشة من غرابة الامر.
- وكلمة (إله) في اللغة أي ما يدهشك من عظمته وغرابته، فتتحير من مدى عظمته وغرابته.
- أصل لفظ الجلالة "الله" هو "إله" فحذفوا الهمزة وأدخلوا بدلها الألف واللام، مثل كلمة (الناس) أصلها (أناس) فحذفوا الهمزة وأدخلوا بدلها الألف واللام، ولذلك يقال في النداء يا الله، ففي كتاب عقيدة التوحيد في القرآن الكريم: ((أصل لفظ الجلالة "الله" هو "إله" قال به الخليل والكسائي والفراء، حيث قالوا بأن أصل لفظ الجلالة "الله" هو "إله" مثل فعل فحذفوا الهمزة وأدخلوا بدلها الألف واللام، قال سيبويه: ونظيره (الناس) أصله (أناس)، ولذلك قيل في النداء يا الله))^(١).
- معنى كلمة (إله) في اللغة: أي الذي تتحير وتتدھش وتنتعج وتعجب وتتبهر من مدى عظمة صفاته والتي تتمثل في خرق الأسباب فتختاف من هيته وتحبه إعجاباً ب مدى قدرته الهائلة ومدى أهمية وخطورة نعمه للإنسان ، ففي كتاب النهاية في غريب الآخر: ((إله يا الله إذا تَحَيَّرَ، يُريدَ إذا وَقَعَ الْعَبْدُ فِي عَظَمَةِ اللهِ تَعَالَى وَجَلَّهُ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ صَفَاتِ الرِّبُوبِيَّةِ وَصَرْفُ وَهُمَّهُ إِلَيْهَا أَبْعَضُ النَّاسِ حَتَّى لَا يَمِيلَ قَلْبَهُ إِلَى أَحَدٍ))^(٢)، وفي

(١) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص: ٧٣) محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملکاوي – الناشر: مكتبة دار الزمان - الطبعة: الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

(٢) النهاية في غريب الحديث والآخر (٦٢ / ١)

كتاب غريب الحديث لابن قتيبة: ((أَلَّهُ يَأْلُهُ إِذَا تَحِيرَ كَانَ الْقُلُوبُ تَأْلُهُ عَنِ التَّفْكِيرِ فِي عَظَمَةِ اللَّهِ... إِذَا وَقَعَ الْعَبْدُ فِي هَذِهِ الْدَّرَجَةِ لَمْ يُعْجِبُهُ أَحَدٌ وَلَمْ يُحِبَّ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ))^(١).

- ومعنى عبارة (لا إله الا الله) من ناحية اللغة أي لا أحد تحرير وتندهش من مدى عظمته إلا الله، فكل الأمور المدهشة العجيبة غير الله ليست بشيء بالمقارنة بصفات عظمة الله المدهشة، أي هو فقط من يدهشك من عظمته وغرابته، وهو فقط من تحرير من مدى عظمته وغرابته.

- فالمطلوب من الإنسان ليس مجرد التأله ولكن شدة التأله، أي ليس المطلوب مجرد الدهشة ولكن أن تكون صفات الله هي أكبر شيء يدهشك من عظمته وغرابته، أي أكبر شيء تحرير من مدى عظمته وغرابته.

- ومعنى عبارة (لا إله الا الله) في الشرع أي لا أعبد إلا الله، والعبادة تشمل أعمال باطنة وظاهرة، وجميع أعمال الإنسان الباطنة والظاهرة سواء كانت متعلقة بالأخرة أو بالدنيا تنشأ من التأله، فالحب ينشأ من تأله الصفات الحميدة والكرابية تنشأ من تأله الصفات الذميمة، والخوف والرجاء ينشأ من تأله صفات الثواب والعقاب، وانشغل بهم ينشأ من تأله الصفات الحميدة أو الذميمة بحسب مدى خطورته، وجميع أعمال الجوارح تنشأ من التأله.

- فالتأله هو واحد من الاعمال الباطنة وجميع الاعمال الباطنة الأخرى وجميع أعمال الجوارح من المستحيل أن تنشأ إلا من التأله، فالتأله هو القائد الذي يأمر القلب والجوارح وليس العقل أو ما يوقن به الإنسان.

- وتأله الخالق معناه الاجلال والتعظيم القلبي للخالق، أي ينظر إلى الخالق نظرة تعظيم فيها عظيما وهو أهم عمل من أعمال العبادة، وجميع أعمال العبادة الأخرى تنشأ من تأله الخالق، فلا يمكن أن تتحقق العبادة إلا من تأله الخالق بحسب مدى درجة التأله.

(١) غريب الحديث لابن قتيبة (٧٢٩ / ٣)

ـ مفهوم التأله (الدهشة):

ـ التأله هو الدهشة، والدهشة هي شعور وانفعال معروف لا يحتاج الى شرح.

ـ الدهشة تكون من عظمة الأمر وخطورته، وهي تعبير عن شعور الانسان بقيمة الامر ومدى خطورته كأن يرى امراً عجيبة لكونه مختلفاً عن المألوف أو يرى امراً مفاجئاً لم يكن يتوقعه.

ـ التأله معناه الدهشة والتعجب والتحير والاستغراب والذهول والتهيب والرعب والوجل والانزعاج والقلق والاضطراب والاهتمام وخوف المهابة وشعور بالفزع والذعر والقشعريرة والتوتر والاضطراب والتوجس وشعور بالمفاجأة من مدى روعة وهول وغرابة وخطورة الأمر سواء كان فيه نفع أو ضرر أو لم يكن فيه نفع أو ضرر.

ـ الطبيعي أن الشيء العظيم الخظير المعجز الخارق للأسباب العجيبة المدهش المبهر الرهيب المهيب المخيف الغريب المثير المزعج المذهل المؤثر هو شيء يدعو إلى التعجب والدهشة والانبهار والرعب والمهابة والاستغراب والتحير والانزعاج والذهول والتهيب

ـ درجة التأله:

ـ كلما زادت أهمية وخطورة الشيء كلما زاد انفعاله ودهشته وتعجبه وتحيره واستغرابه وذهوله بالأمر.

ـ يزداد الانتباه والدهشة بحسب مقدار ما في الشيء من أهمية وخطورة، فكلما كان الخطير أكبر كانت الدهشة أشد، وإذا كان تافهاً لا خطير فيه فلا دهشة منه ولا عجب ولا يلتفت له ولا يلقي له بآلا ولا يوجد أي انفعال ذهني تجاه ذلك الأمر.

الإنسان يتاثر بالأمر ويعمل له على قدر شعوره بخطورته (التاله)، فإذا كان شديد التاله لهواه ورغباته فقد جعل إلهه هواه: ((أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهًا هَوَاهُ أَفَلَمْ تَكُونْ عَلَيْهِ وَكِيلًا))^(١).

فالتعامل مع المعلومات يتاسب بحسب قيمة ومقدار المعلومة، فالمعلومة فائقة القيمة يكون معها تفاعل شديد جدًا وانفعال ذهني كبير، فمثلاً يكاد الإنسان يصعق ويموت عندما يسمع بخبر وفاة أهله واحتراق بيته، أو إذا سمع بأنه تم اختياره لينال جائزة هائلة، والإنسان العاقل يحترق من داخله ويسرع بالفرار عندما يعلم بوجود الجنة والنار والحساب في الآخرة واقتراب أجله، فإذا لم يحترق من داخله أو يتاثر خوفاً ورعباً وترقب فهذا معناه أنه لا عقل له وكأنه غير واع لما يحدث حوله أو أنه كالميّت، وهذا حال الغافلين عن الآخرة، وهكذا.

مفهوم شدة التاله (الدهشة الشديدة):

هو ما يشعر به الإنسان عندما يرى أمراً خارقاً للأسباب عجيباً جداً، فيرى أنه أعظم شيء في نظره أو أعجب شيء في نظره وذلك من شدة عظمته أو غرابتها، وكل أمر عجيب دونه ليس بعجيب بالمقارنة به.

استمرارية التاله:

طالما أن الخطر ما زال قائماً لابد من استمرارية الدهشة منه، فطالما أن قدرة الله دائمة فالدهشة من خطورتها تكون دائمة، وطالما أن الآخرة لم تأتي بعد فالدهشة من خطورة مجيئها يكون مستمراً.

التاله يعبر عن نظرية التعظيم لخطورة الامر:

الشيء المثير هو شيء خارق للعادة وهو شيء غريب غير مألوف وبالتالي يلفت الانتباه فيتاثر به الذهن ويراه الإنسان عظيماً، والشيء الغير مثير هو شيء معتاد ويراه الإنسان تافهاً حقيراً.

نظرية الإنسان إلى الشيء نوعين هما:

(١) الفرقان: ٤٣

١- التأله: أي ينظر إلى الامر نظرة تعظيم وتوقير واحترام وإجلال، أي التحير والدهشة والتعجب من مدى عظمة الشيء، وهو يعبر عن تعظيم القلب لله أو للدنيا.

٢- عدم التأله: أي ينظر إلى الأمر نظرة اهمال ولا مبالاة وعدم اهتمام وعدم اعتبار وتجاهل للأمر فيراه تافهاً ولا يستحق الالتفات إليه.

- عدم التأله يكون لأمرتين هما:

أ- إذا كان الأمر تافه غير مؤثر ولا يضر ولا ينفع وليس فيه خروج عن المألوف، فلا يندهش له ولا تتأثر به المشاعر لا سلباً ولا إيجاباً فلا يحبه ولا يكرهه ولا تتأثر به الجوارح.

ب- إذا كان الأمر خطيراً وهاماً ولكن اليقين به كاذب لكونه يتجاهله أو أصيب بمرض المعرفة الكاذبة فعندئذ يتعامل معه كأنه لا يعرفه أو كأنه أمر تافه لا قيمة له، وهذا حال الغافل عن الآخرة ولقاء الله تعالى.

- التأله يعبر عن شعور الإنسان بقيمة الشيء:

- شعور الإنسان بقيمة الشيء يتم من خلال الدهشة من مدى عظمته.

- مجرد أن يسمع الإنسان عن شيء ما ويفهم معناه لا يكفي، فلابد أن يشعر ويحس ب مدى قيمته وبالتالي يتأثر به إذا كان مؤثراً.

- التأله هو خوف المهابة:

- إذا طلب منك ملك من ملوك الدنيا أن تحضر عنده ليعطيك هدية أو مكافأة فأنت تخاف من هيبة الموقف ولست تخاف من العقاب لأنك أمر عجيب غريب مدهش.

- من عرف الخالق معرفة حقيقة خاف من مهابة قدرته سبحانه، ففي تفسير النيسابوري: ((وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمْرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَحْشُونَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ))^(١) ... الخشية نواعن: خشية الجلال كالعبد إذا حضر بين يدي السلطان ومن ذلك خشية الملائكة {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مَنْ

(١) الرعد: ٢١

فوقهم^(١) وإلى هذا أشار بقوله: {ويخشون ربهم}، وخشية أن يقع في العبادة خلل أو نقص يوجب فسادها أو نقصان ثوابها. وإليه الإشارة بقوله: {ويخافون سوء الحساب^(٢)}، وفي تفسير الرازي: ((وقال أصحاب الحقائق: الخوف على قسمين: خوف العقاب، وخوف العظمة والجلال، أما خوف العقاب فهو للعصاة، وأما خوف الجلال والعظمة فهو لا يزول عن قلب أحد من المخلوقين، سواء كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً، وذلك لأنه تعالى غني لذاته عن كل الموجودات، وما سواه من الموجودات فمحتاجون إليه، والمحتاج إذا حضر عند الملك الغني يهابه ويخافه، وليس تلك الهيبة من العقاب، بل مجرد علمه بكونه غنياً عنه، وكونه محتاجاً إليه يوجب تلك المهابة^(٣)))، وفي تفسير الرازي أيضاً: ((قال العارفون: الخوف خوفان: خوف العقاب وخوف الجلال، والأول نصيب أهل الظاهر، والثاني نصيب أهل القلب، والأول يزول، والثاني لا يزول^(٤))).

- عدم وجود خوف المهابة من البعث معناه أنه لا يبالي بأمر البعث وينظر إليه نظرة اهمال، ففي تفسير السراج المنير: ((وقال الذين لا يرجون لقاءنا^(٥) أي: لا يخافون البعث، قال الفراء: الرجاء بمعنى الخوف لغة تهامة، ومنه قوله تعالى: {ما لكم لا ترجون الله وقارأ^(٦)} أي: لا تخافون الله عظمة^(٧)))، وفي التفسير البسيط: ((قوله تعالى {وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أثروا علينا الملائكة^(٨)} قال المفسرون، وأهل المعاني: لا يخشون ولا يخافون البعث^(٩)))، وفي تفسير تنوير المقباس: (({بلْ كأنوا لا يرجون نشوراً} لا يخافون البعث بعد الموت^(١٠))).

(١) التحل: ٥٠

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ور غرائب الفرقان (٤/١٥٣)

(٣) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٥/٤٥٠)

(٤) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣/٤٨٢)

(٥) نوح، ١٣

(٦) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (٢/٦٥٥)

(٧) التفسير البسيط (٦/٤٤٩)

(٨) تفسير تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (ص: ٣٠٣)

- وشدة التأله تعني الوجل والدهشة من هول الامر لدرجة أنه يقشعر منه جلده، ففي تفسير البحر المديد: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ}) خافت واقشعرت لذكره استعظاماً له وهيبة من جلاله))^(١)، ((اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَبَّيْنَ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ))^(٢)، ((قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخْرُونَ لِلأَدْقَانِ سُجَّداً (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمْفَعُولًا (١٠٨) وَيَخْرُونَ لِلأَدْقَانِ يَكُونُ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا))^(٣).

- **التأله يكون للأمر الخطير سواء كان فيه ثواب أو عقاب أو لا علاقة له بالثواب والعقاب:**

- التأله يكون من الشيء الخطير سواء كان فيه نفع أو ضرر أو ليس فيه نفع أو ضرر، فالإنسان يندهش ويدهل ويتعجب من هول الجنة لما فيها من النفع ومن هول النار لما فيها من الضرر ومن مدى عظمة قدرة الله رغم أن ذلك ليس مسألة نفع وضرر ومن هول البعث ومن هول مشهد يوم القيمة وما فيه والوقوف أمام لما فيه من الخطورة وليس لضرره ومن رؤيته لفيلم رعب.

- **أمثلة توضح معنى التأله (الدهشة):**

- مثال (١):

- الإنسان إذا ذهب إلى قسم الحرائق بأي مستشفى ورأى ما فعلته النار بهؤلاء المرضى فإنه يشعر بالرهبة من مهابة الامر ويشعر بالحزن ويتألم رغم أنه لم يصب بأي أذى من النار، فهذا هو خوف المهابة، ويؤدي إلى الخوف من أن يقترب من النار أو تدركه النار فيصاب مثلهم، وهذا هو خوف العقاب أي خوف الوصول للنار، فإذا لم يشعر الإنسان

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٣٠٤ / ٢)

(٢) الزمر: ٢٣

(٣) الأسراء: ١٠٩

بالريبة والتألم لهؤلاء المرضى فهذا معناه أنه لا يعرف ماذا تعني كلمة نار معرفة حقيقة، وبالتالي فلن يخاف من العقاب.

- خوف المهابة من الجنة والنار ومن أهوال القيمة ليس خوف عقاب ولكنه خوف مهابة ودهشة تجعل الإنسان يشعر بذنه و يجعله متحيراً فلما من وجود حياة أخرى أبدية للإنسان فيها نار رهيبة وجنة رهيبة.

- تصور الآخرة كعالم آخر رهيب يدعوك إلى الشعور بالمهابة من الآخرة، فلو افترضنا مثلاً أن الآخرة فيها جنة فقط، وكل الناس ينتقلون من حياة الدنيا إلى الحياة في الجنة، فهذا أمر رهيب يدعوك إلى الشعور بالمهابة فهو انتقال من حياة إلى حياة مختلفة تماماً وأعلى بكثير جداً مما يدعوك إلى الشعور بالمهابة، ولو افترضنا جدلاً أن كل الناس لن يدخلوا النار فوجود النار نفسها تدعوك إلى الشعور بالمهابة من مدى ضخامتها وشدتتها وعجبها رغم أنهم لن يدخلوها، وكذلك الوقوف على أرض المحشر وما يحدث على أرض المحشر من أمور الحساب هو أيضاً أمر رهيب يدعوك إلى الشعور بالمهابة.

- مثال (٢):

- لو قالوا لك أن هناك رجلاً يسير الآن في الشارع طوله ثلاثة أمتار وأنت قد سمعت وصدقت الأمر ولم يكن لديك أي انفعال أو رد فعل أو انتباه واستغراب ودهشة من الأمر وتحرك لرؤيته فهذا معناه أنك لا تزال لم تعرف الأمر بعد معرفة حقيقة.

- أنت إذا رأيت ساحراً، فإنه يحدث لك خوف مهابة مما يصنع وحب إعجاب بما يصنع وتصدق له.

مثال (٣):

- انظر إلى حال رجل يذهب لمقابلة ملك من ملوك الدنيا، فإنه يستعد ويتهيأ نفسياً لأنه أمر رهيب، إنه يكون في قلق واضطراب، وعندما يقف عند الملك قد يتلعم من هيبة الموقف، إن الحالة النفسية التي عنده هي التي تسمى الشعور بالمهابة، فإذا كنت تدعى الشعور بالمهابة من الله فهل عندك هذه الحالة النفسية؟!

- مثال (٤):

- لو سمعت أن رجلاً خارقاً يستطيع أن ينقل الجبال أو يستطيع أن يبيد الناس في لحظة أو ... إلخ، لماذا تشعر؟، إنك تشعر بالهيبة والرعب، فإن الله يستطيع ما هو أعظم من ذلك ((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا))^(١)، ويستطيع أن يبيد كل البشرية في أقل من لحظة، فلماذا لا تشعر بنفس الشعور السابق؟، وإذا كنت تدعى إنك تشعر بالهيبة والرعب من الله في الحال الأولى كانت هناك حالة نفسية وانفعالات داخلية مميزة للشعور بالرعب والهيبة، فهل عندك هذه الحالة النفسية أم أنه مجرد ادعاء بأن عندك الهيبة والرعب والتعظيم لله؟!.

- التأله (الدهشة) له حالتين هما:

- هناك أمران لا ثالث لهما إما التأله من عظمة النفس والدنيا! وعدم التأله للخالق والآخرة، أو التأله من عظمة الخالق والآخرة وعدم التأله بالنفس والدنيا، ونوضح ذلك كالتالي:

١- التأله من عظمة النفس والدنيا!:

- النعم عظيمة جداً، وهي تدل على عظمة مالكها وهو الله سبحانه، وهي بالمقارنة بما عند الله تعالى ضئيلة جداً، فهذا يدل على مدى عظمة الله.

- الإنسان يتجاهل أن النعم ملك الله وعطاء من الله عليه ويتعامل مع النعم على أنها ملك للإنسان وبالتالي يرى نفسه عظيماً بما عنده من النعم، كما أنه يتجاهل ما عند الله من نعم حتى لا يقارن بينها وبين ما عند الله - على افتراض ملكيتها للإنسان - حتى لا يرى ضالتها بالمقارنة بما عند الله فلا يغتر بها.

- فهو يتجاهل أن هذه النعم ملك الله ودليل على قوة الله تعالى فينسب ملكية النعم لنفسه حتى يتوهم أنه قوي بها رغم يقينه بأنها نعم من الله، ويتجاهل أن صفات الخالق أعظم من صفات الإنسان ونعم الجنة أعظم من نعم

(١) طه: ١٠٥



الدنيا حتى يتوهم أنه قوي بها رغم يقينه بالخالق والآخرة، وهذا من الغباء لأنه لن يغير من حقيقة الامر شيئاً.

- فالإنسان لا يفرح ولا يتعلق بما عند غيره من مال ومتلكات مهما كانت عظيمة لأنها ليست ملكا له، لكنه يتوهم أنها ملكه فيغتر بها، وهذا من الغباء لأنه لن يغير من حقيقة الامر شيئاً.

- التأله من عظمة النفس معناه الغرور بالنفس والكبر والعجب والفاخر بالنفس والاستكبار والعزبة بالنفس، أي أنه يرى نفسه قوياً ويشعر أن له قيمة ومكانة وقدر، والتأله من عظمة الدنيا معناه الغرور بالدنيا والغرور بالنعم ومعناه أنه يرى الدنيا والمال عظيمين، وبالتالي تتعلق مشاعره وهمه وجوارحه بالدنيا والمال والشهوات.

- وتكون نظرة الإنسان للمال وأصحاب الثروات نظرة انبهار وإعجاب وتعظيم وتقدير لعظيم قيمته، وكذلك نظرته إلى حجم المتعة من الشهوات وهكذا، في حين نظرته إلى قدر الله مثل نظرته إلى أي شيء لا ينفع ولا يضر، فقدرة الله لا تلتفت نظره أصلاً ولا يستشعر في ذلك أثر أو أهمية، فلا يرى الله عظمة في نفسه، وكذلك نظرته إلى الآخرة تكون مثل نظرته إلى الحواديت وهكذا.

- لماذا يرى الإنسان شهوات الدنيا كبيرة ولا يستطيع مقاومتها؟ ذلك لأنه لا يزال يتعامل مع النعم التي يتمتع بها على أنها ملكه ولم تأته من أحد غيره، ولا يزال لم يقارنها بشهوات الجنة أو بالعقاب على هذه الشهوات فلا وجه للمقارنة.

- وكذلك طالما أن الإنسان لا يزال يغضب وينفعل ويتأثر بآلام الدنيا ومشاكلها هو أنه يتوهم أنه فقد شيئاً يملكته ولا يتعامل مع النعم على أنها أمانة يستردها صاحبها وقتما يشاء، فيتعامل مع سلب النعم على أنها ظلماً له.

- وطالما أن الإنسان لا يزال ينظر إلى الأموال والشهوات والمناصب نظرة انبهار على أنها ذات قيمة كبيرة فهذا يدل على أن معرفته بالله

والآخرة لم تتحقق، لأن من عرفحقيقة الخالق والآخرة فإنه بالضرورة ينظر إلى شهوات الدنيا والأموال نظرة اهمال.

٢. عدم التأله للخالق والآخرة:

- صفات الخالق وخطورة الآخرة وكل ما حول الإنسان من الآيات الكونية كل ذلك يدعو الإنسان للدهشة والتعجب والانبهار الشديد من خطورة الامر لكنه يعيش وسط كل هذه المخاطر كأنه لا شيء يدعو للقلق والانزعاج وكل شيء عادي.

٣. التأله من عظمة الخالق والآخرة:

- قيمة الشيء تعرف بالمقارنة بشيء آخر، فوجود الآخرة جعل الدنيا شيء تافه لا قيمة له، وإذا لم يكن هناك رب ولا آخراً لكان الدنيا عظيمة جدأً؛ لأنه ليس أمام الإنسان شيء غيرها.

- معرفة الآخرة تؤدي إلى أن يعرف الإنسان حقيقة الدنيا فلا يتعلق بها قلبه ولا يعيش لها، فإذا تعلق قلبه بالدنيا فهذا دليل على أن الإنسان لا يزال لم يعرف حقيقة الدنيا وسبب ذلك أنه لا يزال لم يعرف الآخرة.

- فإذا انتبه الإنسان أولاً إلى حقيقة الآخرة رأى الدنيا على حقيقتها وبالتالي لم يحدث له انفعال ذهني أو تعجب أو دهشة أو انبهار أو رهبة أو مهابة أو استغراب أو تحير أو انزعاج أو ذهول أو تهيب أو إعجاب بقيمة المال أو الشهوات أو المناصب أو أي أمر من أمور الدنيا، وينظر إلى المال والشهوات والدنيا نظرة احتقار وليس نظرة تعظيم، وتتغير نظرته إلى ما حوله، فتكون نظرته للأشياء نظرة أخروية وليس نظرة دنيوية، فمثلاً لا ينظر إلى أصحاب الجاه والسلطان نظرة انبهار ولكن يتذكر أنهم صائرون إلى القبور ويتركون كل شيء، وكذلك ينظر إلى الظلمة على أنهم ضعفاء مساكين وهم في النار يعذبون فيشقق عليهم في الدنيا وهم يوردون أنفسهم موارد الهالك: ((إِنَّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ))^(١)، وهكذا.

٤- عدم التأله بالنفس والدنيا:

- معرفة الله تؤدي إلى تغيير نظرة الإنسان لنفسه، فبدلاً من أن يرى نفسه عظيماً يرى نفسه ضئيلة، ومعرفة الآخرة تؤدي إلى تغيير نظرة الإنسان للدنيا فبدلاً من أن يرى الدنيا عظيمة يراها ضئيلة.

- مقدار ما يمتلكه الإنسان هو صفر، ومقدار ما يمتلكه الخالق هو كل شيء حتى الإنسان نفسه هو مما يمتلكه الخالق، فالله هو المالك لكل شيء والانسان لا يملك شيئاً، فمن يعرف ذلك معرفة حقيقة لا يغتر بنفسه وبالدنيا.

- قدرة الإنسان لا شيء أمام قدرة الخالق والانسان خاضع لله كونيا وهذا معناه التحقيق من شأن النفس أي يرى نفسه ضئيلة لا حول لها ولا قوة، فهو يرى نفسه مهملاً لا قيمة لها، فالشيء الغير مثير لا يدعو إلى الدهشة ولا تتعلق به المشاعر فهو مهملاً لا قيمة له.

- إذا قارنا الدنيا بالأخرة فالدنيا لعب ولهم مثل لعب ولهم الأطفال؛ لأنها حياة قصيرة جداً وتفاهة جداً، بل إنها ليست بحياة أصلاً: ((وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوَ وَلَاعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَاةُ الْمُؤْمِنُوْنَ))^(١)، ((وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلَلَّادَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقَوْنَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ))^(٢)، ((إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ))^(٣)، ((اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ))^(٤)، واللعب والله هو الشيء الذي ليس له قيمة فلا ينفع ولا يضر وليس له أهمية ولا يهتم الإنسان به ولا يكترث به، وبالتالي لا يتأثر به الذهن ولا المشاعر.

- الدنيا وما بها من مال وشهوات ومتاع لا تساوي شيئاً بالمقارنة بالأخرة، فمن يعرف الآخرة ويوقن بها تكون كل أموال الدنيا وشهواتها ومناصبها هي مثل الطين في نظره؛ لأنه يقارنها بالأخرة فلا تساوي شيئاً، وهو ينظر إلى من عنده قدر كبير من أموال الدنيا ومناصبها وشهواتها على

(١) العنكبوت: ٦٤

(٢) الأنعام: ٣٢

(٣) محمد: ٣٦

(٤) الحديد: ٢٠

أنه عنده قدر كبير من الطين، فلا ينظر له نظرة انبهار، وينظر إلى الفقير المعدوم على أنه عنده قدر قليل من الطين، وإذا ظلمه أحد فلا يتالم ويشتند حزنه؛ لأنه يعلم أن ذلك الظالم مسكون قد أتعب نفسه وأخذ منه قدرًا من الطين، وهذا لا يمنع من أن يطالب بحقه، أما الذي لا يعرف الآخرة إذا كان مظلومًا أو فقيرًا فإنه يكون دائم التسخط والتالم الشديد والحزن الشديد و دائم الشكوى، وإذا خسر في تجارة أو أصابه مصاب قد يصاب بسكتة قلبية أو اكتئاب شديد جدًا، وإذا كان ظالماً أو غنيًا فإنه يكون دائم التهلل والفرح الشديد ويعجب بنفسه بشدة ويتكبر على غيره، والذي لا يعرف الآخرة يكون خائفاً خوفاً شديداً جدًا على صحته وعلى عمره لدرجة الهلع كأنه لا يريد أن يموت، وكذلك فهو خائف بشدة على ألا يفوته أو ينقص منه شيء من متع الدنيا وحرirsch بشدة كبيرة جدًا على أن يفقد غيره من الناس متع الدنيا وألا يحصلوا على شيء من متعها حتى يكون هو الأعلى، وذلك لأن الدنيا ومناصبها وأموالها وشهواتها هي في نظره عظيمة وكبيرة جدًا ويوم القيمة يُفاجأ بأن كل ذلك كان مجرد طين وأنه كان حريرصاً على جمع الطين!.

- فعندما يعرف الإنسان الآخرة تتغير نظرته تجاه صاحب الأموال الهائلة الذي يعيش من أجل جمع المال يراه مسكوناً غبياً يُورد نفسه موارد الهالك، وعلى العكس فإنه ينظر إلى الإنسان المتصل بالله نظرة إكبار وتعظيم ويحسده على ما عنده من إيمان، وينظر إلى الأعمال الهائلة التي يعملها الذين يعيشون للدنيا فيراها لهوا ولعباً رغم أنها عند أهل الدنيا أعمال عظيمة جدًا.

- فالناس أمامهم جبل من الذهب الحقيقي وجبل من الطين، وهم يتهاقرون ويتنافسون على جبل الطين الذي هو أموال الدنيا وشهواتها ومناصبها، ويتركون جبل الذهب الذي هو رضا الله وجنات النعيم.

- فالتأثير الشديد بظلم الظالم هو من الغباء؛ لأن الدنيا ليست إلا طينًا، فالظلم أخذ كثيراً من الطين والمظلوم عنده قليل من الطين.

٤- بداية الهدية هي الانتقال من تأله النفس والدنيا إلى تأله الخالق والآخرة:

اللحظة التي يتحقق فيها التأله هي اللحظة التي يهتدى فيها الإنسان.

فمن الناس من يتعرض لموقف مثل موت قريب له أو يستمع لمواعظة ذات مرة أو يرى آية كونية فتكون سبباً في تحقيق التأله وإحياء المعرفة عنده وهدايته وتتغير بذلك حياته كلها ويكتشف بأنه يعرف الأمر لأول مرة.

فالتأله هو شعور بالقلق والاضراب وشعور بالمفاجأة عندما يرى أو يسمع أمراً غريباً مفاجأً لم يكن يتوقعه، وهي ما يشعر به الإنسان عندما يقوم من نومه فيجد نفسه في مكان موحش أو في قصر مثلاً، أو ما يشعر به الإنسان الذي أغمى عليه عندما يفيق من الإغماء، أو ما يشعر به الإنسان إذا رأى عفريتاً أو ما شابه ذلك، وهناك ما يعبر عن ذلك من قول شيخ الإسلام ابن القيم: ((فَأَوْلُ مَنَازِلِ الْعُبُودِيَّةِ الْيَقِظَةُ وَهِيَ اُنْزَاعُ الْقَلْبِ لِرَوْعَةِ الْإِنْتِبَاهِ مِنْ رَقْدَةِ الْغَافِلِينَ، وَإِنَّمَا مَا أَنْفَعَ هَذِهِ الرَّوْعَةُ، وَمَا أَعْظَمَ قَدْرَهَا وَخَطَرَهَا، وَمَا أَشَدَّ إِعْانَتَهَا عَلَى السُّلُوكِ! فَمَنْ أَحَسَّ بِهَا فَقَدْ أَحَسَّ وَاللَّهُ بِالْفَلَاحِ، وَإِلَّا فَهُوَ فِي سَكَرَاتِ الْغُفْلَةِ فَإِذَا اِنْتَبَاهَ شَمَرَ اللَّهُ بِهِمْتَهِ إِلَى السَّفَرِ إِلَى مَنَازِلِهِ الْأُولَى، وَأَوْطَانِهِ الَّتِي سُبِّيَ مِنْهَا))^(١).

بداية الهدية هي الانتقال من تأله النفس والدنيا إلى تأله الخالق والآخرة، فيرى الدنيا على حقيقتها وبالتالي لم يحدث له انفعال ذهني أو تعجب أو دهشة أو انهيار أو رهبة أو مهابة أو استغراب أو تحير أو انزعاج أو ذهول أو تهيب أو إعجاب بقيمة المال أو الشهوات أو المناصب أو أي أمر من أمور الدنيا، وينظر إلى المال والشهوات والدنيا نظرة احتقار وليس نظرة تعظيم، وتتغير نظرته إلى ما حوله، فتكون نظرته للأشياء نظرة أخروية وليس نظرة دنيوية، فمثلاً لا ينظر إلى أصحاب الجاه والسلطان نظرة انهيار ولكن يتذكر أنهم صاروا إلى القبور ويتركون كل شيء، وكذلك ينظر إلى الظلمة على أنهم ضعفاء

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١٤٢ / ١)

مساكين وهم في النار يذبحون فيشق عليهم في الدنيا وهم يوردون أنفسهم موارد الهلاك: ((إِنِّي أَحَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٌ عَظِيمٌ))^(١) وهذا.

- وتحتغير نظرة الإنسان لنفسه، فبدلاً من أن يرى نفسه عظيماً يرى نفسه ضئيلة، وتحتغير نظرته للدنيا فبدلاً من أن يرى الدنيا عظيمة يراها ضئيلة.

- يقول شيخ الإسلام ابن القيم: ((اعلم أن القلب إذا خل من الاهتمام بالدنيا والتعلق بما فيها من مال أو رياضة أو صورة وتعلق بالأخرة والاهتمام بها من تحصيل العدة والتأهب للقدوم على الله عز وجل فذلك أول فتوحه وتبشيره فجره))^(٢).

شدة التاله يؤدي الى باقي عناصر التعلق:

- كل مشاعر الإنسان وهمومه وأعمال جوارحه تنشأ من شعوره بخطورة أمر ما (التاله)، فإذا كان أمراً خطيراً ولم يشعر بخطورته (عدم التاله) فلن يتأثر به ولن يعمل له، فعدم تأثر مشاعر الإنسان وحياته وعمله بالخلق والآخرة يرجع إلى عدم التاله.

- الإنسان يتأثر بالأمر ويعمل له على قدر شعوره بخطورته (التاله)، فإذا كان أمراً فائق الخطورة عاش حياته كلها بقلبه وجوارحه متأثراً بهذا الأمر من شدة التاله.

- جميع مشاعر الإنسان من الحب والكراهية والخوف والرجاء سواء لله أو للدنيا تنشأ من التاله، وبقدر التاله يكون قدر ذلك الشعور، وإذا استمر التاله استمرت المشاعر وإذا انقطع انقطعت المشاعر.

- فلكي يتحقق الخوف من النار لابد أولاً من حدوث خوف المهابة والتعجب من خطورتها.

- فمثلاً الإنسان يرى المال عظيماً وينبهر به (يتاله المال) فهذا يؤدي إلى حب المال وينشغل به همه وينشغل به عمله وتتجدد كثيراً ما يذكر المال، وكذلك فالإنسان يرى صفات الخالق وانعامه عظيماً (يتاله الخالق) فهذا

(١) الحديث: ٢٠

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣٥٢ / ٣)



يؤدي إلى حب الخالق وينشغل به همه وينشغل به عمله وتتجه كثيرة ما يذكر الله

- والعكس صحيح، فعدم وجود الدهشة والتعجب والتحير والاستغراب والذهول والتهيب والرعب والانزعاج والقلق والاضطراب والتحير من مدى هول وغرابة وخطورة ما في الجنة والنار يؤدي إلى غياب حب الجنة ورجاءها وكراهيّة النار والخوف منها وعدم شغل الهم بهما ولا يبني اعماله على أساس الوصول للجنة والنجاة من النار.

- وكذلك فعدم وجود الدهشة والتعجب والتحير والاستغراب والذهول والتهيب والرعب والانزعاج والقلق والاضطراب والتحير من مدى قدرة الله ومدى انعامه يؤدي إلى غياب الحب للخالق سبحانه.

- إذا كان الإنسان شديد التأله بالمال (رأه عظيماً جداً) تأثرت مشاعره بالمال حباً وفرحاً به ورجاءً واحتياقاً في الحصول عليه وخوفاً من ضياعه وحزناً وغضباً على فقده، وانشغل همه بقيمة المال وكيفية الحصول عليه، وخلقه السيء يرتبط بالمال حسداً لغيره وحقداً وطمعاً في المال، وأكثر كلامه عن المال وكيفية الحصول عليه، وكل عمله للحصول على المال وربما يقع في السرقة والرشوة للحصول على المال وغير ذلك، فهو يعيش للمال، كل ذلك ينشأ من كونه يرى المال عظيم القيمة جداً.

ـ التناقض بين اليقين والتأله:

- الطبيعي أن اليقين بخطورة أمر ما يؤدي إلى التأله من هذا الامر وهو التحير والدهشة والتعجب من مدى خطورته فيراه عظيماً في نظره فيؤدي ذلك إلى تعلق مشاعره به وانشغال همه به، لكن إذا كان اليقين كاذباً فإنه لا يؤدي إلى التأله.

- فقد يوقن الإنسان بضعف نفسه وقوه الخالق لكنه على العكس من ذلك يكون مغروراً بنفسه، أي يرى نفسه قوياً ويشعر أن له قيمة ومكانة وقدر وينظر لقدرة الله عليه ومراقبته له ولقاءه به يوم الحساب نظرة اهمال

وَعَدَمْ اهْتِمَامْ كَأْنَهْ أَمْرْ لَا قِيمَةْ لَهْ: ((قَالَ يَاقُومْ أَرْهُطِي أَعَزْ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَأَتَّحَدُتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا)).^(١)

- فهو يوقن ويعرف بأنه ضعيف لكنه لا يحب أن يكون ضعيفاً فيتجاهل أنه ضعيف ويتوهم أنه قوي فيري نفسه قوياً، وذلك من الغباء لأن التجاهل لن يغير من حقيقة الأمر شيء.

- وقد يوقن الإنسان بخطورة الآخرة وضاللة الدنيا لكنه على العكس من ذلك ينظر إلى الآخرة نظرة إهمال وينظر إلى الأموال والشهوات والمناصب نظرة انبهار على أنها ذات قيمة كبيرة ويعتبر المال أهم شيء في حياته، ويكون مغروراً بالدنيا، أي يرى الدنيا والمال عظيمين، وينظر لأصحاب الثروات نظرة انبهار وإعجاب وتعظيم وتقدير.

- وقد يوقن الإنسان بأن الأسباب لا تنفع ولا تضر لكن يراها عظيمة.

الفصل السابع

مفهوم تعلق المشاعر

- تعلق المشاعر هو العنصر الثاني من عناصر التعلق.
- تعلق المشاعر بأمر ما معناه أنه هو أكبر ما تحب وترجو وتخاف في حياتك.
- مشاعر الإنسان إما أن تكون متعلقة بالله والآخرة أو متعلقة بالدنيا ولا يوجد شيء ثالث.
- تعلق المشاعر بالخالق والآخرة يشمل كمال الحب لله وكمال الحب للجنة وكمال الرجاء فيها وكمال الكراهة للنار وكمال الخوف منها.
- البيقين الحقيقي بالخالق يؤدي إلى الحب الشديد وليس مجرد الحب إعجاباً بعظمة صفات الخالق وعظمة انعامه، كما يؤدي إلى الخوف والرجاء الشديد وليس مجرد الخوف والرجاء.

مفهوم شدة الحب والخوف والرجاء:

- شدة الحب والخوف والرجاء معناها أن تصل درجة الحب أو الخوف أو الرجاء لأحد من الناس إلى درجة أنك تسخر حياتك كلها في العمل بما يسره من مدى شدة حبك له أو من مدى شدة خوفك منه أو من مدى شدة رجاءك فيه
- شكر الإنسان لغيره يكون على قدر ما أنعم به عليك، فإذا كان انعامه لا حد له فأنت تسخر حياتك كلها في العمل بما يسره شكر الله.
- فإنعام الله على الإنسان لا حد له، فلو سلبت النعم من الإنسان أصبح الإنسان لا شيء لأن كل شيء هو نعم للإنسان وهذا يوجب عليه أن يعيش حياته خاضعاً للنعم شakra على نعمه.



- صاحب الصفات الحميدة محبوب وبخاصة صفة الاحسان اليك والى الآخرين، وتعبيرًا عن حبك له فأنت تعمل ما يسره في مرة أو عدة مرات، فإذا وصلت كل صفة من هذه الصفات الحميدة الى درجة الكمال فأنت تحبه لدرجة الكمال في الحب، وتعبيرًا عن كمال حبك له فأنت تعمل ما يسره في ليس في مرة أو عدة مرات ولكن تعيش حياتك كلها للعمل بما يسره تاركًا معيشتك لنفسك، فهذا هو أصل العبادة.

- اليقين بأن الله له الكمال في الصفات الحميدة يوجب أن تعيش حياتك له تعبيرا عن كمال حبك له، فإذا لم يؤدي اليقين الى شدة الحب لله تعالى فهو يقين كاذب.

- اليقين يؤدي الى شدة الحب لله تعالى وليس مجرد وجود الحب لله.

- هناك دوافع أخرى للعبادة وهي شدة الخوف والرجاء وتنشأ من اليقين بعظامه وشدة الثواب والعقاب، فأنت تعيش حياتك للعمل بما يسره من شدة خوفك أو من شدة رجاءك.

- صفات الخالق مؤثرة جدا ولا يكفي مجرد التأثر بها ولا بد من شدة التأثر، فما بالك بعدم تأثر الكثير بصفات الخالق سبحانه.

- وشدة التأثر تسمى بالتعلق، والتعلق عبارة عن أربعة عناصر هي شدة التأله (أكبر ما يدهشك) وتعلق المشاعر والهم الأكبر وتعلق الجوارح.

أهمية تحقيق المشاعر:

- هل تصدق أن هناك شيء في الدين نحن مطالبين بتحقيقه عبارة عن مشاعر؟، وهل تصدق أن تحقيق هذه المشاعر أهم من الصلاة والصوم وجميع الأعمال.

- هذه المشاعر هي الشعور بالحب والخوف والرجاء.

- الكثير يعتبرون كلمة المشاعر تستخدم فقط في الغناء واللهو.

- والكثير إذا أرادوا أن يلتزموا بالدين اجتهدوا في الأعمال ولا يعلمون أن تحقيق هذه المشاعر هي الأصل، والمشكلة الأكبر أنهم يحسبون أنها

متحققة عندهم والحقيقة أنها على العكس تماماً فلا حب لهم إلا للمال والشهوات ولا خوف ولا رجاء إلا في أمور الدنيا.

- والمشكلة الأخرى هي أن معاني الحب والخوف والرجاء ماتت فأصبحنا في حاجة إلى شرح ماذا تعني كلمة (حب) وكلمة (خوف) وهكذا، وأصبح الكثير يتوهمن أن حب الله والخوف منه ورجاءه تملأ قلوبهم.

- المشاعر عبارة عن أحاسيس وليس كلاماً أو اقتناعاً أو عملاً أو أموراً هلامية، فحب الله والخوف منه ورجاؤه عبارة عن أحاسيس إذا لم يحس بها الإنسان فهذه المشاعر غير موجودة عنده.

أسباب الحب وأسباب كمال الحب لله تعالى:

- حب الله يكون لصفاته الحميدة ولنعمائه، وكمال الحب يكون لمدى عظمة صفاته الحميدة ولمدى عظمة نعمائه.

مفهوم الشعور بالحب:

- هو الاعجاب والانبهار والسرور والبهجة والسعادة والفرح والانشراح والرضا والارتياح والطمأنينة والسكينة والانبساط والشعور باللذة والاحساس بالراحة والأنس وراحة البال والمزاج والهوى والميل والانسجام بالشيء لما فيه من صفات جميلة.

- الحب هو أحلى وأذل ما يشعر به القلب، ونحن في زمان كثر فيه الكلام عن الحب، فلا تحتاج إلى أن أذكر لك فوائد ومزايا وجمال ولذة ومتعة الحب.

- حب الله عبارة عن متعة وسعادة يحس بها الإنسان عندما يعرف مدى جمال صفات الله وعندما يعلم معنى لذة النظر إلى جمال ذاته فيشتاق إلى لقائه والنظر إليه ويأنس به ويحب ذكره، وفي التفسير الوسيط:

((وَتَطْمَئِنُ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ))^(١) إذا سمعوا ذكر الله أحبوه، واستأنسوا به))^(٢).

ـ حب الله لصفاته الحميدة:

ـ الصفات الحميدة مثل صفات القوة والسمع والبصر والصحة والغنى وامتلاك الأشياء والجمال، والإنعم والكرم والقدرة على النفع والضر.

ـ الصفات الضارة كالعجز والعمى والصمم والمرض والنوم والموت والتعب والفقر وعدم امتلاك الأشياء والقبح والأخلاق السيئة وعدم القدرة على الغير بالنفع أو الضر وعدم القدرة عن دفع البلاء عن نفسه، والبخل والظلم.

ـ الإنسان يحب الصفات الحميدة ويكره الصفات الذميمة، فمثلاً الإنسان لا يحب النظر إلى إنسان أعمى أو معوق أو أصابه حرق أو مريض، وكذلك لا يحب أن يصاحب إنساناً غبياً أو ضعيف البنية أو بخيلاً أو ليس بجميل المنظر أو ظالماً... إلخ، وعلى العكس فالإنسان القوي الذكي الكريم حسن المنظر يحبه الناس.

ـ والحب ينشأ من التأله من الصفات الحميدة حيث يندهش ويتعجب من مدى نفعها (يراهها عظيمة في نفعها) فينبهر بها ويعجبها.

ـ ومن الصفات الحميدة الجمال، فالإنسان يحب الله لجمال ذاته، ولاحظ أنه لا يمكن تصور صفات الذات: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ))^(٣) لأن جمال الله لا يقارن بأي جمال في العالم لمدى عظمته.

ـ فالإنسان يستطيع أن ينظر إلى جمال الطبيعة كالورود والأسماك والجبال فيرى الجمال الخلاب، لكنه لا يستطيع أن يتصور مدى جمال الخالق لأنه ليس له شبيه ولا نظير ولا يمكن قياسه على جمال الدنيا كلها لأن جمال عالٍ جداً جداً، فهو جمال أمنع من كل متع الجنة نفسها.

(١) الرعد: ٢٨

(٢) التفسير الوسيط للواحدى (١٥ / ٣)

(٣) الشورى: ١١

- حب الله لنعماهه وعدم الكراهيّة لسلب النعم:

- حب الله للنفع الحاصل من كونه الرب والوكيل والرزاق والمنعم والمجيّب والمغيث والشافي.
- الله سبحانه ينعم على الناس ولا يريد شيئاً منهم ويرحمهم ويغفر لهم ويحلم عليهم ويتصف بكل الصفات الحميدة الجميلة.
- ومن الصفات الحميدة الكرم والإنعم، فالإنسان يحب الكريم ولو لم يعطه شيئاً فالإنسان يحب الله لأنّه الكريم المنعم.
- فالإنسان يحب الله لأنّه الوكيل، فهو يتکفل بما يحتاجه العبد، فيتوكل العبد على الله وفي ذلك راحة وسعادة، ويحب الله لأنّه تواب غفور رحيم ودود فيتوب على من أذنب ويغفر له ويتودّد إلى عباده، فأنت إذا أخطأت في حق ملك من ملوك الدنيا وخالفت أمره فقد يبطش بك ولكن الله يظل يغفر لك طالما أنك تتوب مما كثرت الذنوب، فذلك يؤدي تلقائياً إلى محبته.
- والله يرشد الإنسان لطريق الهدایة ويهديه ويعينه ويحب له الخير وأرسل إليه الرسال ليرشده إلى ما فيه نجاته وسعادته، والإنسان يحب من يرشده للخير ويحب من يهديه.
- والإنسان يحب الله لأنّه يجيب الدعاء، فكلما احتجت إلى أي شيء دعوته في أي وقت، فالله عند القوة التي تحميّك وعنه كل ما تريده وتطلب في الدنيا والآخرة.
- والإنسان يحب الله لأنّه يعطي الحسنة بعشر أمثالها ويضاعف لمن يشاء، والسيئة بمثلها فقط.
- وعدم الكراهيّة لسلب النعم، فالذّي يشعر بأنّ الله هو المالك لكل النعم فإنه يصبر على سلب النعمة لأنّها ليست ملكاً له وليس حقاً له ويرضى بذلك، ففي تفسير ابن كثير: ((الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لـه وـإـنـا

إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} (إِنَّ اللَّهَ أَيْ تَسْأَلُوا بِقَوْلِهِمْ هَذَا عَمَّا أَصَابَهُمْ وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ مِلْكُ لِلَّهِ يَتَصَرَّفُ فِي عِبَادِهِ بِمَا يَشَاءُ))^(١).

- فالإنسان يحب الله لأن الله يريد للإنسان الخير، وما يحدث للإنسان من ابتلاءات هو خير له لكي يفيق من غفلته، كما أن الابتلاءات والمصائب فيها تكفير للذنوب، وفي الحديث: ((يَوْمُ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ التُّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرْضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيْضِ))^(٢).

- إن الذي يشعر بأن حياته وكل شيء ملك الله وإنما هي نعم وعارية يستردها مالكها فعند الموت يكون راضيا لأن الله يأخذ ما يملكه ويكون شاكرا الله لأنه أعطاه هذه النعم طوال هذه المدة تنعم بها بغير استحقاق فتخرج الروح سهلة، لكن الإنسان الذي يشعر أنه هو الذي جلب النعمة لنفسه من عقله وكده وتعبه فعند الموت لا يريد أن يترك النعم فتخرج روحه بصعوبة لتعلقها بهذه النعم، ويكره من يقبض روحه، فعندما يأتيه الموت يكره هذا القدر.

ـ صفة القوة للخالق سبحانه تدعوه لحبه:

- يجب أن نفهم أولاً معنى العلاقة بين القوي والضعيف لأن البعض يخلط بينها وبين العلاقة بين الظالم والمظلوم لذلك تجدهم يقفون مع الضعيف وينحونه ضد القوي ويكرهونه.

- الذي يظلم يفعل ذلك لأنه لديه احتياج لأمر ما يستمد من غيره، وهذه صفة ضعف ونقص، ولو أن إنساناً اعنى على غيره فأفقده قواه بغير حق أو أخذ منه ماله بغير حق فهو ظالم، والظلم صفة نقص وذم، والاحتياج إلى الغير صفة نقص وذم، أما القوي بحق ليس لديه احتياج أو نقص ليظلم غيره، بل إنه من صفات القوة أن يعين القوي الضعيف، فالقوي محمود ومحبوب دائماً.

(١) تفسير ابن كثير - دار الكتب العلمية (٣٣٨/١)

(٢) تحقيق الألباني: حسن (الصحيحه: ٦٢٢)



- كما أن القوي بحق هو الذي لم يكتسب قوته من غيره فهـي قـوة في ذاتـه، والـضعـيف بـحق هوـ الذي لمـ يـأخذـ منهـ أحدـ قـوـتهـ فهوـ ضـعـيفـ فيـ ذاتـهـ، والـضعـيفـ عـلـيـهـ انـ يـنـقـادـ لـلـقـويـ، وـلـيـسـ ذـلـكـ عـلـاقـةـ بـيـنـ ظـالـمـ وـمـظـلـومـ.

- إذا علمـتـ أنـ هـنـاكـ رـجـلـ صـنـعـ بـطـولـاتـ أوـ اـسـطـاعـ أنـ يـسـجـلـ رقمـاـ قـيـاسـياـ فيـ مـسـابـقـةـ ماـ فـأـنـتـ تـفـتـخـرـ بـهـ وـتـشـيـدـ بـهـ وـتـعـجـبـ بـهـ وـتـعـجـبـ بـمـاـ صـنـعـ وـتـحـبـهـ وـتـسـعـدـ بـلـقـائـهـ.

- فالـإـنـسـانـ يـحـبـ صـفـاتـ الـقـدـرـةـ وـالـقـوـةـ لـعـظـمـتـهـ وـمـكـانـتـهـ أـيـ إـعـجاـباـ بـعـظـمـتـهـ.

ـ صـفـةـ الـمـتـكـبـرـ لـلـخـالـقـ سـبـانـهـ تـدـعـوـ لـحـبـهـ إـعـجاـباـ بـعـظـمـتـهـ:

- الـأـعـمـىـ يـلـبـسـ نـظـارـةـ سـوـدـاءـ لـيـخـفـيـ صـفـةـ قـبـيـحةـ، فـاـذـاـ لـبـسـ الـمـبـصـرـ نـظـارـةـ سـوـدـاءـ مـثـلـ الـتـيـ يـلـبـسـهـ الـأـعـمـىـ فـهـيـ صـفـةـ ذـمـ.

- الـإـنـسـانـ الـقـوـيـ يـظـهـرـ قـوـتـهـ لـلـنـاسـ لـاـ لـكـيـ يـظـلـمـهـ وـلـكـنـ لـأـنـ إـظـهـارـ الـقـوـةـ هـوـ أـيـضـاـ صـفـةـ قـوـةـ وـإـنـ أـخـفـيـ قـوـتـهـ فـهـيـ صـفـةـ ضـعـفـ.

- مـعـنـىـ الـمـتـكـبـرـ أـيـ الـذـيـ يـظـهـرـ أـنـ لـهـ سـلـطـةـ وـالـسـيـطـرـةـ وـالـهـيـمـنـةـ وـالـعـلـوـ عـلـىـ غـيـرـهـ مـمـنـ لـهـ صـفـاتـ الـضـعـفـ وـالـنـقـصـ لـيـبـيـنـ لـغـيـرـهـ أـنـهـ ضـعـيفـ مـقـهـورـ تـحـتـ أـمـرـهـ فـهـوـ يـتـكـبـرـ عـلـيـهـ.

الـلـهـ لـاـ يـتـكـبـرـ عـلـىـ الـإـنـسـانـ لـكـيـ يـظـلـمـهـ وـلـكـنـ لـيـعـرـفـهـ حـقـيـقـةـ ضـعـفـهـ.

- أـمـاـ الـإـنـسـانـ الـذـيـ يـتـكـبـرـ عـلـىـ غـيـرـهـ مـنـ النـاسـ فـهـوـ يـظـهـرـ أـنـ لـهـ سـلـطـةـ وـمـكـانـةـ عـلـىـ غـيـرـهـ وـالـحـقـيـقـةـ أـنـهـ ضـعـيفـ وـكـلـ الـبـشـرـ ضـعـفـاءـ وـالـلـهـ وـحـدـهـ هـوـ الـقـوـيـ فـهـوـ تـكـبـرـ بـغـيـرـ حـقـ فـهـوـ فـيـ الـبـشـرـ صـفـةـ ذـمـ.

ـ حـبـ الـجـنـةـ:

- الـحـبـ عـبـارـةـ عـنـ مـتـعـةـ وـلـذـةـ، فـمـنـ لـمـ يـجـدـ فـيـ مـحـبـةـ الـجـنـةـ مـتـعـةـ وـلـذـةـ فـهـوـ لـاـ يـحـبـ الـجـنـةـ.

- كـثـيرـ مـنـ النـاسـ يـدـأـعـونـ حـبـ الـجـنـةـ وـالـشـوـقـ إـلـىـ الـحـورـ الـعـيـنـ، فـهـلـ عـنـدـكـ نـفـسـ الـحـالـةـ الـنـفـسـيـةـ الـمـوـجـوـدـةـ عـنـدـ مـحـبـ يـشـتـاقـ إـلـىـ مـحـبـوـتـهـ؟ إـذـنـ فـالـحـورـ

العين لا وجود لها في مشاعرك، كأنها مصنوعة من البلاستيك وليس نساء جميلات.

ـ الدافع إلى كمال الحب (المحبوب الأعظم):

ـ إذا أنعم عليك أحد بعطاًء فانت تطيعه حباً له وذلك بحسب مدى انعامه عليك، فان كان انعامه لا حد له توجهت بكل عملك له وتعلقت به بكل جوارحك.

ـ فضل الله على الإنسان لا حد له ونعمه لا تحصى مع شدة الاحتياج إليها فيؤدي ذلك إلى كمال الطاعة حباً لله تعالى، فأنت تعيش مرهوناً بعطائه فمن غيره تموت، ذليلاً لعطائه محتاجاً لعطائه، فبغير عطاءه ونعمه لا تستطيع أن تتنفس، فالنفس والهواء نعمة، فأنت عبد إحسانه خاضع لما يوجد به عليك، وكما يقولون فالإنسان أسير الإحسان.

ـ فالإنسان يطيع الخالق حباً له، فتخيل أنك تعيش في مسكن أحد الناس وتأكل من طعامه وينفق عليك من ماله فبماذا تشعر وكيف يكون حالك؟ وكذلك الحال مع الله فالمسكن الذي تسكن فيه ليس ملكاً لك، إنما هو ملك الله.

ـ إذا كان هناك أحد أقوى منك ويقدر عليك ولكنه لا يريد أن يؤذيك ولا يرضي بأن يظلمك أبداً، فأنت تطيعه حباً له، وذلك بحسب مدى قدرته عليك، فإن كانت قدرته لا حد له توجهت بكل عملك له وتعلقت به بكل جوارحك.

ـ الإنسان يحب الصفات الحميدة ويكره البغيضة، وذلك بحسب درجة قوّة هذه الصفات.

ـ صفات الله سبحانه ليست مجرد صفات موجودة ولكنها تصل إلى حد الكمال من العظمة، فهي صفات خارقة فوق كل التصورات، فالله هو الخالق ولكنه لم يخلق واحداً من البشر أو شيئاً واحداً ولكن قدرته على الخلق هائلة فهو خلق كل هذه البشرية التي لا تُعد ولا تحصى، وكل هذا الكون الهائل جداً، والله هو العليم ولكن علمه ليس لما يحدث مع إنسان واحد أو اثنان ولكن علمه مع كل البشرية وكل الذرات والجزيئات وكل

ساكن وكل متحرك وفي نفس الوقت، والله يرى كل شيء والحواجز لا تمنعه من رؤية أي شيء حتى ما يكون في الظلام ويرى ما يحدث داخل الذرة، وكذلك يسمع كل من يتكلم وكل ما يصدر عنه صوت حتى ولو كان دبيب نملة على الأرض وكل ذلك في آن واحد، والله يستطيع أن يلغي الزمان والمكان ويلغي قوانين الأسباب ويفعل كل ما يريد في أقل من لحظة، وهكذا.

- وكذلك المقارنة بين الصفات الحميدة عند الخالق والمخلوق، فصفات الخالق ليست أكبر بقليل ولا بأضعاف ولكن إلى ما لا نهاية، بل إن الصفات الحميدة عند المخلوق تساوي صفر لأنها مستمدة من الله تعالى.

- وأنت إذا رأيت ساحراً يقوم بأعمال سحر فأنت تعجب به وتتبهر بما يعلمه، فإن قدرة الله أكبر مما يعلمه الساحر في أنها قدرة كبيرة على عمل أي شيء، وفي أنها قدرة حقيقة وليس سحرًا وخيالًا، فمثلاً عندما خرجت ناقة صالح من الصخرة لم تكن خيالاً حتى أنهم ذبحوها وأكلوها، وقدرة الله على خلق السماوات أغرب من السحر وهي حقيقة وليس سحرًا.

- فإذا وصلت الصفات الحميدة إلى درجة الكمال فذلك يؤدي إلى الكمال في الحب، وكذلك إذا وصلت صفات الانعام إلى درجة الكمال فذلك يؤدي إلى الكمال في الحب، فالإنسان يخضع لله تعظيمًا وإجلالًا وتوقيرًا بسبب كمال حبه في عظمة الله وكمال حبه لإنعامه.

- فالمطلوب من الإنسان ليس فقط تحقيق حب الله ولكن المطلوب منه الحب الشديد لله تعالى، فالإنسان قد يحب أشياء كثيرة ولكن ما هو الشيء الذي يستحوذ على حبك كله فتحبه بكل قلبك فتتعلق به أشد التعلق؟

- من الناس من يكون محبوبه الأعظم هو المال أو الشهوات فلا يستطيع أن يبتعد عما يحب.

- كمال حب الله تعالى معناه كمال الإعجاب والانبهار من روعة وجمال وعظمة الصفات المبهرة الهائلة للخالق سبحانه وكذلك من مدى عظمة إنعامه.

- الله فقط هو الذي يُحب لذاته لأنه يمتلك كل صفات النفع وما عند غيره هو عطاء من الله تعالى، فحب ما دون الله لما فيه من صفات حميدة هو حب في الله تعالى.

- وكذلك لا يجب أن يخاف الإنسان إلا من الله ولا يرجوا إلا الله تعالى، فكل ما دون الله هو خوف في الله ورجاء في الله، لأنه لا أحد ينفع أو يضر إلا الله تعالى، فالخوف من النار ومن يوم القيمة هو في حقيقته خوف من الله تعالى، والخوف من أسد يهجم عليك هو في حقيقته خوف من الله في أن ينالك أذى من خلال هذا الأسد.

- لاحظ أنه يستثنى الحب الفطري الذي جبل الإنسان عليه مثل حب الزوجة.

مفهوم الشعور بالكرابية:

- هو الشعور بالألم والحزن والضيق والاحساس بعدم الارتباط والغضب والاشمئزاز والسطح والغم والاكتئاب والتوتر والضجر ولا يطيقه ويضيق منه.

- وتنشأ من التأله من صفات الضرر حيث يندهش ويتعجب من مدى ضرره فيكرهه ويشمئز منه.

مفهوم كراهيّة النار:

- إذا ذهبت إلى قسم الحرائق بأحد المستشفيات ونظرت كيف تفعل النار في الجسم، بماذا تشعر؟، وهذا بعد أن حدث الحريق فما بالك لو رأيت حادثة ما فيها أحداً يحترق، فلا يستطيع الإنسان أن ينظر إلى هذا الامر لأنه منظر فظيع وبشع يجعل الإنسان يشعر بالتألم والكرابية والاشمئزاز.

- فإذا لم يتحقق عندك التأله من مهابة نار الآخرة ولم تشعر بالألم والضيق والحزن والضجر والكرابية ل بشاعة منظرها وبداخلها أشخاص يُسمع لجلودهم أزيزًا من الاحتراق مثلاً توضع الدجاجة في النار لتشوى فالنار في نظرك عندئذ لا تنفع ولا تضر مثل النار التي وضع فيها سيدنا إبراهيم



عليه السلام، فإن نار الآخرة في الاقتناع عذابها شديد، أما نار الآخرة في مشاعر البعض فإنها نار لا تحرق قد سلبت منها خاصية الإحراق، فنار الآخرة لا وجود لها في مشاعر البعض.

مفهوم الشعور بالخوف:

- هو الشعور بالرهبة والخشية والاشفاق والنفور والقلق والتوتر والاضطراب والهلع والرعب وترتعد فرائصه.
- وتنشأ من التأله من صفات الضرر من حيث وصوله للإنسان حيث يندهش ويتعجب من مدى ضرره الذي يصل إلى الإنسان فيخافه ويخشى وصوله إليه.
- انظر إلى طالب في الثانوية العامة، فإنه قد يأخذ حالة طوارئ ويتهميًّا، لأنه أمر مصيري يتحدد عليه مستقبله، إنه يكون في فلق واضطراب وخوف وترقب حتى تظهر النتيجة، إن الحالة النفسية التي عنده هي التي تسمى خوف، فإذا كنت تدعى الخوف من الآخرة فهل عندك هذه الحالة النفسية؟ وانظر إلى حالته وهو في انتظار النتيجة، انظر إلى حالته المزاجية وانشغال بالله بالنتيجة، فإن الشعور الحقيقي يظهر على الوجه ويؤثر في وجده وربما يأرق من النوم وتقل شهيته للطعام.
- انظر إلى إنسان مطلوب منه أن يقوم بعمل معين وإلا يتعرض مثلاً للفصل من العمل، انظر إلى حالته النفسية قبل وأثناء وبعد تأدية العمل فتجد حالة نفسية مميزة للخوف، وانظر إلى قوة هذه الحالة النفسية واستمراريتها والشعور بها، وحتى بعد العمل يظل خائفاً هل أداه على ما يجب أم أنهم لن يرضوا عن هذا العمل.
- هل خوفك من القيام بعمل يعاقب عليه القانون مثل خوفك من القيام بمعصية، فأين خوفك من عقاب الله، وهل ندمك وحزنك على الواقع في معصية مثل حزنك على ضياع مائة جنيه مثلاً، وهل الحالة النفسية التي تشعر بها في هذا مثل هذا؟!

٦- مفهوم الخوف من النار:

- إذا قارنت بين الحالة النفسية المميزة للشعور بالخوف من أي أمر دنيوي وبين الحالة النفسية للخوف من الآخرة والنار تجد حالة خوف حقيقة هائلة في النفس من الأمر الدنيوي في حين لا تجد أي شعور نفسي حقيقي عند من يدعى الخوف من النار، وإذا افترضنا أنه وجد فلا يساوي واحد على ألف من أقل شيء مخيف في الدنيا، إذن فالنار لا وجود لها في مشاعرك، إنما هي في الاقتناع وليس في الشعور، لأنها حدوثة تستخدم لتخويف الأطفال!

٧- مفهوم الخوف الشديد (كمال الخوف):

- مقدار الخوف من الشيء يكون بحسب مدى ما فيه من الضرر، فإذا كان ذلك الضرر يصل إلى الكمال في ضرره فيصل الخوف منه إلى كمال الخوف، فليس المطلوب مجرد الخوف من الله لكن الخوف الشديد (كمال الخوف) الذي هو أعظم شيء تخافه في حياتك، والذي قد يصل لدرجة أنه تقشعر منه الجلد ويفقد له شعر الراس وتزداد فيه ضربات القلب بدليل قوله تعالى: ((اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَثَانِيٌّ تَقْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ))^(١).

٨- لماذا تخاف من النار طالما أنك تعبد الله؟ ولماذا تتأثر بالبعث ولقاء الله تعالى؟:

- نحن نفهم الأمر بصورة معكوسة، فأنت تخاف من النار وبالتالي تعبد الله خوفا من عقابها ولست تعبد الله وبالتالي لا تخاف من النار، وكلما زاد خوفك قويت عبادتك وكلما قل خوفك ضعفت عبادتك، ومجرد الخوف من النار لا يؤدي إلى العبادة ولكن شدة الخوف من النار هي التي تجعلك تعيش حياتك عابدا الله خوفا من النار.

- ونحن نحسب أن العبادة مجرد أعمال معينة وبالتالي فهي أمرا سهلا، ولكن العبادة أمرا صعبا؛ لأن أصل العبادة أن تعيش خاضعا والخضع

(١) الزمر: ٢٣

صعب جدا على النفس، لذلك فالذي يجعلك تحقق العبادة لابد أن يكون دافعا قويا جدا وهو شدة الحب والخوف والرجاء.

- الموت والبعث ولقاء الله أمر مؤثر يدعوك إلى الدهشة (التاله) وهو خوف من مهابة الامر وليس خوفا من العقاب، ف تكون نظرتك إلى الموت والبعث ولقاء الله نظرة اهتمام وليس نظرة اهمال.

ـ مفهوم الشعور بالرجاء:

- هو الاشتياق والتطلع والرغبة والأمل والتمني واللهفة والتطلع والترقب والشوق والاستشار، وفيه فرح وانشغال بهم بالأمر الذي يتمناه ويحلم به ويرغبه ويأمله ويتوثق إليه.

- وينشأ من التاله (الدهشة) من صفات النفع من حيث وصوله للإنسان حيث يندهش ويتعجب من مدى النفع الذي يصل إلى الإنسان فيرجوه ويتعلق به.

- الإنسان الذي يعيش من أجل أمر دنيوي كلما مر عليه يوم يشعر بأنه اقترب من تحقيق طموحه الدنيوي فيزداد نشاطاً للدنيا، والذي يعيش مشتاقاً للجنة كلما مر عليه يوم شعر بأنه اقترب منها، فالرجاء فيه شوق وحنين وفرح وحب وتعلل وانطلاق وشعور بالهدف الذي يسعى إليه، فإذا كنت تدعى أنك ترجو الله واليوم الآخر فهل عندك مثل الحالة النفسية التي تكون عند من يرجو ويهدف إلى القيام بعمل دنيوي كمشروع تجاري أو السعي لمنصب أو جاه أو شهوة؟

- إن متع الدنيا تجد المشتاقين إليها، فأين المشتاقون إلى الجنة؟ ذلك لأن الجنة غير موجودة في المشاعر، ومن يدعى أنه يشترط إلى الجنة وليس عنده نفس الحالة النفسية لشخص يشترط إلى محبوبه فهو كذاب.

ـ مفهوم كمال الرجاء:

- مقدار الرجاء في الشيء يكون بحسب مدى ما فيه من النفع والخير، فإذا كان ذلك النفع يصل إلى الكمال في نفعه وما دونه بالنسبة له لا ينفع ولا يضر فيصل الرجاء فيه إلى كمال الرجاء، فليس المطلوب مجرد

الرجاء في الجنة ولقاء الله لكن الرجاء الشديد (كمال الرجاء) الذي هو أعظم شيء ترجوه في حياتك وتتلهف إليه بشدة ويسطير على تفكيرك وهمك.

- فإذا كان أكبر ما يطمح إليه الإنسان ويرجوه ويتمناه ويحلم به ويرغبه ويأمله هو تجارة أو مال أو شهوات أو منصب وجاه، فهذا معناه أن هدفه الدنيا، وإذا كان أكبر ما يطمح إليه الإنسان ويرجوه ويتمناه ويحلم به ويرغبه ويأمله هو رضا الله والجنة، فهذا معناه أن هدفه رضا الله والجنة.

ـ الخوف والرجاء ينشأ من الحب والكره:

- الحب هو شعور بالإعجاب والانبهار والانبساط لمدى ما في شيء من صفات حميدة ونافعة وإن لم يصل إليك نفع منه، وهو شعور فيه لذة وفرح وسرور وانشراح، ويؤدي إلى شعور بالرجاء في وصول النفع منه.

- الكراهة هي شعور بالألم والحزن والضيق والكآبة والغضب لمدى ما في شيء من صفات ذميمة وضارة وإن لم يصل إليك ضرر منه، ويؤدي إلى شعور بالخوف من صول الضرر منه.

ـ ادعاء تأثر المشاعر بالله والآخرة:

- كل إنسان يدعى أنه يحب الله وي الخاضع له ويحافظه ويرجوه، ولا يسأل نفسه هل هو يشعر في قلبه بحب الله حقاً؟ وهل يشعر بالذل والاستسلام لله حقاً؟ وهل هو يخاف من الآخرة ويحمل لها هما حقاً؟ وهل هو يشتاق ويتهلهل إلى الجنة حقاً؟ ولا يتبيّن طبيعة وحقيقة هذه المشاعر، ولا يهتم لأن المسألة غير مهمة، ولكي يهرب من مواجهة نفسه أمام نفسه، وقد يدعى أن هذه الأمور موجودة بالفطرة عند كل الناس أو يدعى أن هذه الأمور هي عند المقربين وهي لمن يريد الدرجات العليا في الجنة وليس مسألة خلود في الجنة أو خلود في النار، أو يدعى أن هذه المشاعر موجودة بالفعل عنده في حين لا توجد عنده الحالة النفسية المميزة لكل شعور من هذه المشاعر، فهذه المشاعر غائبة تماماً من قلبه وهو في

الحقيقة لا يحب إلا الدنيا ولا يخاف إلا منها ولا يرجو غيرها ولا يعيش إلا لها.

- مشاعر حب الله والخوف منه ورجائه والخوف من الآخرة تحولت عند بعض المسلمين إلى عبارات محفوظة مقدسة وليس مشاعر حقيقة يحس بها الإنسان في داخله، فليس لها وجود في قلوبهم رغم أنهم يدعون وجود هذه المشاعر في أنفسهم، وهي في الحقيقة أصبحت مفرغة من معناها.

- فرغم أن هذه المعاني بسيطة ويعرفها الصغار والكبار لكن مات معناها الحقيقي، لذلك أصبحنا نحتاج إلى توصيف وتعريف معنى شعور الإنسان بالخوف أو بالحب أو بالخضوع حتى يستطيع أن يعرف الإنسان في نفسه بدقة هل هذه المشاعر موجودة أم لا؟

- ورغم بساطة هذه المشاعر فهي من شروط الإيمان، ومع ذلك لا يهتم أحد بتوصيفها للتأكد من وجودها أم لا، وقد يعتبر توصيف هذه المشاعر نوعاً من الفلسفة رغم أهميتها.

- الذي يدعي الخوف من الله لابد أن يشعر بما يشعر به الإنسان الذي يخاف من أمر من أمور الدنيا بل أشد، والذي يدعي حب الله لابد أن يشعر بما يشعر به الإنسان الذي يحب أمراً ما من أمور الدنيا بل أشد، فلابد من وجود الحالة النفسية والوجدانية والمزاجية والحالة الانفعالية المناسبة لكل شعور وما فيها من الشعور بالضيق أو الألم أو الشعور بالفرح والسرور، وإن هذا الشعور غير موجود وهو مجرد ادعاء، فالخوف فيه شعور بالقلق واضطراب داخلي، والحب فيه شعور بالفرح وهكذا.

- فحب الله والخوف منه ورجائه ليست أشياء هلامية غير مفهومة وإنما هي من نفس جنس المشاعر التي يعرفها الإنسان ويشعر بها في الدنيا، فإذا أردنا تعريف الحالة النفسية للخوف مثلاً فنقول هي الحالة النفسية التي تحدث للشخص عندما يتعرض لخطر ما (مثلاً طالب ينتظر نتيجة امتحان)، وتفسير هذه الحالة النفسية من داخل النفس واضح يشعر به كل

إنسان وإن صعب عليه التعبير عما يحس به، أو مثلاً الغضب تجد له انفعالاً عصبياً داخلياً يشعر به الإنسان الغاضب كما يظهر على سلوكه وانطباعاته، أو مثلاً الطمأنينة هو حالة نفسية فيها شعور بالارتياح والسكينة... إلخ.

- ملاحظة:

- مهما وصفت لك الحالة النفسية لكل شعور من المشاعر فلن تكون مثل الحالة النفسية لـإنسان حققها فعلاً، فمهما وصفت لك حال الطالب عند الامتحان وما ينتابه من قلق وخوف فلن يكون مثلاً تعانين أنت هذا الأمر فتشعر بهذا الشعور، ففي الحديث: ((لَيْسَ الْحَبْرُ كَالْمُعَايَنَةِ))^(١).

- ومهما وصفت لك عن طبيعة المشاعر التي ينبغي أن يشعر بها المسلم من حب الله والخوف منه ورجائه والخوف من الآخرة فهي أمور شعورية وليس أمور معرفية، والإنسان الذي يشعر بألم أو بلذة قد لا يستطيع أن يصف لك ما يشعر به، لأن الألم واللذة هو شيء له طعم يذوقه ويشعر به وقد لا يستطيع أن يعبر عنه.

- إذا لم تكن تشعر بشيء من الحالة النفسية للشعور بحب الخالق أو بشيء من الحالة النفسية للشعور بالخوف والرراء فهذا معناه غياب هذه المشاعر.

- وقد يحسب البعض أن حب الله معناه طاعته، فحب الله هو شعور من المشاعر التي في القلب وليس عملاً بالجوارح، والطاعة هي أثر لهذا الحب ودليل عليه، ومعنى الآية: ((فَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي))^(٢)، أي إذا كنت فعلاً صادقاً محققاً لحب الله في قلبك فلماذا لا تطعه.

(١) تعليق الشيخ الألباني: صحيح (المشاكاة: ٥٧٣٨)

(٢) آل عمران: ٣١

٤- الفرق بين تحقيق مشاعر الإيمان والاقتناع بالعمل على تحقيقها:

إن العبرة بتحقيق مشاعر الإيمان، وليس العبرة بالاقتناع بها وتمني التحلي بها والدعوة إليها وتعليمها الناس ولا حتى السعي نحوها دون الوصول لتحقيقها، فمن هذا حاله فلا فائدة من عمله: ((أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْهَسُونَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتَلَوَّنَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقُلُونَ))^(١)، وفي الحديث: ((مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه مثل الفتيله تضيء للناس وتحرق نفسها))^(٢)، وحتى لو كان الإنسان عالماً بكل أمور الدين والدنيا من غير أن يحقق مشاعر الإيمان فلا يعني ذلك عنه شيئاً، ومن الناس من يظل طول عمره يقول أنا مقصراً في هذه المشاعر وأريد تحقيقها: ((قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (١٤) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا حَامِدِينَ))^(٣)، فهذه المشاعر من الثوابات التي يقرها الجميع وعلى اقتناع تام بأهميتها وأهمية تحقيقها، ولكن من يتحققها فعلاً؟! ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ))^(٤)، وإنك لتجد الكثير ممن يدعى أنها متحققة في نفسه: ((فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ))^(٥)، ((وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ))^(٦).

٥- العلامات التي تدل على غياب تعلق المشاعر:

العلامات التي تدل على غياب تعلق المشاعر هي غياب باقي عناصر التعلق.

عناصر التعلق مرتبطة ببعضها البعض، فالذي يحب أحدها يكون ذكره دائماً على لسانه وفي مجالسه ويحب الحديث عنه وينشغل به همه ويطبعه.

(١) البقرة: ٤

(٢) تحقيق الألباني: صحيح (انظر حديث رقم: ٥٨٣٧ في صحيح الجامع)

(٣) الأنبياء: ١٤، ١٥

(٤) الصاف: ٢

(٥) العنكبوت: ٣

(٦) العنكبوت: ١١

- والذى يحب أحدا بكمال الحب فهو يتأنه المحبوب ويظهر من سلوكه شدة التعلق بمحبوبه وانشغال همه به وذكره له وخضوعه لأمره: ((فُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي))^(١)، والذى يخاف من شيء يهرب منه وهكذا.

- تعلق المشاعر بالله معناه وجود باقى عناصر التعلق، والمشاعر لا يمكن أن يصنعها الإنسان أبداً مهما حاول، والشيء الوحيد الذي يحقق المشاعر هو المعرفة واليقين الحقيقى بالله والآخرة، فمن عرف الله أحبه وخافه ورجاه، ومن شدة حبه وخوفه ورجاءه يختار أن يعيش حياته خاضعاً لأوامر الله حباً وخوفاً ورجاءً.

- أساس التعلق الحب، وجميع عناصر التعلق مرتبطة بالحب، فالحب الشديد لأى أمر معناه شدة التعلق به ويظهر ذلك في سلوكه وكلامه واهتمامه وناته وعمله ويكون ذلك هدفه الذي يعيش له.

- عدم وجود التعلق بالخلق والآخرة معناه عدم وجود حب الله وجود حب الدنيا بدلًا منه، فإذا كان الإنسان متعلقاً بالمال بقلبه ويلهث وراءه بجواره ولا هم له غيره وردد افعاله وانفعالاته لا تتأثر إلا بالمال فهذا معناه أن حب الله غير موجود في قلبه أو أنه يؤثر حب الدنيا على حب الله تعالى.

- شدة حب الدنيا معناه غياب حب الله تعالى، والتعلق بالدنيا معناه غياب التعلق بالله والآخرة:

- مشاعر الإنسان إما أن تتجه للنفس والدنيا أو تتجه إلى الله والآخرة، وإذا كانت كثيراً في جانب كانت قليلاً في الجانب الآخر، فكلما زاد ارتباط الإنسان بنفسه وبالدنيا وأمورها كلما نقص ارتباطه بالله والآخرة.

- وكلما نقص حب الدنيا زاد حب الله تعالى والعكس صحيح، وإذا لم يكن في القلب سوى حب المال والشهوات والدنيا فلا يوجد شيء اسمه حب الله مطلقاً.

(١) آل عمران: ٣١

- وكذلك فالإنسان لديه خوف وقلق بشأن وجود وظيفة ومسكن والتغلب على أعباء الحياة والتغلب على مشاكله الخاصة والحصول على النفقات التي تمكّنه من الزواج وغير ذلك من أمور الدنيا ومخاوفها، وقد يكون خوفه وقلقها بشأن النجاة من النار وأهوال القيمة، وكلما زاد خوفه من مخاوف الدنيا قل خوفه من مخاوف الآخرة، والعكس صحيح.

- الإنسان يعيش حياته خائفاً وراجياً، فإنما أن يعيش خائفاً من ضياع الدنيا والمال ورجاءً في الحصول على الدنيا والمال، أو يعيش حياته خائفاً متربقاً لقاء الله تعالى مشتاقاً إلى الجنة.

- فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ((كُلُّمَا قَوِيَتْ مَحَبَّةُ الْعَبْدِ لِمَوْلَاهُ صَعَرَتْ عِنْدَهُ الْمَحْبُوبَاتُ وَقَلَّتْ، وَكُلُّمَا ضَعَفَتْ كَثُرَتْ مَحْبُوبَاتُهُ وَانْتَشَرَتْ، وَكَذَا الْحَوْفُ وَالرَّجَاءُ وَمَا أَشْبَهُهُ دَلِيلَ، فَإِنْ كَمْلَ حَوْفُ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ لَمْ يَحْفَ شَيْئاً سِوَاهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْشُونَهُ وَلَا يَحْشُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ} (١)، وَإِذَا نَفَصَ حَوْفُهُ حَافَ مِنْ الْمَخْلُوقِ وَعَلَى قَدْرِ نَفْصِ الْحَوْفِ وَزِيَادَتِهِ يَكُونُ الْحَوْفُ كَمَا ذَكَرْنَا فِي الْمَحَبَّةِ وَكَذَا الرَّجَاءُ وَغَيْرُهُ) (٢).

- فالإنسان إما أن يؤثر حب الدنيا على حب الله والآخرة فيجعل حبه كله للدنيا أو العكس:

- ((فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَأَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى)) (٣) ((وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٢) الَّذِينَ يَسْتَحْبُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ)) (٤)، ((كَلَّا بِلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ)) (٥)، ((إِنَّ هُوَ لَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا)) (٦)، ((ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا

(١) هود: ٩٢

(٢) مجموع الفتاوى (٩٤ / ١)

(٣) النازعات: ٤١ - ٣٧

(٤) إبراهيم: ٣ ، ٢

(٥) القيمة: ٢٠

(٦) الإنسان: ٢٧

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ))^(١)، ((بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا))^(٢)، ((كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةِ))^(٣)، ((وَأَمَّا مَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى))^(٤).

- والانسان اذا ترك تعلقه بالدنيا تعلق بالله والآخرة، فيقول شيخ الإسلام ابن القيم: ((اعلم أن القلب إذا خلى من الاهتمام بالدنيا والتعلق بما فيها من مال أو رياضة أو صورة وتعلق بالآخرة والاهتمام بها من تحصيل العدة والتأهب للقدوم على الله عز وجل فذلك أول فتوحه وتبشيره فجره))^(٥).

- ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ((ومحبة الله هي أصل الإيمان الذي هو عمل القلب وبكمالها يكمل))^(٦)، ويقول أيضا: ((فَالْإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ لَا يَكُونُ إِيمَانًا بِمُجَرَّدِ تَصْدِيقِ لَيْسَ مَعَهُ عَمَلُ الْقَلْبِ وَمُوجَبُهُ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ كَمَا أَنَّهُ لَا يَكُونُ إِيمَانًا بِمُجَرَّدِ ظَنِّ وَهُوَ؛ بَلْ لَا بُدَّ فِي أَصْلِ الْإِيمَانِ مِنْ قَوْلِ الْقَلْبِ وَعَمَلِ الْقَلْبِ))^(٧).

- ويقول شيخ الإسلام ابن القيم: ((فمن لا محبة له لا إسلام له البتة بل هي حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله فإن الله هو الذي يأله العباد حباً وذلاً وخوفاً ورجاءً وتعظيمها وطاعة له بمعنى مأله وهو الذي تأله القلوب أي تحبه وتذل له))^(٨).

(١) النحل: ١٠٧

(٢) الأعلى: ١٦

(٣) المدثر: ٥٣

(٤) النازعات: ٤١، ٤٠

(٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣٥٢/٣)

(٦) الاستقامة - لشيخ الإسلام ابن تيمية - الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة (ج: ١، ص: ٢٦٠)

(٧) مجموع الفتاوى (٧/٥٢٩)

(٨) مدارج السالكين - دار الكتاب العربي - بيروت (ج ٣، ص: ٢٦)

- ارتباط عناصر التعلق بالدنيا دليل على عدم تعلقها بالله والآخرة:

- ١- رؤية المال والدنيا على أنها هائلة في عظمتها وقيمتها (تأله المال والدنيا) دليل على أنه ينظر إلى الخالق والآخرة وأمور الدين كأنه لا قدر لهم، والعكس صحيح.
- ٢- شدة الحب للمال والدنيا دليل على أن شدة الحب لله وللجنة غير موجود، والعكس صحيح.
- ٣- إذا كان الشاغل الأكبر الذي يشغل الإنسان هو المال والدنيا فهذا دليل على أن الخالق والآخرة ليسا هما الشاغل الذي يشغل همه.
- ٤- إذا كانت طريقة الإنسان في عمله مبنية على مصالح الدنيا وأمورها فهذا دليل على أنه لا يبني أعماله على أساس الدين ولقاء الله والآخرة.
- وإذا كان يبدو من سلوكه وعمله شدة تعلقه بالدنيا على سبيل الاحتمال فهذا يدل على عدم تعلقه بالله والآخرة على سبيل الاحتمال.

- التناقض بين اليقين وتعلق المشاعر:

- قد يوقن الإنسان بأن الآخرة ولقاء الله هو أخطر شيء في الوجود وبأنه أمر مؤثر جداً ويعرف تفاصيل أحوال القيمة والجنة والنار لكن كل هذا لا يؤثر على مشاعره ومهمها تصور الامر مرات ومرات فلن يتأثر لأنّه أصيب بمرض المعرفة الكاذب أو اعتاد التجاهل، فلو ذكرته بعقارب الآخرة لا يؤثر ذلك في نفسه شيئاً، في حين لو أخبرته بفقد شيء من ماله لطاش عقله وتأثرت مشاعره.

الفصل الثامن

الهم الأكبر

- الهم الأكبر هو العنصر الثالث من عناصر التعليق.

- قد يشغلهم الإنسان بأمور الدنيا والقضايا اليومية التي تشغله الناس، ولكن هل يشغلهم الموت والآخرة ولقاء الله أم لا؟ وهل انشغاله بالموت والآخرة ولقاء الله أكبر من انشغاله بأمور الدنيا؟

- هم الإنسان دائماً مشغول، فكلما ابتعد الهم عن الدنيا كلما انشغل بالآخرة، والعكس صحيح، فإذا كان كل انشغال همه بالدنيا فلا وجود لله والآخرة في همه.

- هل على الإنسان أن يشغل همه بالخلق والآخرة؟:

- ما هو أخطر شيء في حياة الإنسان على الإطلاق؟، هل هو الموت والآخرة ولقاء الله أم هو المال وجمعه أم هو التمتع بالدنيا وشهواتها أم هو المظاهر والمناصب وأمور السياسة أم الرياضة أم التسلية والسمسر أم مشاكل وأعباء الحياة اليومية؟

- ما هي القضية التي يجب أن تشغله هم الإنسان ومشاعره ويعمل لها، هل الدنيا أم الآخرة؟، أيهما يستحق التفكير أكثر والتفاعل معها أكثر والعمل لها أكثر؟ العاقل يوجه تفكيره للشيء الخطير وينشغل تفكيره وهمه به ويتفاعل معه ويعمل له.

- وظيفة الهم الطبيعية مصممة بحيث يشغلهم بالشيء الهام الخطير ولا يشغل بالأمر التافه، وينشغل أكثر بأخطر شيء ثم الأقل في الخطورة والأهمية وهكذا.

- فإذا علم الإنسان أمراً هاماً وخطيراً فلابد أن يشغل به الهم، فإذا لم يشغل به همه فهو بذلك يتعامل معه كأنه أمر تافه أو كأنه غير موجود.

- هل يوجد شيء أخطر من اقتراب الموت والسفر إلى الآخرة ولقاء الله؟، فهذا الأمر لا يمكن أن يفارق ذهن إنسان عاقل أبداً، فكيف ينسى الإنسان الله وهو يعيش في ملكه ويأكل من نعمه!

- مسألة السفر للأخرة هي أمر خطير يدعو إلى انشغال الهم وخوف المهابة وتأثر المشاعر وعمل الجوارح بإعداد العدة لما بعد هذا السفر.

- الذي يومن بأنه مسافر إلى الآخرة فإن صورة الآخرة ومشهد اليوم الذي يموت فيه ومشهد وقوفه أمام الله ومحاسبته له لا يكاد يفارق ذهنه.

- فإذا لم يشغلهم الإنسان بالخلق والآخرة فبماذا يجب أن يشغل إذن.

- لو نظرت في هم أكبر رجل سياسي في العالم أو أكبر لاعب كرة في العالم أو أكبر ممثل في العالم أو أكبر رجل أعمال في العالم أو أكبر عالم في الذرة وسألته ما هو أخطر شيء يشغل همك؟، قد يقول أن ما هو متخصص فيه هو أخطر شيء يشغل همه رغم أنه يعلم أن الموت والآخرة ولقاء الله هي أخطر من تخصصه ومن كل شيء وبالتالي كان يجب أن يكون ذلك هو أكبر همومه، بل إنه قد يعتبر أنك تسأله في أمر لا يخصه غير مبالي بالأمر.

مفهوم الهم الأكبر:

- الهم الأكبر معناه أن هناك أمر مسيطر يشغل الإنسان به همه باستمرار ويضمه نصب عينيه فهو يكاد لا يفارق ذهنه ولا يستطيع الإنسان نسيانه لكونه قضية خطيرة جداً، فهي دائماً أمم عينه مثلاً يرى الإنسان شيئاً مرعباً أو يتصور أمر خطيراً (كالنار في الآخرة مثلاً)، فمن الناس من يجعل قضية الموت وما بعده هي الشاغل الأكبر، فلا هم له إلا الآخرة، ففي تفسير الطبرى: ((عن مجاهد في قوله (إِنَّا أَحْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكْرَى الدَّارِ) قال: بذكر الآخرة فليس لهم هم غيرها))^(١)، ومن الناس من يجعل قضية المال وكسب المال والانفاق على الأبناء هي الشاغل الأكبر الذي لا يفارق ذهنه.

(١) تفسير الطبرى - مؤسسة الرسالة (ج: ٢١، ص: ٢١٨).

ـ القضية الأساسية والقضايا الفرعية:

ـ كل إنسان له قضية تشغله تفكيره وتعلق بها مشاعره وينبني عليها عمله فهو بذلك يعيش لهذه القضية، فـإما أن تكون قضيته التي تشغله تفكيره وتعلق بها مشاعره وينبني عليها عمله هي الآخرة والموت ولقاء الله، فهو يضع الموت والآخرة نصب عينيه دائمـاً يـفكـرـ فـيـهـ وـلـاـ هـمـ لـهـ غيرـهـ، وإـمـاـ أنـ تـكـوـنـ الدـنـيـاـ وـالـمـالـ وـأـعـبـاءـ الـحـيـاـةـ، فـهـوـ يـضـعـ الـمـالـ وـالـبـنـوـنـ نـصـبـ عـيـنـيـهـ دـائـمـاـ يـفـكـرـ فـيـهـ وـلـاـ هـمـ لـهـ غيرـهـ.

ـ لا يمكن لـإـنـسـانـ أـنـ يـعـيـشـ بـغـيـرـ قـضـيـةـ أـسـاسـيـةـ تـكـوـنـ هـيـ هـدـفـ يـحـيـاـ بـهـ وـيـعـيـشـ لـهـ وـيـتـجـهـ إـلـيـهـ بـمـشـاعـرـهـ وـهـمـوـمـهـ وـجـوـارـهـ، فـكـلـ إـنـسـانـ لـهـ قـضـيـةـ هـيـ أـهـمـ شـيـءـ فـيـ حـيـاتـهـ، وـهـذـهـ قـضـيـةـ تـكـوـنـ مـحـورـ حـيـاتـهـ وـمـسـتـقـلـهـ وـمـصـيـرـهـ.

ـ الـقـضـاـيـاـ الـتـيـ يـنـشـعـلـ بـهـاـ النـاسـ هـيـ قـضـاـيـاـ كـثـيـرـةـ جـداـ سـوـاءـ كـانـتـ قـضـاـيـاـ كـبـيرـةـ أـوـ صـغـيـرـةـ أـوـ تـافـهـةـ وـفـيـهاـ تـفـاوـتـ كـبـيرـ بـيـنـ النـاسـ.

ـ فـمـنـ هـذـهـ أـلـمـورـ الـعـلـمـ لـكـسـبـ لـقـمـةـ الـعـيـشـ وـالـقـيـامـ بـوـاجـبـاتـ الـحـيـاـةـ كـالـتـغلـبـ عـلـىـ أـعـبـاءـ الـدـرـاسـةـ وـالـزـوـاجـ وـتـرـبـيـةـ الـأـوـلـادـ وـتـدـبـيـرـ نـفـقـاتـهـ وـنـفـقـاتـ تـعـلـيمـهـمـ وـتـوـفـيـرـ الطـعـامـ وـالـشـرـابـ وـمـاـ يـحـتـاجـهـ أـوـلـادـهـ وـأـسـرـتـهـ، وـمـنـهـاـ مـشـاغـلـ الـحـيـاـةـ الـيـوـمـيـةـ وـالـتـغلـبـ عـلـىـ مـتـطـلـبـاتـهـاـ.

ـ وـمـنـهـاـ التـوـسـعـ فـيـ مـشـارـيعـ لـزـيـادـةـ الـدـخـلـ كـالـقـيـامـ بـعـمـلـ تـجـارـيـ وـالـأـمـورـ الـتـيـ يـمـكـنـ زـيـادـةـ الـمـالـ مـنـهـاـ وـالـتـيـ قـدـ تـكـوـنـ مـنـ حـلـلـ أـوـ حـرـامـ.

ـ وـمـنـهـاـ قـضـيـةـ الـمـنـاصـبـ وـالـجـاهـ وـالـسـلـطـانـ وـالـمـظـاهـرـ، وـمـنـهـاـ الـاـهـتـمـامـ بـمـظـهـرـ الـإـنـسـانـ أـمـامـ النـاسـ، وـمـنـهـاـ الـحـصـولـ عـلـىـ شـهـادـاتـ أـوـ مـنـاصـبـ، وـمـنـهـاـ التـطـلـعـ لـلـتـرـقـيـ فـيـ الـعـلـمـ.

ـ وـمـنـهـاـ قـضـيـةـ الـتـمـتـعـ بـشـهـوـاتـ النـسـاءـ وـالـتـمـتـعـ بـشـهـوـةـ الـطـعـامـ وـالـشـرـابـ، وـمـنـهـاـ عـمـارـةـ الـأـرـضـ وـتـوـفـيـرـ وـسـائـلـ السـعـادـةـ فـيـهـاـ، وـمـنـهـاـ التـوـسـعـ فـيـ رـفـاهـيـاتـ الـحـيـاـةـ وـالـتـطـلـعـ إـلـىـ الـحـيـاـةـ الـمـرـيـحـةـ وـمـنـهـاـ التـطـلـعـ لـشـرـاءـ مـسـكـنـ أـوـ سـيـارـةـ.



- ومنها حل مشاكل تواجه الإنسان كالفقر والمرض والمشاكل العائلية أو إنجاب الأطفال أو الظلم من أحد، ومنها حل مشاكل في العمل أو مشاكل البيت.

- ومنها مهنة أو هواية معينة أو أمور التسلية أو الترفيه التي تعود عليها كمشاهدة مباريات الكرة ومشاهدة التلفاز والجلوس على المقاهي والتواصل مع الأصحاب والأقارب لقضاء أوقات ترفيهية واصطحاب الأسرة خارج المنزل للتترزه أو للطعام أو لمتعة الشراء أو شغل الوقت بأي أمر بغرض استهلاك الوقت ولو بدون داعي والحديث عن أخبار الأصحاب والأقارب والكلام عن أحوال الناس وأخبار السياسة وأخبار الطقس وأسعار الطعام والشراب وطرق مضاعفة المال وغير ذلك.

- وقد تكون قضية الإنسان الأساسية بعض من هذه الأمور وليس قضية واحدة.

- فهذه هي قضايا الدنيا، وهناك نوع آخر من القضايا هي قضية الوصول إلى ملذات الجنة والتمتع بالحور العين إلى ما لا نهاية من السنين والبعد عن العذاب داخل النار إلى ما لا نهاية من السنين، قضية وجود الخالق فوقنا ووجوده معناه بقدرته ورؤيته لنا وقدرة الخالق التي تسيطر عليك في ليلك ونهارك وفي كل لحظة، وكل حركاتك تحت المراقبة التامة وكل أنفاسك معدودة، ذلك الأمر المرعب الواقع عليك في الدنيا وذلك الخطر الرهيب الذي أنت مقبل عليه بعد لحظات من الآن من أمر الموت والحياة بعد الموت والانتقال إلى الآخرة حيث الحياة الأبدية واقترابها وخطورتها.

- هذه قضايا كثيرة، العاقل ينظر إليها ويقارنها ببعضها ليرى أيها أخطر وأيها يجب أن تشغله تفكيره وأيها يختارها لتكون قضيته وشغله الشاغل طوال حياته.

- كل القضايا المتعلقة بالدنيا ليست بشيء أمام قضية الموت والآخرة ومعرفة الخالق، لأن جميع القضايا المتعلقة بالدنيا تفني سريعاً مع فناء الدنيا، والذين كانت تشغلهم هذه القضايا الدنيوية كانت شغلهما الشاغل

قد ماتوا الآن فأيتها يفیدهم الآن، فالذين يعيشون وتنشغل عقولهم طوال حياتهم بقضية الموت والاستعداد له والآخرة وما بها ومعرفة الخالق هؤلاء هم العاقلين وغيرهم لا عقل لهم، وهؤلاء أيضا قد تتشغل عقولهم بمشاغل الحياة ولكنه انشغال عابر مؤقت قليل وهو أيضا انشغال كفرع من أصل، فعليه أن يتغلب على بعض أعباء الحياة ولكنه يتقلل من أعباء الحياة قدر ما يستطيع وينشغل عنها بما هو أخطر.

- فإذا كان الشاغل الأكبر هو هموم الدنيا فأنت جاهل لا عقل لك لأنك لم تتصور وتعيحقيقة السعادة وأين تكون، ولم تتصور وتعيحقيقة الخطر الذي أنت واقع فيه والخطر الذي أنت قبل عليه بعد لحظات وبلا عودة، فأنت في غفلة تامة وغباء تام تضر بنفسك وتهلكها، فالدنيا لا قيمة لها أمام الآخرة مهما كانت آلامها ومهما كانت لذاتها وتزول سريعا في غمضة عين لمن يعقل كما أن متعها ضئيلة ومحدودة في حد ذاتها.

الشرع يأمرنا بأن يكون لهم الأكبر الآخرة:

- من جعل همه الأكبر الآخرة أعنده الله على أمور الدنيا، ومن جعل همه الأكبر الدنيا هلك، ففي الحديث: ((من جعل لهم مما واحدا كفاه الله هم دنياه ومن تشعبته الهموم لم يبال الله في أي أودية الدنيا هلك))^(١)، وفي حديث آخر: ((من جعل الهموم مما واحدا هم المعاد كفاه الله سائر همومه ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك))^(٢)، وفي حديث آخر: ((من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله وأنته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له))^(٣).

- ومعنى "جعل الله غناه في قلبه" أي يجعل الله في قلبه من القناعة والكافف والكافية ما يجعله يعرض عن إتعاب نفسه في طلب الزيادة من مُتع هذه الحياة الدنيا، ومعنى "وأنته الدنيا وهي راغمة" أي أن الله يسوق له من الرزق ما لا تعب معه، وإنما هو ببركة توكله على الله جل وعلا،

(١) حديث حسن (صحيح الترغيب والترهيب ج: ٣ ، برقم: ٣١٧٠)

(٢) تحقيق الألباني: حسن (انظر حديث رقم: ٦١٨٩ في صحيح الجامع)

(٣) صحيح لغيرة (صحيح الترغيب ٣١٦٩)

كما دل عليه الحديث الصحيح: ((لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير؛ تغدو خمامصاً، وتعود بطاناً))^(١)، أما من جعل همه الدنيا فلا يبالي الله عز وجل في أيّ واد من أوديتها يهلك هذا العبد، فمنهم من هلك بالمال، ومنهم من هلك بالجاه، ومنهم من هلك النساء، وغير ذلك.

- ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: ((ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا))^(٢).

- وفي الحديث: ((خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خططاً مربعاً، وخط في وسط الخط خططاً، وخط خارجاً من الخط خططاً، وحول الذي في الوسط خطوطاً، فقال هذا ابن آدم وهذا أجله محيط به، وهذا الذي في الوسط الإنسان وهذه الخطوط عروضه إن نجا من هذا ينهشه هذا، والخط الخارج الأمل))^(٣)، أي يموت ولا يزال عنده تمني وأمال لم تتحقق، فيظل الشيطان يلهيه حتى يموت.

الفرق بين الهم الأكبر (ال دائم) والهم الأصغر (المؤقت):

- ترتيب القضايا في هم الإنسان الطبيعي تكون على حسب أهميتها وخطورتها، لأن الهم يشغل بالأمر الخطير ولا يشغل بالأمر التافه، ويكون انشغاله بالأمر الأخطر أكبر من انشغاله بالأمر الأقل خطورة، وحيث أن هناك قضية واحدة هي الخطر كله وبباقي القضايا قيمتها بسيطة جداً بالمقارنة بهذه القضية الخطيرة فهناك قضية واحدة مسيطرة على الذهن مستمرة وقضايا أخرى عابرة هامشية، القضية المسيطرة هي الغيبات، وجميع القضايا الأخرى لا قيمة لها مهما كانت أمام هذه القضية الخطيرة فهو منشغل بها عن باقي القضايا.

- فعند وجود أكثر من قضية هامة يشغل الإنسان بالقضية الأخطر والأكبر ولا يشغل بالقضايا الأقل في الأهمية أو يكون انشغاله بها ضئيلاً.

(١) تحقيق الألباني: صحيح (انظر حديث رقم: ٥٢٥٤ في صحيح الجامع)

(٢) تحقيق الألباني: حسن (الكلم الطيب: ٢٢٥ / ١٦٩)

(٣) قال الشيخ الألباني: صحيح (جامع الترمذى ج: ٤، ص: ٦٣٥، برقم ٢٤٥٤)



، ولتوسيح ذلك ففي الحديث: ((عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا، قالت عائشة: فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم إلى بعض، قال: الأمر أشد من أن يهمهم ذلك))^(١)، كذلك الإنسان في الدنيا أمامه مشكلة الفقر ومشكلة الزواج والسكن وتوفير الطعام والشراب ومشكلة الظلم ويريد عمل مشاريع تجارية مثلا وأمامه أيضا مشكلة الآخرة ولقاء الله تعالى، فبماذا يشغلهم الإنسان الطبيعي؟، يكون لهم الأكبر المسيطر عليه هو صورة الآخرة لأن كل شيء يفني وتبقى القضية الأكبر والأخطر .
- فنفس الأمر عند العاقل في الدنيا فهو منشغل بأمور الآخرة عن أمور الدنيا وشهواتها .

- فتصور أمر الآخرة يكدر على الإنسان حياته ويجعله لا ينعم بالحياة، ففي الحديث: ((كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفح فينفح فكان ذلك ثقل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم قولوا حسينا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا))^(٢) .

- هناك أمور كثيرة تشغّل ذهن الإنسان ولكن هناك هم دائم لا يكاد يفارق ذهنه ويسطّر على تفكيره كلما انشغل بغيره عاد إليه فهو منيب إليه، فلا يطيق الابتعاد عن محبوبه الأعظم فكلما انشغل بغيره عاد إليه، وفي الوقت الذي يشغل فيه بغير محبوبه يكاد يذهب عقله لفقدانه محبوبه من شدة الحزن فهو يحن إلى العودة إليه، وهذا معنى كلمة الوله المأخوذة من كلمة إله^(٣)، قد يكون هذا الأمر هو حبه لامرأة أو مال وتجارة أو منصب أو الخ، وقد يكون هذا الشاغل المسيطر عليه هو صورة قدرة الله وصورة الآخرة .

(١) التخريج: صحيح الترغيب والترهيب، ج: ٣، برقم: ٣٥٧٨

(٢) قال الشيخ الألباني : صحيح (جامع الترمذى) ، ج : ٤ ، ص : ٦٢٠ ، رقم : ٢٤٣١

(٣) انظر لسان العرب: ج: ١٣، ص: ٥٦١

- أمثلة توضح الفرق بين الهم الأكبر (ال دائم) والهم الأصغر (المؤقت):

- مثال (١):

- الإنسان قد ينشغل باله في اللحظة الواحدة بأكثر من شيء، فمثلا السائق الذي يقود سيارة ينشغل باله بالطريق لأنه لو غفل عن ذلك لوقعت حادثة، وفي نفس الوقت وأثناء قيادته للسيارة قد ينشغل باله بالحديث في الهاتف المحمول أو بالحديث مع راكب يجلس بجواره وقد يلتفت إليه مرات أثناء الحديث معه أو ينشغل باله بتناول طعام أو ينشغل باله بجمع الأجرة من الركاب وحسابات باقي الأجرة للركاب أو ينشغل باله طوال الطريق بسماع الكاسيت، إذن هناك هم دائم وهموم مؤقتة في نفس الوقت، فكذلك الإنسان المسافر إلى الآخرة باله منشغل بسفره إلى الآخرة لأن الدنيا كلها ليست إلا مسألة سفر إلى الآخرة وجميع الناس مسافرون، ولكن أثناء السفر قد ينشغل باله بالطعام أو الشراب أو أعمال الدنيا المختلفة وقد ينشغل باله بالوقوع في معصية لكن همه الدائم هو مسألة سفره، فهذا هو حال المؤمن مهما انشغل باله بأمور الدنيا ومهما عمل من المعاصي فهمه الدائم الذي لا يفارق ذهنه هو سفره إلى الآخرة لا تغيب عن عينه

- لكن قد يزداد انشغال همه بأعمال الدنيا وبالمعاصي حتى ينسى مسألة السفر ويوقف السيارة التي يسافر فيها ويعتبر نفسه مقينا وليس مسافرا، فهو بذلك اطمئن بالدنيا ورضي بها على أنها دار إقامته: ((إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأْنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ، أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ))^(١).

- وكلما زاد هم الإنسان بالدنيا وبالمعاصي كلما كان همه الدائم بالسفر إلى الآخرة ضعيف وكلما كان إيمانه ضعيفا.

- مثال (٢):

(١) يونس: ٧ ، ٨



- الإنسان الذي يسافر إلى مكان مجهول لا يعرفه، وهناك يتم عرضه على محكمة تحكم عليه إما بالخلود في العذاب أو النعيم، فهو خائف من هول الأمر الذي هو قبل عليه لأنه يتوقف عليه مصيره وحياته كلها، ولكن هناك مخاوف أخرى مؤقتة بسيطة أثناء سفره إلى هذه المحكمة وهي هل يجد استراحات قريبة يستريح فيها أم لا؟، وهل ينفذ ما عنده من ماء؟، وهل يجد مكاناً قريباً فيه ماء؟، وهل يوجد شيء يعرضه للأذى أثناء سفره؟، كل هذه مخاوف يحمل لها هما ولكنها ليست بشيء أمام الخوف الأكبر الذي يسيطر عليه وهو ماذا يجد وماذا يكون مصيره عندما يصل إلى ذلك المكان الرهيب؟!.

- فكذلك الدنيا هناك بعض الأمور التي يخاف منها الإنسان والتي قد تعرضه للأذى لكنها مخاوف مؤقتة عابرة وخوفه الأكبر من يوم القيمة والحساب ومن لقاء الله تعالى وهو خوف دائم لا يفارقه.

- مثال (٣):

- الإنسان السجين همه الدائم هو متى يخرج من السجن، فهذا هو الهم الذي لا يمكن أن ينساه، لكن لا يكون ذلك همه الدائم في كل لحظة، ففي وقت ما يكون همه كيف يحصل على طعام وفي وقت آخر يكون همه كيف يحصل على ملابس وفي وقت ثالث يكون همه كيف يضيع وقته في تسلية وهكذا.

- والمؤمن همه بالأخرة دائم وهمه بالدنيا مؤقت، فهمه الدائم الذي يسيطر على عقله وتفكيره هو كيف يصل إلى لقاء الله وكيف يكون حاله في الآخرة ، فهو يرتب حساباته لقاء الله، فهذا هو الهم الذي لا يمكن أن ينساه، فهو كالسجين المهموم بيوم خروجه، لذلك ففي الحديث: ((الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر))^(١)، لكن قد لا يكون ذلك همه في كل لحظة، ففي وقت ما يكون همه كيف يحصل على طعام وفي وقت آخر يكون همه كيف يتعامل مع مشاغل الحياة وهمومها، فالإنسان المسافر همه الدائم هو أن يصل إلى حيث يريد، فهذا هو الهم الذي لا يمكن أن ينساه،

(١) قال الشيخ الألباني: صحيح (جامع الترمذ) ج: ٤، ص: ٥٦٢، برقم ٢٣٢٤

ولكن لديه هموم أخرى، ففي وقت ما يكون همه كيف يحصل على طعام أو كيف يتوقف في استراحة يتناول فيها طعام أو كيف يقضي حاجته.

- المؤمن لا يدع الدنيا تشغله كثيرة، ففي الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ وَقَالَ: ((مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصاً لنا فقال ما هذا؟، فقلنا: قد وَهِيَ فنحن نصلحه، قال: ما أرى الأمر إلا أَعْجَلُ مِنْ ذَلِكَ)).^(١)

- لكن الإنسان الذي يكون همه الدائم هو كيف يحصل على المال أو المنصب أو الشهوات أو كيف ينتصر على مشاكل الحياة وينقطع همه عن الله والآخرة أو يكون همه بالله والآخرة مؤقتاً فهو يقول بلسان حاله بأن الآخرة ولقاء الله هو أمر غير مهم لا يستحق أن يشغل به باله.

- استمرارية الهم الأكبر:

- الطبيعي أن يستمر انشغال الهم بالأمر طالما أن الخطر ما زال قائماً، فقدرة الخالق خطر دائم وواقع عليك فيكون انشغال الهم به دائم، ومجيء الآخرة هو خطر دائم حتى تأتي الآخرة، أما أمور الطعام والشراب والأمور التي يحتاجها عابر السبيل في سفره إلى الآخرة فهي أمور ضئيلة القيمة ومتقطعة، فمثلاً عابر السبيل يهتم ب الطعام وشرابه حتى إذا شبع نسي ذلك ثم يعود فيجوع فيهتم ب الطعام وإعداده مرة أخرى وهكذا، فعينه دائماً على هدفه الذي هو ذاهب إليه وفي نفس الوقت هو يهتم قليلاً بما يحتاج من طعام وضرورات، فكلا الهمين الدائم والمتقطع يحدثان معاً.

- الهم الأكبر ينشأ من شدة التأله:

- الإنسان يشعر بالدهشة والتحير الشديد من الأمر فلا تغيب صورة الأمر عن عينه وكأنها محفورة في ذهنه وذلك من مدى غرائبها وعجبها.

- فالإنسان يشغل نفسه بالأمر الذي يراه هاماً وخطيراً ولا يشغل همه بما يراه تافهاً ولا قيمة له، فإذا شغل همه الأكبر بالمال فهذا دليل على أنه

(١) قال الشيخ الألباني: صحيح (جامع الترمذ) ج: ٤، ص: ٥٦٨، برقم: ٢٣٣٥



يرى المال عظيماً رغم أنه يومن بأن المال إلى زوال، وعدم انشغال همه بعظامه الله وخطورة الآخرة دليل على أن الآخرة ولقاء الله لا قيمة لهما في نظره رغم أنه يومن بأن لقاء الله والآخرة من أخطر ما يمكن.

- الهم الأكبر يدل على باقي عناصر التعلق الأربع (شدة التأله وتعلق المشاعر والنية وتعلق الجوارح):

- إذا كان الهم الأكبر هو الدنيا وليس الخالق والآخرة فهذا دليل على التعلق بالدنيا وعدم التعلق بالخالق والآخرة، ولكنه ليس دليلاً قاطعاً وإنما على سبيل الاحتمال الأكيد.

- عناصر التعلق الأربع مرتبطة ببعضها، فوجود أحد العناصر يدل على وجود باقي العناصر.

- فكل انسان له شاغل أكبر يشغل همه به، وقد يشغل همه بالدنيا أو المال أو يشغل همه بعظامه الخالق وخطورة الآخرة، وهذا الامر يختاره الانسان لنفسه ويدل على أنه يرى المال عظيماً وأن هدفه (الخوف والرجاء) المال وحبه للمال ونفيه وسعيه للمال.

- والذي يريد المال ويحبه ويسعى إليه فإن صورة المال تكاد لا تفارق ذهنه، فذهنه متشغل بقيمة المال الهائلة في نظره، والذي ينتظر الحكم عليه في قضية أمام قاضي لا تكاد صورة هذا الخطر تفارق ذهنه، كذلك الذي يعيش للأخره ويؤمن بأنه مسافر إليها لا تكاد صورة الآخرة تفارق ذهنه.

- التناقض بين اليقين والهم الأكبر:

- قد يومن الانسان بأن الدنيا وما بها من أموال وشهوات ومناصب ورفاهيات زائلة وفانية وضئيلة، وكذلك ما بها من مشاكل وأعباء ومسؤوليات زائلة وضئيلة، لكن همه متشغل بها سواء بمتاعها أو مشاكلها، فكل تفكيره وتقىره وتذكره دائمًا ليلاً ونهاراً في المال أو الشهوات أو لقمة العيش وأعباء الحياة أو غير ذلك فلا هم له غير ذلك، فهو بذلك يعتبرها هامة وخطيرة ولن يست زائلة وضئيلة، رغم أنه بعقله يعلم العكس

تماما، فما يقوله بهم عكس ما يقوله بعقله، وحقيقة الإنسان هو ما يقوله بهم وليس ما يقوله بعقله.

- وقد يوقن الإنسان بأن الآخرة أخطر وأهم من الدنيا وأن الدنيا لعب ولهم في حين هم لا يشغل بغير الدنيا لأن الآخرة ولقاء الله لا يستحق أن يشغلهم، والدنيا في نظره هي الأهم والأخطر والتي لا يشغلهم بغيرها، فلا هم له غير التغلب على أعباء الحياة ومشاكلها اليومية والتغلب على ما عنده من مشاكل وصراعات دنيوية والخروج من الفقر أو نقص المال وغير ذلك.

- كثرة مشاغل الحياة في حد ذاتها ليست هي المشكلة، ولكن المشكلة في أنها قد تكون على حساب تذكر قدرة الخالق والآخرة، فالفارق بيننا وبين السلف الصالح هو أن الآخرة ولقاء الله هو الذي كان يشغل عقولهم أما نحن فما يشغل عقولنا هو الدنيا وأمورها.

- عدم شغلهم بأمر ما معناه أن الإنسان لا يقيم له وزنا ولا قيمة فلا يراه يستحق أن يشغلهم، فعدم انشغالهم بالموت والآخرة ولقاء الله معناه أن الإنسان لا يقيم لذلك وزنا ولا قيمة فلا يرى أن ذلك يستحق أن يشغلهم.

- طالما أنهم الإنسان لا يشغل بغير الشهوات والأموال والمظاهر والمناصب في حين لا يزال غير منشغل بمعرفة الله وعظمته وخطورته الآخرة فهذا معناه أن الإنسان لا يزال يرى قيمة الشهوات والأموال والدنيا أعظم من الجنة ومن الآخرة ولقاء الله.

الفصل التاسع

مفهوم تعلق الجوارح

- تعلق الجوارح هو العنصر الرابع من عناصر التعلق.

- تعلق الجوارح نوعين هما:

١- تعلق الجوارح بغير النفس:

- أي تعلق الجوارح بالله والآخرة ويسمى خضوع الجوارح لأنه تعلق بغير النفس لأحد آخر.

- تعلق الإنسان بالغير هو الخضوع، وتعلق الجوارح بالغير هو جزء من الخضوع وهو خضوع الجوارح، ومعنى تعلق الجوارح بالغير (خضوع الجوارح).

- تعلق الجوارح بالله والآخرة (خضوع الجوارح) معناه أن يعيش الإنسان معيشة العبيد، فيذل نفسه لغيره أي يعيش كأسير أو خادم يلبى أوامر سيده، فيلغي إرادته ورغباته وشخصيته المستقلة ويعيش تابعاً منهزاً تحت إرادة قاهر له، ويعيش مقيداً بأوامر غيره عليه، ويعيش خاضعاً كالعبد الذي كان يباع ويشترى في الماضي، فلا يعيش حياته بناءً على ما يريده هو لنفسه وما يحبه ويهواه لنفسه وما يحقق رغباته، ولكن يعيش حياته بناءً على ما يريده ويرحبه أحد آخر منه، كأنه إنسان آلي يسير بالريموت كنترول فيتحرك بناءً على أوامر تصدر له من الريموت كنترول، فالإنسان الآلي ليس له حياته الخاصة وليس له رغبات ولا يسير من تلقاء نفسه وإنما تبعاً لما يريده أحد غيره، فهو مستسلم ومنقاد ومقهور ومغلوب وخاضع تحت سيطرة أحداً غيره كما يعيش العبد لسيد يملكه ويملك التصرف فيه.

- فمعنى أن الإنسان يعيش عبداً لله هو أن يعيش حياته وفقاً لأوامر الله تعالى وأكثرها أوامر تخالف رغبات نفسه، وهذه المخالفة مقصودة من

الله تعالى حتى يتبيّن أن الإنسان خاضع لله وليس لما يريد هو لنفسه: ((لَن تَتَّلَّوا الْبَرَّ حَتَّى تُتَّقُّفُوا مِمَّا تُحِبُّونَ))^(١)، وبتغيير آخر هو تغليب مراد الله والدين على مراد نفسك وما تحبه نفسك، فيلغى إرادته ورغباته وشخصيته المستقلة ويعيش تابعاً منهزاً تحت إرادة قاهر له.

- فالمطلوب من الإنسان تحقيق هذا المعنى وليس المطلوب منه مجرد القيام بأعمال، أي أن ما يظهر على جوارحه يكون تعبير عن شدة التعلق بالله والآخرة.

٢- تعلق الجوارح بالنفس والدنيا:

- أي يعيش في الدنيا حراً غير خاضع لأحد، ويعيش على أساس أن السعادة في الدنيا، ويختار شكلاً يعجبه من أشكال السعادة في الدنيا ويعيش لها، فيعيش للمال أو للشهوات أو للمظاهر أو أي شيء أو مجموعة من الأشياء من أمور الدنيا.

- فهناك طريقتين لتعلق الجوارح، والإنسان عليه أن يختار لنفسه الطريقة التي على أساسها يعيش، هل يبني حياته وفقاً لرغبات نفسه أم مخالفة نفسه ووفقاً لمراد الله؟ فلمن يستجيب؟ ((فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَأَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى))^(٢).

ـ ما يظهر على الجوارح يدل على نوع تعلق الجوارح:

ـ نوع الاعمال وطول الانشغال بها تدل على تعلق الجوارح:

- أي هل هي اعمال دنيوية أم اعمال اخروية وهل هو يسارع في أي منهما؟

- إذا كان أكثر أعمال الإنسان أو كلها مرتبطة بالمال والدنيا والناس، ووجود المعاصي والإصرار عليها والتکاسل عن الطاعات والهروب منها فهذا يدل على تعلق الجوارح بالدنيا.

(١) آل عمران: ٩٢

(٢) النازعات: ٣٧ - ٤١

الطاعات والمسارعة في الخيرات، وبخاصة الاعمال التي هي غذاء للروح لأنها تذكر الإنسان بالخلق والآخرة كقراءة القرآن والصلوة وقيام الليل والصيام والحج والذكر والاستغفار والتفكير والرقائق وسماع الخطب والمواعظ وغير ذلك، والمسارعة في أعمال الآخرة واللجوء إلى الله بالدعاء والتقرب إليه والاستعانة بالله في أمور الدين والدنيا والدعاء والتضرع والاذكار والتقرب إلى الله بالصلوة والمسارعة في الخيرات: ((إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِّعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَائِسِينَ))^(١)، كل ذلك يدل على تعلق الجوارح بالله والآخرة.

٢- طريقة سلوك الإنسان وتصرفاته وأخلاقه وردود أفعاله تدل على نوع تعلق الجوارح:

طريقة سلوك الإنسان وتصرفاته وأخلاقه وردود أفعاله قد تدل على أنه يعيش لنفسه غير خاضع لأحد، وأنه يعيش لرغباته وشهواته وأن كل همه الدنيا وتحصيل المال والمكانة والتمتع بالدنيا، أو تدل على شدة تعلق الجوارح بالخلق والآخرة.

قد يظهر في سلوكه في تحصيل الدنيا حبه الشديد للدنيا، فتجده يلهث وراء فتات الدنيا، فهذا يدل على تعلق الجوارح بالدنيا.

٣- انفعالات الإنسان وردود أفعاله وعلامات الغضب والفرح والحزن على الوجه تدل على نوع تعلق الجوارح:

علامات الغضب والفرح والحزن تظهر على الوجه والسلوك، وعلامات التأثر بالأمر تظهر على الوجه كالبكاء، فإذا كان غضبه وتأثره بأمور دنيوية وبصورة شديدة فتعلق جوارحه بالدنيا، والعكس صحيح.

٤- أقوال الإنسان وكلامه ونقاشاته تدل على نوع تعلق الجوارح:

فقد تجده يذكر المال دائمًا على لسانه وفي مجالسه ويحب الحديث في ذلك فهذا دليل على أن تعلقه قد يكون بالمال

(١) الأنبياء: ٩٠



- وإذا كان ذكر الله دائمًا على لسانه وفي مجالسه ويحب الحديث في ذلك فهذا دليل على أن تعلقه قد يكون بالله والآخرة.

- وإذا كان دائم الشكوى من قلة الرزق ومتاثر بذلك أشد التأثر فهذا من مظاهر عدم الرضا بالرزق كأنه يعترض على الله من قلة الرزق.

٥- شغل الوقت والجوارح بأعمال التجارة وما يأمر به الشرع من إعمار الأرض بنية الحصول على المال والدنيا وليس لكونه طاعة رغم أنه لا يخالف الشرع، فذلك يدل على تعلق جوارحه بالمال والدنيا.

- استغراق الإنسان في أعمال الدنيا وأمورها يؤدي إلى سرقة عمر الإنسان فيما يموت ولم يجد وقتًا يشغل فيه همه بمعرفة الله والآخرة، فينشغل بغذاء الجسد على حساب غذاء الروح

٦- مظاهر التجاهل (التصام - التعامي - التغابي) تدل على تعلق الجوارح بالدنيا:

- يظهر التجاهل من خلال سلوك الإنسان وانفعالاته وردود أفعاله وكلامه، فتجده يبتعد بسمعه وبصره وكلامه وهمه عن الغيبيات وكل ما يتعلق بها ويترك أي عمل يتعلق بالغيبيات بطريقة الهروب والتجاهل وعدم الحديث في الأمر والتعامل كأنه لم يسمع عن الغيبيات.

الفرق بين عمل الجوارح وتعلق الجوارح:

- تعلق الجوارح ليس معناه مجرد القيام بأعمال، ولكن معناه أن ما يظهر على جوارح الإنسان يكون تعبير عن شدة التعلق بالله والآخرة أو بالدنيا.

- عمل الجوارح يعني أي عمل يعمله الإنسان بجوارحه، أما تعلق الجوارح فيعني اتجاه أعمال الإنسان في جملتها وتعلقها؛ هل هي تتجه إلى الدنيا ورغبات النفس (أي تتعلق بذلك وترتبط به)، أم أنها تتجه إلى الله والآخرة (أي تتعلق بذلك وترتبط به).

- أي أن تعلق الجوارح هو المعنى الذي يفهم من أعمال الجوارح في جملتها هل الإنسان يعيش لنفسه أم يعيش لغيره (الله)، ومعنى يعيش لغيره

أنه يُفهم من أعمال جوارحه في جملتها أنه يعيش معيشة الخاضع لغيره الذي يلبي مرادات غيره بدلاً من رغبات نفسه.

- كما أن تعلق الجوارح لا يشمل أعمال الجوارح فقط ولكن يشمل أيضاً العلامات التي تظهر على الإنسان من انفعالاته وردود افعاله وفرحة وحزنه وما تدل عليه وهي أهم وأخطر.

ـ الفرق بين تأثر الجوارح وتعلق الجوارح:

- عمل الجوارح يكون بحسب قوة الدافع، فإذا كان الدافع قوياً جداً جعل الإنسان كل أعماله تسير في اتجاه معين، فكمال الحب يؤدي إلى أن يسخر جوارحه لارضاء المحبوب، وكذلك كمال الخوف وكمال والرجاء.

- أما مجرد أن يحب الإنسان أحداً أو يخافه أو يرجوه فإنه يطيعه في عمل أو قليل من الاعمال فلا تكون كل أعماله متوجهة إليه.

ـ الدوافع الثلاثة لتعلق الجوارح بالله والآخرة:

- تعلق الجوارح بالله أو بالدنيا ينشأ من كمال الحب لله أو للدنيا، وكذلك ينشأ من كمال الخوف والرجاء من عقاب الله وثوابه أو من كمال الخوف والرجاء في الحصول على الدنيا والمال والشهوات.

١- تعلق الجوارح بالله والآخرة بسبب كمال الحب لعظمة صفات ولإنعامه:

- فأنت إذا وجدت أحداً يتصرف بصفة أو صفات حميدة خارقة هائلة جداً فأنت تحبه بكل قلبك وبمنتهى الحب فمن شدة الحب أنت تطيعه اجلالاً واحتراماً ومهابةً وفرحاً به، وكذلك إذا وجدت أحداً يعطيك عطاء لا حد له فأنت تحبه بكل قلبك وبمنتهى الحب فمن شدة الحب أنت تطيعه اجلالاً واحتراماً ومهابةً وفرحاً به.

- لو افترضنا أن الإنسان ضمن الله له دخول الجنة فإنه سوف يستمر في عبادة الله حباً له، فأصل العبادة هي عبادته حباً وليس خوفاً ورجاءً.

٢- تعلق الجوارح بالله والآخرة بسبب كمال الخوف:



- الثواب والعقاب بالجنة والنار شديد جداً فوق كل التصورات فهو يصل إلى الكمال، وطالما أن شدة الثواب والعقاب تصل إلى الكمال فذلك الخوف والرجاء يصل إلى الكمال، وعندما تصل شدة الخوف والرجاء إلى درجة الكمال تتعلق جوارحه بالمسارعة للفوز بالجنة والنجاة من النار.

- ولو أن إنساناً يمسك بمسدس ويصوبه نحوك ويأمرك بأمر فهل يمكن أن تخالفه؟، إنك تطيعه وأنت تشعر بالخوف وترتعد فرائصك، فالألم في الآخرة شديد جداً ولن يقدر الإنسان على أن يتحمله لفظاعته ولكن من يعقل؟

- لو قيل لإنسان أنه إذا وقع في شهوة من الشهوات فإنه سوف يوضع في داخل الفرن الذي ينضح فيه الخبر بأحد الأفران مثلاً حتى يشوى جده ولحمه، فإنه لن يقع في شهوة أبداً، وكلما عرضت له شهوة تذكر "فرن الخبر"!

- فالأمر مرعب وخطير، فمن خاف لم يستطع أن ينام ولا يهدأ ولا يرتاح ويسارع في الخيرات وترك المعااصي، ففي الحديث: ((من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالبة ألا إن سلعة الله الجنة))^(١).

٣- تعلق الجوارح بالله والآخرة بسبب كمال الرجاء:

- إذا سمع الإنسان عن وجود كنز وتأكد من وجوده في مكان ما، ستكون كل مشاعره متوجهة بالشوق للوصول لهذا الكنز، وسوف يشغل ذلك الكنز بالله وهمه وسوف يسعى ويلهث وراءه ويحلم بأن يجد فيه الذهب والياقوت والمرجان ويكون ذلك هدفه.

- تخيل أن العلم قد توصل إلى طريقة تجعل الإنسان يعود من الشيخوخة إلى الشباب ولا يمرض ولا يموت، فسوف تجد الناس يتسابقون إلى ذلك ويدفعون في ذلك كل ما يملكون ولكن ذلك كل همهم وكل هدفهم وكل مشاعرهم، فالإنسان في الجنة يعود من الشيخوخة إلى الشباب ولا

(١) تحقيق الألباني: صحيح (الصحيحة: ٩٥٤ ، ٢٣٣٥)



يمرض ولا يموت ويعيش في متع أبدية ولا يوجد ما يعكر مزاجه أو يشغل باله، وينال كل ما يشتهي ويتمنى ولا يتعب ولا يعمل، فمن يوقن بذلك يقينا صادقا فسوف يتعلق بكل قلبه وجوارحه بالله والآخرة من أجل الوصول إلى هذا الكنز.

- ومثال الخضوع رجاءً مثل الشحاذ الذي يسأل الناس أن يعطوه ويتosل لهم ويتذلل لهم ويظهر ضعفه أمامهم ويخفض رأسه لهم طمعا في إحسانهم له.

- فيعيش معيشة الخاضع لله بسبب كمال حبه وخوفه ورجاء الله، أو يعيش للدنيا ويبني أعماله على أساس أنه مقيم وخالد في الدنيا.

- ولاحظ أن تعلق الجوارح لا ينشأ من مجرد الحب والخوف والرجاء ولكن من الحب الشديد والخوف الشديد والرجاء الشديد فذلك الذي يجعله تخضع وتنقاد.

- تعلق الجوارح بالله والآخرة لابد أن تنشأ من الدوافع الثلاثة معا:

- طالما أن الله سبحانه له الكمال في عظمة صفاته وله الكمال في ثوابه لأن ثوابه لا حد له، وله الكمال في عقابه لأن عقابه لا حد له فهذا معناه أن الإنسان يتعلق به حباً وخوفاً ورجاءً.

- ولا بد من وجود الدوافع الثلاثة معا، فلو افترضنا أن الإنسان ضمن الله له دخول الجنة فإنه سوف يستمر في طاعة الله حباً له، فأصل الطاعة هي بسبب الحب وليس خوفاً ورجاءً.

- الطاعة ليست مطلوبة لذاتها ولكن كدليل على الخضوع والتعظيم وتعبير عن الخضوع والتعظيم:

- الهدف من الطاعة ليس مجرد القيام بها فالله لا يحتاج إلى عمل الإنسان، ولكن الهدف من الطاعة هو التعظيم والخضوع.

- والداعي إلى الطاعة تعظيمها وخصوصاً ثلاثة أمور هي حباً لعظمته لأنها المستحق للعبادة وخوفاً ورجاءً.

- فالهدف من الطاعة إظهار عظمة الخالق وضعف الإنسان، فالامر والنهي صفة قوة، وتنفيذ الأوامر صفة ضعف، فالامر تكون له السلطة والسيادة والكرياء، والمأمور يكون له الضعف والذل وليس له إلا تنفيذ الأوامر، الله وحده هو الذي له الأمر والنهي وكل ما سواه عليه التنفيذ مهما كان الأمر.

- الله لا يريد منا الطاعة لذاتها ولكن يريد منا الطاعة كتنفيذ أوامر ولو خالف العقل والهوى وما تحبه النفس، لأن مخالفة الهوى وعدم الرجوع للعقل في الأمر دليل على الخضوع: ((لَنْ تَنَالُوا الْبَرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ))^(١).

- فقد يؤدي الإنسان الطاعة لكن لا يريد أن يشعر أن أحداً يلزمها عليه إزاماً ويفرضها عليه فرضاً، كأنه يوافق على الطاعة بمزاجه كأنه يقتتنع أولاً بالأوامر ثم يؤديها أو يؤدي الطاعة لمجرد موافقة العمل للشرع، ولكن يجب أن يؤدي الطاعة باعتبارها تنفيذاً للأوامر على أساس أنها مسألة خضوع وعلاقة بين قوي وضعيف، وأن المقصود منها هو إذلالك وإخضاعك للأوامر وليس لك أن تناقش أو تسأل إلا لمعرفة الحكمة لتردد إيماناً، وليس لذلك علاقة بتنفيذ الأمر سواء عرفت الحكمة أم لم تعرف والله سبحانه لا يسأل عما يفعل: ((لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ))^(٢).

- طاعة الغير معناها أن يعمل الإنسان ما يحبه الآخر منه وما يرضيه، وأقصى شيء يعمله الإنسان ليرضي غيره هو أن يعيش حياته كلها له، فكمال الخضوع ليس معناه مجرد وجود طاعات ولكن معناه أن يعيش حياته الله وليس لنفسه.

ـ العلاقة بين تعلق الجوارح وبقية عناصر التعليق:

- عناصر التعليق الأربع مرتبطة ببعضها البعض، فتعلق أحد عناصرها بالنفس والدنيا يدل على تعلق باقي العناصر بالنفس والدنيا على سبيل

(١) آل عمران: ٩٢

(٢) الأنبياء: ٢٣

الاحتمال الأكيد، والعكس صحيح فتعلق أحد عناصرها بالله والآخرة يدل على تعلق باقي العناصر بالله والآخرة على سبيل الاحتمال الأكيد.

- تعلق الجوارح بالنفس والدنيا يعطي دلالة على أن تعلق الإنسان هو بالنفس والدنيا، أي يعطي دلالة على أن هدف الإنسان من حياته هو الدنيا، وذلك على سبيل الاحتمال الأكيد، والعكس صحيح.

- انغماط الإنسان وانهماكه في أعمال الدنيا وكثرة تفكيره في قضايا الدنيا وذكره لها وكلامه عنها واستغراق معظم وقته في أعمال الدنيا قد تعطي معنى أنه متعلق بالدنيا بمشاعره وهمه وأنه يراها عظيمة الأهمية.

- فقد يبدو من عمل الإنسان وطريقة سلوكه وتصرفاته وأخلاقه وكلامه وردود أفعاله أنه شديد التعلق بالدنيا، فالقضايا التي تشغله همه وتفكيره وكلامه ونقاشاته وطموحاته كلها أمور الدنيا ومشاغلها وليس فيها الآخرة، ويتجاهل أي شيء فيه تذكير بالله والآخرة كأنه لا يسمع، وقد تجده يبتعد بسمعه وبصره وكلامه وهمه عن كل ما يذكره بالغيبيات من سماع أو رؤية أو كلام أو أعمال كالحديث عن الموت والآيات الكونية والاذكار والقرآن أو يلجاً لتحويل الكلام والتحول إلى الحديث في أمر آخر ويترك بعض أو كل الطاعات بطريقة الهروب.

- فالإنسان قد يدل عمله على أنه يعيش لرغباته وشهواته ويدل على أن كل همه الدنيا وتحصيل المال والمكانة والتمتع بالدنيا، فهذا يجعلنا نعرف على سبيل الظن والاحتمال هل أعمال الإنسان في حياته لها تعلق شديد بالمال أو الدنيا أو بالله، ولكن ذلك الاحتمال لا يجعلنا نحكم على أحد بشيء لأن الظن لا يعني من الحق شيئاً: ((إِنَّ الظَّنَّ لَا يُعْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَعْلَمُونَ))^(١)، فالله هو الذي يعلم حقيقة ما يفعله الإنسان.

- عن أنس بن مالك قال: ((مَرُوا بِجَنَازَةً، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا حَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَجَبَتْ، ثُمَّ مَرُوا بِأُخْرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: وَجَبَتْ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: هَذَا أَثْنَيْتُمْ

(١) يونس: ٣٦

عليه خَيْرًا فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْبَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ) (١).

- وفي حديث آخر: ((أهُلُّ الْجَنَّةِ مِنْ مَلَأَ اللَّهُ أَذْنِيَهُ مِنْ ثَنَاءِ النَّاسِ خَيْرًا، وَهُوَ يَسْمَعُ، وَأَهُلُّ النَّارِ مِنْ مَلَأَ أَذْنِيَهُ مِنْ ثَنَاءِ النَّاسِ شَرًا، وَهُوَ يَسْمَعُ)) (٢).

- **تعلق الجوارح هو تعبير عن كمال الحب والخوف والرجاء:**

- الإنسان يعبر عن حبه واعجابه بأحد من الناس بأن يفعل ما يسره، فإذا زاد حبه له فعل كثيراً مما يسره، فإذا وصل حبه لدرجة الكمال وحبه لنفسه وصل إلى الصفر فهو عندئذ يعيش حياته كلها بالطريقة التي تسر محبوبه تعبيراً عن كمال حبه له.

- فإذا وصل حب الإنسان الله إلى درجة الكمال عاش حياته كلها الله تعظيمياً له ليعبر بذلك عن كمال حبه له.

- وكذلك فالإنسان يعبر عن خوفه من أحد من الناس بأن يفعل ما يسره حتى يتتجنب عقابه، فإذا زاد خوفه منه فعل كثيراً مما يسره حتى يتتجنب عقابه، فإذا وصل خوفه لدرجة الكمال فهو عندئذ يعيش حياته كلها بالطريقة التي تسره تعبيراً عن كمال الخوف منه.

- فإذا وصل خوف الإنسان من الله إلى درجة الكمال عاش حياته كلها الله تعظيمياً له ليعبر بذلك عن كمال خوفه منه.

- وهذا في الرجاء.

- الخالق هو المستحق للعبادة:

- الله هو المستحق لكمال الحب والمستحق للتعبير عن كمال الحب بتعلق الجوارح، فحق الله على العباد العبادة ، والعباد ليس لهم حق على الله إلا ما أخذه الله على نفسه، ففي الحديث عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: ((كُنْتُ رَدْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُقَيْرٌ،

(١) صحيح البخاري (١٣٦٧)

(٢) السلسلة الصحيحة: ٤ / ٣٢٠

فقال: يا معاذ، هل تدري حق الله على عباده، وما حق العباد على الله؟،
فُلِتْ: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا
يُشْرِكُوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يُعذَبَ من لا يُشْرِكُ به
شيئاً) (١).

ـ الطاعة لله بنية ثواب الله في الدنيا دليل على تعلق الإنسان بالدنيا:

ـ قد ي عمل الإنسان الطاعات بيتبعي بها وجه الله لكنه يريد بها ثواب الدنيا،
فقد ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمة الله تعالى أنواع العمل للدنيا
كالتالي: ((النوع الأول: العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء
وجه الله تعالى: من صدقة، وصلة، وإحسان إلى الناس، وردة ظلم، ونحو
ذلك مما يفعله الإنسان، أو يتركه خالصاً لله تعالى؛ لكنه لا يريد ثوابه في
الآخرة، وإنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله، وتنميته، أو حفظه أهله
وعياله، أو إدامة النعم عليه وعليهم، ولا همة له في طلب الجنة والهرب
من النار، فهذا يعطى ثواب عمله في الدنيا، وليس له في الآخرة من
نصيب، وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما)) (٢).

ـ وقد سُئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن معنى قوله تعالى: {مَنْ كَانَ
يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَيَّنَتْهَا نُوفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ}
فأجاب: ((ذكر عن السلف فيها أنواع مما يفعله الناس اليوم ولا يعرفون
معناه، فمن ذلك العمل الصالح الذين يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله
من صدقة وصلة وصلة واحسان إلى الناس وترك ظلم ونحو ذلك مما
يفعله الإنسان أو يتركه خالصاً لله، لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة، إنما
يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله وتنميته، أو حفظ أهله وعياله، أو إدامة
النعمة عليهم، ولا همة له في طلب الجنة والهرب من النار، فهذا يعطى
ثواب عمله في الدنيا وليس له في الآخرة من نصيب)) (٣).

(١) صحيح البخاري (٢٨٥٦)

(٢) نور الإخلاص وظلمات إرادة الدنيا بعمل الآخرة - الناشر: مطبعة سفير، الرياض (ص: ١٧)

(٣) توجيهات وموافق علمية للحميدي (ص: ١٣)

- ملحوظة:

- قد يتعلق الانسان بالمال رغم أنه يكسبه من حلال وقد يتعلق بالمال ويكسبه من حرام فهنا جمع بين مصيبيتين معاً.

- التناقض بين اليقين وتعلق الجوارح:

- قد يوقن الانسان بأن المال إلى زوال ولا قيمة له وبأن الرزق مقدر له ومضمون لكن تجده يلهث وراء المال من حلال ومن حرام، ومعظم وقته مشغول بأمور المال، وطريقة سلوكه وتصرفاته وأخلاقه وانفعالاته وردود أفعاله وعلامات الغضب والفرح والحزن على الوجه لا تتأثر إلا بالمال وأقواله وكلامه ونقاشاته معظمها عن المال والتجارة والبيع والشراء وتجد الحسد والحق على من يملك المال ثم هو يقول بأن الآخرة خير وأبقى وبيان الكفن ليس له جيوب!

- وقد يوقن الانسان بأن الآخرة ولقاء الله من أخطر ما يمكن لكن يكون حاله مثل حال الجاهل بالأمر، فهو يعيش كأنه لم يسمع عن الخالق وكأنه لم يسمع عن شيء اسمه الآخرة، أو كأنه لا يفهم معنى الغيبيات، لأن الغيبيات طلاسم وأمور مبهمة لا يفهمها فيعيش للدنيا.

- أو يكون حاله مثل حال الانسان الذي يتعامل مع أمر تافه فهو يتعامل مع الآخرة كأنها ودودة أليفة لا مشكلة منها ولا خطر فيها، كأنها غير مؤثرة وليس لها قيمة وكأن صفات الخالق ليست عظيمة وخارقة، فهو يتعامل مع الغيبيات بغير اهتمام.

- وقد يظهر التجاهل من خلال سلوكه وانفعالاته وردود أفعاله وكلامه، فتجده يبتعد بسمعه وبصره وكلامه وهمه عن الغيبيات وكل ما يتعلق بها ويترك أي عمل يتعلق بالغيبيات بطريقة الهروب والتجاهل وعدم الحديث في الأمر والتعامل كأنه لم يسمع عن الغيبيات، فلا هو مع الدين ولا ضد الدين ولا يوالى ولا يعادى ولا يتأثر به، ويتجاهل أي شيء فيه تذكير بالله والآخرة كأنه لم يسمع، فلا يحب أن يذكره أحد بالله والآخرة والموت والآيات الكونية والحلال والحرام ولا يرد على المتحدث إذا تكلم في ذلك، ويهرب من سماع ذلك، ولا يتكلم عن ذلك مع أي أحد، ويبتعد عن

كل ما يذكره بالله والآخرة كالآذكار والقرآن وغير ذلك، فالآخرة ليست في همه ولا على باله ولا في حساباته ولا في مشاعره وليس هدفه.



الفصل العاشر

مفهوم التعلق بالدنيا

- التعلق بالدنيا هو كمال التأثير بأي أمر من أمور الدنيا سواء كان شيئاً مادياً أو معنوياً أو عملاً أو أمراً يخترعه الإنسان لنفسه.

- شرط وجود التعلق هو وجود كمال التأثير، فإذا كنت تتعامل مع أي أمر من أمور الدنيا بدون تأثر به أو تأثرك به قليلاً أو تأثرك به كبيراً ولكن لا يصل إلى الكمال في التأثير فليس هذا تعلقاً.

- مجرد القيام بأعمال الدنيا وشغل أكثر الوقت بها ليس هذا دليلاً على التعلق بالدنيا، ومجرد أداء العبادات ليس هذا دليلاً على التعلق بالله والآخرة، والدليل الوحيد هو وجود كمال التأثير بالله والآخرة أو كمال التأثير بالدنيا وأمورها.

ـ مفهوم كمال التأثير (مفهوم التعلق):

- كمال التأثير (التعلق) معناه وجود أربعة عناصر معاً هي شدة التأله (أعظم ما يدهشك) وتعلق المشاعر (المحبوب الأعظم وأكبر ما ترجو وتخاف) وتعلق الهم (الهم الأكبر) وتعلق الجوارح (طريقة سلوكه وتصرفاته وأخلاقه وانفعالاته وردود أفعاله وعلامات الغضب والفرح والحزن وكلامه ونقاشاته).

- فمعنى تعلق الإنسان بأمور الدنيا هو أنه يراها أعظم شيء في حياته (شدة التأله) في حين ينظر إلى ما في الآخرة من ملذات ونعميم وعذاب كما ينظر إلى شيء ضئيل لا قيمة له، وتكون أمور الدنيا هي محبوبه الأعظم وأكبر ما يرجو وأكبر ما يخاف في حين لا يشعر بشيء تجاه ما في الآخرة من ملذات ونعميم وعذاب، وتكون صورة عظمة أمور الدنيا لا تفارق ذهنه (الشاغل الأكبر) في حين لا يشغل همه بشيء مما في الآخرة من ملذات ونعميم وعذاب، وتعلق جوارحه بأمور الدنيا فهو يعيش معيشة دنيوية وليس معيشة أخرى ودية.

- لاحظ أن هناك فرق بين عمل الجوارح وتعلق الجوارح (انظر الفصل التاسع).

- وإذا وضعت مقارنه بين نظرته لأمور الدنيا وتأثير مشاعره وهمه وجوارحه بها وبين نظرته لخطورة الآخرة ولقاء الله وتأثير مشاعره وهمه وجوارحه بذلك تجد الفارق بينهما كالفارق بين السماء والأرض.

- ملحوظة:

- التعلق يشمل أربعة أمور هي دهشة شديدة من خطورة الامر وتعلق الهم والمشاعر والجوارح به، فالامر الذي تراه عظيما (تتظر اليه بدهشة شديدة لعظمة قيمته في نظرك) ويكون همك الأكبر وتعلق به مشاعرك وجوارحك فهذا هو قضيتك الأساسية التي تعيش لها وهذا هو هدفك من الحياة، وإن كنت تحسب أن قضيتك الآخرة وهدفك الآخرة وأنت متعلق بالدنيا فأنت تكذب على نفسك.

- كل إنسان له تعلق بأمر ما:

- لا يمكن لإنسان أن يعيش بغير قضية أساسية تكون هي هدفه يحيا بها ويعيش لها ويتوجه إليها بمشاعره وهمومه وجوارحه، وكل إنسان له قضية هي أهم شيء في حياته، وهذه القضية تكون محور حياته ومستقبله ومصيره.

- كل إنسان له قضية أساسية تشغله تفكيره وتعلق بها مشاعره وينبني عليها عمله فهو بذلك يعيش لهذه القضية، فإذاً أن تكون قضيتك الأساسية التي تشغلك تفكيره وتعلق بها مشاعره وينبني عليها عمله هي الآخرة والموت ولقاء الله، فهو يضع الموت والآخرة نصب عينيه دائماً يفكر فيه ولا هم له غيره، وإنما أن تكون الدنيا والمال وأعباء الحياة، فهو يضع المال والبنون نصب عينيه دائماً يفكر فيه ولا هم له غيره.

- ما هي القضايا التي يشغل بها الناس؟:

- القضايا التي يشغل بها الناس هي قضايا كثيرة جداً سواء كانت قضيًّا كبيرة أو صغيرة أو تافهة وفيها تفاوت كبير بين الناس.



- فمن هذه الأمور العمل لكسب لقمة العيش والقيام بواجبات الحياة كالتغلب على أعباء الدراسة والزواج وتربيبة الأولاد وتدبير نفقات الأولاد ونفقات تعليمهم وتوفير الطعام والشراب وما يحتاجه أولاده وأسرته، ومنها مشاغل الحياة اليومية والتغلب على متطلباتها.
- ومنها التوسع في مشاريع لزيادة الدخل كالقيام بعمل تجاري والأمور التي يمكن زيادة المال منها والتي قد تكون من حلال أو حرام.
- ومنها قضية المناصب والجاه والسلطان والمظاهر، ومنها الاهتمام بمظاهر الإنسان أمام الناس، ومنها الحصول على شهادات أو مناصب، ومنها التطلع للترقي في العمل.
- ومنها قضية التمتع بشهوات النساء والتمتع بشهوة الطعام والشراب، ومنها عمارة الأرض وتوفير وسائل السعادة فيها، ومنها التوسع في رفاهيات الحياة والتطلع إلى الحياة المريحة ومنها التطلع لشراء مسكن أو سيارة.
- ومنها حل مشاكل تواجه الإنسان كالفقر والمرض والمشاكل العائلية أو إنجاب الأطفال أو الظلم من أحد، ومنها حل مشاكل في العمل أو مشاكل البيت.
- ومنها مهنة أو هواية معينة أو أمور التسلية أو الترفيه التي تعود عليها كمشاهدة مباريات الكرة ومشاهدة التلفاز والجلوس على المقاهي والتواصل مع الأصحاب والاقارب لقضاء أوقات ترفيهية واصطحاب الأسرة خارج المنزل للتنزه أو للطعام أو لمتعة الشراء وشغل الوقت بأي أمر بغرض استهلاك الوقت ولو بدون داعي والحديث عن أخبار الأصحاب والاقارب والكلام عن أحوال الناس وأخبار السياسة وأخبار الطقس وأسعار الطعام والشراب وطرق مضاعفة المال وغير ذلك.
- وقد تكون قضية الإنسان الأساسية بعض من هذه الأمور وليس قضية واحدة.
- فهذه هي قضايا الدنيا، وهناك نوع آخر من القضايا هي قضية الوصول إلى ملذات الجنة والتمتع بالحور العين إلى ما لا نهاية من السنين والبعد



عن العذاب داخل النار إلى ما لا نهاية من السنين، قضية وجود الخالق فوقنا وجوده معناه بقدرته ورؤيته لنا وقدرة الخالق التي تسيطر عليك في ليالك ونهارك وفي كل لحظة، وكل حركاتك تحت المراقبة التامة وكل أنفاسك معدودة، ذلك الأمر المرعب الواقع عليك في الدنيا وذلك الخطر الرهيب الذي أنت مقبل عليه بعد لحظات من الآن من أمر الموت والحياة بعد الموت والانتقال إلى الآخرة حيث الحياة الأبدية واقترابها وخطورتها.

ـ ترتيب القضايا التي يشغل بها الناس:

ـ إذا أردنا ترتيب هذه القضايا التي يشغل بها الناس فهي كالتالي:

ـ هذه قضايا كثيرة، العاقل ينظر إليها ويقارنها ببعضها ليرى أيها أخطر وأيها يجب أن تشغله تفكيره لتكون قضيته وشغله الشاغل طوال حياته ويتعلق بها بقلبه وجوارحه.

ـ هناك قضايا تختص بعمارة الأرض واتقان العمل والتعليم وتربيبة الأولاد والعيش في سعادة وسلام وتسمى بغذاء الجسد وهي أمور يأمر بها الشرع.

ـ وهناك قضايا تختص بالتمتع بملذات الدنيا وشهوات النساء والطعام والشراب، ومنها ما هو حلال وحرام.

ـ وهناك أمور للتسلية وقضاء الوقت، ومنها ما هو حلال وحرام.

ـ وهناك أمور تختص بالدين هي العبادات والروحانيات، وتسمى بغذاء الروح.

ـ هذه القضايا تنقسم إلى ثلاثة أنواع من القضايا هي قضايا أخرى وتحتاج بصلة الإنسان بالله والآخرة، وقضايا دينية وتحتاج بصلة الإنسان بالدنيا والناس، ومنها ما هو حلال يأمر به الشرع ومنها ما هو حرام.

ـ وهناك نوعان من النصوص الشرعية هي نصوص تتعلق بالقضايا الأخرى وصلة الإنسان بالله، ونصوص تتعلق بالقضايا الدينية الحلال.



- النصوص التي تتعلق بالقضايا الدنيوية الحلال تشمل صلة الانسان بأمور الدنيا وصلة الناس ببعضها، والمقصد من هذه النصوص هو أن يعيش الانسان في صحة وفي أمان ويتوفر له طعام ليعينه مثلاً يحتاج المسافر أثناء سفره، ورغم أن هذه النصوص عليها ثواب وعقاب لكنها ليست المقصود الأساسي من خلق الانسان وإنما هي هدف مرحلي لتوفير ما يحتاجه الانسان أثناء سفره الى الآخرة وهي أن يعيش الانسان في صحة وفي أمان فلا يظلم أحداً ويتوفر له طعام ليعينه أثناء سفره.

- الشيطان قد يصور للإنسان أن الدين عبارة عن النصوص التي تتعلق بصلة الانسان بأمور الدنيا وصلة الناس ببعضها وأن هذا هو الهدف من الخلق ويريد من الناس أن تنسى الله والآخرة وبالتالي لا تتحقق النصوص التي تتعلق بالله والآخرة فلا يتحقق المقصود الأساسي من الخلق.

- الاهتمام بالنصوص التي تتعلق بصلة الانسان بأمور الدنيا هو أمر جيد لكن الأهم منه الاهتمام بتحقيق النصوص التي تتعلق بصلة الانسان بالله والآخرة، والفارق بينهما كالفارق بين السماء والأرض.

- كل القضايا المتعلقة بالدنيا ليست بشيء أمام قضية الموت والآخرة ومعرفة الخالق، لأن جميع القضايا المتعلقة بالدنيا تفني سريعاً مع فناء الدنيا، والذين كانت تشغلهم هذه القضايا الدنيوية كانت شغلهما الشاغل قد ماتوا الآن فأيتها يفیدهم الآن، فالذين يعيشون وتنشغل عقولهم طوال حياتهم بقضية الموت والاستعداد له والآخرة وما بها ومعرفة الخالق هؤلاء هم العاقلين وغيرهم لا عقل لهم، وهؤلاء أيضاً قد تتشغل عقولهم بمشاكل الحياة ولكنه انشغال عابر مؤقت قليل وهو أيضاً انشغال كفرع من أصل، فعليه أن يتغلب على بعض أعباء الحياة ولكنه يتقلل من أعباء الحياة قدر ما يستطيع وينشغل عنها بما هو أخطر.

- فإذا كان الشاغل الأكبر هو هموم الدنيا فأنت جاهل لا عقل لك لأنك لم تتصور وتعي حقيقة السعادة وأين تكون، ولم تتصور وتعي حقيقة الخطر الذي أنت واقع فيه والخطر الذي أنت مقبل عليه بعد لحظات وبلا عودة، فأنت في غفلة تامة وغباء تام تضر بنفسك وتهلكها، فالدنيا لا قيمة لها



أمام الآخرة مهما كانت آلامها ومهما كانت لذاتها وتزول سريعاً في غمضة عين لمن يعقل كما أن معها ضئيلة ومحدودة في حد ذاتها.

- فالفارق بين القضايا الدنيوية والقضايا الآخرية كالفارق بين السماء والأرض لأنها جمیعاً بالمقارنة بالأخرة فهي تساوي صفر، وفي الحديث: ((ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدهم أصبعه في اليم فالينظر بم يرجع))^(١)، وفي حديث آخر: ((إن مطعم ابن آدم قد ضرب مثلاً للدنيا وإن قرحة وملحة فانظر إلى ما يصير))^(٢).

- وهذا معناه أن التعلق الأساسي للإنسان يجب أن يكون بالأخرة فقط، أما قيامه بأمور الدنيا الحلال على أنه وسيلة ضرورية تعين الإنسان أثناء سفره للأخرة.

- والعجيب أن الإنسان يعلم أن أمور الدنيا لا تستحق أن يعيش لها لكنه يتعلق بها فيكون كالنائه الذي ضل الطريق.

- ولاحظ أن قضايا الدنيا الحلال كعمارة الأرض واتقان العمل للكسب والتقدير العلمي والتكنولوجي والأخلاق والمعاملات الحسنة والعمل من أجل سعادة البشر هو أمر مشترك بين جميع الناس سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين لأن مطلوب لجميع ليعيش الناس في سعادة و هنا ، لذلك ينادي به الجميع ، ولكن المشكلة أن البعض يتعمدون حصر الدين في هذه الأمور فيشغلوا بذلك عن أصل الدين.

- فأصل الدين هو التعلق بالغيبيات، فإذا رفعنا التعلق بالغيبيات أصبح الدين شكلاً لا معنى له، ولا فارق بين المسلمين عندئذ وغيرهم إلا في الانتماء للدين والقيام ببعض أعمال الدين، وقد يكونوا مشتركين في البيهقي بالخلق والآخرة ولكنه عندئذ يقين كاذب، والقيام ببعض أعمال الدين قد يكون تكلاً أو رياءً أو تعوداً أو يريد بها ثواب الله له في الدنيا فقط أو من تأثره الضعيف الذي لا يصل إلى التعلق بالأخرة.

(١) قال الشيخ الألباني: صحيح (سنن ابن ماجة ج: ٢، ص: ١٣٧٦، برقم: ٤١٠٨)

(٢) تحقيق الألباني: حسن (صحيح الجامع برقم ٢١٩٥)

ويمكن تقسيم الناس من ناحية تعلق القلب والجوارح إلى ستة أصناف كالتالي:

- يمكن تقسيم الناس حسب أودية الدنيا الواردة في الحديث: ((من جعل أهله هما واحداً كفاه الله هم دنياه ومن تشبعته الهموم لم يبال الله في أي أودية الدنيا هلاك))^(١)، فكل واحد يسير في واد من أودية الدنيا تكون همه قضيته بينما المؤمن همه قضيته الآخرة، وهذه الأصناف كالتالي :

١- صنف من الناس عقولهم مبنية على المال والحصول عليه فلا يفكرون إلا في ذلك ولا يشغل همهم إلا بذلك ولا يسعون إلا لذلك ولا يرغبون إلا في ذلك.

٢- صنف من الناس عقولهم مبنية على شهوات النساء فلا يفكرون إلا في ذلك ولا يشغل همهم إلا بذلك ولا يسعون إلا لذلك ولا يرغبون إلا في ذلك.

٣- صنف من الناس عقولهم مبنية على المظاهر والمناصب والألقاب والشهادات العلمية والحصول على ذلك، فلا يفكرون إلا في ذلك ولا يشغل همهم إلا بذلك ولا يسعون إلا لذلك ولا يرغبون إلا في ذلك.

٤- صنف من الناس عقولهم مبنية على مشاغل الحياة وهمومها وأعمالها مثل تدبير ما يحتاجه الأولاد والزوجة لتصبح قضيتها، فلا يفكرون إلا في ذلك ولا يشغل همهم إلا بذلك ولا يسعون إلا لذلك ولا يرغبون إلا في ذلك.

٥- صنف من الناس عقولهم مبنية على كل شهوات الدنيا ومشاغلها أو بعضاً من ذلك، فلا يفكرون إلا فيها ولا يشغل همهم إلا بها ولا يسعون إلا لها ولا يرغبون إلا فيها مع التفاوت، فمنهم من يكون أكبر تفكيره في المال ثم المظاهر ثم شهوات النساء مثلاً وغير ذلك، فإن مجموع المحاب أكبر من حب الله، ومجموع المخاوف أكبر من الخوف من الله، ومجموع الهموم أكبر من انشغاله بلقاء الله والآخرة، فمثل هذا الرجل هو يعيش

(١) حديث حسن (صحيح الترغيب والترهيب ج: ٣، برقم: ٣١٧٠)

من أجل الدنيا وغايتها الدنيا رغم أنه قد يكون مقتنعا تماما بأنه يعيش الله وغايتها الله!

٦- صنف من الناس عقولهم مبنية على الآخرة ولقاء الله ومعرفته، ليست الدنيا كل همهم فرغم انشغال همهم بالدنيا إلا أن همهم الأكبر الدائم منشغل بالله والآخرة، فتعلق مشاعرهم وجوارحهم هو بالحالي والآخرة، وهؤلاء هم أهل جنات النعيم وغيرهم يعبدون أهواهم: ((أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَحَتَّمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ))^(١).

ـ التعلق بأمور الدنيا الحلال والتي يأمر بها الشرع هو تعلق بالدنيا:

ـ أصل معنى الدين أن هناك صلة بين البشر والخلق، ونحن خلقنا من أجل تحقيق هذه الصلة، وأن تكون تعلقا وليس مجرد صلة، وإذا لم تكن هذه الصلة موجودة فلا معنى لشيء اسمه دين، أما صلة الإنسان بأمور الدنيا وصلة الناس ببعضها فليست هي الأصل الذي خلقنا من أجله، وهي أمور عليها ثواب وعقاب لكونها وسيلة لابد منها تعين الإنسان أثناء سفره إلى الآخرة.

ـ هناك هدف مشترك بين جميع الناس سواء كانوا أهل دين أو أهل دنيا وهو أنهم يريدون أن يعيشوا في سعادة وسلام وصحة وأمان وحرية ولا يظلم أحد أحدا ويتتوفر لهم طعام ومسكن ووسائل معينة لهم على المعيشة، لذلك فأهل الدنيا وأهل الدين يطالبان بنفس هذه الاعمال.

ـ والفارق هو أن هذا الهدف عند أهل الدنيا هو هدفهم الأساسي الذي لا هدف لهم غيره، أما أهل الدين فهذا هو مجرد هدف مرحي ليستعينوا به أثناء سفرهم إلى الآخرة، أما هدفهم الأساسي هو تحقيق الصلة بينهم وبين الخالق سبحانه.

(١) الجائحة: ٢٣

الفرق بين التعلق بأسباب الرزق وأسباب السعادة في الدنيا والأخذ بأسباب:

الشرع أمرنا بأعمال الدنيا الحلال لكي نعملها وليس لكي نتعلق بها، فيجب عليك أن تسعى للرزق وتربى أولادك وتعمير الأرض وليس أن تتعلق بأسباب الرزق أو تربية الأولاد أو تعمير الأرض، فمن تعلق بذلك فهو يتعلق بالدنيا وبالتالي لا يتعلق بالله والآخرة.

التعلق بأسباب الرزق معناه أنه يتلأه أسباب الرزق (ينظر إليها نظرة تعظيم فيعتبرها أهم شيء في حياته) وتعلق بها مشاعره ف تكون محبوبه الأعظم ورجاءه وخوفه الأكبر، وتكون همه الأكبر الدائم الذي لا يفارق ذهنه، ويلهث بجواره ليلاً ونهاراً للأخذ بأسباب، وهو بذلك يجعل هدفه الذي يعيش له هو التغلب على أعباء الحياة ومشاكلها اليومية والتغلب على ما عنده من مشاكل وصراعات دنيوية والخروج من الفقر أو نقص المال وغير ذلك، فيجعل قضيته في الحياة توفير لقمة العيش كأن الله خلقه لذلك: ((وَمَا حَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ (٥٦) مَا أَرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أَرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْفُوْرَةِ الْمَتَّيْنُ))^(١).

وهناك فرق بين تعلق الجوارح وعمل الجوارح، فتعلق الجوارح بأسباب الرزق معناه أن سلوكه وتصرفاته وانفعالاته وعمله وأكثر وقته دائماً منشغل بتحصيل لقمة العيش وتوفير متطلبات المعيشة، من طعام وشراب وأن يعيش بصحة ويجد مكان آمن يعيش فيه والانفاق على أسرته وغير ذلك مما يريد من أمر الدنيا للمعيشة.

أما الأخذ بأسباب الرزق فمعناه أن يمشي بجواره في طلب الرزق وليس يلهث وراءه ليلاً ونهاراً، فلا ينظر إليه نظرة تعظيم ولا يشغل همه به ولا تتأثر مشاعره به ولا تتعلق جواره به فلا يكون ذلك هدفه من حياته وإنما أخذه بأسباب هو لمجرد أنه مطالب بذلك.

(١) الداريات: ٥٦ - ٥٧

- وإذا وضعت مقارنه بين نظرته لأسباب الرزق وتأثير مشاعره وهمه وجوارحه به وبين نظرته لخطورة الآخرة ولقاء الله وتأثير مشاعره وهمه وجوارحه بذلك تجد الفارق بينهما كالفارق بين السماء والأرض.

ـ الفرق بين التعلق بالمعصية والوقوع في المعصية:

- التعلق بالمعصية معناه أنه يراها أعظم ما يكون وترتبط بها مشاعره وهمومه وجوارحه، وبالتالي فهو لا يتعلق بالله والآخرة.

- فالارتباط بالمعصية يزيد حتى تصبح من الكبائر، ثم يزيد الارتباط حتى يصبح تعلقاً، حيث تصبح ران يحيط بالقلب، ففي الحديث: ((إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةُ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ فَإِنْ تَابَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِّلَ قَلْبُهُ وَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبُهُ فَذَلِكُ الرَّأْنُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى {كَلَّا بَلْ رَأَنَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}))^(١)، وقال الحسن: ((هو الذنب على الذنب حتى يعمي القلب))^(٢).

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْتَّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهٍ وَقَالَ التَّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ
(٢) تهذيب الداء والدواء (ص: ٦٣)

الفصل الحادي عشر

الحياة من أجل المال والدنيا من الغباء

الناس صنفين عاقلين وأغبياء، العاقلين هم الذين اختاروا رضا ربهم وجنته، والأغبياء هم الذين تجاهلو الخالق والآخرة واختاروا أن يعيشوا للدنيا وتعلقوا بها فخسروا سعادة أنفسهم في الدنيا والآخرة: ((وَمَا كَانَ لِفُؤُسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقُلُونَ))^(١).

- هدف الإنسان هو ما يتعلق به وليس ما هو مقتضى بأنه هدفه، فقد يحسب أن هدفه رضا الله والجنة وهو متعلق بالدنيا، فحقيقة هدفه عندئذ هو الدنيا.

- فإذا كان هدف الإنسان هو المال والدنيا فهذا من الغباء لأنه يضر نفسه ويحسب أن ذلك خيرا له، ونوضح ذلك كالتالي:

الحياة من أجل الدنيا جهد ضائع وعمر ضائع:

- الإنسان إما أن يكون هدفه الذي يعيش له هو رضا الله والجنة أو هدفه المال أو الشهوات أو التغلب على عقبات الحياة وغير ذلك، وفي الحالتين هو يبذل مجهوداً كبيراً ليحقق هدفه بنجاح.

- الذي يعمل للدنيا يتعب ويكد طول عمره ثم هو في النهاية يكون تعبه وكده هباءً منثوراً.

- حال الذي يعيش من أجل أمور الدنيا مثل حال الطالب الذي يذاكر مادة الكيمياء مثلاً رغم أن الامتحان الذي سوف يمتحنه في مادة التاريخ (مثلاً) فهل ينفعه ما اجتهده؟

- حقيقة لذات الدنيا أنها تساوي صفرًا ولكن الناس تراها على غير حقيقتها وسوف يعلمون حقيقتها عندما يقفون على أرض المحشر، وبالتالي

(١) يومنس: ١٠٠

فالسعي لتحصيلها تعب ونصب بدون مقابل، وفي الحديث: ((كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى الحلقة فإذا هو بشاة ميئية شائلة برجلها، فقال: أترون هذه هينة على صاحبها، فوالذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه على صاحبها، ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها قطرة أبداً)).^(١)

ـ الحياة من أجل التغلب على أعباء الحياة جهد ضائع وعمر ضائع:

ـ لأن الرزق مضمون، وفي الحديث: ((إن الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله))^(٢)، وقال ابن عطاء: ((اجتهادك فيما ضمن لك وتحصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس بصيرتك))^(٣)، وقيل لحاتم الأصم: «علام بنى أمرك؟»، فقال: ((على التوكل، ثم قال: بنى أمرى على أربع خصال: علمت أن رزقي لا يأكله غيري؛ فاطمأنت نفسي، وعلمت أن عملي لا يعمله غيري؛ فلم أشتغل لغيره، وعلمت أن الموت يأتيني بغتةً؛ فأنا أبادره، وعلمت أنني لا أخلو من عين الله - عز وجل - حيث ما كنت؛ فأنا مستحبي منه))^(٤).

ـ النظر إلى الدنيا نظرة تعظيم والتعلق بها من الغباء:

ـ حقيقة الدنيا أنها طين، فالظلم الذي اخذ مالا من المظلوم إنما هو جاهل وغبي لأنه أضر بنفسه وإنما هو أخذ طينا إلى زوال وأضر بنفسه يوم الحساب، والمظلوم الحزين على ضياع حقه هو أيضاً جاهل وغبي لأنه ما ضاع منه غير قدر من الطين إلى زوال.

ـ وكذلك فالنظر إلى الغني نظرة تعظيم فهو جاهل وغبي لأن ما معه إنما هو طين، والذي ينظر إلى الفقير نظرة احتقار فهو جاهل وغبي لأن ما ليس معه إنما هو طين.

(١) تحقيق الألباني: صحيح (الصحيحة: ٦٨٦، ٢٤٨٢)

(٢) تحقيق الألباني (حسن) انظر حديث رقم: ١٦٣٠ في صحيح الجامع

(٣) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية (٣/٨٧)

(٤) دليل الوعاظ إلى أدلة الموعظ (٢/٦٠٥) الناشر: دار الخلفاء الراشدين (الإسكندرية)



- لذلك فالذى يتعلق بالدنيا للحصول عليها انما هو جاهم وغبي لأنه يسعى للحصول على طين كما أنه يضر نفسه لأنه يورد نفسه موارد الهالك، فهو لا يعرف مصلحة نفسه ففي تفسير ذكرة الأربيب في تفسير الغريب: ((فأنسأهم أنفسهم} أي حظوظ أنفسهم))^(١).

من كان يعيش للمال لينال متع الدنيا الفانية أضع على نفسه متع الجنة الهائلة:

- كل الناس يريدون الشهوات واللذات وتحقيق السعادة وتجنب المضار والآلام، وهم في ذلك صنفين هما:

- الصنف الأول يرى السعادة في شهوات الدنيا ولذاتها وتجنب مشاكل الدنيا وألامها فيكون تفكيره في شهوات الدنيا وهمه في الحصول عليها، وهؤلاء كل خوفهم ورجائهم في الدنيا رغم أنهم قد يوقنون بأن السعادة ليست في المال وإنما في رضا الله ودخول الجنة!!!

- الصنف الثاني يرى السعادة في شهوات الجنة ولذاتها وتجنب عذاب النار وألامها فيكون تفكيره في شهوات الجنة والحور العين وهمه في الحصول عليها، وهؤلاء هم المؤمنون، وهؤلاء هم العاقلين الذين يصبرون أنفسهم عن شهوات الدنيا القليلة ليتمتعوا بالنعم الأبدى في الآخرة، والدنيا في نظرهم ما هي إلا صبر ساعة، وهؤلاء خوفهم ورجاؤهم في الله تعالى.

- فكل الناس يحبون الشهوات ويحبون النظر إلى العورات، فمنهم من يرى ذلك في الدنيا فيحبون شهوات الدنيا ويحبون النظر إلى نساء الطين وذلك لأنهم لا يعرفون الجنة معرفة حقيقة، ومنهم من يرى ذلك في الجنة فيحبون شهوات الجنة ويتصورون في عقولهم الحور العين وجمالهن ويشتاقون لهن ويعذون المهر الذي يصلون به إلى الحور العين بالإيمان والنقوى، وهؤلاء هم العقلاة الذين يعرفون الجنة معرفة حقيقة.

(١) تفسير الغريب (ص: ٣٩٨)



- وكذلك فالإنسان يحب متع النساء والخمور والقصور ويعيش لذلك، فمن الناس من يرى أن هذه المتع في الدنيا فيعيش لها، ومنهم من يرى أن هذه المتع في الجنة فيعيش لها وقلبه يشتق إلى نساء الحور العين وجمالهن ولذة الخمور وفخامة القصور.

- فالذى يبحث عن شهوة النساء الفاتنات لا يجب أن يبحث عنها في الدنيا وإنما يبحث عنها في الجنة، والذي يتطلع إلى مسكن فاره أو قصر مشيد يتطلع إلى ذلك في الجنة، والذي يتطلع إلى أن يشرب الخمور ويرقص مع النساء يتطلع إلى ذلك في الجنة، وهذا.

- لماذا تؤمل في متع من الدنيا ضئيلة وتنظرها وتفكر فيها في حين أنك قريراً جدًا تصل إلى متع بلا نهاية بلا حدود، فالجنة بعد لحظات ولكنك لا تدري، فما سنوات العمر إلا لحظات، فابق كما أنت تؤمل في متع وملذات ولكن في متع وملذات الجنة، وفي الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرُو قَالَ: (مَرَّ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ نُعَالِجُ حُصَنًا لَنَا فَقَالَ: مَا هَذَا؟، فَقُلْتُ حُصُنٌ لَنَا وَهِيَ نَحْنُ نُصْلِحُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَرَى الْأَمْرَ إِلَّا أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ) (١).

تضييع الوقت وشغله بالتسلية وأمور الدنيا من الغباء لأنه يسرق عمر الإنسان:

- قد تكون قضية الإنسان هي كيف يمر الوقت وبماذا يشغله؟، وقد يظل منشغلًا بالمال والأولاد وجمع الدنيا، وتظل الدنيا تسرق منه عمره وهمه ومشاعره وأهدافه ثم يفاجأ بلحظة يذهب فيها للقاء الله تعالى لم يكن قد حمل لها همًا أو تفكر فيها واستعدت لها نفسه، وفي تفسير البحر المديد: ((اللهاكم التكاثر) بالأموال والأولاد، حتى مثم وفبرتم مضيعين أعماركم في طلب الدنيا، معرضين عما يهمكم من السعي للأخرة، فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت، قال عبد الله بن الشخير: قرأ النبي صلى الله عليه وسلم {اللهاكم التكاثر} فقال: "يقول ابن آدم: مالي، وليس له من

(١) أبو داود في الأدب (٥٢٣٦) والترمذى في الزهد (٢٣٣٦)، وقال الترمذى: حديث حسن صحيح

ماله إلا ثلاثة، ما أكل فأفني، أو لبس فأبلى، أو تصدق فأبلى" وما سوى ذلك فهو ذاهم وتاركه للناس))^(١).

ـ التعلق بالدنيا من الغباء لأن ما يحتاجه الإنسان من الدنيا ضئيل:

ـ الفرق بين الغني والفقير هو في حقيقته فرق بسيط؛ فالغني لا ينتفع إلا بالقليل من ماله، وهو ما يسد حاجته، وما زاد عن ذلك فليس له وإن كان يملكه، فلو نظرنا إلى أغنى رجل في العالم نجد أنه لا يستطيع أن يأكل من الطعام أكثر مما يأكل متوسط الحال أو الفقر؛ بل ربما كان الفقر أكثر منه!!

ـ وبعبارة أخرى هل يستطيع الغني أن يشتري مائة وجبة فيأكلها في آن واحد، أو مائة ثوب فيلبسها في آن واحد؛ أو ألف مركبة فيركبها في آن واحد؛ أو مائة دار فيسكنها في وقت واحد؟! كلا؛ بل له من الطعام في اليوم ثلاثة وجبات تزيد قليلاً أو تنقص، وله من اللباس ثلاثة قطع تزيد قليلاً أو تنقص، ولا يستهلك من الأرض في وقت واحد إلا متراً في مترين سواء كان قائماً أم ماضطاً أم مضطجعاً، فعلام يحسد وهو سيحاسب على كل ما يملك؟!

ـ والجاهل لا يفكر إلا في قيمة المال في الدنيا ولا يفكر في ضالة المدة التي ينتفع بها بالمال وزواله سريعاً وعدم نفعه في الآخرة وأن ما يزيد عن طعام يسد جوفه وملبس يسده ومكان ينام فيه لا يحتاج إليه، فالسعادة المادية في الدنيا ضئيلة وتحقق بثلاثة أشياء هي ما جاء في الحديث : ((من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها))^(٢)، فالإنسان لا يحتاج من الدنيا سوى إلى ثلاثة أمور هي: مكان ينام فيه ولقمة يأكلها وأن يكون غير مصاب بالأمراض التي تعيقه عن أن يعيش سوياً، وفي الحديث: ((إنما يكفي أحدهم ما كان في الدنيا مثل زاد الراكب))^(٣)، وعن لقمان بن عامر أن

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٣٤٧/٧)

(٢) تحقيق الألباني: حسن (انظر حديث رقم: ٦٠٤٢ في صحيح الجامع)

(٣) تحقيق الألباني: صحيح (انظر حديث رقم: ٢٣٨٤ في صحيح الجامع)

أبا الدرداء قال: ((أهل الأموال يأكلون ونأكل ويشربون ونشرب ويلبسون ولبس ويركبون ونركب لهم فضول أموال ينظرون إليها^(١) وننظر إليها معهم عليهم حسابها ونحن منها براء))^(٢).

- وقد يظل الإنسان منشغلًا بالمال والأولاد وجمع الدنيا، وتظل الدنيا تسرق منه عمره وهمه ومشاعره وأهدافه ثم يُفاجأ بلحظة يذهب فيها للقاء الله تعالى لم يكن قد حمل لها همًا أو تفكّر فيها واستعدت لها نفسه، وفي الحديث: ((عن مطرف عن أبيه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ {الهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} في الأموال والأولاد عن الطاعة حتى زرْتُمُ الْمَقَابِرَ) أي: حتى يأتِيْكُمُ الْمَوْتُ))^(٤)، ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ))^(٥).

- أمران يشغلان الناس طوال حياتهم إلى أن يموتو هما المال والأولاد، وقد يؤدي ذلك إلى درجة التعلق بهما وبالتالي عدم التعلق بالله والآخرة، وفي التفسير الوسيط: ((الْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} في الأموال والأولاد عن الطاعة حتى زرْتُمُ الْمَقَابِرَ) أي: حتى يأتِيْكُمُ الْمَوْتُ))^(٤)، ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ))^(٥).

- ومتعة الطعام والشراب محدودة ومتعة النساء محدودة، كما أن المتعة بين النساء متشابهة ففي الحديث: ((إن المرأة إذا أقبلت أقبلت في صورة شيطان فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن الذي معها مثل الذي معها))^(٦)، إذن فمحل الوطء والإصابة متساوٍ بين النساء كلهن لذلك فالعقل لا ينخدع بظاهر المرأة.

- وما يساعد على تذكر حقيقة الدنيا تأمل أصحاب الثروات بعد أن ماتوا ماذا أخذوا معهم؟

(١) يربّ أنهم لا ينتفعون بها وإنما يقتصرن على النظر إليها، وليس في النظر نفع على الحقيقة

(٢) تقريب كتاب الزهد والرقائق (ص: ٩٥)

(٣) التخريج: صحيح (مشكاة المصايح ج: ٣، برقم: ٥١٦٩).

(٤) التفسير الوسيط - مجمع البحوث (٢٠٠٦/١٠)

(٥) المناقون: ٩.

(٦) تحقيق الألباني: صحيح (انظر حديث رقم: ١٩٣٩ في صحيح الجامع)

- الدنيا عبارة عن لعب ولهم والانسان إما أن يختار الخالق
والآخرة أو اللعب والله:

إذا قارنا الدنيا بالآخرة فالدنيا لعب ولها مثل لعب ولها الأطفال؛ لأنها حياة قصيرة جداً وتأفهمة جداً، بل إنها ليست بحياة أصلاً: ((وما هذه الحياة الدنيا إلا لعب ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحياة لؤ كانوا يعلمون))^(١)، ((وما الحياة الدنيا إلا لعب ولعب وللدار الآخرة حير للذين يتقون أفلأ تعقلون))^(٢)، ((إنما الحياة الدنيا لعب ولعب))^(٣)، ((اعلموا إنما الحياة الدنيا لعب ولعب))^(٤)، واللعب واللهو هو الشيء الذي ليس له قيمة فلا ينفع ولا يضر وليس له أهمية ولا يهتم الإنسان به ولا يكترث به، وبالتالي لا يتأثر به الذهن ولا المشاعر.

لو كانت قيمة الدنيا أكبر من صفر ولو بذرة واحدة لمنع الله الكافر من الحصول على أي شيء من الدنيا ولو حتى شربة ماء لن يأخذها، ولكن لأن الدنيا لا تساوي شيئاً فالذي معه من الدنيا مثل الذي ليس معه شيء، فإن الله يعطي للجميع، وفي الحديث: ((كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى الحلبة فإذا هو بشاة ميّة شائلة برجلها، فقال: أترون هذه هينة على أصحابها، فوالذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه على أصحابها، ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها قطرة أبداً))^(٥)

فالدنيا أشبه بحلم في المنام ثم يفيق منه الإنسان، ففي إحياء علوم الدين ((عن يونس بن عبيد، قال: ما شبهت الدنيا إلا كرجل نام فرأى في منامه ما يكره وما يحب، فبينما هو كذلك إذ انتبه... قيل لبعض الحكماء: أي شيء أشبه بالدنيا؟ قال: «أحلام النائم»))^(١)، وفي إحياء علوم الدين

٦٤ (١) العنكبون:

٣٢ (٢) الأنعام:

٣٦ (٣) محمد:

٢٠ (٤) الحديد:

(٥) تحقيق الألباني: صحيح (الصحيحة: ٦٨٦ ، ٢٤٨٢)

(٦) إحياء علوم الدين (٣/٢١٤)

أيضاً: ((وكتب رجل إلى أخ له: أما بعد، فإن الدنيا حلم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن في أضغاث أحلام والسلام))^(١).

ـ تقليد الناس والتعلق بهم من الغباء:

ـ عندما يرى الإنسان أن كثيراً ممن حوله من الناس يتنافسون على المال سواء من حلال أو حرام فيبادر لنفسه أنه طالما أن الناس يتنافسون على المال فذلك هو الصواب، ويبادر لنفسه أن المال يستحق أن تعيش له فيتعلق بالمال: ((وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَرْفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا أَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُفْتَدُونَ))^(٢)، فالمال هو أهم اختبار للإنسان خاصة في هذا الزمان هل يرى فيه السعادة فيجعله هدفه الذي يعيش له أم يرى السعادة في الجنة فيجعلها هدفه، ففي الحديث: ((الكل أمة فتنة وإن فتنة أمتى المال))^(٣).

ـ الفائز هو من عاش لله، والخاسر من عاش لنفسه، وأخسر منه من عاش لغيره، فمثلاً قد يعيش الإنسان من أجل أولاده ويشقي نفسه من أجلهم، فهو يحرم نفسه من الدنيا ويخسر الآخرة، فهو يعيش كل حياته من أجل أن يمد زوجته وأولاده بكل ما يحتاجونه فيكون مورداً مالياً فقط، ويكون ذلك أكبر سعادة له ثم يكتشف في النهاية أنه كان يحصد الهواء، ويموت ويترك أولاده يتعمدون بما ترك لهم وهم لا يقيمون له وزناً في أنفسهم سواء في حياته أو بعد موته.

ـ للاحظ أن هناك فرق بين الاهتمام بالزوجة والأولاد وبين التعلق بهم، فالتعلق بهم معناه أنه جعلهم قضيته التي يعيش لها فلا هم له غيرهم (انظر بالفصل العاشر).

ـ وقد يجعل الإنسان قضيته في الحياة أن يعمل مثلاً يعمل الناس، ويبعد عما يغضبهم خشية كلام الناس، وفي الحديث: ((من أرضى الناس بسخط

(١) إحياء علوم الدين (٤/٤٥٥)

(٢) الزخرف: ٢٣

(٣) قال الشيخ الالباني: صحيح - السلسلة الصحيحة (٢٢١٦)

الله وكله الله إلى الناس ومن أ Sext الناس برضاء الله كفاه الله مؤنة الناس)).^(١)

- وأبو طالب رفض أن يقول الشهادتين خشية أن تغيره قريش فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: ((لولا أن تغيرني قريش - يقولون: إن ما حمله على ذلك الجزء - لأفررت بها عينك!)).^(٢)

- **تعلق الناس بالدنيا من الغباء لأنهم بذلك يضرون أنفسهم بأنفسهم:**

- إذا تناقض الناس على الدنيا وكان كل واحد حريص على الدنيا ولو على حساب الآخرين، فهذا يؤدي إلى أن يعم الضرر على الجميع.

- وعلى عكس ما يتصور البعض فلن يعيش الناس حياتهم في سعادة حتى تتغير نظرة الناس إلى الدنيا فغيرونها على حقيقتها الضئيلة فيتعلقون بالآخرة ولا يتعلقون بالدنيا، فهم عندئذ ينظرون إلى حقيقة المال والدنيا والشهوات وحقيقة مشاكل الدنيا بالمقارنة بمشكلة الآخرة، وعندئذ لن تكون هناك سرقات ومشاكل... إلخ، بل إن مفهوم المشكلة سوف يتغير فلن تكون مشاكل الحياة هي المشاكل التي يعاني منها الناس وإنما سوف تكون مشكلة الناس الوحيدة هي النجاة من النار ودخول الجنة، ولن تمثل مشاكل الحياة شيء؛ لأنها في نظرهم عابرة وهم عابري سبيل، بل إن عدم انشغالهم بالمشاكل الدنيوية وأعباءها وعدم التعلق بها هو في حد ذاته راحة وسعادة نفسية، كما أن كل مخاوف الدنيا لن تؤثر عليه وتحزنه عندئذ لأنه لا يخاف إلا من الله تعالى، والرضا بجميع ما يحدث له لكونه قضاء الله وقدره فيه راحة وسعادة.

- والأصل أن الإنسان لا يملك شيئاً والله هو المالك لكل شيء، والأصل أن الإنسان ليس له حق على الله فلا يستحق شيئاً، وبالتالي إذا لم يجد غير لقمة صغيرة لا تسد جوفه فإنه يكون سعيداً مسروراً بها؛ لأن الأصل أنه لا يمتلك شيئاً، فما عنده من عين وأنف وما عنده من مال وزوجة

(١) التخريج: صحيح (شرح الطحاوية ٢٧٨، الصحيفة ٢٣١١)

(٢) أحكام الجنائز (١/٩٥) - الناشر: المكتب الإسلامي

وأولاد وكل شيء هو ملك الله وهو عطاء من الله للإنسان، وبالتالي يشعر الإنسان بالسعادة والراحة ولو كان في أشد الأزمات والمحن لأنه أصلاً لم يكن مالكاً لأي شيء افقده.

- فالمشكلة الحقيقة ليست اقتصادية ولا اجتماعية ولا سياسية ولا غير ذلك وإنما المشكلة هي في عقول وقلوب الناس وهي أن يعيش الإنسان الله بهمومه ومشاعره وأهدافه، أما مشاكل الدنيا فهي نة وزائلة بزوال الدنيا، وما الدنيا إلا أيام قليلة نعيشها كيما اتفق، فلن تزول مشاكل المجتمع إلا إذا تغيرت العقول والقلوب: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ))^(١)، ((أَوْلَمَا أَصَابْتُكُمْ مُّصِيبَةٌ فَدَأْصَبْتُمْ مِثْلِهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا فُلْنُ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))^(٢)، ((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرْبَىٰ آمَنُوا وَاتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ))^(٣)، فحب الدنيا وتعلق المشاعر والهموم بها إذا خرج من العقول والقلوب فسوف يختفي التنافس على الدنيا وبالتالي تختفي المشاكل؛ لأن كل المشاكل تأتي من التنافس على الدنيا، كما يكون عند الناس عندئذ الرضا والقناعة؛ لأنهم علموا أن أقل شيء عندهم هو نعمة عظيمة من الله عليهم فيحتملوا الله تعالى، كما أن مفهوم السعادة سوف يتغير فلا تكون السعادة عندهم في المال والدنيا وإنما تكون السعادة عندهم في رضا الله ودخول الجنة، أما إذا لم تكن الآخرة لها وجود حقيقي في هم الإنسان ومشاعره فإنه لن يسامح أحداً؛ لأنه لا يشعر بأن هناك جزاء على ما يفعل، وسيعيش حياته يحصل أكبر ما يستطيع من المتع والمال ولو من غيره من الناس، ويكون حريصاً على عمره؛ لأن ما في حقيقة مشاعره أنه إذا مات فلن يجد شيئاً وأن الحياة هنا فقط ولا حياة أخرى فيجتهد أن يحصل كل ما يستطيع قبل أن ينتهي كل شيء فتكون السرقات وكل أنواع الظلم ويعيش الناس كالوحش في الغابة؛ القوي يأكل الضعيف، والناس عندئذ هم في الحقيقة يتبعون أنفسهم بأنفسهم، وهم في الحقيقة يسرقون أموال بعضهم بعضاً ويرثشون بعضهم من بعض ويصنون المتاعب لأنفسهم ويستمدون

(١) الرعد: ١١

(٢) آل عمران: ١٦٥

(٣) الأعراف: ٩٦

السعادة من أمور يختر عونها ويصنعن تعقيدات للحياة بدون داع وهكذا، ويكون مجتمع من المنافقين يتحدثون فيما بينهم بمعسول الكلام وقلوبهم حاقدة بعضهم على بعض، والقضية أنه لن يصلح حال المجتمع إلا إذا انصلحت ضمائر الناس فيكون الوازع الداخلي الذي يجعلهم يتربكون الشر والفساد هو من خشية الله، فإذا لم يتحقق ذلك فمهما صنعت من القوانين فلن يجدي، ومهما وضعت من الأجهزة الرقابية فستأخذ الرشاوى وستحتاج إلى أجهزة أخرى تراقب عليها وهي بدورها ستحتاج إلى من يراقبها وهكذا، فلابد أن يكون الأصل أن الناس تترك الشر والفساد خوفاً من الله وليس خوفاً من القانون وهذا هو الذي ينفعهم في الدنيا والآخرة.

- فإذا كان الإنسان مغروراً بالدنيا فهو لا يريد أن يفرط فيها؛ لأنها كبيرة عنده في يريد أن يأخذ ما عند الناس ويعذبهم ويأخذ حقوقهم ويكره الخير لهم، أما عندما يعقل الإنسان حقيقة الدنيا وضلالتها فإنه لا يبالى بها فيعطي مما عنده من الدنيا والمال للفقراء؛ لأنهم مثله ضعفاء فقراء أمام الله وما يعطيم من مال ليس ماله وإنما يعطيهم من مال الله.

- فلابد أن يتغير مفهوم المشكلة، فالسعادة ليست في حل المشاكل الدنيوية ولكن السعادة هي في الجنة، ولو أن جميع مشاكل المجتمع الدنيوية تم حلها فلن يصل الناس إلى تحقيق السعادة الحقيقة؛ لأن الدنيا ليست مؤهلة لتكون داراً للسعادة، فالله حكم أنها دار شقاء وتعب وليس دار سعادة: ((لَقَدْ خَلَقْنَا إِنْسَانَ فِي كَبَدٍ))^(١)، ولكن هناك من لا يزال يتسلق في جمع الدنيا من الأموال والأولاد والمناصب والشهوات، فهو كمن يخبط رأسه في الحائط؛ لأنه لن يجني شيء، كما أنه كلما تم حل مشاكل تستجد مشاكل أخرى، وكلما حق الإنسان طموحاً يستجد طموحاً آخر ويموت الإنسان وعنه طول أمل ولم يحقق السعادة!!.

- فعدم الشعور بالغبيات عند أفراد المجتمع أو أكثرهم يؤدي إلى توجه المجتمع تجاه الدنيا والمادة والشهوات، وتصبح القضايا العامة التي تهم

(١) البلد: ٤

الناس هي كيف يعيشوا حياتهم الدنيوية ويتمتعوا بها من التنافس على المال والشهوات والمظاهر والتلهي بهموم الحياة والطعام والشراب... إلخ، وتصبح المشاكل والهموم التي تشغّل الناس كلها أمور دنيوية وكأن الآخرة ليست مشكلة ولا يحمل أحد لها همّا، وكأن الموت ليس بمشكلة، وكأنه ليس أحداً مهيباً في السماء يهيمن على كل شيء، وكأن الغيبيات لا تمثل أي مشكلة، وعندئذ يكون رأي الإنسان ومزاجه وهواء وما يشتهيه هو المقياس الذي تقوم عليه الحياة.

الفصل الثاني عشر

مفهوم التعلق بالله (تعظيم الله - الخضوع لله)

- التعلق بالله يسمى بالخضوع بالنظر الى الانسان لأنه ترك تعلقه بنفسه وتعلق بغيره، ويسمى بالتعظيم بالنظر الى الخالق لأنه تعلق به تاركا تعلقه بنفسه من أجل الله تعالى، فالتعلق بالله والخضوع والتعظيم كلها شيء واحد.

ـ كيف ينشأ التعلق بالله:

- الإنسان يتاثر بالأمر بحسب مدى خطورته، فإذا كان الأمر لا خطر فيه فلا تاثر به، وإذا كانت خطورته ضئيلة فالتأثير به يكون ضئيلا، وإذا كان الأمر خطيرا فلابد أن يكون التأثر كبيرا، وإذا كانت خطورته هائلة جدا كان التأثر به شديدا جدا.

- فإذا كان الأمر خطيرا جدا ولم يتاثر به الإنسان فهذا معناه أنه لا يعرفه أو معرفته به كاذبة، وحيث أن قدرة الله وصفاته تصل إلى الكمال فالإنسان يتاثر به ويتعلق به بكمال التعلق لدرجة أنه يعيش له تعظيمها وهذا هو أصل العبادة.

- الضعيف ينبهر بع神性 القوي فيظهر اعجابه وحبه لعظمته ويخافه ويرجوه، فالإنسان إذا دخل على ملك من الملوك فإنه ينحني له تعظيمها له، فإذا وصلت قوة القوي إلى الكمال لدرجة أن يكون الضعيف نفسه جزء من ممتلكات القوي وهو الذي صنعه وما عنده من نعم هي ملك القوي وإنعام منه للضعيف فهذا معناه أن يتعلق به الضعيف بكمال التعلق فينبهر بعظمته بكمال الانبهار ويحبه بكمال الحب لعظمته وإنعامه ولأن حياته لا تقوم إلا به، ويقترب له ويلجأ إليه، فهذا التعلق الشديد يجعله يعظمه بكمال التعظيم من خلال كمال الذل له فيعيش حياته كلها ذليلا له ليعبر عن تعظيمه له بكمال التعظيم، وهذا هو أصل العبادة، وهو كمال الذل تعبيرا عن كمال التعظيم.

- ولأن القوي له كمال الثواب والعقاب فيضاف سبب آخر للتعلق بالله، فيكون التعلق خوفاً ورجاءً.

· أصل الدين هو التعلق بالغيبيات:

- حياة الإنسان تشمل أمران هما صلة الإنسان بالغيبيات وصلة الإنسان بالدنيا والناس، إذا كانت صلة الإنسان بالغيبيات هي الأساس وهي الأكبر وصلة الإنسان بالدنيا والناس تابعة لها فهذا هو أصل معنى الدين، وإذا كانت صلة الإنسان بالدنيا والناس هي الأساس وهي الأكبر وصلة الإنسان بالغيبيات تابعة لها أو لم تكن هناك صلة بالغيبيات فلا معنى لشيء اسمه دين.

- صلة الإنسان بالشيء هي تأثره به، ومعنى أن تكون صلته به هي الأكبر وهي الأساس هو أن تصبح تعلقاً، أي يكون شديد التأثر بها.

· التعلق بالله هو الخضوع وهو التعظيم:

- الإنسان إما أن يتعلق بنفسه أو يترك تعلقه بنفسه ويتعلق بالله تعالى.

- التعلق بالله يسمى بالخضوع بالنظر إلى الإنسان لأنه ترك تعلقه بنفسه وتعلق بغيره، ويسمى بالتعظيم بالنظر إلى الخالق لأنه تعلق به تاركاً تعلقه بنفسه من أجل الله تعالى.

- فالخضوع لله هو تعظيم الله وهو التعلق به دون النفس.

- فالتعلق بالله والخضوع والتعظيم كلها شيء واحد، وهي أصل العبادة وهي أثر اليقين.

- فإذا لم يؤدي اليقين إلى التعلق بالله (الخضوع - التعظيم) فهو يقين كاذب لأنه لم يؤدي أثره.

· مفهوم الخضوع (التعلق بالغير):

- الطبيعي أن يتعلق الإنسان بنفسه ولا يتعلق بغيره ولكن في حالة أنه لا يوجد من هو أعلى وأعظم من الإنسان، وهذا غير حاصل.



- أي إذا كان الإنسان هو الذي صنع نفسه بنفسه فأوجد لنفسه عينه وأنفه وأذنيه وأوجد لنفسه ما يمتلك من نعم وأموال وأولاد فهي ملكا له وليس لأحد سلطة عليه أو عطاء أو صنع له شيئا، ففي هذه الحالة فالإنسان له أن يعيش وفق مراد نفسه وما يشهده وهذا حقه فهو حر يفعل ما يشاء.

- ولكن الحاصل عكس ذلك فالإنسان هو نفسه عبارة عن مادة مصنوعة يمتلكها من صنعها، فالإنسان لا يملك شيئا ولا حتى نفسه فكل ما عنده من نعم وشهوات هو محض عطاء من الله، ففي هذه الحالة يجب على الإنسان أن يعيش وفقا لمراد من صنعه ويتلكه خاضعا لله لأنه لا يملك شيئا ولا حتى عقله فكل ذلك من صناعة الخالق.

- الخضوع معناه أن الإنسان بدلا من أن يتعلّق بنفسه فإنه يترك تعلّقه بنفسه ويتعلّق بغير نفسه، أي يتعلّق بالله تعالى.

- ويعناه أن يعيش الإنسان معيشة العبيد، فيذل نفسه لغيره أي يعيش كأسير أو خادم يلبي أوامر سيده، فيلغى إرادته ورغباته وشخصيته المستقلة ويعيش تابعاً منهزاً تحت إرادة قاهر له، ويعيش مقيداً بأوامر غيره عليه، ويعيش خاضعاً كالعبد الذي كان يباع ويشترى في الماضي، فلا يعيش حياته بناءً على ما يريد هو لنفسه وما يحبه ويهواه لنفسه وما يحقق رغباته، ولكن يعيش حياته بناءً على ما يريد ويرجعه أحد آخر منه.

- فهل تتصور لو أنك تعيش حياتك بناءً على ما يريد ويرجعه شخص آخر، فلا تتحرك أو تقوم أو تقدّم أو تفعل أي شيء إلا وفقاً لأوامر سيدك وليس وفقاً يملئه عليك عقلك، فكأنك إنسان آلي تسير بالريموت كنترول، والإنسان الآلي ليس له حياته الخاصة وليس له رغبات ولا يسير من تلقاء نفسه، فالذى يحركك هو سيدك الذى يملك أمرك، فكما أن الإنسان خاضع لله كونيا فيكون أيضاً خاضع لله شرعاً فيسلم إرادته لسيده ليُفْعَل به ما يشاء، فهو مستسلم ومنقاد ومقهور ومغلوب وخاضع تحت سيطرة أحد غيره كما يعيش العبد لسيد يملكه ويعمله التصرف فيه.

- تصور أنه تم بيعك في سوق العبيد مثلما كان يحدث في الماضي فأصبحت عبداً وخادماً لسيديك، هل تقبل هذه الحال الآن وأنت في عصر



الحرية؟!، هل تقبل أن تضع نفسك تحت تصرف غيرك؟!، وهل تقبل أن يتحكم فيك غيرك؟!، وهل تتحمل هذه الحالة النفسية من الخضوع وطوال عمرك؟!، إنك مطالب بما هو أصعب من ذلك أن تكون عبداً لسيسك ومولاك رب العالمين، فلماذا لا تشعر أنك واقع تحت سيطرة مَنْ يتحكم فيك وأنت عليك أن تقبل الخضوع والذل؟، فأنت تخضع له خضوع مَنْ شعر بأنه القهار المهيمن، وخضوع المحتاج إلى نعماءه، وتحب الذل إليه ليعطيك، كما يفعل الشحاذ حين يسأل الناس فإنه يخفض رأسه ويمد يده للناس ليعطيه ، فهل تخفض رأسك وتتمد يدك لله ليعطيك؟، إذن أين هذه الحالة النفسية المميزة للخضوع؟.

- وتعلق العناصر الأربع بغير النفس خضوع؛ فنظر الإنسان إلى الغير على أنه أعظم منه خضوع (ترك الغرور بالنفس)، والحب الشديد للغير خضوع (ترك محبة النفس والدنيا) وانشغال الهم الأكبر بالغير خضوع (ترك انشغال الهم بالملذات) وتعلق الجوارح بالغير خضوع (الخضوع للأوامر).

- فالإنسان عليه أن يختار طريقة الحياة ونمط الحياة التي يريد أن يعيشها، أي إما أن يعيش حياته عبداً خاضعاً لغيره أو يعيش لنفسه حراً غير ذليل أو خاضع لأحد.

- أي أن يعيش على أساس أنه عبد مثلاً كان العبيد قديماً يباعون ويشترون في سوق العبيد، فهو يعيش خادماً لسيده يوجهه كيف يشاء ويفعل به ما يشاء وليس له حق في أي شيء، فيعيش معيشة العبد لسيده، والعبد ليس له هدف غير إرضاء سيده وقبول كل ما يفعل به سيده، أي يختار أن يعيش حياة الخضوع والذل لغيره (الله تعالى)، أي تصبح وظيفته في الحياة ومهمته التي يكرس حياته من أجلها هي أن يعمل عند الله عبداً كما يعمل الخادم عند سيده فيعيش عمره كله على هذا، فهذا اختار أن يكون عبداً لله ، أما غيره فاختار أن يعيش حراً كأنه لا أحد يملكه ولا يتبع لأحد وكأنه هو الذي أوجد نفسه أو لا أحد أوجده.

- بمعنى أننا إذا استطعنا تلخيص حياتك بما فيها من مشاعر وهموم وأهداف وطموحات وأعمال فهل هي معيشة إنسان خاضع لغيره (الله تعالى) أم معيشة من أجل أمور الدنيا ومشاغلها المتنوعة؟

- فالإنسان أمامه أمران هما: إما أن تكون له حياته المستقلة به فيدير أموره بنفسه ويفعل ما يريد ويرغب، فيعيش حياته حراً يفعل ما يشاء، وإما أن يجعل حياته لأحد غير نفسه، فتصبح طموحاته ورغباته هي ما يريده غيره منه، فيعيش عباداً خاضعاً لسيده ومولاه رب العالمين، فيوضع نفسه وما يملك ورغباته وحياته تحت تصرف سيده.

- معنى الخضوع أي الاستسلام أي إسلام النفس وكل ما تملك إلى مالكها الحقيقي وهو الله سبحانه، أي التجرد من كل ما تملك لتنسبه إلى مالكه الحقيقي وهو الله سبحانه، فتكون كالمحب بين يدي مغسله يفعل به ما يشاء، أي تكون كالمحب بين يدي الله يفعل بك ما يشاء.

- هل يستطيع الإنسان أن يعيش لغيره أي لا يعيش من أجل نفسه هو ولكن من أجل أحداً غيره، إن الخضوع معناه أن تعيش لغيرك، وتعيش تحت سلطة وسيطرة غيرك عليك وتقبل ذلك مستسلماً ذليلاً خاضعاً، إن المسلم يعيش الله بل ويموت أيضاً الله: ((فَلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أَمْرُتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ))^(١).

- فمعنى أن يعيش الإنسان عباداً هو أن يعيش حياته وفقاً لأوامر الله تعالى وأكثرها أوامر تخالف رغبات نفسه، وهذه المخالفة مقصودة من الله تعالى حتى يتبيّن أن الإنسان خاضع لله وليس لما يريد هو لنفسه: ((لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُتَفَقُّو مِمَّا تُحِبُّونَ))^(٢)، وبتعبير آخر هو تغليب مراد الله والدين على مراد نفسك وما تحبه نفسك، وأصعب شيء على الإنسان هو أن يتنازل عن إرادته.

(١) الأنعام: ١٦٢، ١٦٣

(٢)آل عمران: ٩٢

- والإنسان عليه أن يختار لنفسه الطريقة التي على أساسها يعيش، هل يبني حياته وفقاً لرغبات نفسه أم مخالفة نفسه ووفقاً لمراد الله؟ فلمن تستجيب؟: ((فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ (٣٧) وَأَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَىَ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ))^(١).

- الإنسان مغدور بنفسه وبما يملك، فهو يريد لا يعيش ذليلاً خاضعاً لأحد (الله) مقيداً بالدين، فهو يريد أن يعيش في الدنيا حراً غير خاضع ويعيش على أساس أن السعادة في الدنيا، ويختار شكلًا يعجبه من أشكال السعادة في الدنيا ويعيش له، فيعيش للمال أو للشهوات أو للمظاهر أو أي شيء أو مجموعة من الأشياء من أمور الدنيا.

الخضوع هو ابتعاد عناصر التعلق الأربع عن النفس وارتباطها بالغير:

- الخضوع هو أن يرى نفسه ضئيلة ويرى غيره أعظم ما يكون، وبدلاً من أن يحب نفسه يجعل الغير هو محبوبه الأعظم وأكبر ما يخافه وأكبر ما يرجوه، وبدلاً من أن ينشغل همه بمراد نفسه يجعل الشاغل الأكبر لهمه هو تحقيق مراد غيره، وبدلاً من أن تتعلق جوارحه لتحقيق رغبات نفسه تتعلق جوارحه بتحقيق مراد غيره.

- ولاحظ أن الخضوع ليس مجرد تأله الغير وحب الغير وانشغال الهم بالغير وطاعة الغير ولكن شدة التأله للغير وشدة الحب والخوف والرجاء بالغير وشدة انشغال الهم بالغير والمعيشة للغير، وهذه الأمور تتحقق معاً والخضوع هو مجموع هذه الأمور معاً.

- والشعور بالخضوع هو شعور بالهزيمة والاستسلام والانكسار والذلة والمسكنة، فمثلاً أنظر إلى خادم يعمل في بيت من بيوت السادة، إنه ينظر إلى نفسه نظرة اهتمال وينظر إلى سيده نظرة تعظيم، ويشعر بالاستسلام،

(١) النازعات : ٤١ - ٣٧



فإذا كنت تدعى الخضوع لله فهل تشعر بما يشعر به الخادم تجاه نفسه وتجاه سيده.

- انظر إلى الرجل الفقير المعدوم الذي يسأل الناس ليعطوه، بماذا يشعر؟، إنه يشعر بالخضوع والذل وال الحاجة إلى إنعام الناس عليه، إن الحالة النفسية التي عند هذا الرجل هي التي تسمى خضوع، فإذا كنت تدعى الخضوع لله فهل عندك هذه الحالة النفسية؟!، كما أنك تجد هذا الرجل يظل يدعوا لمن يعطيه محبة له، وإذا كان هذا الرجل فقير إلى إنعام الناس من أموال، ومحب لما يعطونه، فكيف بك وقد أنفق عليك الله فأعطاك عينا وأعطاك الهواء الذي تتنفسه ونعمما لا تحصي (والمشكلة أننا لا نشعر بنعم الله).

- تصور أن أحداً ما رفع في وجهك سلاحاً وطلب منك أن تستسلم، ماذا يكون شعورك عندئذ؟ هذا الشعور هو شعور بالهزيمة والاستسلام والانقياد، إن الحالة النفسية التي تشعر بها عندئذ هي التي تسمى خضوع واستسلام، فإذا كنت تدعى الخضوع لله، فهل عندك هذه الحالة النفسية؟ والله هو الجبار المنتقم ذو البطش المتكبر شديد العقاب سريع الحساب.

أصل العبادة هو تحقيق معنى الخضوع (التعظيم - التعلق بالله تعالى):

- المعرفة تؤدي إلى اليقين، واليقين يؤدي إلى الخضوع.

- المعرفة واليقين وسيلة، والخضوع هو الهدف وهو أصل العبادة وأصل الهدایة.

- كل إنسان سمع من الرسل ولديه عقل لابد له أن يهتدي، فإذا لم يهتدي فهناك مانع منعه من الهدایة، أي هناك مانع من أن يؤدي السماع إلى الهدایة، وهذا المانع هو عدم اليقين أو التجاهل أو المعرفة الكاذبة (السماع والرؤى والفهم الكاذب).

- ما الذي يريد ويطلبه القوي من الضعيف والخالق من المخلوق والملك من العبيد؟، هو لا يحتاج أي شيء، لذلك الذي يطلب أنه يريد منهم أن

يعظموه، ويخضعوا له (التعلق بالله) من خلال كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

- لا إله بغير خضوع، ووجود الخضوع معناه وجود إله وجود عبد ووجود دين، وبغير الخضوع فلا معنى لأن يقول الإنسان أنه عبد وأن له إله، فإذا رفعنا الخضوع من كلمة "عبد" أصبحت كلمة مفرغة من المعنى، فالعبد هو الخاضع، والذي لا يشعر بأنه خاضع هو لا يريد أن يكون عبداً وهو مستكبر.

- كما أن المعنى اللغوي لكلمة العبادة وكلمة الدين وكلمة الإسلام هو الخضوع والاستسلام، وأكثر المعاني اللغوية لكلمة (إله) تقييد شدة التعلق (والخضوع هو التعلق بغير النفس، أي التعلق بالله تعالى) والتي تمثل في أن يفزع إلهه ويتصارع ويلجأ إلهه في الشدائـد ويعتمد عليه في كل شؤون حياته من شدة الاحتياج إليه مثل شعور الطفل بمن يكفله ويربيه ويرعاـه وطاعته حـبـاـهـ، ومن شدة التعلق به أنه يتـفـطـرـ قـلـبـهـ عـنـهـ.

- الإنسان قد يحب أحداً ويعمل له من أثر حبه له ولا يقال بذلك أنه يعبد، ولكن إذا زاد حبه لدرجة الكمال زاد عمله له لدرجة أنه يعيش حياته كلها له فهو بذلك يعبد، فيقال للإنسان إذا تعلق بشيء ما بكل قلبه وجوارحه أنه يعبد من شدة التعلق، وكلمة (التيـمـ) تطلق على الحب الشديد جداً: ((الـتـيـمـ: وهو أن يستعبدـهـ الحـبـ، وـمـنـهـ سـمـيـ: تـيـمـ اللهـ، أيـ: عبدـ اللهـ))^(١).

- أصل العبادة معناه أن الإنسان تعلق بأحد تعلقاً شديداً بقلبه ومن شدة تعلقه به أنه عاش حياته ذليلاً له تعظيمـاـ لهـ، فهو بذلك يعبدـهـ.

- وبتعبير آخر فحبـ الإنسانـ لـغـيـرـ نـفـسـهـ وـعـمـلـهـ لـغـيـرـ نـفـسـهـ لا يـسـمـيـ خـضـوـعـ،ـ أـمـاـ كـمـالـ الـحـبـ لـغـيـرـ نـفـسـ وـمـاـ يـنـشـأـ عـنـهـ مـنـ الـمـعـيـشـةـ لـغـيـرـ نـفـسـهـ هو خـضـوـعـ وـعـبـادـةـ.

(١) فقه اللغة وسر العربية طـأـخـرىـ (صـ: ٢٠٧)

- أصل العبادة معناه أن الإنسان تعلق بأحد تعلقاً شديداً ومن شدة تعلقه به أنه عاش حياته ذليلاً له تعظيمياً له، فهو بذلك يعبده.

- فالخضوع (أساس العبادة) عبارة عن معنى يتحقق من خلال أعمال الإنسان الباطنة والظاهرة، فإذا لم يتحقق هذا المعنى لم تتحقق العبادة، أي تكون أعمال الإنسان الباطنة والظاهرة متعلقة بالله والآخرة وليس متصلة بالدنيا وأن تكون موافقة للشرع.

- فأصل العبادة هو الطريقة التي يعيش بها الإنسان حياته كلها، فإذا كان يعيش حياته بطريقة تعطي معنى أن حياته متعلقة بالله مع موافقة أعماله للشرع فهو يعبد الله، وإذا كان يعيش حياته بطريقة تعطي معنى أن حياته متعلقة بالدنيا أو المال أو المظاهر أو أي شيء غير الله تعالى فهو يعبد غير الله، فأصل العبادة هو الاتجاه والقصد والهدف من الحياة: ((فَلَمَّا
صَلَّاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايِ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ
وَبِذِلِّكَ أَمْرَتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ))^(١)، ((وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهُهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ
مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُتْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ))^(٢)، {وَمَنْ
أَحْسَنَ دِينًا مِّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا} ^(٣)،
((بَلِّي مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْرَنُونَ))^(٤)، ((فَإِنْ حَاجُوكَ فَقُنْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنْ
اتَّبَعَنِ))^(٥)، ((إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا
وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ))^(٦).

- إذن فأصل العبادة معناه أن جميع أعمال الإنسان الباطنة والظاهرة هل هي متعلقة وخاضعة لله أم متعلقة بالدنيا؟: ((ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبُوا الْحَيَاةَ
الْدُّنْيَا))^(٧)، ((بَلْ تُؤْثِرُونَ (٤) } الْحَيَاةَ الدُّنْيَا))^(٨)، ((مَنْ كَانَ يُرِيدُ
الْعَاجِلَةَ

(١) الأنعام: ١٦٢، ١٦٣

(٢) لقمان: ٢٢

(٣) النساء: ١٢٥

(٤) البقرة: ١١٢

(٥) آل عمران: ٢٠

(٦) الأنعام: ٧٩

(٧) التحليل: ١٠٧

(٨) الأعلى: ١٦

عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١) ((مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزَدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (٢) ((فَأَعْرَضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)) (٣).

ـ مفهوم العبادة:

ـ العبادة هي كل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال الظاهرة والباطنة بشرط أن تتحقق في مجموعها الهدف من العبادة وهو الخضوع (التعظيم) - التعلق بالله تعالى)، أي تكون تعبير عن الخضوع (التعظيم) - التعلق بالله تعالى)، فالعبادة ليست مجرد أعمال متتالية ولكن عبارة عن معنى يتحقق من خلال الاقوال والاعمال الظاهرة والباطنة التي يحبها الله ورسوله، أي أن الاقوال والاعمال الظاهرة والباطنة المقصود منها تحقيق معنى الخضوع ويشترط أن تكون موافقة للشرع.

ـ لذلك فشيخ الإسلام ابن تيمية عندما عرف العبادة قال: ((وَالْعِبَادَةُ تَتَضَمَّنُ كَمَالَ الْحُبُّ وَنَهَايَتِهِ وَكَمَالَ الذُّلِّ وَنَهَايَتِهِ)) (٤) فوضع كلمة (كمال) لتعبير عن شدة التعلق (كمال الخضوع - كمال التعظيم)، وكمال الحب يمثل خضوع القلب وكمال الذل يقصد به خضوع الجوارح، أي أن تحقيق معنى الخضوع هو أساس العبادة.

ـ صعوبة العبادة (صعوبة الخضوع):

ـ الخضوع معناه أن الإنسان يعيش حياته لغيره وليس لنفسه، والإنسان لا يقبل أن يعيش حياته كلها لغيره إلا إذا زاد شعوره بعظمة غيره إلى درجة الكمال فأحبه بكمال الحب وخافه ورجاه بكمال الخوف والرجاء.

(١) الإسراء: ١٨، ١٩

(٢) الشورى: ٢٠

(٣) النجم: ٢٩

(٤) أمراض القلوب وشفاؤها (ص: ٦٣)



- فالعبادة التي خلقنا من أجلها هي مسألة صعبة وليس سهلة كما يظن البعض؛ فالبعض يحسب أن العبادة عبارة عن القيام ببعض أعمال الدين، لكن العبادة هي أمر صعب لأن أصل العبادة هو الخضوع، والخضوع كما أوضحناه هو أمر صعب جداً على النفس، كما الجنة عظيمة جداً فلا بد أن يكون ثمنها غالٍ.

- فالإنسان لا يرضي بالخضوع لأن معيشة الخضوع أمر صعب جداً على النفس، والنفس تستكبر أن تعيش معيشة العبيد، والإنسان لا يريد أن يذل لأحد أو يعيش كأسير أو خادم يلبي أوامر سيده، ولا يريد أن يلغى إرادته ورغباته وشخصيته المستقلة ويعيش تابعاً منهزاً تحت إرادة قاهر له، ولا يقبل أن يعيش خاضعاً ذليلاً لغيره طوال حياته، ويرفض أن يقيد نفسه بأوامر لأحد عليه، ولا يريد أن يتخلّى عن حريةه ليعيش خاضعاً كالعبد الذي كان يباع ويشترى في الماضي.

- وأصعب شيء على الإنسان هو أن يشعر بضعفه ونقشه وعجزه واستسلامه واحتياجه وانقياده لغيره، ويشعر بأنه مقهور ومغلوب وخاضع تحت سيطرة أحد غيره، والشعور بالذل وأن يعيش عيشة الذل وعيشة العبيد لسيد يملكه ويملك التصرف فيه، فالإنسان يعرف أن الله كل صفات العظمة والعلو، وأن الإنسان فيه كل صفات الضعف والعجز لكنه يأبى أن يشعر بذلك ويتغاظم الأمر في نفسه أن يكون كذلك.

- الإنسان يظن أنه قوي بما عنده من النعم ويعامل مع النعم كأنه هو الذي أوجدها وأنها ملكاً له، وبالتالي لا يريد الخضوع لمالك هذه النعم، رغم يقينه التام بأنها نعم من الله وأن الله هو الذي أوجدها وهي ملك له.

- فهو مغرور بما أعطاه الله من نعم كالعين والأنف والهواء وبما أعطاه من متع الدنيا كالمال وشهوات النساء والطعام والشراب، فلا يقبل أن ينظر إلى الملايين من الأموال على أنها تافهة، ولا يقبل أن ينظر على متع الشهوات على أنها تافهة، ولا يوافق على أن كل النعم مجرد عطاء من الله عليه، رغم أن كل ذلك هو مقتنع به، لكنه مغرور بنفسه وبالدنيا ولا يريد أن يشعر بأنه ضعيف.

- فالنفس فيها الكبر عن أن أحدا غيرها هو الذي يقوم على أمرها ورعايتها كأنها قاصرة أو عاجزة، فالنفس تريد أن يكون لها سلطة وزعامة وأن تكون هي التي تدير نفسها.

- فأصعب شيء على الإنسان هو أن يتجرد من كل ما يملك لينسبه إلى مالكه الحقيقي وهو الله سبحانه، فيتجرد من كل الصفات التي يعتز بها كالقوة والإرادة والسمع والبصر لينسب كل الأشياء إلى مالكها الحقيقي وهو الله سبحانه، ويتجزء من كل الممتلكات والأهل والمال والشهوات ويعرف بملكية هذه الأمور ل أصحابها وهو الله، فيصبح عاري من كل شيء متجرد من كل شيء لا يملك شيئا ولا حتى يملك نفسه ، فيصبح ضعيفا والله هو القوي، فلا تتحقق العبادة حتى يزول تعظيم قيمة النفس والمال والممتلكات من قلب الإنسان، ولا يحدث هذا إلا إذا عرف الخالق والآخرة معرفة حقيقة.

- فلابد أن ينسب الإنسان لنفسه كل صفات النقص والعوز والعجز وال الحاجة والضعف، وينسب كل صفات الكمال لله، وهذا معناه النقص والضعف والاحتياج إلى الله، والنفس لا تزيد أن تكون تابعة لغيرها، وتزيد أن تكون مستقلة متحررة ذاتية معتمدة على نفسها لا معتمدة على غيرها (الله سبحانه) فلا تزيد أن يكون فيها نقص أو عوز، كما تزيد أن تكون مالكة تدير نفسها وترزق نفسها، والإنسان يظن أنه غير محتاج لغيره، والنفس لا تزيد أن تخضع وترکع لمن يمن عليها ولمن له قدرة عليها كما ترفض أن تعرف بعجزها أمام من هو أقوى، فالنفس تريد أن تتصرف كما لو كانت هي التي أوجدت نفسها أو أنه لا أحد أوجدها، رغم أنه في الاقتناع النظري تعلم بأن لها خالق: ((أَمْ حَلَفُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ))^(١).

- فالنفس تأبى أن تنكسر وتزيد أن تكون هي المالكة ولا تزيد أن يمن أحد عليها بعطاء أو يتكرم عليها بفضل، وأصعب شعور على النفس هو الذل فلا تزيد أن ترکع وتسجد.

(١) الطور: ٣٥



- لا يتحقق الخضوع حتى يزول غرور الإنسان بأنه يمتلك النعم كالعين والعقل والقدرة والحركة والإرادة والمال والشهوات، لأنه يحسب أنه قوي بامتلاكه لهذه النعم والقوى لا يخضع.

- لذلك رفض الناس دعوة الرسل وذلك لأن الإنسان مستكبر مغرور بنفسه لا يريد أن يكون ضعيفاً ولا يريد أن يعيش حياته ذليلاً خاضعاً لغيره لأن الشعور بضعفه ومعيشة الذل والخضوع فيها ألم له.

- فالخضوع صعب جداً ولكي يرضي الإنسان بتحقيق الخضوع فلا بد أن يكون الدافع إلى ذلك قوياً جداً وهو شدة الحب وشدة الخوف وشدة الرجاء لدرجة تجعله يعيش حياته تعظيمياً للخالق، ولكي يتحقق شدة الحب والخوف والرجاء لأبد لأن يوقن بأن وجود الخالق والآخرة هو أمر خطير جداً يدعو لشدة الحب والخوف والرجاء وأن يكون هذا اليقين صادقاً.

الانسان يتجاهل الخالق والآخرة حتى لا يخضع:

- المعرفة بضعف الإنسان أمام قدرة الله تؤدي تلقائياً إلى أن يخضع الإنسان لله حباً وخوفاً ورجاءً، ولكن الإنسان لا يريد الخضوع لأن معيشة الخضوع هي أمر صعب جداً على النفس فماذا يصنع؟، يتناهى ويتتجاهل ويتجاهل عن الله والآخرة فلا يرى غير نفسه وبالتالي يرى نفسه قوياً بما عنده من النعم فيشعر بالمكانة والقدر بدلاً من أن يشعر بالخضوع.

- الطبيعي أن الضعف كامل الضعف يخضع للقوى كامل القوة فيجعله بذلك إلى له، والقوى كامل القوة مستحق لأن يكون إلى.

- لذلك فالإنسان يتجاهل ضعفه وقوته حتى لا يتحقق أثر اليقين فيعيش خاضعاً، والخضوع فيه ألم كبير.

وجود ظاهر الدين وغياب أصل الدين:

- المعيشة نوعين هما معيشة مبنية على أساس الغيبيات ومعيشة مبنية على أساس الدنيا.

- إذا لم يكن هناك غيبيات فالناس يعيشون حياتهم على أساس الدنيا لأنهم لا يعرفون غيرها، وجود الغيبيات جعل الناس يعيشون حياتهم على

أساس الغيبيات لأن الدنيا وما عليها بشيء ليست أمام الغيبيات، فالمعيشة على أساس الغيبيات هي أصل الدين، فهي معيشة ناشئة من التأثر بالغيبيات، أما المعيشة على أساس الدنيا فمعناها أن الإنسان دنيوي وليس أخروي، لكن عند البعض انقطع التأثر بالغيبيات ومات معنى المعيشة على أساس الغيبيات فأصبحت المعيشة على أساس الغيبيات كالجسد بلا روح، فالدين موجود ومعناه ميت فأصبح الإنسان كالذى لا يدرى ما يفعل ولماذا يفعل ذلك؟.

- أصل الدين التعلق بالله (الخضوع) وظاهر الدين الانتساب للدين والقيام ببعض أعمال الدين، وتم استبدال أصل الدين من التعلق بالله إلى التعلق بالدنيا وبقى الظاهر فأصبح الدين كأنه لعب ولهو.

- فالدنيا لعب ولهو والتعليق بها لعب ولهو: ((وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعْبٌ وَلَهُوٌ))^(١)، وأصل الدين هو أمر صعب وجاد وخطير ولكنهم بدلوا أصل دينهم باللعب والله: ((وَذَرُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهُوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا))^(٢)، ((الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهُوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا))^(٣)، ((إِنَّهُ لَقُولٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَذِيلِ))^(٤).

- وفي تفسير إيجاز البيان: ((الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهُوًا: [اتخذوا أمر دينهم] كأمر دنياهم، والدنيا لهو وباطل))^(٥)، وفي تفسير الحاوي: ((ثم إنه تعالى وصف هؤلاء الكفار بأنهم اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا ، وفيه وجهان: الوجه الأول: أن الذي اعتقدوا فيه أنه دينهم تلاعبوا به، وما كانوا فيه مجدين، والوجه الثاني: أنهم اتخذوا الله واللعب ديناً لأنفسهم))^(٦)، وفي تفسير السعدي: ((لَهُوًا وَلَعِبًا) أي: لهت قلوبهم وأعرضت عنهم، ولعبوا واتخذوه سخريًا، أو أنهم جعلوا بدل دينهم الله واللعب، واستعاضوا بذلك عن

(١) الأنعام: ٣٢.

(٢) الأنعام: ٧٠.

(٣) الأعراف: ٥١.

(٤) الطارق: ١٤، ١٣.

(٥) إيجاز البيان عن معاني القرآن - دار الغرب الإسلامي - بيروت (١ / ٣٣٢).

(٦) الحاوي في تفسير القرآن الكريم كاملاً (٢٠٦ / ٢٧٠).

الدين القيم، {وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} بزینتها وزخرفها وكثرة دعاتها، فاطمأنوا إليها ورضوا بها وفرحوا، وأعرضوا عن الآخرة ونسوها، {فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ} أي: نتركهم في العذاب {كَمَا نَسُوا لِقاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا} فكأنهم لم يخلقا إلا للدنيا، وليس أمامهم عرض ولا جزاء^(١)، وفي تفسير السمعاني: ((قوله تعالى: {الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبًا} معناه: أكلا وشربًا، قاله عبد الله بن الحارث، وقيل: معناه: الذين كانت همتهم الدنيا، واشتغالهم بها؛ فهم الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبًا، وغرتهم الحياة الدنيا))^(٢).

- والبعض يتعاملون مع ما يتلى عليهم كأنه لهو وكأنه ليس أمرا جادا وهم، ففي تفسير القرطبي: (({مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذُكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُهْدِثٌ إِلَّا اسْتَمْعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ})^(٣) ومعنى {يلعبون} أي يلهون وقيل: يشتغلون فإن حمل تأويله على اللهو احتمل ما يلهو به وجهين: أحدهما: بذاتهم، الثاني: بسماع ما يتلى عليهم، وإن حمل تأويله على الشغل احتمل ما ينتشغلون به وجهين: أحدهما: بالدنيا لأنها لعب كما قال الله تعالى: {إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعْبٌ وَلَهْوٌ}^(٤)، الثاني: يتشاغلون بالقدح فيه والاعتراض عليه قال الحسن: كلما جدد لهم الذكر استمروا على الجهل)^(٥).

- ويعاملون مع الآخرة كأنها هزل؛ ففي أيسير التفاسير: ((إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ})^(٦) وما هو بالهزل: أي باللعب والباطل بل هو الجد كل الجد)^(٧).

- فهو يتعامل مع الغيبيات بغير اهتمام كما يتعامل مع أمر تافه، فيتعامل مع الآخرة كأنها ودودة أليفة لا مشكلة منها ولا خطر فيها، ويعامل مع

(١) تفسير السعدي - مؤسسة الرسالة (١ / ٢٩٠).

(٢) تفسير السمعاني دار الوطن - الرياض (٢ / ١٨٧).

(٣) الأنبياء: ٢

(٤) محمد: ٣٦

(٥) تفسير القرطبي - دار الكتب المصرية - القاهرة (ج: ١١، ص: ٢٣٧).

(٦) الطارق: ١٤، ١٣

(٧) أيسير التفاسير للجزائري (٥٥٣ / ٥)

صفات الخالق كأنها ليست عظيمة وخارقة وكأنها غير مؤثرة ولا ينشغل بها همه ولا تتأثر بها مشاعره.

- أصل الدين التعلق بالغيبيات، فإذا رفعنا التعلق بالغيبيات أصبح الدين مجرد شكل لا معنى له، فقد مات معنى الغيبيات والرسل في نفوس البعض وبقي اليقين بها فأصبح يقينا بلا معنى كالعدم، فعندئذ يكون صاحب الدين هو في حقيقته رجل دنيوي يرتدي ثوب الدين.

- بعض الناس نسي المغزى والهدف من العبادة وهو أنه يقوم بأعماله ويعيش من أجل تعظيم الله (الخضوع - التعلق بالله).

- فالعبادة ليست مجرد القيام بأعمال معينة بدون تحقيق المغزى منها، فالذى نسي المغزى من العبادة مثل رجل كان يبحث عن شيء ما، ثم بعد فترة نسي ما يبحث عنه، ولكنه استمر في البحث لأنه وجد آخرين مثله يبحثون وهم أيضا نسوا ما يبحثون عنه، فأصبحت عملية البحث نفسه هي الهدف، فهذا هو حال الغافل نسي المغزى والمعنى والهدف المقصود من العبادة، فالمعنى مات والروح ماتت والظاهر موجود.

ـ عدم التعلق بالله معناه عدم تحقيق العبادة:

- لا يمكن لإنسان أن يعيش بغير قضية أساسية تكون هي هدفه التي يحيا بها ويعيش لها ويتوجه إليها بمشاعره وهمومه وجوارحه، وهذه القضية هي أكبر ما يدهشه من عظمتها (يراهما أعظم ما يكون) وتكون أكبر ما يحبه ويحافظه ويرجوه ويتمناه ويتطلع إليه ويحلم به وأكبر ما يشغل همه، وأكبر ما يرتبط به من خلال سلوكه وتصرفاته وردود أفعاله وكلامه وعمله وعلامات فرجه وحزنه، قد تكون تلك القضية التي يتعلق بها ويعيش لها هي المال أو المظاهر أو الشهوات، فإذا لم يكن الخالق والآخرة هي القضية التي يتعلق بها ويعيش لها فهذا معناه عدم وجود أصل العبادة وهو الخضوع (التعلق بغير النفس ورغباتها).

- فالإنسان إما أن يتعلق بنفسه أو يتعلق بالغير، والتعلق بالغير هو الخضوع، فالتعلق بالله هو الخضوع، ولا إله بغير خضوع، ووجود الخضوع معناه وجود الله وجود عبد وجود دين، وبغير الخضوع فلا

معنى لأن يقول الإنسان أنه عبد وأن له إله، فإذا رفينا الخضوع من كلمة "عبد" أصبحت كلمة مفرغة من المعنى، كما أن المعنى اللغوي لكلمة العبادة وكلمة الدين وكلمة الإسلام هو الخضوع والاستسلام، فالعبد هو الخاضع، والذي لا يشعر بأنه خاضع هو لا يريد أن يكون عبدا وهو مستكبر.

- أصل الدين التعلق بالله (الخضوع) وظاهر الدين الانتساب للدين والقيام ببعض أعمال الدين، فإذا تم استبدال أصل الدين من التعلق بالله إلى التعلق بالدنيا وبقي الظاهر أصبح الدين كأنه لعب ولهم.

- طالما أن الإنسان لا زال متعلقاً بالدنيا بقلبه وجوارحه فهو لا يزال لم يحقق العبادة لأن أصل العبادة هو التعلق بالخلق والآخرة (الخضوع) رغم الصلاة والصيام، ولن يتحقق أصل العبادة حتى يتحقق اليقين الحقيقي، فلا يكفي مجرد وجود اليقين والانتساب إلى الإسلام والقيام ببعض أعمال الدين لكي يدخل الإنسان جنة نعيم، فلابد من وجود أثر هذا اليقين على القلب والجوارح وهو التعلق بالخلق والآخرة (الخضوع - التعظيم - أصل العبادة).

- فالخضوع (التعلق بالله) هو أصل العبادة، فإذا لم يتحقق الخضوع (التعلق بالله) لم تتحقق العبادة.

ادعاء التعلق بالله وعبادته:

- قد يحسب الإنسان أنه يعرف الله ويحبه ويحافظه ويرجوه ويحسب أن هدفه رضا الله والجنة، والحقيقة أنه لا يعرف غير الدنيا ولا يحب ولا يحافظ ولا يرجو غيرها ولا هدف لها غيرها، كما يحسب أنه يعبد الله وهو لم يتحقق أصل العبادة وهو الخضوع لله، فهو لا يقبل أن يعيش خاضعاً ذليلاً لغيره طوال حياته، وتبقى بعض أعمال ظاهرة مفتعلة أو عادة أو تقليداً أو مجرد مظاهر روتينية، أو ناشئة من تأثيره الضعيف بالخلق والآخرة الذي لا يصل إلى درجة التعلق بالله والآخرة.

- وما يفعله الإنسان من أمور العبادة وهو لا يعرف المعبد معرفة حقيقة لا معنى له وهو كالذي لا يدرى ما يفعل.

- مجرد وجود التأثر فهذا ليس تعلقاً، وشدة التأثر هو التعلق، والكمال في التأثر هو الكمال في التعلق.

- مجرد وجود حب الله أو صلة بالله لا يكفي فلابد من أن يزيد الحب وتزيد الصلة حتى تصبح تعلقاً، أما الزيادة عن التعلق فهي من زيادة الإيمان، والنقص في كمال التعلق من نقص الإيمان.

- فالتعلق بالله هو أصل العبادة ولا ينبغي أن ينقص ليصبح مجرد تأثر وليس تعلقاً ولكن يمكن أن يزيد ذلك من كمال الإيمان.

- بمعنى أنه ينبغي أن يكون حب الله أكبر من حبك للمال والناس وكل شيء، وهذا أصل التعلق، والمطلوب من المسلم الكمال في الحب أي لا يحب إلا الله تعالى فان نقص الحب لا يجب أن يقل عن كونه تعلقاً أي حب الله حباً شديداً أكثر من حبك للمال والناس وكل شيء.

- فبدلاً من أن يكون أهم شيء في حياة الإنسان ومحبوبه الأعظم وهمه الأكبر وسعيه الأكبر هو المال والدنيا يكون الخالق والآخرة.

- فاحذر من عدم التأثر بالخالق والآخرة واحذر من أن يكون تأثرك بالخالق والآخرة ضعيف لأنه من شروط الإيمان أن يكون الخالق هو أعظم ما تتأثر به مشاررك، أي يكون أكبر ما تحبه في حياتك من كل محاب الدنيا وأكبر ما تخافه في حياتك من كل مخاوف الدنيا وأكبر ما ترجوه وتتمناه في حياتك من كل طموحات الدنيا وأمنياتها (تعلق المشاعر)، وهناك ثلاثة أمور أخرى ملزمة لذلك وهي أن يكون قدره أعظم عندك من نفسك ومن الناس وإن امتلكت كنوز الدنيا ومناصبها (شدة التأله)، وأن يكون أعظم ما يستحق أن ينشغل به همك (الهم الأكبر)، وأن يكون أعظم ما يستحق أن تعيش حياتك كلها له بدلاً من أن تعيش لنفسك تعظيمياً له (تعلق الجوارح)، فتكون متعلقاً بالخالق وليس بالدنيا.

الفصل الثالث عشر

اليقين وسيلة وأثره هو الهدف

- الهدف من المعلومة تحقيق أثرها وليس مجرد المعرفة بها، فما الذي استفاده الإنسان من أن يعرف بأمر خطير بدون أي أثر.

- إذا تحقق اليقين تجد نفسك تلقائياً تحقق أثره.

- وإذا طلب منك تحقيق أثر اليقين فانت تتحقق اليقين لكي يتحقق أثره، فالاليقين هنا وسيلة والهدف تحقيق أثره.

- وأثر اليقين هو أصل العبادة (التعلق بالله - الخضوع - التعظيم)، فلا يمكن تحقيق أصل العبادة إلا من خلال تحقيق اليقين الحقيقي.

لماذا يجب عليك تحقيق أثر اليقين؟:

١- لأن أثر اليقين بعظمته الله هو تعظيمه، وهذا معناه أنه يستحق التعظيم، فأنت تعظمه لأنك يستحق التعظيم ولا تترك تعظيمه حياء.

٢- لأن الله أمر بتعظيمه، ومن حق العظيم أن يأمر بتعظيمه، فأنت تعظمه لأنك يستحق التعظيم ولا تترك تعظيمه حياء.

٣- خوفاً من العقاب ورجاء في الثواب، فأنت تتحقق اليقين لتحقيق أثره خوفاً من العقاب ورجاء في الثواب.

- إذن أثر اليقين هو تعظيم الخالق، فهذا حق للخالق على العباد.

- والتأثير الشديد بالخالق (التعلق به - الخضوع له - تعظيمه) هو أصل العبادة، فالخالق يستحق العبادة، أي حق عليك أن تعبده لكمال عظمته وخطورة صفاته.

- فالمطلوب منك هو عبادة الله لأنك يستحق العبادة، والانسان عندما يعبد الله فهو يؤدي حقاً عليه الله تعالى، والذي يمنعك من التقصير في عبادته الحياة لأن العبادة حق لله عليك لأنها أثر لكمال عظمته وخطورة صفاته.

فالعبادة هي حق الله على العبيد، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: ((كُنْتُ رَدْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عَفِيرٌ، فَقَالَ: يَا مُعاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟، قَلَّتْ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذَّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا))^(١).

ـ المعرفة الحقيقة واليقين الحقيقى هو الطريق الواحد لتحقيق العبادة:

ـ الهدف من وجود اليقين هو وجود أثره، وأثر اليقين هو أصل العبادة (التعلق بالله - الخضوع - التعظيم)، ولا يمكن تحقيق أصل العبادة إلا من خلال تحقيق اليقين الحقيقى.

ـ التأثر بالخلق والآخرة هو خوف المهابة والحب والخوف والرجاء وانشغال الهم والطاعة، وينشأ من وجود قدر من المعرفة الحقيقة ولكن لا تزال لم تتحقق المعرفة الحقيقة؛ لأن أثر المعرفة الحقيقة هو شدة التأثر بالخلق والآخرة وهو شدة خوف المهابة وشدة الحب والخوف والرجاء والهم الأكبر وتعلق الجوارح، وبغير وجود المعرفة الحقيقة واليقين الحقيقى فمن المستحيل تحقيق هذه الأمور، وما يحدث عندئذ من بعض الطاعات تكون متكلفة والانتساب للدين عندئذ يكون تقليدا وهو لا يفهم معنى الدين.

ـ لماذا يعظم الضعيف القوي؟:

ـ لأنه يستحق التعظيم، ولماذا يستحق التعظيم؟ يستحق التعظيم حبا وخوفا ورجاء، ولماذا يستحق التعظيم حبا وخوفا ورجاء؟ لمدى قوته ومدى عظمته عقابه وثوابه.

ـ فأنت تعظم الله لأنك يستحق التعظيم، وتعظم الله حبا وخوفا ورجاء، وتعظم الله لأنك القوي وأنت ضعيف ولمدى عظمته عقابه وثوابه.

(١) صحيح البخاري (٢٨٥٦).



- الضعيف يحب القوي اعجابا بقوته بحسب درجة قوته، فإذا كانت قوته تصل إلى الكمال فيحبه بكمال الحب، فلا يحب نفسه ولا يحب أحدا غير هذا القوي، وهذا يؤدي إلى أن يتعلق به بجواره ويكون همه الأكبر.
- فالطبيعي أن الضعيف كامل الضعف يخضع للقوي كامل القوة فيجعله بذلك إلى له، والقوي كامل القوة مستحق لأن يكون إليه.

لماذا يستحق الخالق التعظيم؟

- معنى أن الخالق يستحق التعظيم هو أنك تعظمه لأن هذا حقه ولا ترك تعظيمه حياءً.

١- لكونه عظيما:

- إذا كان هناك أحد أقوى منك ويقدر عليك ولكنه لا يريد أن يؤذيك ولا يرضي بأن يظلمك أبدا، فأنت تطيعه حبا له وليس خوفا منه، وذلك بحسب مدى قدرته عليك، فإن كانت قدرته لا حد له توجهت بكل عملك له وتعلقت به بكل جوارحك.

- الصفات الحميدة للخالق هي صفات خارقة تستحق كمال التعظيم، ومن كمال التعظيم أن تعيش له سبحانه.

- الخضوع الكوني يعطي الحق للخالق في أن تخضع له طوعا لأنه يقدر على أن يخضعك لعبادته ولكنه ترك لك الاختيار ليختبرك.

- الله أمر بتعظيمه، ومن حق العظيم أن يأمر بتعظيمه

٢- شakra على نعماء:

- إذا أنعم عليك أحد بعطايا فانت تحبه وتطيعه حبا له، ولا تقصر في حبه وطاعته حبا له.

- فضل الله على الإنسان لا حد له ونعمه لا تحصى مع شدة الاحتياج إليها فيؤدي ذلك إلى تعظيمه (التعلق به) حياء منه، فأنت تعيش مرهونا بعطائه فمن غيره تموت، ذليلا لعطائه محتاجا لعطائه، فبغير عطاءه

ونعمه لا تستطيع أن تتنفس، فالنفس والهواء نعمة، فأنت عبد إحسانه خاضع لما يوجد به عليك، وكما يقولون فالإنسان أسير الإحسان.

- فتخيل أنك تعيش في مسكن أحد الناس وتأكل من طعامه وينفق عليك من ماله فبماذا تشعر وكيف يكون حالك؟ وكذلك الحال مع الله فالمسكن الذي تسكن فيه ليس ملكاً لك، إنما هو ملك الله، وكذلك المال الذي معك إنما أعطاك إياه الله وهو مال الله، ولذلك إذا أردت أن تعصي الله فاختر من تحت سمائه ومن فوق أرضه وابخر من ملكه إن استطعت!!

- والإنسان يترك الذنب خشية أنه عندما يقف أمام الله فماذا يقول له؟ فهو يستحيي أن يضع نفسه في هذا الموقف المخجل حيث يأكل من رزق الله ويعيش على أرضه وينعم بنعمه ثم يقف أمامه وقد عصاه فماذا يقول له؟

- فإذا ذكر الإنسان عظمة الله ندم: كيف أعصي ربِّي وهو الذي خلقني ورزقني؟ فالعاقل يستحيي من أن يعصي من يكرمه ويحسن إليه تعظيمًا له، كيف تعصيه وأنت تعيش في ملكه وتقف على أرضه وتأكل من رزقه وهو الذي خلقك وأنت جزء من ممتلكاته وهو يراك ويسمعك في كل وقت وبغير إنعامه لك تموت.

- فالإنسان يعظم الله لعظمة صفاته وشكراً على نعماته: ((إِنَّا هَدَيْنَاكُمْ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَوْرًا))^(١)، ((مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَّا إِلَيْكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمْنَثْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلَيْمًا))^(٢)، ((إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِأَنْعُمَّهُ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ))^(٣).

- فمن أقر بأن الله خالقه من العدم ومالكه ورازقه والمنعم عليه بأنواع النعم التي لا يستطيع العبد إحصاءها والتي هي مستمرة في جميع الأوقات والأحوال منذ أن يولد إلى أن يموت بل وفيما قبل ذلك، وأنه

(١) الإنسان: ٣

(٢) النساء: ١٤٧

(٣) النحل: ١٢١، ١٢٠



تعالى المصرف لجميع أمره المدبر لها يلزمها أن يشكر الله تعالى على ذلك بأن يعبده سبحانه وتعالى، وأن يطيع أوامره، ويجبت نواهيه

ـ التعظيم ثلاثة درجات:

ـ هناك فرق بين مجرد التأثير وشدة التأثير وكمال التأثير، مجرد التأثير ينشأ من وجود قدر من العظمة فتتأثر به ولكن لا تتعلق به ولا تعيش له، وشدة التأثير ينشأ من شدة العظمة فتتأثر به تأثراً شديداً لدرجة أنك تتعلق به وتعيش له من شدة تأثرك به، وكمال التأثير ينشأ من الكمال في العظمة فتتأثر به تأثراً شديداً لدرجة أنك تتعلق به وتعيش له من شدة تأثرك به إلى درجة الكمال.

ـ الله سبحانه له الكمال في العظمة فيجب أن تعظمه بكمال التعظيم، وتعظيمه بشدة التعظيم فيه تقصير، أما مجرد التأثير أو عدم التأثير فأنت لا تعرفه معرفة حقيقة ولا تومن به يقيناً حقيقة.

ـ أصل العبادة هي أثر للبيفين بالخلق وحق له:

ـ الذي يستطيع أن يخرق الأسباب يستحق أن يكون إلهًا فيعظم بكمال التعظيم، والذي يكون محكوماً بالأسباب عليه أن يكون عبداً لمن وضع هذه الأسباب.

ـ الذي له الكمال في صفات العظمة والقوة هو الذي يستحق أن يكون إله ، والذي له الكمال في صفات الضعف والنقص هو الذي يجب عليه الخضوع تعظيمياً للقوي وإنعامه عليه ورجاء في ثوابه وخوفاً من عقابه.

ـ فالله هو إله بالحق وغيره إله بالباطل، أي هو المستحق لأن يكون إلهًا، لأن الله هو الذي يستحق أن يكون إله يعبده الناس.

ـ الله هو المستحق للعبادة لأن من يمتلك صفات العظمة والقوة هو الذي يستحق أن يكون إله ، ومن يمتلك صفات النقص والضعف فعليه أن يخضع ويسجد للإله، لأن الضعيف عليه أن يسجد للقوي.

ـ الإنسان الذي في يده قطعة من الطين الصلصال له أن يفعل بها ما يشاء ويشكلها كيفما يشاء لأنه قوي يقدر على أن يشكلها كيفما شاء وهو مالكها

وهي لا حول لها ولا قوة، فالقوى بحق له أن يفعل ما يشاء بما صنعه وأمتلكه، والعبد الضعيف ليس له أن يفعل إلا ما يأمره به سيده، فهذه هي العلاقة بين القوي والضعيف.

- فالله سبحانه يستحق الا تحب غيره ولا حتى حب النفس لكمال عظمته، ويستحق الا تخاف او ترجو غيره ولا حتى الرجاء فيما ترجوه النفس من رغبات او الخوف من عدم تحقيق رغبات النفس وذلك لكمال ثوابه وعقابه.

- وله حق الامر والنهي لأنه الخالق فهو المستحق للطاعة.

الادلة على أن أصل العبادة (الخضوع) ينشأ من البيقين:

- الخضوع هو أصل العبادة، والعبادة تنشأ كأثر للبيقين، والدليل على ذلك الآيات: {ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ} ^(١) ، {ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} ^(٢) ، ((إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ)) ^(٣) ، ((رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدُهُ)) ^(٤) ، ((وَإِنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونَ)) ^(٥).

مفهوم الحياة (الخوف من مخالفة الحق):

- ليس خوفا من العقاب ولكنه خوف من اللوم او الفضيحة او تأنيب الضمير او الاحراج كالخوف من والخوف من نظر الله والخوف من معاشرة الله له يوم لقاءه والخوف من الملائكة (الرقيب والعتيد) أو من رؤية الناس له.

- هو شعور بانقباض النفس وانكسار يعتري الانسان من شيء وتركه حذرا عن اللوم فيه، وهو خلق يبعث صاحبه على اجتناب القبيح وينعنه

(١) الأنعام: ١٠٢

(٢) يونس: ٣

(٣) الزخرف: ٦٤

(٤) مريم: من الآية ٦٥

(٥) الأنبياء: من الآية ٩٢

من التقصير في حق ذي الحق، فهو مثلاً يترك السرقة لأنها مخالفة لقيم السليمة

- في البداية يهاب الإنسان المعاصي ثم يتعود عليها فلا يستحي ويتجراً عليها، وفي الحديث: ((الحياء والإيمان فرناء إذا رفع أحهما رفع الآخر))^(١).

ـ كيفية تحقيق اليقين من أجل إيجاد أثره؟

- الطبيعي أن اليقين يؤدي أثره تلقائياً، فإذا لم يتحقق أثر اليقين فالمشكلة ليست في اليقين ولكن في الإنسان الموقن نفسه لوجود موانع تمنع من أثره (التجاهل والمعرفة الكاذبة) وذلك بالتجاهل والتفكير بطريقة تعيد تأثير الإنسان بما يؤمن به، والمشكلة الأخرى أنه يحسب أن أثر اليقين هو ما عليه من تأثير ضئيل جداً ولا يعلم أن أثر اليقين هائل جداً.

ـ أثر اليقين هو الهدف ولا يمكن تحقيقه إلا من اليقين الحقيقي:

- يحسب البعض أن الأفعال الباطنة يمكن تحقيقها بافعالها وإيجادها تعمداً مثلاً يفعل مع أعمال الجوارح، وهذا خاطئ، فإذا كنت تريد من إنسان أن يحب شيئاً ما أو يكرهه فلا يمكن أن تجعله يفعل ذلك أبداً إلا بطريقة واحدة هي أن تجعله يعرف ذلك الشيء وصفاته الجميلة معرفة حقيقية فيحبه.

- فالإنسان لن يستطيع أبداً أن يحقق الأفعال الباطنة إلا كأثر تلقائي لمعرفة الغيبيات مع وجود اليقين.

- فمثلاً لن يستطيع الإنسان أن يحقق حب الله تعالى إلا إذا عرفه وأيقن به، ولن يستطيع أن يحقق النية العامة والنية الخاصة من الطاعة (وهي أنه يطيع الله تعالى حبه أو خوفه من عقابه أو رجاء ثوابه) إلا إذا عرف الله تعالى وأيقن به.

(١) صحيح الترغيب (٢٦٣٦)

- لذلك فالطريقة الوحيدة لتحقيق الأعمال الباطنة هي وجود المعرفة والبيقين، ولا مانع مع ذلك من الاستعانة بافعال الأعمال الباطنة من باب (إن لم تبكوا فتباكوا).

- يحسب البعض أن المشاعر يمكن تحقيقها بافعالها وإيجادها تعمداً مثلاً يفعل مع أعمال الجوارح، وهذا خاطئ، فمثلاً إذا كنت تريد من إنسان أن يحب شيئاً ما أو يكرهه فلا يمكن أن تجعله يفعل ذلك أبداً إلا بطريقة واحدة هي أن تجعله يعرف ذلك الشيء وصفاته الجميلة معرفة حقيقة فيحبه.

- فالإنسان لن يستطيع أبداً أن يحقق حب الله والخوف منه ورجاءه إلا كأثر تلقائي لمعرفة الله مع وجود البيقين.

التغيير المطلوب:

- لمن لا يفهمون غير لغة الحسابات فالجنة لها ثمن، وثمنها أن تجعل أعمال قلبك وجوارحك تسير في اتجاه الخالق والآخرة وأن تكون موافقة للشرع فهذا ثمن الجنة وهذا هو أصل العبادة.

- والتغيير المطلوب هو الانتقال من تعلق القلب بالدنيا إلى تعلق القلب بالله والآخرة، والانتقال من تعلق الجوارح بالدنيا إلى تعلق الجوارح بالله والآخرة، ولاحظ أن هناك فرق بين أعمال الجوارح وتعلق الجوارح (انظر الفصل التاسع).

- وتغيير القلب من أصعب ما يمكن ولا يقدر عليه إلا من وفقه الله تعالى: ((قد أفلح من زكاها (٩) وقد حاب من دسأها)(١)).

- لا يزال الكثير من الناس ينظرون إلى الدين على أنه مسألة طاعات ومعاصي مع وجود البيقين، ويحسبون أن زيادة الالتزام بالدين في الزيادة في تحصيل معلومات أكثر عن الدين والزيادة في القيام ببعض الطاعات، ولا يعلمون أن هناك أمور قلبية غائبة هي أهم بكثير من الطاعات والمعاصي، والفارق بين عمل القلب وكل أعمال الجوارح كالفارق بين

(١) الشمس: ٩، ١٠

السماء والأرض، والعمل على تحقيق عمل القلب هو أهم شيء - وهذا لا يقل من أهمية عمل الجوارح - فمن لم يحقق عمل القلب لم يحقق العبادة.

- الدين عبارة عن أعمال ظاهرة وباطنة، ونحن قد نهتم بتحقيق الاعمال الظاهرة وننسى تحقيق الاعمال الباطنة وهي الأهم وتحقيقها أصعب بكثير من تحقيق الاعمال الظاهرة.

- وقد يحسب الإنسان أنه قد حقق العبادة وهو لم يحققها، فالإنسان قد يتصل قلبه بالدنيا ولا يتصل بالله (عمل القلب) وهو يحسب أنه يعبد الله فهو لا يعرف أن تعلق القلب بالله هو أصل العبادة، والأعجب أنه قد يحسب أن قلبه متعلقاً بالله في حين أن العكس هو الصحيح.

- ويحسب البعض أن عمل القلب أمر بسيط وموجود عند الجميع بالفطرة!

ـ مفهوم تغيير القلب:

- القلب إما أن يتصل بالله والآخرة أو بالنفس والدنيا، وهذا التعلق يمكن أن يتغير كل ساعة وكل يوم، فيمكن أن يزيد أو ينقص أو يزول أو يعود كل ساعة وكل يوم، وبالتالي يجب على الإنسان كل يوم أن يبعد تعلقه عن النفس والدنيا و يجعله يتصل بالله والآخرة و يحافظ على هذا التعلق ويزيد وينميه من خلال التفكير والتدبر والتذكر وما يعين على ذلك كالأذكار مثلاً، ولذلك أنسح بقراءة هذا الكتاب مرات كثيرة والقراءة والسماع عن كل من يتحدث عن الله والآخرة باستمرار، ففي الحديث: ((القلب ابن آدم أشد انقلاباً من القدر إذا استجمعت غلياناً))^(١)، فقد يهتم الإنسان بأن يزداد علماً بأمور الدين أو يهتم بقيامه ببعض أعمال الدين في حين قلبه يسير في عكس الاتجاه، فقلبه يتراجع شيئاً فشيئاً عن تعلقه بالله والآخرة حتى يتصل بالدنيا فيكون خاسراً وهو يحسب أنه يزداد التزاماً بالدين!.

(١) تحقيق الألباني: صحيح (انظر حديث رقم: ٥١٤٧ في صحيح الجامع)



- تغيير القلب معناه تغيير نظرة الإنسان للأشياء ويرى الأشياء على حقيقتها وبالتالي يرى عظمة الخالق وخطورة الآخرة ويرى ضعف نفسه وضآلته الدنيا، وتغيير مشاعره فيصبح يحب شيئاً غير الذي كان يحب ويرجو شيئاً غير الذي كان يرجو ويختلف من شيء آخر غير الذي كان يختلف، ويتغير طبيعة تفكيره وما يشغل همه، وتغيير افعالاته وفرحه وحزنه وغضبه، وتغيير طبيعة تصرفاته وسلوكه وأخلاقه وكلامه ونيته، ويصبح إنساناً جديداً بعقل وقلب جديدين تماماً، وأصعب شيء على الإنسان هو أن يغير نظرته للحياة ويغير أهدافه التي يعيش لها ويغير همومه ومشاعره، وكل هذا يحدث إذا تحققت المعرفة الحقيقية بوجود الخالق والآخرة.

- الكثير من الناس لا يعلمون أن هناك شيء في الدين نحن مطالبين بتحقيقه عبارة عن مشاعر، فهم يعتبرون أن كلمة المشاعر تستخدم فقط في الغناء واللهو، ولا يعلمون أن تحقيق هذه المشاعر أهم من الصلاة والصوم وجميع الأعمال، هذه المشاعر هي كمال الحب لله وكمال الحب للجنة وكمال الرجاء فيها وكمال الكراهة للنار وكمال الخوف منها.

- والكثير إذا أرادوا أن يلتزموا بالدين اجتهدوا في الأعمال ولا يعلمون أن تحقيق هذه المشاعر هي الأصل، والمشكلة الأكبر أنهم يحسبون أنها متحققة عندهم والحقيقة أنها على العكس تماماً فلا حب لهم إلا للمال والشهوات ولا خوف ولا رجاء إلا في أمور الدنيا.

- والمشكلة الأخرى هي أن معاني الحب والخوف والرجاء والذل ماتت فأصبحنا في حاجة إلى شرح ماذا تعني كلمة (حب) وكلمة (خوف) وهكذا، وأصبح الكثير يتوهون أن حب الله والخوف منه ورجاءه والذل له تماً قلوبهم.

- المشاعر عبارة عن أحاسيس وليس كلاماً أو اقتناعاً أو عملاً أو أموراً هلامية، فحب الله والخوف منه ورجاؤه عبارة عن أحاسيس إذا لم يحس بها الإنسان فهذه المشاعر غير موجودة عنده.

ـ كل انسان لديه مشاعر الحب والخوف والرجاء، والمطلوب تغيير هذه المشاعر من التعلق بالدنيا الى التعلق بالله والآخرة.

ـ الدنيا دار امتحان وليس دار إقامة:

ـ الله سبحانه لم يخلقنا ثم يتركنا يعيش كل واحد كيفما يريد وكل واحد يفعل ما يريد، ولم يخلق الله الناس ويحدث ما يحدث بينهم ويتركهم وشأنهم، وإنما خلقهم لحكمة وغاية هي أن يعيشوا وفق ما يريد الله أي لعبادته: ((أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبْدًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ))^(١).

ـ الهدف من الدنيا هو أنها دار اختبار وهو امتحان في تحقيق العبادة، فلم تخلق الدنيا لتكون مناسبة لنعيش ونقيم فيها ونبحث فيها عن السعادة، فالدنيا كلها بمثابة امتحان، فنحن نعيش الآن في مرحلة اختبار هي أيام عمرنا في هذه الحياة، والمطلوب تحديداً حتى تكون من أهل الجنة هو النجاح في اختبار الدنيا.

ـ الكرة الأرضية هي مكان الامتحان ومدة الامتحان هي المدة من تاريخ بلوغك وحتى تاريخ وفاته، والامتحان ليس له دور ثانٍ أو فرصة أخرى فلحظة الوفاة هي لحظة انتهاء الامتحان بلا رجعة.

ـ والاختبار يشمل كل ما تفعله وتقوله وتشعر به منذ أن بلغت حتى اللحظة التي تموت فيها، فالاختبار يشمل كل الأعمال الظاهرة والباطنة طوال الحياة الدنيا، فنحن نعيش في حالة اختبار، وكل شيء مراقب ومحسوب عليك سواء ما في قلبك أو ما تعمله طوال حياتك، فما نعيشه ليس حياتنا ولكنها حياة اختبار.

ـ بعض الناس يحسب أن مسألة تحقيق العبادة هي جزء من حياته وبقى حياته لأمور الدنيا، ولا يعرف أن حياة الإنسان كلها يجب أن تكون قضية واحدة هي تحقيق العبادة.

(١) المؤمنون: ١١٥

- والبعض يعتبر أن تحقيق العبادة مسألة سهلة ولا يهتم بمعرفة ما هي حقيقة العبادة وكيف يتحققها ولا يسأل نفسه هل حق العبادة أم لا؟

- الامتحان الذي خلقنا من أجله هو امتحان تحقيق العبادة، فمن حق العبادة نجح وفاز بالخلود في النعيم، ومن لم يحقق العبادة خسر وعوقب بالخلود في الجحيم، فهو امتحان عصيب لأن نتيجته خطيرة جدا.

- الناس صنفين من حيث التعامل مع الدنيا:

- قد يوقن الإنسان بأن الدنيا دار امتحان وأن الآخرة دارا للحياة الدائمة في النعيم أو في العذاب، لكنه يتعامل مع الدنيا على أنها دارا للإقامة ولا دار غيرها.

- الإنسان يعلم أنه لابد من وجود هدف من خلق الإنسان وأنه لابد من معرفة ذلك الهدف من خلال الرسل لكنه يتناهى مبدأ وجود هدف من الخلق ويعيش كأن الله خلقنا وتركنا نفعل ما نشاء: ((أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٌ مُسَمٌّ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ))^(١)، ((أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ))^(٢).

- الإنسان الغافل يعيش كأن حياة البشر على الأرض والمنظومة الكونية ليس لها أحد يسيطر عليها ويحكمها وكأن كل إنسان يعيش حياته كيف يشاء، كأن البشر موجودون من تلقاء أنفسهم ولا توجد حكمة من إيجادهم، ويتجاهل عن كل الأخطار التي حوله ويعيش في الحياة هادئاً مطمئناً كأن حياته إنما هي على ظهر هذه الأرض.

- تصور خطورة الامتحان:

- الغرض من وجودنا على الكمة الأرضية هو امتحان عصيب لنا لأن نتيجته خطيرة جدا وهي الخلود في الجنة أو الخلود في النار، فالامتحان

(١) الروم: ٨

(٢) المؤمنون: ١١٥

يكون خطيرا على حسب ما يترتب عليه من الثواب والعقاب، فإذا كان الثواب والعقاب هائل جداً كان الامتحان خطيراً جداً.

- إن البعض قد يرى مبارأة كرامة في منافسة ما أنها مصيرية وحاسمة فتحوّذ على اهتمامه وتؤثر على أعصابه ومشاعره، إلا يرى هؤلاء أننا نعيش في حالة منافسة مصيرية أشد من هذه المبارأة هي الامتحان الذي نعيش في الدنيا والذي ينتهي بالخلود في الجنة أو الخلود في النار فكيف لا يؤثر ذلك على أعصابهم ومشاعرهم، فأي المنافستين أشد وأخطر وأهم؟

- أثر اليقين بأن الدنيا دار امتحان هو التعلق بخطورة الامتحان وليس بالدنيا:

- لابد أن يتعامل الإنسان مع حياته في الدنيا على أنها عبارة عن امتحان، وهو امتحان خطير جداً لأنه يترتب عليه ثواب وعقاب هائل، وبالتالي فحياة الإنسان في الدنيا هي أمر رهيب وخطير جداً لكن عند البعض عادي.

- والتعلق بالامتحان يشمل التالي:

- الخوف ألا يكون قد حقق العبادة فيرسب في الامتحان والامل في أن ينجح في اختبار العبادة فيفوز بالكأس (الجنة).

حب تحقيق العبادة والخوف من عدم تحقيقها ورجاء تحقيقها والاهتمام بمعرفة ما هي العبادة وما هو المطلوب منها، والاهتمام بأمور العبادة والاهتمام بما هو مطلوب

- تصور خطورة الاختبار في أنه يحدث الآن وانتهاؤه في أي لحظة فهو شعور مخيف ومرعب، فيكون هم المؤمن وشعوره طيلة حياته مثل شعور الطالب عند الامتحان بل أعظم بكثير.

- عدم شعورك بأنك الآن داخل لجنة الامتحان وأنك في أي لحظة تنتهي من الامتحان (بالموت) معناه أنك لا تزال لا تعرف الآخرة التي هي دار

الثواب والعذاب ومعناه أن الإنسان يقول بمشاعره أن الله خلق البشر وتركهم يفعلون ما يشاءون فهو خلقهم عبّاً.

- لابد أن يشعر الإنسان أنه داخل في مسابقة لها جوائز، ولكن وجه الاختلاف عن مسابقات الدنيا أن كل ناجح في هذه المسابقة ينال جائزة كبيرة، وكل خاسر عليه عقاب شديد، وأن هذا السباق ينتهي فجأة، فمرحلة الدنيا هي مرحلة سباق وتنافس في تحصيل الإيمان وجمع الحسنات: ((سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَعْدَثْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ))^(١)، ((وَفِي ذَلِكَ قُلْيَتَنَافِسُونَ))^(٢).

- الإنسان أثناء السباق أو أثناء الامتحان لابد أن يشعر بالقلق والترقب، ولابد أن يشعر بالتحمس والتحفز كلما قطع خطوات، ويشعر بالضيق كلما أخطأ، وهذا السباق خطير ومصيري؛ لأنه يترتب عليه العذاب الأليم الأبدي أو النعيم المقيم، وبالتالي إذا لم يشعر الإنسان بالقلق وبالمشاعر التي يشعر بها أي إنسان أثناء الاختبار فهذا معناه أنه لا يزال لا يعرف أنه يعيش حياته الآن في مرحلة اختبار، ومعناه أنه لا يزال لا يعرف شيئاً اسمه الآخرة.

- وكما أن الاختبار شيء مرعب فهو أيضاً فرصة ذهبية لا تعوض لنيل الجنة والنجاة من النار، فالإنسان طالما لا يزال حياً في هذه الدنيا فالفرصة لا تزال قائمة أمامه ليعيّر من مساره ويعمل لإنقاذ نفسه من النار والفوز بالجنة ويتزود من الطاعة، وهذا معناه شعور بالشوق والرجاء والأمل والتطلع إلى الجنة، فالذين ذهبوا للقبور يتمنون لحظة واحدة ليعودوا ويعملوا أي شيء لعله ينقذهم من النار أو يرتفع بهم درجات أعلى في الجنة فلا يسمح لهم.

(١) الحديد: ٢١

(٢) المطففين: ٢٦

٦- تجاهل أننا نعيش حياتنا في حالة امتحان:

- كل إنسان يعلم أن الدنيا دار امتحان لكنه يتجاهل ذلك أو أن معرفته بذلك معرفة كاذبة ويعيش كأنه مقيم في الدنيا.

- سواء رضينا أم لم نرضي، وسواء شعرنا بذلك أم لم نشعر، فنحن دخلنا الآن في لجنة امتحان منذ سن البلوغ، ونحن واقعين الآن وفي أثناء هذه اللحظة التي تقرأ فيها هذا الكتاب وفي كل اللحظات تحت رقابة تامة ومتتابعة تامة من الخالق نفسه ومن الملائكة الرقيب والعتيد، ويتم تسجيل كل شيء بمنتهى الدقة، ومدة الامتحان هي كل فترة عمرنا في هذه الدنيا، وينتهي الامتحان فجأة في أي لحظة ويببدأ بعدها فوراً الحساب حيث احتساب الدرجات والنتيجة.

- فتخيل أنك قد جاءت لحظة موتك وذهبوا بك للقبور، فطلبت من الله أن يعطيك فرصة لتعود، وها أنت الآن قد عدت للدنيا وأمامك الفرصة فماذا أنت صانع؟

٧- اليقين الحقيقي بأن الحياة في الدنيا عبارة عن اعداد للموت وما بعده:

- هل على الإنسان أن يعيش طوال عمره يعد نفسه للرحيل، أي يعيش في حالة استعداد للموت وما بعده، إن هذه الحياة التي نعيشها ما خلقت إلا لهذا الغرض، فالدنيا ما هي إلا طريق للأخرة، فهل يمكن لإنسان عاقل أن يبني سكنه في الطريق أو الشارع الذي يسير فيه الناس ويعيش ويقيم في طريق المارة، فلا تصلح المعيشة في الطريق، إنما هو مجرد سفر أي معيشة مؤقتة عابرة لضرورة الترحال والإعداد للحائق.

- فلماذا تأكل ولماذا تشرب ولماذا تأتي وتذهب ولماذا تعمل الطاعات؟ لكي تستعد للموت وما بعده.

- فالعاقل هو الذي يشغل همه طوال حياته بقضية الموت والاستعداد له والأخرة.

- بعض الناس عندما يجد فراغاً كبيراً في سنوات عمره يخترع لنفسه ما يشغل به وقته، فهو لا يريد أن يعيش منتظراً الموت لأنه في نظره النهاية رغم يقينه بأن الموت انتقال لحياة أخرى أبدية وهو عندئذ يقين كاذب.

- أما الذي يوقن يقيناً حقيقياً بأن الموت هو انتقال إلى الآخرة ولقاء الله فهو يخاف من مهابة البعث، ففي تفسير تنوير المقباس: ((إِنَّ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُوراً) لَا يَخَافُونَ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ))^(١)، فهو يعمل على تحقيق أعمال القلب وتنميتها (تركيبة النفس) والطاعات منتظراً في كل ذلك الموت.

(١) تفسير تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (ص: ٣٠٣)

الفصل الرابع عشر

تجاهل الخالق والآخرة

- الانسان إذا عرف أمراً مؤثراً وأراد أن يمنع نفسه من التأثر به تناصه وتجاهله حتى يصير كالجاهل به.

- **المعرفة بالخالق والآخرة تتم بطرقين هما:**

١- من خلال رؤية الآيات الكونية وما يستنتجها منها:

- فالانسان يعرف بعقله بوجود الخالق ومعظم صفاته أو بعضها ووجود الآخرة وذلك من خلال التفكير.

٢ - من خلال السماع لقول الرسل وما وصلنا من كلامهم.

- وحتى تكون الحجة دامغة على الانسان فلا يحاسب الله الانسان إذا عرف الخالق والآخرة من خلال العقل فقط بدون وصول دعوة الرسل، كما أن المعرفة بالعقل هي معرفة عامة غير مفصلة وقد تختلف فيها الافهام في بعض الأمور، أما دعوة الرسل فيها تفصيل لكل شيء وبيان التشريعات، فمن وصلت إليه دعوة الرسل قامت عليه الحجة.

- **تجاهل الخالق والآخرة يشمل أمراً هما:**

١- تجاهل ما علمه بعقله من وجود الخالق والآخرة.

٢- تجاهل ما علمه من الرسل ومن ذكر الله (كلام الله) عن وجود الخالق والآخرة وأمور الدين.

- **مفهوم التجاهل (التصام - التعامي - التغابي):**

- الانسان إذا عرف أمراً مؤثراً وأراد أن يمنع نفسه من التأثر به تناصه وتجاهله حتى يصير كالجاهل به.

- قد يعرف الانسان أمراً ولا يستطيع نسيانه لكونه أمراً خطيراً أو يتزدد ذكره كثيراً، فماذا يصنع لكي ينساه؟، يتناصه حتى تموت هذه المعرفة



ويصبح كأنه نسيها وكأنه جاهم بها رغم أنه لم ينساها، فهل تعتبر هذا الرجل بأنه جاهم بالأمر أم تعتبره يعرف الأمر؟، فعليها هو كالجاهم ولديه معرفة كاذبة ميّة معطلة لا قيمة لها.

- التجاهل يؤدي إلى موت المعنى فيجعل الإنسان لا يشعر بخطورة الأمر، فيصبح الكلام غير مؤثر فلا ينفعه الذهن ولا تتأثر به المشاعر والجوارح، فالإنسان بتجاهله أمات معنى الكلام الذي سمعه، فإذا مات معنى الشيء أصبح لا قيمة له لأنّه لا يتفاعل معه الإنسان ولا يحس به ولا ينفعه ولا يستجيب له فلا يوجد رد فعل لا بالإيجاب ولا بالسلب.

- فالإنسان يتتجاهل ما يومن به ويهمله ولا يلقي له بالاً ويعيش على مبدأ آخر يختاره لنفسه، فمثلاً هو يومن بأن الدنيا والمال والشهوات إلى زوال وأن السعادة في رضا الله والجنة، لكنه يتتجاهل ذلك ويعيش على مبدأ أن المال هو أعظم شيء في الحياة وأن السعادة في المال، فيكون عمله وهمه وأهدافه ومشاعره وحياته للمال والشهوات والدنيا.

- وهو يومن بأن الرزق هو من الله وهو مضمون وأن عليه أن يمشي في طلب الرزق وليس يسارع إليه، لكنه يتتجاهل ذلك ويعيش على مبدأ أن الحصول على المال والرزق ليس من الله وإنما هو من سعي الإنسان وأنه ليس مقدارا ثابتا مقدر للإنسان وإنما يختلف بحسب سعيه وأن عليه أن يسارع وليس مجرد أن يمشي في طلبه، لذلك تجد قلبه وجوارحه متعلقة بطلب الرزق.

- ومثلاً هو يومن بأن الجنة هي التي تستحق أن يسعى إليها الإنسان لأن كل لذات الدنيا ليست بشيء أمام الجنة، لكنه يتتجاهل ذلك ويعيش على مبدأ أن المال أو شهوات النساء أو المظاهر والمناصب والألقاب أو التغلب على مشاغل الحياة وهمومها هي التي تستحق أن يسعى الإنسان له.

الفرق بين الجاهل لعدم السمع أو عدم الفهم والجاهل بسبب التجاهل والمعرفة الكاذبة:

الأول لم يسمع والثاني كأنه لم يسمع، وال الأول لم يفهم والثاني كأنه لم يفهم، والأول لم يعرف والثاني كأنه لم يعرف، والأول لا يصدق ولا يكذب والثاني كأنه لا يصدق ولا يكذب.

ال الأول ليس له أي علاقة بالأمر فلا تتأثر به مشاعره لا سلباً ولا إيجاباً، فلا يحبه ولا يكرهه ولا يفرح به ولا يحزن عليه، ولا يعمل له حساباً ولا يهتم به أو يشغل به، فلا تربطه به أي علاقة سواء سلباً أو إيجاباً.

والثاني هو أيضاً ليس له أي علاقة بالأمر فلا تتأثر به مشاعره لا سلباً ولا إيجاباً، فلا يحبه ولا يكرهه ولا يفرح به ولا يحزن عليه، ولا يعمل له حساباً ولا يهتم به أو يشغل به فلا تربطه به أي علاقة سواء سلباً أو إيجاباً، أي يصبح وجود الجنة والنار لا يؤثر فيه، وجود قدرة الخالق المحيطة به والغالبة عليه لا تؤثر فيه لا في مشاعره ولا في عمله، وكذلك مسألة الحلال والحرام لا تؤثر فيه، فهو يفعل ما يراه لدنياه غير مهتم بأن هذا الأمر موافق أم مخالف للدين.

الأول لا يصدق ولا يكذب بالأمر وليس معه ولا ضده لأنه لا يعرفه أصلاً.

والثاني قد يكون مصدقاً أو مكذباً أو منافقاً، وإذا كان غير موقناً قد يظهر عدم يقينه وقد لا يظهره، ويكون حاله كأنه ليس معه ولا ضده، وكأنه لا يصدقه ولا يكذبه رغم أن قد يومن به ويقينه عندئذ كاذباً.

وال الأول معذور بجهله والثاني غير معذور.

لماذا يتتجاهل الانسان الخالق والاخرة؟:

المعرفة بالله والاخرة تؤدي إلى أن يعيش الانسان خاضعاً تعظيمياً لله حباً وخوفاً ورجاءً، ولكن الانسان مغدور بما عنده من نعم كالإرادة والعقل والمال وتسخير الأشياء له فهو يحسب أنه قوي بما يمتلك من هذه



النعم لذلك لا يريد أن يعيش معيشة الخضوع ويريد معيشة الحياة العاجلة،
فيتجاهل الخالق والآخرة.

- الضعيف يعظم القوي اعجابا بقوته وخوفا من عقابه ورجاء ثوابه
بحسب درجة قوته وشدة عقابه وثوابه، فيعمل له ما يسره في مرة أو
عدة مرات، فإذا كانت قوته وشدة عقابه وثوابه تصل إلى الكمال عاش
حياته كلها للعمل بما يسره تاركا معيشته لنفسه، وهذا هو الخضوع،
والخضوع فيه ألم والانسان مستكبر.

- فيتجاهل الخالق حتى يتوهם أنه قوي، ويتجاهل أن ما يتمتع به من النعم
هو من الله حتى يتوهם أنه قوي بها كأنها ملكه.

- وجود الآخرة جعل النعم التي يتوهם الانسان أنه قوي بها لا شيء
وبالتالي فهو لا يزال ضعيف حتى لو توهם ملكيته للنعم، وبالتالي يتجاهل
الآخرة حتى يشعر بأنه قوي والقوى لا يخضع لغيره.

- النفس مجبولة على حب الشهوات والسعادة وما فيه الراحة واللذة وتكره
الذلة والانكسار والخضوع لأي أحد أو أي شيء لأن في ذلك ألم لها،
لذلك فالنفس لا تحب الخضوع لله والدين فترى أن تتحرر من ذلك،
فالنفس من داخلها تتكبر وتتأبى أن تستسلم.

- فالإنسان قبل أن يعرف الغيبيات هو مغزور بالنعم فيرى نفسه قويا بها
وليس ضعيفا وبسبب هذا الغرور لا يرضى أن يعيش ضعيفا ذليلا، فلما
عرف الغيبيات تناهيا حتى يظل على غروره وعدم خضوعه، فالإنسان
يتناهى الغيبيات لأنه بدون الغيبيات لا يكون هناك أحد أقوى من الإنسان
و قادر عليه فلا يعيش حياته أسيرا لمن هو أقوى منه.

- لماذا يتجاهل الانسان أمرا هو لا يومن به أصلا؟:

- التجاهل يكون في وجود أو عدم وجود اليقين.

- الطبيعي أن الانسان الموقن بالله والآخرة إذا أراد أن يهرب من الآخرة
ولقاء الله أن يلجا إلى التجاهل، ولكن لماذا يلجا الانسان الغير موقن إلى
التجاهل؟

- عقل الانسان مصمم بحيث أنه يقتنع بالشيء إذا عرف أداته ولا يقتنع بشيء لا يعرف أداته، ولكن يستطيع الانسان أن يخالف الفطرة فلا يقتنع بأمر عليه دليل، وذلك بأن يعطل عقله ويوقف تفكيره عند شبهة معينة أو تقليداً، والذي يعطل عقله يكون مهزوماً أمام نفسه، لذلك يلجأ إلى التجاهل ليهرب من مواجهة نفسه بالأدلة الواضحة لأن تذكر الأمر قد يجعله يوقن به: ((فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّمَا أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكَسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هُوَ لَاءٌ يَنْطِقُونَ) ^(١).

ـ التجاهل يشمل التضام والتعمامي والتغابي:

- مداخل المعرفة هي السمع والرؤية والفهم، والانسان يتتجاهل أنه سمع أو رأى أو فهم، فالتجاهل يشمل التضام (الظهور بأنه أصم لا يسمع) والتعمامي (الظهور بأنه أعمى لا يرى) والتغابي (الظهور بأنه غبي لا يفهم).

- التجاهل معناه أنه يتكلف أن يكون حاله حال الجاهل بالأمر، أي يتكلف أن يكون حاله حال الذي لم يسمع عن الامر ولم يراه ولا يفهم معناه، أي يتوهم أنه لم يسمع ولم يرى ولم يفهم الامر.

- فهو يبتعد عن سمع أو رؤية كل ما يذكر بالأمر ويبعد عن كل ما يدعوه إلى التفكير والتدبر في الامر، ولو أسمنته الامر يتوهم أنه لم يسمع ما قلته له وينزع نفسه من التفكير في المعنى أو تدبره كأنه لا يفهم معناه ولا يتكلم في الامر ويغير الحديث للكلام في أمر آخر، فهو يريد أن يعيش معيشة الجاهل بالأمر.

ـ التجاهل يشمل سبعة أمور هي:

١- يتوهم الجهل:

- أي يتوهم ويتصور لنفسه بأنه لم يسمع عن الامر أو لا يفهمه.

- أي اللا مبالاة وعدم الاهتمام وعدم الاعتناء وعدم الاكتتراث والتعامل مع الامر كأنه لعب ولهو وأساطير وهزل ومزاح وليس جدًا، أي بأنه

(١) الأنبياء: ٦٤، ٦٥



شيئاً تافهاً لا قيمة له وغير مهم، فهو يتعامل مع الغيبيات كأنه نسيها وبالتالي لا يتأثر بها ولا تكون لها أثر في قلبه أو حياته، أي يريد أن يكون جاهلاً بها وألا يتأثر بها.

٢- يبتعد عن التفكير والتفكير والتذكر:

- يبتعد عن التذكر والتدبر والتفكير في الامر كأن الامر لا قيمة له أو لا يستحق التفكير فيه.

- يتعامى عن النظر في الآيات الكونية وذلك بأن يحصر تفكيره في حدود الأسباب فقط، فالمرض بسبب الفيروس وحرارة الجو مثلاً، ولا يفكر في من الذي صنع الفيروس وجعله يقدر على الإنسان و يجعله ضعيفاً و مريضاً؟، ويحسب أن سبب تعرض السفينة للانقلاب هو الريح والأمواج ولا يتفكر في من الذي يسير الريح؟، ويتصور أن الشفاء من الدواء والزمن هو الفاعل للشيخوخة وهكذا.

- فلا يتفكر في أن هناك قوة خفية خارجية حارقة للأسباب هي التي أحدثت ذلك الامر.

- فالتوقف عند الحدود المادية للأسباب يجعل الإنسان يشعر أن الأسباب هي التي أوجدت وصنعت وخلقت هذه الأمور، وإن كان معتقداً أن الخالق هو الذي أوجدها، فيعيش بمشاعره في دنيا الأسباب.

٣- يبتعد عن كل ما يذكر بالأمر:

- يمنع نفسه من كل ما يذكره بالله والآخرة ويبعد عن كل ما يدعوه إلى التفكير في خطورة الغيبيات، فكل ما يذكره بالغيبيات من سماع أو رؤية أو كلام أو أعمال يبتعد عنه، أي يبتعد بسمعه وبصره وكلامه وهمه عن الغيبيات وكل ما يتعلق بها.

- فلا يحب أن يذكره أحد بالله والآخرة والموت والآيات الكونية والحلال والحرام ولا يرد على المتحدث إذا تكلم في ذلك، ويهرب من سماع ذلك، ولا يتكلم في الأمر مع أي أحد، لأن الأمر غير مطروح أصلاً كأنه أمر تافه، ولا يذكر نفسه بذلك ولا يفكر في ذلك ولا يتحدث بذلك مع الناس ويبعد عن كل ما يذكره بالله والآخرة كالآذكار والقرآن وغير ذلك.

- الكلام عن الغيبات يذكر بها، فيبتعد عن ذلك أو يلجاً لتحوير الكلام والتحول إلى الحديث في أمر آخر، فيتصنع كأنه لم يسمع وكأنه ليس له موقف في الأمر كأنه لا يعرفه.

- وكذلك فالطاعات تذكر الإنسان بالغيبات لذلك يهرب منها ويتناها ولا يتكلم في ذلك كأنه لم يسمع عنها، وهو يترك بعض أو كل الطاعات بطريقة الهروب، أي الهروب والتولي والابتعاد والإعراض عن كل ما يذكر بالأمر.

- فهو يمنع نفسه من التفكير في مدى قدرة الله وخطورة الآخرة وينع نفسه من كل ما يذكره بالله والآخرة ويستمر على ذلك حتى يكون كالسكران الذي لا يدرى ما الله وما الآخرة ويؤدي ذلك إلى أن يعيش حياته كأنه لم يسمع عن الله والآخرة.

٤ - إذا سمع أو رأى شيئاً أو تكلم في أمر أو عمل عملاً يذكر بالله والآخرة لم يتفكر ولم يتذكر:

- إذا سمع أو رأى شيئاً أو تكلم في أمر أو عمل عملاً يذكر بالله والآخرة لا يتصور خطورته الأمر ولا يتفكر فيه ولا يشغل به همه: ((وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَا سَمَعُوهُمْ وَلَوْ أَسْمَعْهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُغْرِضُونَ))^(١).

٥ - التلهي بشغل الهم بقضايا الدنيا على حساب تذكر الآخرة:

- فهو يتلهي بالدنيا للابتعاد عن الغيبات، فالقضايا التي تشغله همه وتفكيره وكلامه ونقاشاته وطموحاته كلها أمور الدنيا ومشاغلها وليس فيها الآخرة، ويتجاهل أي شيء فيه تذكير بالله والآخرة كأنه لا يسمع.

- فالإنسان قد يصدق بالآخرة ولقاء الله لكن لا يعبأ بذلك ولا يهتم به ولا يتأثر به ولا يشغل همه به فهو رجل دنيوي كل همه الدنيا وكل وكلامه للدنيا وكل مشاعره وطموحاته الدنيا.

(١) الأنفال: ٢٣



- قد يشغل الانسان كل تفكيره في قضايا الدنيا ومشاغل الحياة وبالتالي لا يعطي لنفسه فرصة لذكر الآخرة، فكلما شغل الانسان همه بأمور الدنيا كلما لم يجد في ذهنه فرصة للذكر.

- فقد يكون كل هم الانسان طوال حياته هو التغلب على أعباء الحياة ومشاكلها اليومية والتغلب على ما عنده من مشاكل وصراعات دنيوية والخروج من الفقر أو نقص المال وغير ذلك، أو يعيش كل حياته من أجل أن يمد زوجته وأولاده بكل ما يحتاجونه.

- مشاغل الحياة ومشاكلها وكثرة الاعمال الدنيوية والواجبات الكثيرة التي يجب على الانسان القيام بها كل ذلك يسرق وقت الانسان ويسرق عمره ويشغل همه طول وقته فلا يترك له أي فراغ من وقت أو هم ليذكر ويتذكر.

- والعجيب ان الانسان إذا وجد فراغا في الوقت وقلة ما يشغل همه من امور الدنيا فانه يتضايق ويبحث عما يسليه وقته ويجعل وقته يمر مثل كثرة الجلوس على المقهى وغير ذلك أو يشغل وقته بشيء لا يحتاج إليه وبدون داعي.

- فهو يعيش الحياة ويخوض فيها وينشغل بأمور الدنيا ولا يفكر فيما سواها، ففي تفسير البغوي: ((يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}) يعني: أمر معاشهم، كيف يكتسبون ويتجررون، ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون، وكيف يبنون ويعيشون، قال الحسن: إن أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه ولا يخطئ وهو لا يحسن يصلى، {وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} ساهون عنها جاهلون بها، لا يتفكرون فيها ولا يعلمون لها)، وفي تفسير المراغي: ((ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ}) أي أن منتهى علمهم أن يفهموا شيئاً من الحياة الدنيا، ويتمتعوا باللذات، ويتصرفوا في التجارات، ليحصلوا على ما يكون لهم فيها من بسطة في المال، وسعة في الرزق، ويكونوا من يشار إليهم بالبنان، وما به يذكرون لدى

(١) تفسير البغوي -دار إحياء التراث العربي- بيروت (ج: ٣، ص: ٥٧١)

الناس، ولا يعنون بما وراء ذلك، فشئون الآخرة دبر أذنهم، ووراء ظهورهم، لا يعرفون منها قبلاً من دبير)^(١).

٦- التلهي بشغل الوقت والجوارح بالأعمال التي تذكر بالدنيا على حساب الاعمال التي تذكر بالله والأخرة حتى لا يفكر في شيء غيرها:

- أي الانشغال بغذاء الجسد على حساب غذاء الروح.

- فهو يتشغل عن الله والآخرة بالدنيا ومشاغلها ومظاهر الدين حتى يأتي الموت.

- الإنسان يعيش حياة في الدنيا وحياة في الآخرة، ولكن الحياة الدنيا لا تزيد عن كونها ثانية أو أقل بالنسبة للحياة في الآخرة لذلك فانشغل بهم وتعلق القلب بالحياة في الآخرة لابد أن يكون أكبر بكثير من انشغال بهم وتعلق القلب بالحياة التي في الدنيا وما يتعلق بها من غذاء الجسد.

- استغراق الإنسان في أعمال الدنيا وأمورها يؤدي إلى سرقة عمر الإنسان فيما يموت ولم يجد وقتاً يشغل فيه همه بمعرفة الله والأخرة.

٧- يظهر التجاهل على سلوكه:

- ويظهر التجاهل من خلال سلوك الإنسان وانفعالاته وردود أفعاله وكلامه، فتجده يبتعد بسمعه وبصره وكلامه وهمه عن الغيبيات وكل ما يتعلق بها ويترك أي عمل يتعلق بالغيبيات بطريقه الهروب والتجاهل وعدم الحديث في الأمر والتعامل كأنه لم يسمع عن الغيبيات، ولا هم له إلا المال والدنيا ولا كلام له إلا عن أمور الدنيا، وهو يعيش كأنه لم يسمع عن الدين أو كأنه لا يفهم معنى الخالق أو معنى الآخرة، فلا هو مع الدين ولا ضد الدين ولا يوالى ولا يعادى ولا يتأثر به، ويبدو من سلوكه أنه إنسان مادي كل تفكيره في أمور الدنيا وكل عمله للدنيا، فالقضايا التي تشغل همه وتفكيره وكلامه ونقاشاته وطموحاته كلها أمور الدنيا ومشاغلها وليس فيها الآخرة، ويتجاهل أي شيء فيه تذكر بالله والأخرة كأنه لم يسمع، فلا يحب أن يذكره أحد بالله والأخرة والموت والآيات

(١) تفسير الشيخ المراغي - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر (ج: ٢٧، ص: ٥٦)



الكونية والحلال والحرام ولا يرد على المتحدث إذا تكلم في ذلك، ويهرّب من سماع ذلك، ولا يتكلّم في الأمر مع أي أحد، كأن الأمر غير مطروح أصلًا كأنه أمر تافه، ولا يُذكّر نفسه بذلك ولا يفكّر في ذلك ولا يتحدّث بذلك مع الناس ويبيّن عن كل ما يذكّره بالله والآخرة كالاذكار والقرآن وغير ذلك، فالآخرة ليست في همه ولا على باله ولا في حساباته ولا في مشاعره وليس هدفه.

- وقد يبدو من سلوكه حرصه الشديد على المال وكل همه وحزنه وفرجه على المال وكل عمله للمال وكل كلامه عن المال والحسد والحدّ على من يملك المال.

- ويعيش كأنه لا علاقة له بالغيبيات، فلا يتأثر قلبه ولا عمله بالغيبيات، فيعيش للدنيا ف تكون مشاعره و همومه وأهدافه للدنيا.

- وهو إنسان مادي دنيوي يعيش للدنيا، و هدفه أن يعيش في سعادة، وإنما أنه يريد السعادة لنفسه فقط أو يدعوا إلى السعادة للجميع، فإذا كان يريد السعادة للجميع فهو عنده على خلق لا يعيش أو يسرق أو يظلم غيره.

ـ التجاهـل لـه ثـلـاثـة مـراـحـل:

- هناك تفاوت كبير في درجة التجاهـل، فقد يكون التجاهـل صارـخـ وواضـحـ، وقد يكون التجاهـل ضـعـيفـ وغـيرـ وـاضـحـ.

- وقد لا يشعر الإنسان أنه يتـجـاهـلـ وذلكـ منـ تـعـودـهـ عـلـىـ التجـاهـلـ فأـصـبـحـ تـلـقـائـيـاـ.

- التجاهـلـ يـكـونـ بـالـقـلـبـ وـبـالـسـلـوكـ الـظـاهـرـ،ـ وـالـتجـاهـلـ الـظـاهـرـ غالـباـ ماـ يـكـونـ بـأـسـلـوبـ التـورـيـةـ وـالـتـبـرـيرـ وـالـهـرـوبـ فلاـ يـشـعـرـ بـهـ أحدـ،ـ وقدـ يـبـرـرـ لـنـفـسـهـ أـنـ تـعـلـقـهـ بـالـدـنـيـاـ لـيـسـ اـبـتـعـادـاـ عـنـ الدـيـنـ!

- التجاهـلـ الـظـاهـرـ لاـ يـعـتـبرـ دـلـيـلـاـ قـاطـعاـ عـلـىـ وـجـودـ التجـاهـلـ فـلـاـ يـعـلـمـ مـاـ فـيـ القـلـبـ إـلـاـ اللـهـ وـالـإـنـسـانـ فـيـ نـفـسـهـ.

- التجاهل له ثلاثة مراحل؛ ففي البداية يتکلف الانسان التجاهل ثم يصير التجاهل أمر في طبيعته العادية ثم يستمر في التجاهل فيطبع على قلبه فلا يستطيع الخروج منه.

- ومراحل التجاهل هي:

١- المرحلة الأولى: في البداية يتکلف التجاهل ولا يكون كالجاهل، فهو يبتعد عن كل ما يذكره بالأمر ولكن إذا ذكره أحد يتذكر.

٢- المرحلة الثانية: يصير التجاهل أمر في طبيعته العادية ويكون كالجاهل، فهو يبتعد عن كل ما يذكره بالأمر ولكن إذا ذكره أحد قد يتذكر وقد لا يتذكر بحسب درجة تجاهله وبحسب توفيق الله له في أن يتذكر في أحد المرات التي يسمع فيها ما يذكره بالأمر.

٣- المرحلة الثالثة: يستمر في التجاهل ويكون كالجاهل، وإذا ذكره أحد لا يتذكر أبداً فيكون تذکیره مستحيلاً أو أشبه بالمستحيل، وهنا يكون قد طبع على قلبه.

- ففي المرحلة الأولى والثانية يكون فيها التجاهل قابل للعلاج، وفي هذه الحالة قد يؤدي التذکیر الى احياء اثر المعرفة من أول مرة تذكره بها أو في أحد المرات التي تذكره بها يشاء الله له أن ينتبه ويتفاعل مع الامر، وقد تذكره مرات كثيرة جداً فلا يتذكر ولكن يشاء الله في أحد المرات أن يتذكر.

- وفي المرحلة الثالثة وهي الاستمرار في التجاهل يكون فيها التجاهل غير قابل للعلاج أو صعب العلاج.

- وهناك تفاوت كبير بين الناس، فمن الناس مهما حدثته عن معلومات هائلة عن الخالق وعن الآخرة وأفهمته المعاني لن يتاثر، أي لا يحدث انفعال ودهشة وتعجب وانبهار من غرابة الأمر وخطورته، وبالتالي لا تتأثر مشاعره حباً وخوفاً ورجاءً وبالتالي لا يخضع بقلبه وجوارحه، فعلل الله قد طبع على قلبه، ومن الناس من يتعرض لموقف مثل موت قريب له أو يستمع لموعظة ذات مرة فتكون سبباً في إحياء المعرفة عنده وهدايته وتتغير بذلك حياته كلها.



- إذن لماذا لا يتعظ الإنسان ولماذا لا تؤثر فيه المواعظ وهو كل يوم يرى من مات ومن ابتهل وغير ذلك؟، فذلك بسبب الاستمرار في التجاهل (التصام - التعامي - التغابي) والمعرفة الكاذبة (السماع والرؤيا والفهم الكاذب) فمهما تعظه لا يتعظ.

ـ التجاهل (التصام - التعامي - التغابي) حيلة الاغبياء:

- وجود الغبيات جعل الناس يعيشوا حياتهم خاضعين، فإذا أرادوا أن يعيشوا أحرازاً فعليهم أن يتناسو الغبيات لأنها غير موجودة، وهذا من الغباء لأن التناسي لن يلغي وجود الغبيات.

- كل إنسان يؤمن بقيناً تاماً بأنه سيموت، ولكن الإنسان لا يريد أن يموت، فيلجأ إلى حيلة وهي أنه يتتجاهل قضية الموت ويتغافل عنها ولا يشغل همه بها ويعيش بأنه لن يموت وبذلك يتوهם أنه لن يموت!

- فالذى لا يريد أن يذهب إلى الآخرة، أو يريد إلا يكون هناك آخرة وحساب يلجأ إلى حيلة وهي أنه يغمض عينه عن الآخرة ويتناساها فيعيش بأنه لا آخرة رغم اليقين التام بها، وهذه حيلة الأحمق، فالهروب من الآخرة ولقاء الله تعالى رغم أنهم سواء رضوا بذلك أم لم يرضوا، وكل الناس ذاهبون إلى الموت رغم عنهم، والفرار من الآخرة ومن لقاء الله ومن الموت وتناسي ذلك والتجاهل عنه وتجاهله لن يفيدهم شيئاً.

- فيمكن تشبيه ذلك بإنسان يعيش في منزل آيل للسقوط، لكنه لا يريد أن يغادر المنزل فماذا يصنع؟ يتناهى الأمر بأنه غير حاصل ويشغل تفكيره بأمور أخرى حتى لا يشغل تفكيره بذلك الأمر، وهذا من الغباء طبعاً.

- كذلك الذي سوف تنتهي حياته في أي لحظة، لكنه لا يريد أن يترك الدنيا التي يعتبرها داره وفيها متاعه فماذا يصنع؟ يتناهى الأمر بأنه غير حاصل ويشغل تفكيره بأمور أخرى حتى لا يشغل تفكيره بذلك الأمر، وهذا من الغباء طبعاً، أما العاقل فيظل تفكيره منشغلاً بهذا الأمر طالما أنه ما زال مقيماً في هذه الدنيا.

- والهدف من التجاهل هو الهروب من الآخرة والهروب من لقاء الله، وهذا الهروب لن يفيده شيئاً ولن يغير من حقائق الأمور شيئاً، فالآخرة قادمة سواء رضيت أم لم ترضي وسواء تناصيت أم لم تتناصي وسواء أيقنت بذلك أم لم توقن، فهو بذلك كالنعامة التي تضع رأسها في الرمال حتى لا يراها الأعداء.

- وكل الناس سوف يذهبون إلى الآخرة، فإذا لم يعجبك الأمر فامتنع عن الذهاب إلى الآخرة إن استطعت: ((إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَاتِّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (١٣٤) قُلْ يَا قَوْمَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانِتُكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ))^(١)، ((قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِكُمْ))^(٢)، ((وَلَتَحِدَّنَّهُمْ أَخْرَصَ النَّاسَ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوْمًا أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمِّرُ أَلْفَ سَنَةً وَمَا هُوَ بِمُرْحَزِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمِّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ))^(٣).

- نحن نعيش في هروب وتجاهل للموت وهروب وتجاهل للآخرة وهروب وتجاهل وتغافل عن الله، وهذا الهروب وهذا التجاهل والتغافل لن يغير من حقائق الأمور شيئاً؛ فالخطر قائم ونحن مقبلون عليه رضينا أم أبيينا، والأمر خطير وعظيم: ((قُلْ هُوَ نَبِأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنَّهُ مُعْرَضُونَ))^(٤)، إنك مهما حاولت التغافل والهروب عن الحقيقة والمصير القادم، فإنها أيام قليلة وغداً اللقاء رضيت أم لم ترض، شعرت بذلك أم لم تشعر، وقد سبقك الكثير إلى هناك، فالقضية حاسمة وخطيرة ولا تحتمل التراخي ولكننا في غفلة، وغداً تنتهي الحياة فماذا أنت صانع؟!



(١) الانعام: ١٣٥، ١٣٤

(٢) الجمعة: ٨

(٣) البقرة: ٩٦

(٤) ص: ٦٧

الفصل الخامس عشر

الأدلة على تجاهل الخالق والآخرة

•••

- الرسل جاءت من أجل أن تأمر الناس بعبادة الله، فالغرض من تجاهل الإنسان لما جاءت به الرسل هو ألا يسلم حتى لا يخضع (حتى لا يحقق العبادة) وإذا كان منتسباً للإسلام فالهدف من التجاهل هو ألا يخضع (حتى لا يحقق العبادة).

- فهو يتجاهل كل ما يدعوه للخضوع، ففيتجاهل ما سمعه من الرسل ويتجاهل ما سمعه عن الخالق والآخرة ويتجاهل رؤيته للآيات الكونية ويتجاهل الموت ولقاء الله تعالى لأن كل ذلك يدعوه للخضوع سواء كان منتسباً للإسلام أم غير منتسباً.

- وبتعبير آخر فأثر اليقين هو الخضوع (التعلق بغير النفس، أي التعلق بالله تعالى) والغرض من التجاهل هو منع أثر اليقين.

- ومنع أثر اليقين إما بعدم تحقيق اليقين نفسه أو بتجاهل ما يومن به، وقد يكون الإنسان موقناً وينتسب للإسلام ويقوم ببعض اعمال الدين الظاهرة لكنه لا يريد أن يعيش خاضعاً، ففيتجاهل الخالق والآخرة ويختار أن يعيش للدنيا، فهو يتعلّق بنفسه وبالدنيا ولا يتعلّق بالله والآخرة.

تجاهل الخالق والآخرة يشمل أمران هما:

١- تجاهل ما علمه بعقله من وجود الخالق والآخرة من خلال رؤية الآيات الكونية وما يستنتجها منها.

٢- تجاهل ما سمعه من كلام الله وكلام رسله عن وجود الخالق والآخرة وأمور الدين، وكلام الله وكلام رسله يسمى بـ (ذكر الله) ويسمى أيضاً بـ (الذكر)

- تعبيرات القرآن عن تجاهل الخالق والآخرة وتجاهل كلام الله ورسله (أي تجاهل الذكر أو تجاهل ذكر الله تعالى):

١- التناسي:

- نسيان الله والآخرة والرسل المقصود منه التناسي والتجاهل، فهو يتناهى حتى يصير كالذي نسي، فهو عطل المعرفة بتناسيها فأصبح كالجاهل بها.

- وألفاظ القرآن عن تناسي الخالق هي: (نسوا الله) وعن تناسي الآخرة هي: (نسوا يوم الحساب) و(نسيئتم لقاء يومكم هذا) و(نسوا لقاء يومهم هذا) وعن تناسي كلام الله ورسله هي: (نسوا ما ذكروا به) و(نسوا الذكر) و(نسوه من قبل) و(فنسيئتها) و(أنسواكم ذكري).

- ((نسوا الله فنسيئهم))^(١) معناه أعرض عن كل ما يذكر بالخالق ومدى قدرته وعظمته فلا يسمع كلاماً يذكر به ولا يرى شيئاً يذكر به ولا يعمل شيئاً يذكر به، أي كأنه نسي الخالق، أي لم يلق له بآلا ولم يهتم به ولم يتبه له وترك الاهتمام به كالمنسى، فعامله الله بمثل المعاملة فتركه في النار لم يلق له بآلا كأنه نسيه ولم ينسه.

- {فُوْقُوا بِمَا نَسِيَتُمْ لِقاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِيَّا كُمْ} ^(٢)، ((إِنَّ الَّذِينَ يَضْلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ))^(٣)، ((وَقَبْلَ الْيَوْمِ نَسَأْكُمْ كَمَا نَسِيَتُمْ لِقاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا))^(٤)، ((فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا))^(٥)، ((نسوا الله فنسيئهم))^(٦)، ((قَالَ كَذَلِكَ أَتَنَكَ آيَاتُنَا فَنسيئتها وَكَذَلِكَ الْيَوْمُ تُنَسَّى))^(٧)، ((وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ

(١) التوبه: ٦٧.

(٢) السجدة: ١٤.

(٣) ص: ٢٦.

(٤) الجاثية: ٣٤.

(٥) الأعراف: ٥١.

(٦) التوبه: ٦٧.

(٧) طه: ١٢٦.

أولئك هُم الْفَاسِقُونَ^(١)، ((فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ^(٢)).

- ((وَلَكُنْ مَتَعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِكْر^(٣)))، ((يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُواهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ^(٤)))، ((فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ^(٥))).

- وفي تفسير الشيخ المراغي: ((فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِرُوا بِهِ}) أي أنهم لما تركوا ما ذكرهم به الصالحون وأعرضوا عنه حتى صار كالمنسي في كونه لا تأثير له^(٦)، وفي تفسير ابن كثير: ((فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِرُوا بِهِ}) أي: أعرضوا عنه وتناسوه وجعلوه وراء ظهورهم^(٧)، وفي تفسير أبي السعود: ((فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِرُوا بِهِ}) أي تركوا ما ذكرهم به صلحاً هم ترك الناسي للشيء وأعرضوا عنه إعراضًا كليًا بحيث لم يخطر ببالهم شيء من تلك المواقع أصلًا^(٨).

- وفي أيسير التفاسير للجزائري: ((قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْنَا آيَاتِنَا فَنَسِيَتْهَا^(٩)) أي تركتها ولم تلتقت إليها معرضًا عنها^(١٠)، وفي تفسير أبي السعود: ((فَنَسِيَتْهَا^(١١)) أي عميت عنها وتركتها ترک المنسي الذي لا يذكر أصلًا^(١٢).

٢. التغافل:

- الغفلة يقصد بها التغافل، أي تغافل عن الشيء وتجاهله أي جعل نفسه كالغافل عنه والجاهل به كأنه لم يسمع عنه:

(١) الحشر: ١٩.

(٢) المؤمنون: ١١٠.

(٣) الفرقان: ١٨.

(٤) الأعراف: ٥٣.

(٥) المؤمنون: ١١٠.

(٦) تفسير الشيخ المراغي - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر (٩٦ / ٩).

(٧) تفسير ابن كثير / دار طيبة (٣ / ٢٥٦).

(٨) تفسير أبي السعود - دار إحياء التراث العربي - بيروت (٣ / ٥٩).

(٩) ط: ١٢٦.

(١٠) أيسير التفاسير للجزائري مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية (٣ / ٣٨٨).

(١١) تفسير أبي السعود دار إحياء التراث العربي - بيروت (٤ / ٣٩٢).

- ((وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ))^(١)، ((فَالْيَوْمَ نُنَحِّيُكَ بِبَدْنَكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ))^(٢)، ((اَفَتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرَضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رِبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ، لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ))^(٣)، ((يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ))^(٤)، ((وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحِسْرَةَ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفَلَةٍ))^(٥)، ((اَفَتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفَلَةٍ مُعْرَضُونَ))^(٦)، ((وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاكِرَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفَلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ))^(٧)، ((لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفَلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ))^(٨).

- وفي تفسير الجلالين: ((الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ) جَهْلٌ يَغْمُرُهُمْ {سَاهُونَ} غَافِلُونَ عَنْ أَمْرِ الْآخِرَة))^(٩).

٣ - التعامي:

- ففي التفسير المنير للزحيلي: ((وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ تُفَيَّضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) يتعامل ويتعaffle ويعرض عن النظر في القرآن والعمل به ... والمراد بالآية: إن من يعرف كون القرآن حقاً ولكنه يتعaffle عن ذلك فهو في ضلال، ومادة كل آفة وبلية الركون إلى الدنيا وأهلها، فإن ذلك بمنزلة الرمد للبصر، ثم يصير بالتدريج كالعشى، ثم كالعمى))^(١٠)، وفي تفسير البيضاوي: ((وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ) يتعامل ويعرض عنه لفطر اشتغاله بالمحسosات وانهماكه في الشهوات))^(١١)، وفي تفسير روح المعاني: ((وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ) أي

(١) يوئس: ٧.

(٢) يوئس: ٩٢.

(٣) الأنبياء: ١ - ٣.

(٤) الروم: ٧.

(٥) مريم: ٣٩.

(٦) الأنبياء: ١.

(٧) الأنبياء: ٩٧.

(٨) ق: ٢٢.

(٩) تفسير الجلالين: (ص: ٦٩٣)

(١٠) التفسير المنير للزحيلي - دار الفكر المعاصر - دمشق (٢٥ / ١٥٦).

(١١) تفسير البيضاوي - دار إحياء التراث العربي - بيروت (٥ / ٩١).

أنهم كانوا يتعامون عن آيات الله تعالى المبسوطة في الأنفس والآفاق)).^(١)

٤ - التسامح:

- أي يتتجاهل ما سمعه من كلام الله وكلام رسله عن وجود الخالق والآخرة وأمور الدين، فيتوهم أنه لم يسمع ولا يسمع الأمر سماع تفهم واستبصار: - ففي تفسير الجلالين: ((وقالوا لو كنا نسمع أي سماع تفهم أو نعقل أي عقل تفكير ما كنا في أصحاب السعير))^(٢)، وفي تفسير روح المعاني: ((ففهم لا يسمعون} أي سماع تفهم واعتبار))^(٣)، وفي تفسير روح المعاني أيضاً: ((إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون: أي شأنهم أن يسمعوا الكلام سماع تفهم واستبصار... من ألقى السمع وهو شهيد ينتبه لوعظ الله تعالى ويصغى إليه))^(٤).

- وفي تفسير القرطبي: ((وهم لا يسمعون} أي لا يتذمرون ما سمعوا ولا يفكرون فيه فهم بمنزلة من لم يسمع وأعرض عن الحق))^(٥).

- وفي تفسير ابن كثير: ((أو ألقى السمع وهو شهيد} أي استمع الكلام فوعاه وتعقله بعقله وتفهمه بلبه))^(٦)، وفي تفسير الطبرى: ((ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون} {وهم لا يسمعون} يقول: وهم لا يعتبرون ما يسمعون بأذانهم ولا ينتفعون به لإعراضهم عنه وترکهم أن يوعوه بقلوبهم ويتدبروه فجعلهم الله لما لم ينتفعوا بمواعظ القرآن وإن كانوا قد سمعوها بأذانهم بمنزلة من لم يسمعها))^(٧)، وفي تفسير البغوي: ((وَمِنْهُمْ} يعني من هؤلاء الكفار، {مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكُ} وهم المنافقون، يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه، تهاوناً به وتغافلاً))^(٨).

(١) روح المعاني دار الكتب العلمية. بيروت / ٦ / ٢٣٢.

(٢) تفسير الجلالين دار الحديث - القاهرة (ج: ١، ص: ٧٥٥).

(٣) تفسير الألوسي [روح المعاني] - دار الكتب العلمية. بيروت (ج: ٥، ص: ١٥).

(٤) تفسير الألوسي [روح المعاني] - دار الكتب العلمية. بيروت (ج: ١١، ص: ٣٣).

(٥) تفسير القرطبي - دار الكتب المصرية. القاهرة (ج: ٧، ص: ٣٨٨).

(٦) تفسير ابن كثير - دار الكتب العلمية. بيروت (ج: ٧، ص: ٣٨٢).

(٧) تفسير الطبرى - مؤسسة الرسالة - مؤسسة الرسالة (ج: ١٢، ص: ٤٥٨).

(٨) تفسير البغوي - دار إحياء التراث العربي. بيروت (ج ٤ / ص ٢١٣).

- وفي معاني القرآن: ((وَالَّذِينَ إِذَا ذَكَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُوا عَلَيْهَا صَمًا وَعَمِيَانًا) أي لم يتغافلوا عنها ويتركوها حتى يكونوا بمنزلة من لا يسمع ولا يبصر))^(١).

٥. اتخاذ الأمر ظهريًا:

- ففي تفسير فتح القدير للشوكتاني: ((وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَأَيْتُمْ ظَهْرِيًّا) والضمير في {واتَّخَذْتُمُوهُ} راجع إلى الله سبحانه، والمَعْنَى: واتَّخَذْتُمُ الله عَزَّ وَجَلَّ بِسَبَبِ عَدَمِ اعْتِدَادِكُمْ بِنِيَّتِهِ الَّذِي أَرْسَلَهُ إِلَيْكُمْ وَرَأَيْتُمْ ظَهْرِيًّا أي: مَنْبُودًا وَرَاءَ الظَّهَرِ لَا تُبَلُّوْنَ بِهِ))^(٢)، وفي تفسير أبي السعود: ((وَرَأَيْتُمْ ظَهْرِيًّا) أي شيئاً منبوداً وراء الظاهر منسياً لا يبالي به))^(٣)، وفي تفسير السمرقندى: ((وَقَالَ الزَّرَاجُ: مَعَنَاهُ، اتَّخَذْتُمُ امْرَ اللهِ وَرَأَيْتُمْ ظَهْرِيًّا أي: نَبَذْتُمُوهُ وَرَاءَ ظَهُورِكُمْ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِكُلِّ مَنْ لَا يَعْبُأُ بِأَمْرِهِ: قَدْ جَعَلَ فَلَانُ هَذَا الْأَمْرَ بِظَهْرِهِ، وَقَالَ الْأَخْفَشُ: وَرَأَيْتُمْ ظَهْرِيًّا يَقُولُ: لَمْ تَلْتَفِتُوا إِلَيْهِ))^(٤).

- وفي تفسير الطبرى: ((وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا) أي وكان الكافر على ربه هيناً، من قول العرب: ظهرت به، فلم ألتقطت إليه، إذا جعله خلف ظهره فلم يلتقطت إليه))^(٥).

٦. يجعل الأمر كالمنبود وراء ظهره:

- ففي تفسير المراغى: (((فَبَدُوهُ وَرَأَيْتُمْ ظَهُورَهُمْ)) أي لم يباليوا به ولم يهتموا بشأنه، وقد كان من الواجب عليهم أن يجعلوه نصب أعينهم لا شيئاً مهماً ملقياً وراء الظهور لا ينظر إليه، ولا يفکر في أمره، فقد كان منهم الذين لا يستفيدون منه شيئاً ويحملونه كما يحمل الحمار الأسفار))^(٦).

(١) معاني القرآن للنحاس - جامعة أم القرى - مكة المكرمة (٥ / ٥٥).

(٢) فتح القدير للشوكتاني (٢ / ٥٩٠).

(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤ / ٢٣٦).

(٤) تفسير السمرقندى = بحر العلوم (٢ / ١٦٨).

(٥) تفسير الطبرى = جامع البيان ت شاكر (١٩ / ٢٨٦).

(٦) تفسير المراغى (٤ / ١٥٧).

- وفي تفسير فتح القدير: ((وَقُولُهُ: وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ أَيْ: خَلْفَ ظُهُورِهِمْ، وَهُوَ مَثْلُ يُضْرَبُ لِمَنْ يَسْتَخِفُ بِالشَّيْءِ فَلَا يَعْمَلُ بِهِ، تَقُولُ الْعَرَبُ: اجْعَلْهُمْ هَذَا خَلْفَ ظَهْرِكَ، وَدُبْرَ أَذْلِكَ، وَتَحْتَ قَدَمِكَ أَيْ: اتْرُكْهُ وَأَعْرِضْ عَنْهُ)).^(١)

٧. عدم الاهتمام بالأمر واللامبالاة به:

- ففي أضواء البيان: ((وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا حَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أَوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ} فَقَوْلُهُ تَعَالَى عَنْهُمْ: {مَاذَا قَالَ آنِفًا} يَدْلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ مَا كَانُوا يُبَالُونَ بِمَا يَتَلَوُ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْآيَاتِ وَالْهُدَى))^(٢)، وفي تفسير الخازن: ((قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ} يعني ومن هؤلاء الكفار {مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ} وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهالنا به وتغافلًا عنه))^(٣)، وفي تفسير الشعراوي: ((قولهم: {مَاذَا قَالَ آنِفًا..} دليل على عدم اهتمامهم بالقرآن، وأنه شيء لا يُؤْيَدُ له))^(٤).

- وفي تفسير البيضاوي: ((وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ حَرَجُوا بِهِ} أي يخرجون من عندك كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك))^(٥).

٨. التعامل مع الأمر بغير جدية كأنه لعب ولهم (عدم الاهتمام بالأمر وعدم الانتباه إليه):

- الدنيا لعب ولهم والدين أمر جاد وخطير، ولكن بعض الناس يفعلون عكس ذلك فيتعاملون مع الدنيا كأنها أمر جاد وخطير ويعاملون مع الدين بغير جدية كأنه لعب ولهم، فالآيات تبين أن الدنيا لعب ولهم: ((وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوٌ))^(٦)، ولكنهم تعاملوا مع الدين بغير جدية كأنه لعب ولهم: ((وَذَرُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهُوًا وَغَرَّهُمُ الْحَيَاةُ

(١) فتح القدير للشوكاني (١٣٩ / ١).

(٢) أضواء البيان - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت (١٨٩ / ٧).

(٣) تفسير الخازن - دار الكتب العلمية - بيروت (٤ / ٤).

(٤) تفسير الشعراوي - مطابع أخبار اليوم (١٤ / ٨٧١).

(٥) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢ / ١٣٤).

(٦) الأربع: ٣٢.

الدُّنْيَا))^(١)، ((الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهُوا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا))^(٢)، ((إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَذِيلِ))^(٣).

- وفي تفسير إيجاز البيان: ((الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهُوا: [اتخذوا أمر دينهم] كأمر دنياهم، والدنيا لهو وباطل))^(٤)، وفي تفسير الحاوي: ((ثم إنه تعالى وصف هؤلاء الكفار بأنهم اتخذوا دينهم لهوا ولعباً، وفيه وجهان: الوجه الأول: أن الذي اعتقدوا فيه أنه دينهم تلاعبوا به، وما كانوا فيه مجددين، والوجه الثاني: أنهم اتخذوا للهو واللعب ديناً لأنفسهم))^(٥)، وفي تفسير السعدي: ((لَهُوا وَلَعِبًا) أي: لهت قلوبهم وأعرضت عنه، ولعبوا واتخذوه سخرياً، أو أنهم جعلوا بدل دينهم للهو واللعب، واستعاضوا بذلك عن الدين القيم، {وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} بزيانتها وزخرفها وكثرة دعاتها، فاطمأنوا إليها ورضوا بها وفرحوا، وأعرضوا عن الآخرة ونسوها، {فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ} أي: نتركهم في العذاب {كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا} فكأنهم لم يخلقا إلا للدنيا، وليس أمامهم عرض ولا جزاء))^(٦)، وفي تفسير السمعاني: ((قوله تعالى: {الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهُوا وَلَعِبًا} معناه: أكلا وشربَا، قاله عبد الله بن الحارث، وقيل: معناه: الذين كانت همتهم الدنيا، واشتغالهم بها؛ فهم الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعباً، وغرتهم الحياة الدنيا))^(٧).

- فهو يستمع إلى الأمر وهو يلعب فلا يلقي له بالاً: ((اَفَتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي عَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدِّثٍ إِلَّا سَنَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ، لَا هِيَةَ قُلُوبُهُمْ))^(٨).

(١) الأنعام: ٧٠.

(٢) الأعراف: ٥١.

(٣) الطارق: ١٤، ١٣.

(٤) إيجاز البيان عن معاني القرآن - دار الغرب الإسلامي - بيروت (٣٣٢ / ١).

(٥) الحاوي في تفسير القرآن الكريم كاملاً (٢٠٦ / ٢٧٠).

(٦) تفسير السعدي - مؤسسة الرسالة (١ / ٢٩٠).

(٧) تفسير السمعاني دار الوطن - الرياض (١٨٧ / ٢).

(٨) الأبياء: ١ - ٣.

٩- عدم التدبر والتفكير في آيات القرآن وآيات الكون:

- ففي تفسير السراج المنير: ((سأصرف عن آياتي) المنصوبات في الآفاق والأنفس كخلق السموات والأرض وما بينهما {الذين يتکبرون في الأرض} أي: أصرفها عنهم بالطبع على قلوبهم فلا يتفکرون فيها ولا يعتررون بها))^(١)، وفي تفسير البحر المحيط: ((سأصرف عن آياتي الذين يتکبرون في الأرض بغير الحق...) قال ابن جبیر سأصرفهم عن الاعتبار والاستدلال بالدلائل والآيات على هذه المغزيات وبدائع المخلوقات، وقال سعیان بن عینة سأمنعهم من تدبرها ونظرها النّظر الصحيح المؤدي إلى الحق))^(٢).

- ((أفلا يتکبرون القرآن أم على قلوب أفالها))^(٣).

١٠- تجاهل المحدث سواء على سبيل الحقيقة أو على سبيل المجاز:

- هناك تعبيرات في القرآن تشير إلى تجاهل المستمع للمحدث، فالمحاجث هو الخالق والرسل والدعاة، والمستمع هم الناس، والناس سمعوا لكنهم لا يريدون التذکير، وهذه العبارات على سبيل المجاز أو هي تحدث بالفعل.

- القرآن يعبر عن ذلك بعبارات منها: يضع أصبعه في أذنيه حتى لا يسمع المحدث، ولا يستمع للقرآن ويلغو فيه (يشوش على المحدث)، ويستمع إلى ذكر الله وهو يلعب، وينأى (يتبع عن المحدث) ويضع حجاباً بينه وبين المحدث و يجعل قلبه في أكنة حتى لا يصل الكلام، ولا يلقي سمعه للمحدث (لا يوجه سمعه إليه)، ويلوي رأسه، وينغض رأسه (يراك رأسه لأعلى ولأسفل) ويكون ساماً (أي يرفع رأسه لأعلى كأنه يبحث عن شيء في السماء ولا شيء)، ويكون في عنقه أغلالاً (تجعله يرفع رأسه إلى أعلى ويثبتها على ذلك حتى لا ينظر إلى المحدث)، ويثنى صدره ليستخف منه (يستخف من المحدث بثنى الرأس على

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (٥١٦ / ١).

(٢) محمد: ٢٤

(٣) البحر المحيط في التفسير (١٧٣ / ٥).



الصدر) واستغشاء الثياب (يغطي رأسه بثوبه حتى لا يراه المتحدث) والانصراف والتسلل في سرية كأنه غير موجود، والتولي والإدار والإعراض والصدف (أي الإعراض) والصد (أي الإعراض) والنكوص (الرجوع إلى الوراء للابتعاد عن المتحدث) والنفور (الابتعاد) ونَأَى بِجَانِبِهِ (الابتعاد)، والفرار، ويحيد (يهرب) والهجر، وانفض عن المتحدث (تفرقوا عن المتحدث وتركوه)، والزيف (الميل عن الحق)، ويضيّع يده على فمه (لا يطيق سمع كلام الرسل في بعض على يديه ضيقاً وغليظاً)، والتلهي بالتكلّم وبالأمل في أمور الدنيا واللعب (التغافل والتشاغل عن الغيبيات بشغل الهم بالدنيا).

- وهذه العبارات كالتالي:

- 1- يضع أصبعه في أذنيه حتى لا يسمع المتحدث:
- ففي صفة التفاسير: (({جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي أَذَانِهِمْ} أي سدوا آذانهم لئلا يسمعوا دعوتي))^(١).
- 2 - التشويش على المتحدث (الحدث أثناء حديثه):
- أي يتشاغل بالكلام مع أحد آخر أو مع آخرين أثناء حديث المتكلم حتى يتدخل الكلام مع بعضه.
- ففي إعراب القرآن وبيانه: ((لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنَ وَالْغُوَافِيَهُ} أي أظهروا اللغو برفع الأصوات تخليطاً وتشويشاً عليه))^(٢).
- 3 - التشاغل أثناء سماع المتحدث باللعب واللهو:
- ((أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حَسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفَلَةٍ مُعْرَضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا سَمَعُوهُ وَهُمْ يُلْعِبُونَ (٢) لَا هِيَةَ قُلُوبُهُمْ))^(٣).
- 4 - يتبعه عن المتحدث:

(١) صفة التفاسير (٤٢٧ / ٣).

(٢) إعراب القرآن وبيانه - دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سوريا (٤٥٥ / ٦).

(٣) الأنبياء: ١ - ٣.

- ففي تفسير الهدایة إلى بلوغ النهاية: ((وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ)) وقيل: المعنى أنهم ينهاون [الناس عن] أن يستمعوا ما في القرآن، ويبتعدون هم عن استماعه، فالهاء للقرآن)).^(١)

٥ - وضع حاجز بين المتحدث والسامع حتى لا يصل الكلام (إشارة إلى التغافل عن كلام المتحدث):

- ففي أيسر التفاسير: ((وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَذَعَّوْنَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقُرْ وَمِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ)) أي مانع وفاصل بيننا فلا نسمع ما يقول ولا نرى ما تفعل)، وفي أيسر التفاسير أيضاً: ((وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا)) أي ساترًا لهم فلا يسمعون كلام الله تعالى)).^(٢)

٦ - الحاجز والسد والحائل:

- أحاط نفسه بسد محيط بكل جهة، ففي تفسير نظم الدرر: ((وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ)) أي فصارت كل جهة يلتفت إليها منسدة، فصاروا لذلك لا يمكنهم النظر إلى الحق ولا الخلوص إليه، فلذلك قال: {فَأَغْشَيْنَاهُمْ} أي جعلنا على أبصارهم بما لنا من العظمة غشاوة)).^(٣)

٧ - لا يوجه سمعه إلى المتحدث:

- الذي ينتفع بالقرآن هو الذي يلقي إليه سمعه غير متغافل عنه، ففي التفسير القيم لابن القيم: (وقوله: «أَوْ أَقْى السَّمْعَ» أي وجه سمعه، وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له، وهذا هو شرط التأثير بالكلام، وقوله: «وَهُوَ شَهِيدٌ» أي شاهد القلب حاضر، غير غائب، قال ابن قتيبة: استمع لكتاب الله وهو شاهد القلب والفهم، ليس بغافل ولا ساه، وهو إشارة إلى المانع من حصول التأثير، وهو سهو القلب وغيبته عن تعلق ما يقال له، والنظر فيه وتأمله، فإذا حصل المؤثر، وهو القرآن، والمحل القابل،

(١) الهدایة إلى بلوغ النهاية (١٩٩١ / ٣).

(٢) أيسر التفاسير للجزائري - مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة (٤ / ٥٦٠).

(٣) أيسر التفاسير للجزائري - مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة (٣ / ١٩٩).

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٩٨ / ١٦).



وهو القلب الحي، ووجد الشرط، وهو الإصغاء، وانتفي المانع، وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب وانصرافه عنه إلى شيء آخر: حصل الأثر، وهو الانتفاع بالقرآن والذكر)).^(١)

٨ - لوي الرأس:

- ففي تفسير المراغي: ((وَإِذَا قَبَلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَعْفِرُ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوْرَا رُءُوسَهُمْ وَرَأْيَتُهُمْ يَصْدُونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ} لَوْرَا رَءُوسَهُمْ: أي حولوها استهزاء)).^(٢)، وفي صفة التفاسير: ((لَوْرَا رُءُوسَهُمْ} أي حركوها وهزوهما استهزاء واستكبارا)).^(٣).

٩ - تحريك الرأس لأعلى ولأسفل:

- علامة للتعجب من تفاهة الأمر (في نظره):

- ففي أيسير التفاسير للجزائري: ((فَسَيِّنَغُضُونَ}: أي يحركون رءوسهم تعجبا، {فَسَيِّنَغُضُونَ} أي يحركون إليك رءوسهم خفيا ورفعا استهزاء)).^(٤)، وفي تفسير فتح البيان: ((فَسَيِّنَغُضُونَ إِلَيْكَ رَءُوسَهُمْ} أي يحركونها استهزاء، يقال نغض رأسه ينغض نغضا ونغوضا إذا تحرك وأنغض رأسه حركه كالمتعجب من الشيء)).^(٥).

١٠ - السمود أي يرفع رأسه لأعلى كأنه يبحث عن شيء في السماء، ولا شيء (كأنه يتغافل عن من يتحدث إليه):

- ففي التفسير القرآني للقرآن: ((وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ} أي وأنتم غافلون في صلف وكبار، والسامد هو البعير الذي يرفع رأسه كأنه يبحث عن شيء في السماء، ولا شيء!).^(٦)

١١ - يرفع رأسه إلى أعلى ويثبتها على ذلك حتى لا ينظر إلى المتحدث:

(١) التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم (ص: ٤٨٤).

(٢) تفسير المراغي (٢٨ / ١١٠).

(٣) صفة التفاسير (٣ / ٣٦٤).

(٤) أيسير التفاسير للجزائري (٣ / ٢٠١، ٢٠٢).

(٥) فتح البيان في مقاصد القرآن (٧ / ٤٠٤).

(٦) التفسير القرآني للقرآن - دار الفكر العربي - القاهرة (١٤ / ٦٢٥).

- ففي أيسر التفاسير للجزائري: ((إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً) أي جعلنا أيديهم مشدودة إلى أعناقهم بالأغلال {فهي إلى الأذقان} أي أيديهم مجموعة إلى أذقانهم، والأذقان جمع ذقن وهو مجمع اللحين {فهي مقمون} أي رافعو رءوسهم لا يستطيعون خفضها)(^١).

- وفي التفسير القرآني للقرآن: (القد جعل الله «في أعناقهم أغلالاً» أي أطواقاً من حديد، أشبه بالقلادة، تطوق بها أعناقهم، «فهي إلى الأذقان» أي وهذه الأغلال أو القلائد تشتمل على العنق كله، حتى لتصل إلى الأذقان، «فهُم مُقْمُحُونَ» أي مشدود والرؤوس إلى أعلى فهم لا يستطيعون أن يحركوا رءوسهم يميناً أو شمالاً أو إلى تحت أو فوق، والصورة التي تبدو من طوق بهذا الطوق أنه تمثال جامد)(^٢).

١٢- الاستخاء من المتحدث بثني الرأس على الصدر:

- أي يطأطئ رأسه ويميله فوق صدره ليستخفي من المتحدث إليه كأنه منشغل بأمر آخر غير المتحدث:

- ففي أيسر التفاسير: ((وقوله تعالى: {أَلَا إِنَّهُمْ يَتَنَوَّنُ صُدُورُهُمْ} يعني يلتوون صدورهم ليستخفوا منه) هذا النوع من السلوك الشائن الغبي كان بعضهم يثني صدره أي يطأطئ رأسه ويميله على صدره حتى لا يراه الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعضهم يفعل ذلك ظناً منه أنه يخفى نفسه عن الله تعالى وهذا نهاية الجهل، وبعضهم يفعل ذلك بغضّاً للرسول صلى الله عليه وسلم حتى لا يراه، فرد تعالى هذا بقوله: {أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ} أي يتغطّون بها)(^٣).

- وفي تفسير مقاتل: ((أَلَا إِنَّهُمْ يَتَنَوَّنُ صُدُورَهُمْ) يعني يلتوون وذلك أن كفار مكة كانوا إذا سمعوا القرآن نكسوا رءوسهم على صدورهم كراهية استماع القرآن ليستخفوا منه يعني من النبي -صلى الله عليه وسلم- فالله قد علم ذلك منهم)(^٤).

(١) أيسر التفاسير للجزائري (٤/٣٦٥).

(٢) التفسير القرآني للقرآن (١١/٩٠٨).

(٣) أيسر التفاسير للجزائري مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة (٢/١٥٧).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٢٧١).

١٣ - استغشاء الثياب (يغطي رأسه بثوبه حتى لا يراه المحدث):

- ففي تفسير القرطبي: ((وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ} [نوح: ٧] أي إلى سبب المغفرة، وهي الإيمان به والطاعة له، {جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِي أَذْانِهِمْ} لِئَلَّا يَسْمَعُوا دُعَائِي {وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ} أي عَطَّوا بِهَا وُجُوهَهُمْ لِئَلَّا يَرَوْهُ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: جَعَلُوا ثِيَابَهُمْ عَلَى رُءُوسِهِمْ لِئَلَّا يَسْمَعُوا كَلَامَهُ، فَاسْتَغْشَأُوا الثِّيَابَ إِذَا زِيَادَةً فِي سَدِ الْأَذَانِ حَتَّى لَا يَسْمَعُوا، أَوْ لِتَكْرِيرِهِمْ أَنْفُسَهُمْ حَتَّى يَسْكُنُوا، أَوْ لِيُعَرِّفُوهُ إِعْرَاضَهُمْ عَنْهُ))^(١).

٤ - الانصراف في سرية كأنه غير موجود:

- ((وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ فُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَقْهُونَ))^(٢).

٥ - التسلل في سرية كأنه غير موجود:

- ففي تفسير الماتريدي: ((قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَادِاً} يتسللون أي يذهبون مستخفين، يقال: انسل الرجل، أي: انسرق من الناس، أي فارقهم، وهم لا يعلمون به،.. وَقَالَ الْقُنْيَيْيُ: قوله: {يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَادِاً} أي: من يستتر بصاحبه ويتسلل ويخرج))^(٣)، وفي تفسير البغوي: ((قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: {لِوَادِاً} أي يَلُوذُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، وَدَلِيلُكَ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا يَتَّفَلُّ عَلَيْهِمُ الْمَقَامَ فِي الْمَسْجِدِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاسْتِمَاعُ حُطْبَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانُوا يَلُوذُونَ بِبَعْضٍ أَصْنَابِهِ فَيَحْرُجُونَ مِنَ الْمَسْجِدِ فِي اسْتِتَارٍ))^(٤).

٦ - التولي:

- التولي معناه أنه ترك المحدث وتولى عنه كما في قوله تعالى: ((وَإِذَا تُلْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَى مُسْتَكِرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا كَانَ فِي أَذْنِهِ وَقْرًا))^(٥)،

(١) تفسير القرطبي (٣٠٠ / ١٨).

(٢) التوبة: ١٢٧.

(٣) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (٦٠٣ / ٧).

(٤) تفسير البغوي - إحياء التراث (٤٣٣ / ٣).

(٥) لفمان: ٧.

((وَلَوْ عِلْمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَا سَمَعُوهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ))^(١)، ((فَأَعْرَضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّ عَنْ ذِكْرِنَا))^(٢).

١٧ - الإدبار:

- أي يترك المحدث يتحدث ويعطيه ظهره (أي يدبر عنه) ويتركه مبتعداً عنه، والآيات في ذلك كثيرة منها: ((ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ))^(٣)، ((تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّ))^(٤)، ((إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَ الْدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْا مُذْبِرِينَ))^(٥).

١٨ - الإعراض:

- الإعراض معناه أنه ترك المحدث وأعرض عنه، ففي أيسير التفاسير: ((وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ}) وما يأتي هؤلاء المشركين، الذين يُكَذِّبُونَكَ، شيءٌ من عند الله يُذَكَّرُ هُمْ بِالدِّينِ الْحَقِّ، إِلَّا أَعْرَضُوا عَنِ اسْتِمَاعِهِ وَتَرَكُوا إِعْمَالَ الْفِكْرِ فِيهِ، وَلَمْ يُوْجِّهُوْهُمْ إِلَى تَدَبُّرِهِ))^(٦)، وفي تفسير ابن كثير: ((يَقُولُ تَعَالَى: وَأَيُّ عِبَادَ اللَّهِ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذِكَرَ بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا، أَيُّ تَنَسَّاهَا وَأَعْرَضَ عَنْهَا وَلَمْ يَصْنَعْ لَهَا وَلَا أَلْقَى إِلَيْهَا بِالْأَلْأَلِ))^(٧).

- والإعراض ورد في آيات كثيرة منها: ((فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ))^(٨)، ((فُلْنَهُو نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ))^(٩)، ((وَكَانُوا مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ))^(١٠).

١٩ - الصدف (الإعراض):

(١) الأنفال: ٢٣.

(٢) النجم: ٢٩.

(٣) المدثر: ٢٣.

(٤) المعارج: ١٧.

(٥) النحل: ٨٠.

(٦) أيسير التفاسير لأسعد حومد (٢٨١٩ / ١).

(٧) تفسير ابن كثير ط العلمية (٥ / ١٥٥).

(٨) فصلت: ٤.

(٩) ص: ٦٧، ٦٨.

(١٠) يوسف: ١٠٥.

- ففي تفسير الماتريدي: ((فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا})^(١) أي أعرض عنها))^(٢).

٢٠ - الصد (الإعراض):

- ((فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا))^(٣)، ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا))^(٤).

٢١ - النكوص (الرجوع إلى الوراء للابتعاد عن المحدث):

- ابتعد عن المحدث ونفر منه بالرجوع إلى الوراء، ففي التفسير المنير: ((لَقَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ} أي إنه متى تلئيم عليكم آيات القرآن نفرتم منها وأعرضتم عن سماعها وعمن يتلوها، كما يذهب الناكص (الراجع) على عقبه، بالرجوع إلى ورائه، والمراد: أنهم يعرضون عن الحق، فإذا دعوا أبوا، وإن طلبو امتنعوا))^(٥).

٢٢ - النفور (الابتعاد):

- ففي تفسير القرطبي: ((وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَرِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا} (وَمَا يَرِيدُهُمْ} أي التصريف والتذكير، (إِلَّا نُفُورًا) أي تباعدًا عن الحق وغفلة عن النظر والاعتبار))^(٦)، وفي تفسير السمرقندى: ((وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ} يعني: وحدانيته، قول لا إله إلا الله، {وَلَوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا} أي أعرضوا تباعدًا عن الإيمان، وقال القتبي: ولوا على أعقابهم هربا))^(٧).

- وفي تفسير فتح القدير: ((أَمَنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بِلْ لَجُوا فِي عُنُوْنِ وَنُفُورِ} بِلْ لَجُوا في عُنُوْنِ وَنُفُورِ أي: لم يتأنروا بذلك، بِلْ

(١) الأنعام: ١٥٧.

(٢) تفسير الماتريدي = تأويلاً لأهل السنة (٤ / ٣٢٥).

(٣) النساء: ٥٥.

(٤) النساء: ٦١.

(٥) التفسير المنير للزجلي - دار الفكر المعاصر - دمشق (١٨ / ٧٣).

(٦) تفسير القرطبي (١٠ / ٢٦٥).

(٧) تفسير السمرقندى = بحر العلوم (٢ / ٣١٤).

تمَادُوا فِي عِنادٍ وَاسْتِكْبَارٍ عَنِ الْحَقِّ وَنَفُورٍ عَنْهُ، وَلَمْ يَعْتَرُوا، وَلَا تَفَكَّرُوا))^(١).

- وفي تفسير الهدایة إلى بلوغ النهاية: ((وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحْدَهُ} أي إذا قلت لا إله إلا الله في القرآن {وَلَوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا} أي: انفضوا عنك وذهبوا نفوراً من قولك واستعظاماً من توحيد الله جل ذكره))^(٢).

٢٣ - الابتعاد:

- ففي تفسير البغوي: ((وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانَ أَعْرَضَ} عنْ ذِكْرِنَا وَدُعَائِنَا {وَنَأَى بِجَانِبِهِ} أي تباعد عنّا بنفسه أي ترك التقرب إلى الله بالدعاء))^(٣)، وفي تفسير الرازي: ((أَعْرَضَ} أي ولّي ظهره أي عرضاً إلى ناحية {وَنَأَى بِجَانِبِهِ} أي تباعد، ومعنى النّأي في اللغة البعد والإعراض عن الشيء أن يوليه عرض واجهه والنّأي بالجانب أن يلوّي عنّه عطفه ويوليه ظهره، وأراد الاستكبار لأن ذلك عادة المتكبرين))^(٤).

٤ - الفرار:

- التشبيه بالحمار الوحشي حين يفر من الأسد: ففي صفوۃ التفاسير: ((فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذَكِّرِ مُغْرِضِينَ (٤٩) كَانُوهُمْ حُمُرٌ مُسْتَقْرِرٌ (٥٠) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ))^(٥) {كَانُهُمْ حُمُرٌ مُسْتَقْرِرٌ} أي كان هؤلاء الكفار حمر وحشية نافرة وشاردة {فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ} أي هربت ونفرت من الأسد من شدة الفزع، وقال ابن عباس: الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت، كذلك هؤلاء المشركون إذا رأوا محمداً صلّى الله عليه وسلم هربوا منه كما يهرب الحمار من الأسد))^(٦).

(١) فتح القدير للشوكاني (٣١٤ / ٥).

(٢) الهدایة إلى بلوغ النهاية (٤٢١٦ / ٦).

(٣) تفسير البغوي - طيبة (١٢٣ / ٥).

(٤) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٩٠ / ٢١).

(٥) المدثر: ٥١-٤٩.

(٦) صفوۃ التفاسير دار الصابوني- القاهرة (٤٥٦ / ٣).

- وهم يفرون من الموت رغم أنهم موقنون به؛ لأن الموت يعني ضعفهم وقوه من يقدر عليهم فيمتهم، فالموت يأمرهم بالخضوع لذلك يفرون منه: ((فَلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَقْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِكُمْ))^(١)، فكذلك يفرون من الله والآخرة وكل ما يأمرهم بالخضوع.

٢٥ - يهرب ويحيد:

- ففي تفسير السمعاني: ((وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ}) أي: تقر وتهرب، ويستحب للمؤمن حب الموت؛ لأن الله به يستخلص من الأوزار، ويصل إلى محبوبه إن قدر له خير، وعن بعض السلف: لا يكره الموت إلا مريب، وإنما كره تمني الموت بضر نزل به على ما في الخبر، فاما إذا تمنى الموت ليستخلص من الدنيا وفتتها وشوقا إلى لقاء ربه فهو محبوب))^(٢).

- لا يستطيع الإنسان أن يهرب من الله بحيث لا تصل إليه قدرة الله تعالى، ولا يستطيع أن يهرب من الآخرة فلا يكون من يحشر فيها، ولا يستطيع أن يخرج من ملك الله ولا من قدرته وسلطانه عليه، فالآخرة قادمة وقدرة الله واقعة على الإنسان: ففي التفسير الوسيط للواحدي: ((وَأَنَا ظننا علمنا وأيقنا، {إِنْ لَنْ تُعْجِزَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ} [الجن: ١٢] لِنْ نفوتَه إِذَا أَرَادَ بَنَا أَمْرًا، {وَلَنْ تُعْجِزَهُ هَرَبًا} أي: أنه يدركنا حيث كنا))^(٣)، وفي تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمین: ((فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ بِالَّذِي يُسْبِقُ اللَّهَ حَتَّى لَا يَبْعَثُ))^(٤).

- وفي تفسير الهدایة إلى بلوغ النهاية: ((فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ}) أي: ليس بمعجز ربه بهربه في الأرض إن أراد عقوبته؛ لأنه حيث كان في قبضة ربه وسلطانه))^(٥).

٢٦ - الهرج:

(١) الجمعة: ٨.

(٢) تفسير السمعاني (٥/٤١).

(٣) التفسير الوسيط للواحدي (٤/٦).

(٤) القرآن العزيز لابن أبي زمین (٤/٢٣١).

(٥) الهدایة إلى بلوغ النهاية (١١/٦٨٦٩).

- ففي تفسير الهدایة إلى بلوغ النهاية: ((إِوْقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي أَتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) و قال ابن زيد: مهجوراً: أي لا يريدون أن يسمعوه، أي هجروه وأعرضوا عنه فلا يسمعونه)^(١)، وفي أيسير التفاسير للجزائري: ((مَهْجُورًا) أي شيئاً متروكاً لا يلتفت إليه)^(٢).

٢٧ - انفضوا (تفرقوا عن المحدث وتركوه):

- ففي تفسير الرازبي: ((إِوَّا إِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهُوا انْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهُو وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) [الجمعة: ١١] وَقَوْلُهُ: {انْفَضُوا إِلَيْهَا} أي تفرقوا^(٣).

٢٨ - الزيف (الميل عن الحق):

- كأنه ترك المحدث يتحدث وانصرف عنه، ففي تفسير معاني القرآن: ((فَلَمَّا رَأَغُوا أَزَاغَ اللَّهُ فُلُوبَهُمْ)، أي عذلوا عن الحق وانصرفوا عنه فأضلهم الله وصارف فُلُوبَهُم^(٤)).

٢٩ - يضع يده على فمه:

- لا يطيقون سماع كلام الرسل فيغضون على أيديهم ضيقاً وغيظاً: ((جَاءُتُهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُوا أَيْدِيهِمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ))^(٥).

- وفي تفسير معاني القرآن: ((وَقَيلَ: {رَدُوا أَيْدِيهِمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ} أو مأوا إلى الرسل أن اسكتوا^(٦)).

٣٠ - التغافل والتشاغل عن الغيبيات بشغل الهم بالدنيا:

- قد يخترع الإنسان لنفسه هدف معين (المال مثلاً) ويعيش له ويغلق عقله عن التفكير في غير ذلك أو التفكير في حقيقة هذا الهدف.

- كلما شغل الإنسان همه بالدنيا كلما ابتعد عن معرفة الله والآخرة.

(١) الهدایة إلى بلوغ النهاية (٥٢١٣/٨).

(٢) أيسير التفاسير للجزائري (٦١٢/٣).

(٣) تفسير الرازبي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٥٤٤/٣٠).

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/١٦٤).

(٥) الأعراف: ٥١.

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/١٥٦).

- استغراق الإنسان في أعمال الدنيا وأمورها يؤدي إلى سرقة عمر الإنسان فيما يموت ولم يجد وقتاً يشغل فيه همه بمعرفة الله والآخرة.

- ففي تفسير القرطبي: ((لَا هِيَّا قُلُوبُهُمْ أَيْ سَاهِيَّةٌ قُلُوبُهُمْ، مُعْرِضَةٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، مُتَشَاغِلَةٌ عَنِ التَّأْمُلِ وَالتَّفْهُمِ، مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: لَهِيَّتْ عَنْ ذِكْرِ الشَّيْءِ إِذَا تَرَكْتُهُ وَسَلَوْتُ عَنْهُ))^(١).

- ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِمُكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أُولَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَعْمَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ))^(٢).

- وفي تفسير البيضاوي: ((وَلَكِنْ مَتَعْتَهُمْ وَآبَاءُهُمْ) بأنواع النعم فاستغرقوا في الشهوات {حتى نسوا الذكر} حتى غفلوا عن ذكرك أو التذكر لآلانك والتدبر في آياتك)^(٣).

- وفي تفسير فتح القدير: ((وَلَكِنْ مَتَعْتَهُمْ وَآبَاءُهُمْ حتى نسوا الذكر) والمعنى: ما أضلناهم ولكنك يا رب متعتهم ومتعمت آباءهم بالنعم ووسعنا عليهم الرزق وأطلت لهم العمر حتى غفلوا عن ذكرك ونسوا موعظتك والتدبر لكتابك والنظر في عجائب صنعتك وغرائب مخلوقاتك)^(٤).

- فقد ينشغل الإنسان بالمال وجمعه حتى يشغله عن التفكير في حقائق الأشياء ومعرفة الخالق والآخرة، ففي تفسير زاد المسير: ((قوله تعالى: {أَمَا مَنْ اسْتَغْنَى} قال ابن عباس: استغنى عن الله وعن الإيمان بماله))^(٥)، وفي تفسير البحر المحيط: ((أَمَا مَنْ اسْتَغْنَى}: ظاهره من كان ذا ثروة وغنى، وقال الكلبي: عن الله، وقيل: عن الإيمان بالله))^(٦).

(١) تفسير القرطبي (٢٦٨/١١).

(٢) المناقون: ٩.

(٣) تفسير البيضاوي - دار إحياء التراث العربي- بيروت (ج: ٤، ص: ١٢٠).

(٤) تفسير فتح القدير - دار ابن كثير- دمشق (ج: ٤، ص: ٧٨).

(٥) تفسير زاد المسير - دار الكتاب العربي- بيروت (ج: ٤، ص: ٤٠٠).

(٦) تفسير البحر المحيط - دار الفكر- بيروت (ج: ١٠، ص: ٤٣٤).

- وفي تفسير فتح القدير: ((أَلَهَمُ الْتَّكَاثُرَ) أي: شغلكم التكاثر بالأموال والأولاد والتفاخر بكثرتها والتغلب فيها، وقال الحسن: معنى ألهامكم: أنساكم) ^(١).

- وفي أيسير التفاسير: ((أَذْهَبْتُمْ طَبَيَّاتَكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ) أي يقال لهم أذهبتم طبیاتکم باشتغالکم بملذاتکم في الدنيا، {وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا}: أي تمتعتم بها في الحياة الدنيا) ^(٢).

- وفي تفسير الكشف والبيان: ((وَالَّذِينَ كَفَرُوا) محله رفع على الابتداء {يَتَمَتَّعُونَ} في الدنيا {وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ} ليس لهم همة إلا بطونهم وفروجهم، وهم لا هون ساهون عما في غدهم) ^(٣).

- وفي تفسير بحر العلوم: ((ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا) يقول: اتركهم وخل عنهم يا محمد في الدنيا يأكلوا ويتمتعوا، يأكلوا كالأنعام، ويتمتعوا بعيشهم في الدنيا، لا تهمهم الآخرة ولا يعرفون ما في غد {وَيُلْهُهُمُ الْأَمْلُ} يعني: يشغلهم الأمل الطويل عن الطاعة، وعن ذكر الله تعالى، ويقال يشغلهم طول الأمل عن الطاعة وعن ذكر الأجل، {فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} وهذا وعيد لهم أي يعرفون ما نزل بهم من العذاب والشدة يوم القيمة) ^(٤).

- وفي التفسير المنير للزحيلي: ((فَأَعْرَضْنَ عَنْ مَنْ تَوَلََّ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرْدِ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) أي فأعرض أيها الرسول عنمن أعرض عن القرآن أو تذكير الله، ولم يكن همه إلا الدنيا، وترك النظر إلى الآخرة) ^(٥).

- وفي تفسير الشيخ المراغي: ((ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ) أي إن منتهى علمهم أن يفهموا شؤون الحياة الدنيا، ويتمتعوا باللذات، ويتصرفوا في التجارات، ليحصلوا على ما يكون لهم فيها من بسطة في المال، وسعة في الرزق، ويكونوا من يشار إليهم بالبنان، وما به يذكرون لدى الناس،

(١) تفسير فتح القدير - دار ابن كثير - دمشق (ج: ٥، ص: ٥٩٦).

(٢) أيسير التفاسير للجزائري مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية (ج: ٥، ص: ٥٦).

(٣) تفسير الثعلبي [الكشف والبيان عن تفسير القرآن] — دار إحياء التراث العربي، بيروت (ج: ٩، ص: ٣١).

(٤) بحر العلوم للسمرقطندي (ج: ٢، ص: ٢٥١).

(٥) التفسير المنير للزحيلي - دار الفكر المعاصر - دمشق (ج: ٢٧، ص: ١١٥).

و لا يعنون بما وراء ذلك، فشئون الآخرة دبر أذنهم، ووراء ظهورهم، لا يعرفون منها قبلياً من دبير^(١)).

- وفي تفسير أبي السعود: ((أَوَ أَمَنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحَى وَهُمْ يَلْعَبُونَ)، {وَهُمْ يَلْعَبُونَ} أي يلهون من فرط الغفلة أو يشتغلون بما لا ينفعهم لأنهم يلعبون^(٢)).

(١) تفسير الشيخ المراغي - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر (ج: ٢٧، ص: ٥٦).

(٢) تفسير أبي السعود - دار إحياء التراث العربي - بيروت (٢٢ / ٣).

الفصل السادس العاشر

علاج عمى القلب والتعامي (التفكير)

- علاج المعرفة الكاذبة واليقين الكاذب هو استعادة المعرفة الحقيقة، واستعادة المعرفة الحقيقة يتم من خلال التذكر والتفكير، ولا بد أن يكون التذكر والتفكير بطريقة صحيحة.

- التذكر يكون للشيء الذي عرفه عن طريق السماع، والتفكير يكون للشيء الذي عرفه من خلال رؤيته، فالذكر يكون للغيبات لأنها وصلتنا عن طريق السماع والتفكير يكون للمرئيات وما يستنتج منها.

- معنى عمى القلب (الرؤبة الكاذبة) أي أنه يرى الآيات الكونية بعينه لكنه في الحقيقة لم يراها فرؤيته كاذبة وهو أعمى القلب، وعلاجه التفكير.

- النظر في الآيات الكونية يؤدي إلى اليقين بوجود الخالق وبإنعامه على الناس وبأنه المالك لكل شيء، لكن لا يزال الإنسان أعمى رغم أن عينه ترى الآيات، ولا يزال لا يومن بالآيات الكونية يقيناً حقيقة حتى يتحقق أثر هذه المعرفة وأثر هذا اليقين وهو أن يرى عظمة ربه وضعف نفسه فيتعلق بالخالق ولا يتعلق بنفسه وبالدنيا.

- كل إنسان يعلم أن الله هو الخالق والمالك والمنعم، ولكن هذه المعلومة البسيطة لا تزال لم تصل بعد رغم أن الإنسان يومن بها تماماً، والسبب هو التجاهل أو المعرفة الكاذبة بالآيات الكونية.

- والعلاج هو التذكر والتدبر في الآيات الكونية بطريقة تعيد المعرفة بها.

- **طالما أن التفكير لا يزال لم يؤدي إلى التأثر فلا يزال يحتاج الإنسان إلى التفكير:**

- الإنسان يكفيه أن يشعر بالإعجاز في آية واحدة من آيات الله المنظورة وعندئذ تتغير مشاعره وهمومه وتفكيره وتتغير حياته كلها ولن يحتاج

أكثر من آية واحدة سواء في السماء أو في الأرض أو في نفسه أو في أحوال الدنيا ومصائر السابقين أو أي شيء.

- إن نظرة واحدة متأملة في الكون وحقائق الأشياء قد تضع في النفس من الإيمان ما يغير حياة الإنسان كلها، مثلاً لأن ينظر إلى الكرة الأرضية وهي هباءة بين الأجرام فهنا يعرف الإنسان معرفة حقيقة بضاللة حجمه، في حين لو تعلم الإنسان كل علوم الدين والدنيا طوال عمره فقد لا يتكون في نفسه شيء من مشاعر الإيمان (الحب وخوف العقاب ورجاء الثواب).

- فمن الناس من يتعرض لموقف مثل موت قريب له أو يستمع لموعظة ذات مرة أو يرى آية كونية فتكون سبباً في إحياء المعرفة عنده وهدايته وتتغير بذلك حياته كلها ويكتشف أنه يعرف الأمر لأول مرة، ولكن إذا طبع الله على قلب انسان منع عنه المعرفة الحقيقة التي تؤدي أثراً، فلا يتأثر بالمعرفة مهما سمعها وعرفها ويظل كالجاهل بها.

- وإذا أدى التفكير إلى التأثر فيحتاج الإنسان أيضاً إلى الاستمرار في التفكير حتى يستمر ذلك التأثر ويزداد.

- فإذا لم يؤدي التفكير إلى التأثر بالأيات الكونية فلا قيمة له، ولكي يتأثر الإنسان لابد أن يتم التفكير بطريقة تثير الدهشة والتعجب من غرابة وهول وخطورة الأمر.

الطريقة الصحيحة للتفكير:

- التفكير والتدبر ليس جمع معلومات ولكن هو عبارة عن تصور لمدى ما في الأمر من عجب وغرابة وخطورة وتصور كونه مرعب أو مخيف أو رائع ومحبوب وتصور ما في الأمر من صفات خارقة فوق كل التصورات بحيث يؤدي إلى التأله وبالتالي تأثر المشاعر والهموم والجوارح.

- معنى أن الإنسان يقول سبحان الله إذا تفكك في آية كونية أو تذكر الآخرة وقدرة الله هو أنه رأى أمراً عجيباً مذهلاً غريباً يدعو إلى شدة التأله والدهشة الشديدة.

- إذا لم يؤدي التفكير إلى شدة التأله (الدهشة الشديدة) فلا قيمة له، ولكي يؤدي إلى التأله لابد أن يتم التفكير بطريقة تثير الدهشة والتعجب من غرابة وهول وخطورة الأمر كالتالي:

- أولاً: الانتباه إلى وجود قوة خفية خارقة وراء الأشياء:

- ينظر إلى الأشياء كأنه لا يعرف من خلقها، فيجد أشياءً لا يستطيع البشر أو أي كائنات صنعها، ويعجز الإنسان عن إيجاد ذلك الشيء فيدل ذلك على أن هناك قوة خفية هائلة جدًا فوق قدرة البشر هي التي أوجدت ذلك الشيء.

- فالآيات الكونية تدل على وجود قوة خفية أعظم من كل قدرات البشر وتفوق كل التصورات، هي قدرة الخالق سبحانه.

- معنى كلمة (معجزة) أي أن ذلك الشيء لا يستطيع البشر أو غيرهم من المخلوقات القيام بذلك الأمر، إذن فكل شيء حول الإنسان هو معجزة.

- والمعجزة أمر خطير جدًا يلفت الانتباه ويجعل الإنسان يشعر بالمهابة من حدوث ذلك الأمر.

- فيشعر الإنسان بالمهابة من مدى قدرة صاحب هذه القوة الخارقة التي استطاعت إيجاد ذلك الشيء، ويشعر بحب الإعجاب بمدى قوته ويشعر بالضعف والخضوع تجاه صاحب هذه القوة.

- فمثلاً هذا الكون لا يمكن أن يكون هو الذي أنشأ نفسه، ولا يستطيع الإنسان إيجاده، فلابد من وجود أحدًا لا نراه له قدرة هائلة فوق قدرة الإنسان هو الذي أوجده، وكذلك الحيوانات، وكذلك الإنسان نفسه.

- والأشجار تعني خروج كائن حي من بذرة ميتة وتعني تحول الطين إلى خشب وثمار ومن غير أن نرى أحدًا يقوم بهذه الأمور الهائلة، وهذه الأمور فوق قدرة الإنسان وفوق قدرة الشجرة نفسها فهي إعجاز خارق للأسباب، فلابد أن الذي يقوم بهذه الأمور أحد لا نراه ولا بد أن له قدرة هائلة فوق قدرة الإنسان، فهو يقدر على أن يحيي الموتى ويقدر على تحويل الطين إلى طعام مقصود به الإنسان، وهذا معناه شعور بالتحير

والذهول والانبهار من مدى قدرة الخالق، وشعور بالضعف والعجز أمام قدرته، أما الذي أله النظر إلى الأشجار ولم يشعر بذلك فهو لا يزال لا يعرف ماذا تعني الكلمة (شجرة)؟! وهكذا.

- الذي يستطيع أن يخرق الأسباب يستحق أن يكون إلهًا، والذي يكون محكوماً بالأسباب يجب عليه أن يكون عبداً لمن وضع هذه الأسباب، فمثلاً سيدنا موسى جاء ليثبت أن الله هو الإله الحق عن طريق أن يثبت أن الله يستطيع خرق الأسباب التي يعهد بها البشر فوضع العصا فإذا هي حية حقيقة.

- التعظيم للشيء هو تعظيم لصاحبـه، فالكون عظيم وهو يدل على عظمة صاحبهـ، فحجم الكون كبير جداً فيدل على قدرة من أوجدهـ، والعمليات التي تتم في جسم الإنسان عظيمة جداً وهي تدل على عظمة علم من خلقـهـ، وهذا يؤدي إلى عبادة الله تعظيمـاً لهـ.

ثانياً: تصور مدى علم الخالق:

- عندما نجد أموراً تتحرك وتتم بحسابات في منتهى الدقة رغم أنها حسابات معقدة جداً وتتم ليلاً ونهاراً فهي فوق مستوى عقل وعلم كل الكائناتـ، إذن فهناك أحداً له علم وحكمة هائلة جداً فوق علم البشرـ والكائناتـ هو الذي صنعـهاـ.

- عجز علم الإنسان أو علم الشيء نفسه عن القيام بوظائف معقدة غاية في الدقة يدل على أن هناك علم هائل هو الذي صمم هذه الوظيفة المعقدة بمنتهى الدقةـ.

- فيسألـ الإنسان نفسهـ: من الذي أوجد هذه الوظائف المتداخلة المعقدة داخل جسمـهـ؟ الإنسان لا يستطيع ذلكـ بلـ إنه لا يعرفـ ما الذي يحدثـ داخل جسمـهـ؟ ولا يمكنـ أن تحدثـ هذه الوظائفـ من تلقاءـ نفسهاـ، فلابدـ من وجودـ أحدـ لا نراهـ لهـ علمـ هائلـ فوقـ علمـ الإنسانـ هوـ الذيـ صممـ هذهـ الوظائفـ المعقدةـ.

- الكائناتـ الحيةـ تعملـ أشياءـ أكبرـ من مستوىـ قدراتـهاـ وإمكانـياتـهاـ وعلمـهاـ مماـ يدلـ علىـ أنـ هناكـ قوةـ خارـجـيةـ هيـ التيـ تـعملـ ذلكـ، فـمثـلاًـ الجنـينـ

فور الولادة يتوجه لثدي أمه ويرضع، فمن علمه ذلك؟ والحيوانات تقوم بأعمال تحميها من العدو، وبعض النباتات تتحول بشكل يحافظ عليها، فتقوم الكائنات بأعمال فطرية هي لا تعقلها رغم أنها أعمال في منتهى العقل والحكمة، فلابد أن هناك من علمها ذلك، وأن هناك قوة خارجية هي التي تحركها وتعلمتها، والأمثلة على ذلك لا حصر لها، وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ((قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَغْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَةً ثُمَّ هَذِي))^(١)، والكرة الأرضية متناسبة في البعد عن الشمس بحيث لا تكون جليداً ولا تكون منصهرة من الحرارة حتى تكون متناسبة لمعيشة الإنسان وهكذا، فكل ذلك يدل على أن كل هذه الأمور موضوعة بحكمة وبقصد وأن هناك من رتب لها ذلك، فكل شيء محسوب بحسبات في منتهى الدقة بحيث لو زادت أو قلت ذرة واحدة لاختل الأمر سواء في جسم الإنسان أو في الأجرام السماوية أو في أي شيء، فهذا يدل على وجود صانع عليم حكيم خبير.

- إنه لا يمكن لسمكة زينة أن تكون هي التي تختار ألوانها وبهذه الروعة والدقة الفائقة، فلابد من قوة خارقة وعلم هائل لتصميم هذا الجمال والإبداع.

ثالثاً: تصور قصد النفع للإنسان:

- عندما ينظر الإنسان إلى الأشياء من حوله يجدها مصممة خصيصاً لتناسب الإنسان وتكون مفيدة له، رغم أن هذه الأشياء ليس لديها معرفة بالإنسان وليس لديها معرفة بما يفيده، فيدل ذلك على أن هناك من يقصد تسخير هذه الأشياء لفائدة الإنسان تحديداً.

- فمثلاً أشجار الفاكهة لمن تخرج هذه الفاكهة؟ إنه أمر مقصود ليتناوله الإنسان، وهل تدري هذه الأشجار بالإنسان؟ ولماذا تقصد وتعد له هذه الفاكهة المناسبة لتكون طعاماً له؟ وكيف تستطيع أصلاً أن تصنع هذه الفاكهة وهي من مادة مختلفة تماماً عن مادة البذرة ومادة الأرض التي نبتت منها؟ إن هذه الأشجار لا يمكن أن يكون لها هذا العقل الهائل وهذه

^(١) طه: ٥٠

القدرة الهائلة، إذن لابد من وجود قوة خارجية قاصدة مريدة هي التي أرادت لهذه الشجرة أن تكون هذه الفاكهة وتصنعها للإنسان، فإن الله أراد ذلك فقال تعالى: ((وَجَعَلْنَا فِيهَا حَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَرْنَا فِيهَا مِنَ الْعَيْنُونَ (٣٤) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلْتُهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ))^(١).

- وأيضاً البقرة لمن تخرج هذه الكمية من اللبن الزائد عن حاجة أولادها؟ هل البقرة تعي الإنسان وتريد له ذلك؟ طبعاً لا، وهل أصلاً تستطيع البقرة وتفهم هذه المصانع المعقدة في جسمها والتي تقوم بتصنيع ذلك اللبن؟ طبعاً لا، إذن لابد من وجود قوة خارجية قاصدة مريدة هي التي أرادت ذلك، فقال تعالى: ((نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ))^(٢)، فقال: (نسقينكم) أي هو سبحانه الذي قصد ذلك للإنسان وصنع ذلك له، فذلك يعني حب من صنع لك هذا الغذاء وقصده لك والمهابة من عظيم قدرته على فعل ذلك ومدى هذا العلم.

- وكذلك النحلة لمن تخرج العسل الزائد عن حاجتها؟، وكيف تم ضبط مقادير العناصر في جسم الإنسان بحيث لو زادت أو نقصت قليلاً لمات الإنسان، وهذا معناه أن هناك من يهتم بحالك ويعطيك ما تحتاج إليه وبلا مقابل، فهذا أمر عجيب يدعوك إلى الشعور بالمهابة والحب والشكر والامتنان لصاحب هذا العطاء، فمن شعر بهذه المشاعر هو فقط الذي قد عرف معنى كلمة (نعم)، أما غيره فيقولون ولا يدركون ما يقولون!

- أنت لا تستطيع أن تصنع البروتين أو الزروع أو البترول، وما تدفعه من ثمن لهذه الأشياء كان عليك أن تدفعه لمن صنع لك هذه الأشياء، ولكنه صنع ذلك لك مجاناً فلا يمنعك منأخذ هذه الأشياء، وما تدفعه إنما هو لمن أعد لك هذه الأشياء ونقلها لك.

- فالمال الذي تدفعه عندما تشتري فاكهة مثلاً ليس هو ثمن الفاكهة، فلا يستطيع أحد أن يدفع ثمن الفاكهة، إنما هذا المال سبب وهذه الفاكهة هي مجانية لمن يريد الله إعطاءها له، فالبائع ليس صاحبها ولا الزارع وإنما

(١) يس: ٣٤، ٣٥

(٢) النحل: ٦٦



صاحبها هو الذي صنعتها وهو الله سبحانه وتعالى، فلا يستطيع أحد أن يدفع ثمن نعمة العين أو الأنف أو الماء أو غيرها.

- وثمن البيضة يأخذها من صنعتها وليس من أعدها أو جمعها، ومن صنعتها ليست الدجاجة فهي ليس لها عقل يستطيع صناعتها وإنما صنعتها الله تعالى، وهكذا، وإنما أنت أحضرت القمح والحبوب للدجاجة، ونفس الشيء أنت لم تصنع الحبوب ولا تعرف كيفية صناعتها ولا ما بداخلها فأنت فقط تبني الماء، فالنِّعم مجانية ومقصودة للإنسان.

- كل الأشياء مسخرة ومفيدة للإنسان، وكل شيء نعم للإنسان، فالإرادة نعمة، والعقل نعمة، والروح التي يحيا بها نعمة، والعين نعمة، واللسان نعمة، والماء نعمة، والهوا نعمة، والمال والزوجة والأولاد نعمة، والبترول في باطن الأرض نعمة، وكل شيء هو نعم من الله سبحانه.

- رابعاً: يتصور الأمر كأنه يراه لأول مرة، وفي كل مرة يتصور كأنه يراه لأول مرة:

- التفكير عند الإنسان الذي يؤمن بوجود الخالق ليس معناه أنه يعيي معرفته ويقينه بالله من جديد ولكن معناه أنه يتخيّل كأنه لم يكن يعرف بوجود الخالق من قبل، والغرض منه ليس تحقيق المعرفة النظرية بوجود الخالق وتحقيق اليقين به ولكن الغرض منه تحقيق المعرفة الحقيقة التي تؤدي أثرها على القلب والجوارح ولزيادة هذه المعرفة الحقيقة والحفظ عليها، فالتفكير مطلوب دائماً سواء للمؤمن أو غير المؤمن بوجود الخالق.

- مجرد المعرفة بوجود الخالق فهذا أمر مؤثر جداً على كل مشاعر الإنسان وحياته ولكن مات المعنى وتحول الأمر إلى معلومة روتينية باهتة ولإحياء هذا المعنى من جديد لابد أن يتخيّل الإنسان أنه لم يكن يعرف بوجود الخالق من قبل ويتفكّر في وجود الخالق من خلال آياته وذلك في كل مرة ينفكّر فيها.

- كل إنسان يعلم بوجود الخالق ولا يتأثر بذلك، ولكن عندما يتصور أنه لأول مرة يعلم أن هناك أحداً لا يراه له كل هذه القدرة على خلق هذا الكون الهائل فهذا يجعل الإنسان في ذهول ولا يغيب ذلك عن ذهنه أبداً.

- أخطر مشكلة هي التعود على الأمر، فكل يوم ينظر الإنسان إلى السماء ويرى الشمس ولا مشكلة في ذلك، والحل هو أنه ينظر إلى السماء كأنه يراها لأول مرة، وينظر إلى الشمس كأنه يراها لأول مرة وكأنه لأول مرة يسمع عن كلمة غريبة اسمها (الشمس) مثلاً، فلكي يزول عمي القلب ولكي تزداد المعرفة الحقيقية به لابد أن نتعامل مع الأشياء من حولنا كأننا نراها لأول مرة.

- فالعاقل هو الذي يرى الأمر كأنه أول مرة ولو رأه مئات المرات لأن التعود يجعل الإنسان لا يتصور الأمر.

- فمثلاً لابد أن يتعامل الإنسان مع النوم والموت كأنه يسمع عن ذلك الأمر لأول مرة، فيجد الأمر عجيباً مدهشاً يلفت النظر ويستوجب انشغال البال، وكلما أراد أن ينام كأنه يسمع عن النوم لأول مرة فيتساءل ماذا يعني النوم؟ إنه سلب للسمع والبصر والكلام والحركة، فمن الذي يسلب هذه الصفات رغمما عن الإنسان ويجره على النوم مرات ومرات، فهو دليل على قدرة هائلة مهينة على الإنسان ودليل على ضعف الإنسان، وكذلك كلما قام من نومه يتتساءل من أين عادت هذه الصفات إليه؟، لكن تعودنا أن ننام ونصحوا وتعودنا أن نسمع كل يوم: مات فلان، ولم تخيل اليوم الذي نموت فيه: ((الله يَتَوَفَّ فِي الْأَنْفُسِ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ))^(١)، وفي الحديث: ((النوم أخو الموت ولا ينام أهل الجنة))^(٢).

- عندما يأكل الإنسان برتقالة مثلاً لابد أن ينظر إليها كأنه يراها لأول مرة، ويتتساءل من أين أنت؟ وفي أي مصنع أو شركة تم تصنيعها؟ ولماذا صنعت بهذا الشكل؟، والإجابة أنه لا أحد من البشر يستطيع صنعها وإنما خرجت من الطين لتكون طعاماً مناسباً ومعداً للإنسان ومحفوظاً بطريقة معينة بحيث لا تفسد، فلابد من قوة خفية لها قدرة هائلة وخبرة هائلة وبراعة على صناعة هذه البرتقالة ولابد أن الذي صنعها يحب الإنسان

(١) الزمر: ٤٢

(٢) تحقيق الألباني: صحيح (انظر حديث رقم: ٦٨٠٨ في صحيح الجامع)



ويرسل له ما يفيده، فعندئذ يكون الإنسان شاكراً ممتنًا لمن أعطاه هذه البرتقالة وكل هذه النعم، وكلما أكل برتقالة لا تغيب هذه الصورة عن عينه، فعندئذ فقط قد عرف الإنسان معنى كلمة (برتقالة) معرفة حقيقة.

- فيتصور الإنسان أنه كان أعمى وأصم طوال فترة حياته السابقة منذ أن ولد، فماذا يحدث في أول لحظة يبصر فيها ويسمع؟ فيتساءل من أوجده ولماذا أوجده؟ ومن أوجد هذه الأشياء من حوله؟ ومن الذي جعل هذه الكائنات تتحرك وتحيا؟ وما هي حقيقة الشهوات وحقيقة الإنسان وحقيقة الموت؟، وينظر إلى ما حوله من الأشياء كأنه يراها لأول مرة ويسأله: ما هذا؟ وكيف وجد؟ ومن الذي أوجده؟ ويتصور مدى قوة وعلم من صنعها، وفي كل مرة يرى الشيء يكون كأنه يراه لأول مرة ولو رأه ألف مرة وذلك لخطورة ما يرى ومدى غرابته، وليس المطلوب من هذه الأسئلة المعرفة النظرية فهي معروفة ولكن يستشعر خطورة هذه المعرفة وما تدل عليه.

- فكل شيء هو خارق للأسباب، والإنسان العاقل يشغل ذهنه بالأمور الخارقة للأسباب، ولا يمكن للإنسان أن يتعود النظر على أمر خارق للأسباب من غير أن يتعجب من عظمته وعظمة صانعه، ولكن الإنسان هو الذي يتغافل عن عظمة ما يراه فينظر إلى الشمس كأنها موجودة من تلقاء نفسها وكأنه لا أحد أوجدها وكأن تصميمها بهذا الشكل وبقاءها ملايين السنين متوجهة أمر عادي، وكأن فوائدتها للإنسان والمصممة بدقة متناهية لا أحد صممها أو موجودة هكذا، وهكذا في كل شيء من الماء والهواء والتراب والزروع والنجوم وكل شيء.

- لو جاءك ساحر فسحر لك أشياء مذهلة، هذا معناه أن الساحر له قدرة أعلى من قدرتك، ولكنك لا تريد أن تشعر بضعف قوتك أمام قوته، فتجاهل ما قام به من السحر كأنه لم يسحر شيئاً وكأنها أمور عادية، وكل يوم يأتيك الساحر فيسحر لك أشياء مذهلة وأنت لا تبالي فقد تعودت على رؤية ما يأتي به، فتجاهلك لهذا السحر لن يغير من حقيقة الأمر شيء فقوتك ضعيفة.

- هذا الأمر إذا كان سحراً فما بالك لو كان حقيقة وليس سحراً، فأنـتـ حـولـكـ أـمـورـ هـيـ مـعـجـزـاتـ وـهـيـ أـعـجـبـ مـنـ السـحـرـ،ـ فـخـرـوجـ النـبـاتـ بـأـلـوانـهـ وـثـمـارـهـ مـنـ تـرـابـ أـسـوـدـ هـوـ أـعـجـبـ مـنـ السـحـرـ وـهـوـ أـمـرـ خـارـقـ لـأـسـبـابـ وـكـذـلـكـ كـلـ الـآـيـاتـ الـكـوـنـيـةـ،ـ وـلـكـ إـلـيـنـسـانـ تـعـودـ النـظـرـ إـلـىـ السـمـاءـ وـالـأـشـيـاءـ مـنـ حـوـلـهـ عـلـىـ أـنـهـ أـمـورـ عـادـيـةـ.

- كل الأشياء هي أدلة على الخالق فهي آيات الله الكونية، ولكن الناس يتعاملون مع هذه الأدلة بصورة خاطئة، فيتعاملون مع هذه الأشياء لا باعتبارها دليلاً على الخالق، ولكن باعتبارها أشياء موجودة ويستفيدون منها، فالشمس تضيء للإنسان ولا يفكر لماذا تضيء ومن الذي جعلها تضيء؟ والزرع يخرج من الأرض ليفيد الإنسان ولا يفكر لماذا يخرج ومن الذي جعله يفيد الإنسان؟ والبترول في باطن الأرض يفيد الإنسان ولا يسأل من الذي وضعه في باطن الأرض ولماذا؟ والإنسان موجود على الأرض يسعى ويتحرك ولا يفكر من الذي أوجده ولماذا؟ وهكذا، وإذا فكر في الأمر فيفكر في ظاهر الأمر وليس في حقيقته، وكل الناس يعرفون الإجابة على هذه الأسئلة ولكنها معرفة نظرية فقط وليس معرفة حقيقة، أما إذا عقل الإنسان حقيقة الأمر فإن صورة قدرة الخالق الهائلة وعلمه الهائل لا تكاد تفارق ذهنه.

- فإذا تصور الإنسان ذلك شعر بضعف قوته وشعر بخضوعه لقوة الخالق الذي له كل هذه القدرة، وبالتالي فالعالق كلما رأى شيئاً تذكر ضعف نفسه وقدرة من أوجد هذا الشيء فشعر بالخضوع لله تعالى وشعر بحب الإعجاب بقوته وحبه لإنعامه وخف من مهابة قوته، وهذا هو التعامل الصحيح مع الأدلة على الخالق.

- خامساً: الحرص على رؤية ومعرفة الآيات الكونية التي لم يكن يراها أو يعرفها من قبل:

- عندما يرى الإنسان بمساعدة كاميرا مكثرة أرجل النملة وهي تمشي أو أعين الناموسة وتفاصيل جسدها وهي تتحرك أو يرى ما على سطح المريخ وغير ذلك لأول مرة في حياته فإنه ينتابه شعور بالهيبة والرعب.

ولا يملك إلا أن يقول سبحان الله، ولكن إذا تعود النظر إلى هذه الأشياء كثيرا لم يعد يتأثر بها.

- ومن صور التفكير مشاهدة الأفلام التسجيلية عن حياة الحيوانات والحشرات والأسماك والطبيعة وزيارة حدائق الحيوان، وهناك بعض المواد الدراسية التي تفيد في التفكير مثل علم الأحياء والفيزيولوجي والتشريح والفلك والعلوم التي تختص بدراسة الذرات والجزئيات، ومن ذلك أيضا علم الآثار لاعتبار بمصائر الأقوام السابقين، والمطلوب دراسة هذه العلوم من باب التفكير وليس فقط باعتبارها مواد دراسية.

- وهناك بعض الحرف تعين على التفكير والاتعاظ مثل المغسل والحانوتي ولكن المشكلة في أن التعود على الأمر قد يؤدي إلى فقدان التأثر به فقد تجد مغسلا للموتى وقلبه قاسي وهكذا.

- وكذلك الإنسان في بداية التزامه يتأثر بما يسمعه عن الجنة والنار وعن الخالق ثم بعد مدة لا يتأثر، فهو بمرور الوقت يزداد علما بالدين لكنه يزداد جهلا بالله والآخرة، وهذا الجهل لغياب المعرفة الحقيقة فقد يكون لديه معلومات عن الخالق والجنة والنار لا أول لها ولا آخر ولكنه في حقيقة الأمر لا يعرف الله والآخرة معرفة حقيقة تؤدي أثرها: ((أَلَمْ يَأْنَ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَقَسَطْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ))^(١).

ـ سادسا: تصور عجز الأسباب عن تفسير الأمر:

- أهم شيء يمنع الإنسان من معرفة الله هو أن يحصر تفكيره في حدود الأسباب فقط.

- سبب عدم الاتعاظ من الابتلاءات هو تصور أن الفاعل للابتلاءات هي الأسباب، فالمرض بسبب الفيروس وحرارة الجو مثلاً وينسى من الذي صنع الفيروس وجعله يقدر على الإنسان و يجعله ضعيفاً و مريضاً،

(١) الحديد: ١٦



ويحسب أن سبب تعرض السفينة للانقلاب هو الريح والأمواج وينسى من الذي يسير الريح، ويتصور أن الزمن هو الفاعل للشيخوخة وهكذا.

- الأسباب عبارة عن قوانين تسير بها الأشياء فمن الذي وضع هذه القوانين؟ الله هو الذي خلق القانون الذي يسير به الكون، فالإنسان إما أن يومن بالله الذي يخرق الأسباب يقيناً حقيقة وإما أن يكون مادياً لا يعرف غير الأسباب، فالأسباب هي قوانين مخلوقة لا تنفع ولا تضر، وهذه القوانين عند البشر فقط وليس عند الله، والبشر لا يستطيعون إلغاء الأسباب ولكن الله يستطيع أن يلغى الأسباب لأنه هو الذي خلقها ووضعها.

- فمثلاً قانون الجاذبية هو الذي يجعل الشيء الذي يسقط من يدك يقع على الأرض، فهذا القانون مخلوق يلزمك أنت ولكن لا يلزم الله، فالله إذا أراد لا يقع على الأرض ما يسقط من يدك لفعل، كما أن قانون الجاذبية لا يستطيع أن يفعل شيء فليس هو الفاعل الحقيقي، ولكن الفاعل هو الله سبحانه، فإذا سقط شيء من يدك فوق على الأرض فنقول أن سبب ذلك قانون الجاذبية مجازاً، لكن في الحقيقة الله هو الذي أوقع ما سقط من يدك على الأرض؛ لأن الله هو الذي صمم هذا القانون.

- وكذلك فالدواء لا يشفى والشافي هو الله، والله هو الذي جعل الدواء يؤدي إلى الشفاء؛ لأنه هو الذي خلق القانون الذي به يستطيع الدواء أن يؤدي إلى الشفاء، أي أن الله هو الذي خلق الخواص المعينة التي في الدواء والخواص المعينة الموجودة في الجسم بحيث إذا وضع الدواء نتج الشفاء، والإنسان فقط يكتشف ويعرف ما هو موجود فيستفيد من خواصه وليس يخترع ويبتكر الخواص التي تؤدي إلى الشفاء، وقد يريد الله للمريض أن يشفى بغير دواء ولا أسباب، وقد يبقيه على مرضه وإن أخذ بكل الأسباب، والإنسان مطالب بأن يأخذ بالأسباب فقط لأن الله أمره بذلك؛ لأن عدم الأخذ بالأسباب معصية.

- وقد يوقف الإنسان تصوره عند الحدود المادية فقط، فهو يتصور ما يحدث داخل النبات من أسباب، وعندما يسأل عن السبب يجد له سبب آخر، وعندما يصل إلى كيفية اختيار النبات لعناصر معينة يحتاجها من

التربية وبدقة متناهية لتكوين مادة البرتقالة مثلاً (وتسمى بالنفاذية الاختيارية) لا يجد لذلك سبباً ويعلم أن هناك قوة خفية هي التي تصنع ذلك لكنه لا يتصور ذلك الأمر ولا يلفت انتباهه إليه ولا يشغل همه به رغم أنه يرى البرتقالة ويمسكها بيده ويأكلها!

- عندما تتفكر في أي أمر ينبغي عدم التوقف عند الحدود المادية للأسباب، فعندما تتفكر في أي أمر تجد له مبررات علمية لحدوثه، فتبحث عن سبب هذه المبررات فتجد لها مبررات أخرى وهكذا، وعليك أن تستمر في هذا حتى يعجز العلم المادي ويقول هذه لا أجد لها مبررات فتعرف أن هناك قوة خفية خارجية خارقة للأسباب هي التي أحدثت ذلك الأمر، وعندئذ تشعر أن هناك قوة قاهرة تهيمن على كل شيء وتسطير على كل شيء سيطرة كاملة وهيمنة كاملة وعلى الجميع الاستسلام والخضوع الكامل للخلق: ((ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِيًّا وَهُوَ حَسِيرٌ))^(١)، أما التوقف عند الحدود المادية للأسباب يجعل الإنسان يشعر أن الأسباب هي التي أوجدت وصنعت وخلفت هذه الأمور، وإن كان مقتنعاً أن الخالق هو الذي أوجدها، فيعيش بمشاعره في دنيا الأسباب، فيينبغي أن تكون نظرة الإنسان إلى كل شيء على هذا النحو.

- والمشكلة أن الإنسان قد يقطع هذا التصور ويعتبره فلسفه، فيكون مثل الذي سار في الطريق ونسى هدفه، فالغرض من التصور تحقيق المعرفة الحقيقة.

- سابعاً: تصور عجز الإنسان عن دفع الضرر والابتلاءات عن نفسه:

- عجز الإنسان عن دفع الضرر والابتلاءات عن نفسه يدل على أن هناك قوة أعلى منه تتحكم فيه وتدل على أنه ضعيف لا يستطيع أن يدفع عن نفسه البلاء.

- فمثلاً الحكمة من وجود الزلازل والبراكين وإهلاك الأمم كعاد وثمود ومعجزات الرسل وغير ذلك من عجائب قدرة الله هو أن الله يظهر للناس

(١) الملك: ٤

بعضًا يسيراً من قدرته حتى يشعروا بمدى قدرة الله فيخافوا من مهابته ويخافوا من عقابه، ويقول تعالى: ((وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَحْوِيْقًا))^(١)، فالله يريد أن يخاف الناس من مهابته ومن عقابه بهذه الآيات التي تظهر قدرته ولكن هناك من لا يخاف: ((وَنُخَوْفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا))^(٢).

- بعض الناس اهتدوا بسبب أنهم تعرضوا لمحنة فاكتشفوا فيها ضعف أنفسهم واحتياجهم إلى الله وقدرة الله عليهم، فمنهم من استمر شعوره بهذه المحنة التي هي آية تدل على الله فاستمرت هدايته، ومنهم من نسي هذه الآية فترك الهدایة بمجرد أن مرت المحنة.

- فالنفس بطبيعتها متکبرة، والابتلاءات تجعل النفس تنكسر وتعترف بأنها ضعيفة فتخضع.

ثامناً: تصور عجز الإنسان عن دفع الموت عن نفسه:

- الإنسان يتعامل مع النعم كأنه هو الذي أوجدها لنفسه وأنها ملکه وبالتالي فهو قوي بها ومغزور بها وبالتالي لا يخضع لله تعالى.

- فالله يسلب منه النعم التي جعلها الإنسان مصدر قوة له فتعلق بها بدلًا من أن يتعلق بالله تعالى، فالابتلاء سلب لبعض النعم والموت سلب لكل النعم.

- عجز الإنسان عن أن يحافظ على بقاء ما عنده من النعم دليل على ضعفه ودليل على أن هناك قوة أكبر منه هي التي تفعل به ما تشاء وتقصد سلب النعم كلها فهي قوة الخالق سبحانه.

- ولا يستطيع الإنسان أن يمنع الموت عن نفسه فهو مقهور بالموت وبالتالي لابد أن يخاف من المميت.

(١) الاسراء: ٥٩

(٢) الاسراء: ٦٠

- الله قدّر على الإنسان الشيخوخة والموت والإنسان لا يستطيع أن يمنع ذلك عن نفسه: ((فُلْ فَادْرُءُوا عَنْ أَنفُسْكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ))^(١)، إذن هناك من هو أقوى منه: ((اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتَهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَاتِ لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ))^(٢)، لكن الإنسان ينام ويتعاير عن قضية النوم ويتعاير عن ما يحدث له ومن يفعل به ذلك وكأنه لا شيء رغم أنه أمر خارق للأسباب.

- اليقين الحقيقى بما يراه الإنسان من موت الناس من حوله يؤدى إلى الشعور بмеди ضعف الإنسان والشعور بأن هناك قوة أعلى من الإنسان هي التي تميتها وتفعل به ما تشاء هي قوة الله تعالى، و يؤدي إلى القلق وخوف المهابة من الانتقال إلى مرحلة شديدة الخطر مجهرة لا يدرى ما يناله منها، ولا يكن مرعوباً من الموت، فمن عرف معنى الموت معرفة حقيقية فإنه لا يفر من الموت لأنه إعطاء الأمانة (النعم) لصاحبها وأنت محباً له لأنك جعلك تستفيد منها طوال هذه المدة التي عشتها في الدنيا.

- واليقين الحقيقى بما يراه الإنسان من موت الناس يؤدى إلى أن ينشغل ذهن الإنسان بقضية الموت لأنها من أخطر القضايا في حياة الإنسان، ففي الحديث: ((كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرٌ سَيِّلٌ وَعُدُّ نَفْسَكَ فِي أَهْلِ الْفُتُورِ، فَقَالَ لِي أَبْنُ عُمَرَ إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْمَسَاءِ وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّبَاحِ))^(٣).

- بعض الناس اهتدوا بسبب أنهم رأوا أحداً مات مثلاً فتأثرت مشاعرهم وأيقنوا بالموت وبأنهم سيموتون وأنهم لا يستطيعون مقاومة الموت ولا الدفاع عن أنفسهم، فالذى يستطيع أن يميتهم يستطيع أن يفعل بهم أي شيء فيخضعوا لمن يستطيع أن يتوفاهم ويعبدهم: ((فُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ

(١) آل عمران: ١٦٨

(٢) الزمر: ٤٢

(٣) تحقيق الألباني: صحيح (الصحيحة: ١١٥٧)

كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّ أَكُمْ^(١)

- كل الناس يوقفون بأن الموت هو انتقال لحياة أخرى لكن البعض يتعاملون مع الموت على أنه نهاية الحياة وليس انتقال لحياة أخرى، لذلك لديهم رعب من الموت وتجدهم يلهثون وراء أسباب الصحة ظنا أنها تقىهم من الموت: ((فُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ إِنَّهُ مُلَاقِكُمْ))^(٢).

- والبعض الآخر لا يتأثرون بالموت مطلقاً كأنه شيء غير مؤثر وكأنه غير موجود.

- ومهما حاول الإنسان التغافل والهروب عن الحقيقة والمصير القادم، فإنها أيام قصيرة وغدا اللقاء رضي أم لم يرضي، شعر بذلك أم لم يشعر، وقد سبقه الكثير إلى هناك ولكن من عنده مشاعر يحس بها؟ ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ))^(٣)، وغدا تنتهي الحياة فماذا أنت صانع؟

ـ تاسعاً: تصوّر الحكمة:

- فمثلاً خروج النبات من البذرة هو خروج حي من ميت ليكون درساً عملياً للإنسان على البعث، وكذلك نوم الإنسان ويقظته كل يوم تذكير له بالموت والبعث كل يوم، والنار التي تطهي الطعام تذكير له بنار الآخرة وهكذا.

ـ عاشراً: تصوّر أصل القضية:

- أصل القضية هي أهم شيء فيها، فإذا تناهى الإنسان الأصل أصبحت القضية بلا معنى ولا قيمة، فالعالق يفكر في أصل القضية وحقيقةها وليس في تفاصيلها متناسياً أصل القضية.

(١) يونس: ١٠٤

(٢) الجمعة: ٨

(٣) ق: ٣٧

- تصور أصل القضية معناه أن يستمر في السؤال لماذا؟ وما حقيقة الأمر؟ فالإنسان يأكل ويعيش ولا يسأل لماذا يأكل ولماذا يعيش؟، وهدفه كذا وكذا ولا يسأل لماذا بعد تحقيق أهدافه؟ فهي أهداف وراءها أهداف، فلابد أن يستمر السؤال: وماذا بعد؟ الإجابة أنه بعد كل هذا يموت وتتأتي القيامة وكل ما حققه من أهداف دنيوية تقنى ويأتي الحساب عليها، فمن يتصور ذلك لن يعيش من أجل أهداف دنيوية وسوف يكون هدفه شيئاً واحداً هو الإعداد ليوم موته وما بعده من حياة.

- إذا وصل إلى علم الإنسان بأن هناك شيء غامض أو لغز أو مشكلة أو أمر خطير ومهم، فذلك يجعل الإنسان يفكر ما هو هذا الشيء وماذا أصنع؟، وجود هذا الكون الهائل هو لغز يدعو الإنسان لمعرفة سر وجوده، والموت لغز يدعو الإنسان لمعرفة ما هو وماذا بعده؟، وجود الإنسان لغز يدعو الإنسان لمعرفة سر وجوده والهدف من وجوده.

- فذلك يدعو الإنسان لمعرفة حقائق الأشياء من حوله كيف وجدت ولماذا وجدت ومن أوجدها ومن الذي أوجد الإنسان وما الهدف من ذلك؟ وماذا عليه أن يفعل؟ ولماذا يعيش وما الهدف من حياته؟ وليس المطلوب من هذه الأسئلة المعرفة النظرية فهي معروفة ولكن يستشعر خطورة هذه المعرفة وما تدل عليه.

الحادي عشر: تذكر ضعف الإنسان في ذاته:

- الإنسان مغرور رغم أنه ضئيل القيمة فأوله نطفة مذرة (أي نطفة لا قيمة لها ولا حياة فيها) وآخره حيفة قدرة، وهو بين ذلك يحمل العذرة (أي يحمل في أمعاءه البراز النتن أثناء حياته)، ((أَوْلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ حَصِيمٌ مُبِينٌ))^(١)، ((أَوَلَا يَذْكُرُ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلٍ وَلَمْ يَأْتِ شَيْئاً))^(٢)، ((هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ

(١) يس: ٧٧
(٢) مريم: ٦٧

شَيْئًا مَذْكُورًا (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهُ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (١).

- وما يساعد على تذكر ضعف الانسان زيارة المرضى وخاصة المصابين بأمراض خطيرة وتأمل أصحاب الإعاقات وتذكر الذين ماتوا فجأة وكانوا في كامل صحتهم وتذكر ضعف الانسان وهو في مرحلة الطفولة وفي مرحلة الشيخوخة وهكذا.

أمثلة تبين المعرفة الحقيقة للآيات الكونية:

- مثال (١): تصور قصد النفع للإنسان:

- لو أن رجلاً يقوم ببناء بيت له وقد أتم بناء الحوائط والأسقف ولكن ليس في البيت كهرباء ولا ماء ولا مفروشات، ودخل بيته ذات مرة فوجد البيت فيه كهرباء وماء ورأى منضدة كبيرة في الصالة موضوع عليها طعام وشراب ووجد سريرًا موضوعًا في حجرة النوم ووجد كرة موضوعة في البيت، فإذا به يأكل من الطعام ويلعب بالكرة وينام على السرير دون أن يسأل من أحضر كل هذه الأشياء ومن أدخل الكهرباء والماء إلى المنزل ولم يشعر بأي تعجب أو ذهول أو غرابة وكان كل شيء عادي، وكل شيء موجود لأنه موجود كما هو، وظل على ذلك سنوات عمره كل يوم إذا دخل بيته يجد الطعام موضوع فيأكل ويلاعب وينام، فهذا حال الإنسان الذي لا يعقل.

- وإذا كان هذا الرجل عاقلاً ورأى ذلك فإنه يُفاجأ ويُندهش ويشعر بالرعب من غرابة الأمر ويشعر بالحب لمن أحضر هذا.

- إن الله ينبع الزروع من الأرض ليأكل منها الإنسان كأنها منضدة أعدت ليوضع عليها الطعام للإنسان، والأنهار تحمل المياه العذبة له، والشمس والقمر والنجوم تضيء له نهاراً وليلاً، والإنسان خرج من بطن أمه وكبر وعاش سنوات عمره لأن كل هذه الأشياء أمور عادية هو الذي وضعها

لنفسه، كأنه هو الذي جعل الأرض تنبت وصمم نظام السحاب بحيث يتجمع الماء العذب في الأنهر وجعل نظام إضاءة فصنع الشمس والقمر حتى لا يعيش في الظلام! أو كأن الزرع يخرج من تقاء نفسه ليفيد الإنسان، وكأن الماء والهواء هو الذي أوجد نفسه ويفيد الإنسان من تقاء نفسه: ((أَمْ حَلَقُوا مِنْ عَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ حَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوْقِنُونَ))^(١).

- مثال (٢): اليقين الحقيقى بأن الشمس مصدر الضوء والحرارة:

- عدم وجود الشمس معناها أن الناس يعيشون في ظلام دائم وفي درجة حرارة تحت الصفر المئوي، لذلك يتم إضاءة الأرض كلها بمصباح واحد هو الشمس، وتصل اليك حرارتها من مسافة حوالي ١٥٠ مليون كم، في حين أنك لو جلست أمام مدفأة على بعد عشرين متراً أو أكثر فلن يصل اليك حرارتها وذلك لأنها موقد هائل جداً حيث أن درجة حرارة سطح الشمس أكثر من ٥ مليون درجة مئوية ودرجة حرارة باطنها أكثر من ١٥ مليون درجة مئوية.

- تخيل لو أن إنساناً لم يرى الشمس من قبل ولأول مرة يسمع عن وجود الشمس ماذا يكون أثر ذلك عليه وكيف يكون رد فعله وانفعالاته؟

- إنه سوف يندهش من مدى هول الشمس ومن قدرة من صنعها وسوف يصاب بالرعب من كونها إذا اقتربت قد تدمر البشر وسوف يعجب بمدى فوائدها التي بدونها يفنى البشر وسوف يشغل هذه بصورتها المرعبة فهي نار هائلة معلقة في الفضاء وسوف يبني حياته خضوعاً لقدرة من صنعها لأنه بذلك يقدر على البشر جميعاً تعظيمها لقدرته وخوفاً ورجاءً.

- إذا لم يحدث هذا التعلق بعناصره الأربع فهذا معناه أنه لا يزال لا يعرف ما هي الشمس ولا يزال لم يراها رغم أنه يراها كل يوم!

- فالشمس عبارة عن كتلة هائلة من النار معلقة في الفضاء ونحن على الكرة الأرضية ندور حول هذه الشمس في دورة كل عام، وهي ما زالت

(١) الطور: ٣٥ ، ٣٦



موقدة ولم تنطفئ على مدى ملايين السنين من قبل خلق البشر أساساً، ويمكنها أن تبتلع الأرض ومن عليها ولا يمثل ذلك سوى واحد على مليون من حجمها، وشدة نارها تصل إلى ملايين الدرجات المئوية، وحر الصيف الذي نعيشه هو مجرد اقتراب بسيط جداً من الشمس فنحن على مسافة هائلة منها.

- وجميع النجوم مثل الشمس عبارة عن نار هائلة معلقة في الفضاء، ومنها ما هو أضخم من الشمس ملايين المرات، وهذه النجوم ما هي إلا زينة للسماء فانظر إلى مدى قدرة الله تعالى.

- مثال (٣): اليقين الحقيقي بأننا نعيش في الفضاء على ظهر كرة تسبح بنا في الفضاء وحولنا النجوم من كل اتجاه!:

- هل تصدق أننا نعيش وسط النجوم؟!، كان الناس يظنون أن هذه النجوم الكثيرة وهذا الفضاء الواسع هو فوقنا فقط، لكن هذه النجوم وهذا الفضاء حول الأرض من كل اتجاه وليس فوقنا فقط، فنحن نعيش على أرض معلقة في الفضاء، وهناك نجوم أسفل الأرض ونجوم أعلىها.

- وإذا عرّفنا كلمة (السماء) على أنها الفضاء وما فيه من النجوم فهذا معناه أننا نعيش في السماء!، ولكي تدرك هذه الحقيقة جيداً تحتاج إلى تصور ذهني وتخيل لمكان الكرة الأرضية بالنسبة للنجوم:

- فالكون عبارة عن فضاء تسبح فيه نجوم هائلة العدد، وكل نجم تدور حوله بعض الكواكب، ومن بين هذه النجوم والكواكب الهائلة العدد في الكون يوجد نجم اسمه الشمس وكوكب اسمه الأرض، فكوكب الأرض هو كرة معلقة في الفضاء يحيط بها النجوم من كل اتجاه، فالنجوم ليست فقط فوق الأرض ولكنها تحيط بالكرة الأرضية من كل اتجاه.

- إذن نحن نعيش في الفضاء على ظهر كرة تسبح بنا في الفضاء وحولنا النجوم من كل اتجاه!

- تخيل لو أن الكرة الأرضية لم تعد معلقة في الفضاء وسقطت فأين تذهب؟ إن تحت الكرة الأرضية فضاء ونجوم!



- عندما صعدت سفن الفضاء في الفضاء البعيد التقى صورة للأرض وحولها الشمس والنجوم، فكانت الأرض عبارة عن نقطة زرقاء باهتة وسط النجوم (والصورة التوضيحية تبين ذلك).

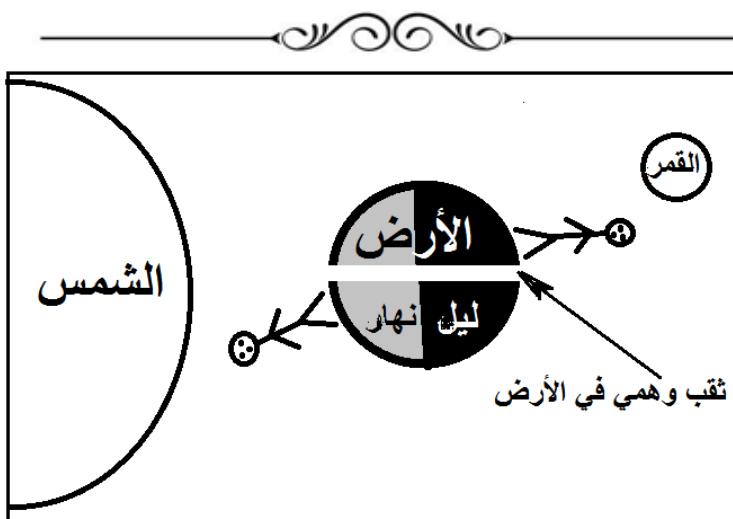
- إن هذه الدنيا التي نعيشها بكل ما فيها ليست إلا حياة ضئيلة جداً موضوعة على نقطة زرقاء باهتة وسط الفضاء والنجوم، فالأرض ومن عليها من البشر مجرد جزء صغير جداً من منظومة كبيرة جداً هي الكون، فييتكون شعور بضعف البشر وعجزهم وشعور بمدى عظمة هذا الكون واتساعه فلا يقدر البشر على إيجاد شيء منه ولا التحكم فيه وبالتالي الشعور بمدى قدرة وعظمة خالق الكون.



- أي القضايتين تشغّل الذهن أكثر؟ قضية وجود البشر جميعاً في مكان واحد هو الكرة الأرضية فلا يزيد حجم كل هذه البشرية عن نقطة تافهة في فضاء سحيق! أم القضايا والمسائل والمشاغل التي بين البشر بعضهم البعض وهموم الحياة وأعمالها؟، فما قيمة ما يحدث بين البشر وما يتشاغلون به من أعمال وهم جميعاً عبارة عن كتلة ضئيلة جداً من النمل تتحرك في نقطة لا تكاد تراها في مشهد الفضاء والنجوم، طبعاً العاقل يشغله القضية الأولى عن أي شيء آخر من مشاغل الحياة وهمومها وشهواتها ومن العلوم والمعارف المختلفة، وصورة الأرض المعلقة بنا في الفضاء لا تكاد تفارق ذهنه، ولكن البعض يغفل عن هذا الأمر ويعطل عقله عن النظر فيه ولا يشغل عقله بغير ما يحدث من مشاغل الحياة وهمومها وشهواتها وأعمالها، وهؤلاء هم غافلون عن هذه الآية من آيات الله ومشغولون بما سوى ذلك.

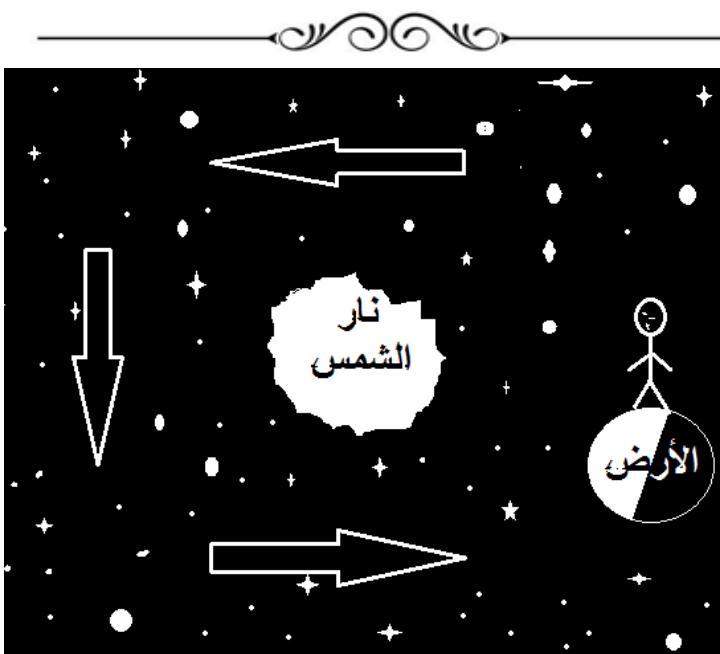
- مثال (٣): اليقين الحقيقى بأن الشمس والكواكب جيران لنا في الفضاء!: - تصور وضعك مع حركة الأرض حول نفسها، وحدوث الليل والنهار، فهذا يؤدي إلى الشعور بأن هناك قوة أعلى من الإنسان تفعل به ما تشاء، وتؤدي إلى الشعور بضآلته الإنسان، وبالتالي الشعور بالاستسلام والخضوع للخالق.

- تخيل لو أنك كنت بالليل وقمت بعمل ثقب في الكرة الأرضية فسيصل إليك نور الشمس!



- مثال (٤): اليقين الحقيقـي بأنـا ندور حـول نـار هـائلـة مـعلـقة فـي الفـضـاء!:ـ

- هل تصدقـ أنـ هـنـاك نـارـا هـائلـة جـدا مـعلـقة فـي الفـضـاء وـأنـا نـدور حـولـها مـثـلـما يـدورـ الفـراـش حـولـ النـارـ المشـتعلـة؟!ـ، إنـ الشـمـس عـبـارـة عنـ كـتـلـةـ منـ النـارـ هـائلـةـ مشـتعلـةـ فـيـ الفـضـاءـ وـنـحنـ آنـاـ نـدورـ حـولـهاـ عـلـىـ ظـهـرـ مـرـكـبـةـ فـضـائـيـةـ تـطـيرـ بـنـاـ فـيـ الفـضـاءـ المـظـلـمـ هـيـ الـأـرـضـ فـيـ رـحـلـةـ تـسـتـغـرـقـ عـامـ كـامـلـ، فـفـيـ الـلـحـظـةـ الـتـيـ تـقـرـأـونـ آنـتـمـ فـيـهاـ هـذـهـ السـطـوـرـ نـدـورـ الـأـرـضـ فـيـ مـدـارـهـ حـولـ الشـمـسـ فـيـ رـحـلـةـ طـولـهـ ٩٥٠ـ مـلـيـونـ كـيـلـوـ مـتـرـ، نـقـطـعـهـاـ فـيـ سـفـرـ مـدـتـهـ سـنـةـ ثـمـ تـبـدـأـ مـنـ جـدـيدـ دـوـنـ تـوـقـفـ، وـحـرـ الصـيفـ وـبـرـدـ الشـتـاءـ يـحـدـثـ بـسـبـبـ اـقـرـابـنـاـ أـوـ بـعـدـنـاـ عـنـ نـارـ الشـمـسـ أـثـنـاءـ هـذـهـ الـرـحـلـةـ.



- فنحن نسير الآن بسرعة ١٠٨ ألف كيلو متر في الساعة (٣٠ كم في الثانية)، ويمكنكم أن تعرفوا ضخامة هذه السرعة على النحو التالي: إن أقصى سرعة يمكنكم أن تصلوا إليها عند قيادة سيارة عادية هي ٢٠٠ كيلو متر في الساعة، يعني أن الأرض تدور حول الشمس بسرعة تبلغ ٥٤٠ مرة بحجم سيارة، ويمكن أن نفهم الأمر بشكل أوضح من خلال هذا المثال أيضًا: فسرعة الرصاصة تبلغ ١٨٠٠ كيلو متر في الساعة، وسرعة الأرض في دورانها حول الشمس تبلغ ٦٠ مرة حجم سرعة الرصاصة!، ومع سرعة الأرض الهائلة هذه تكون قوة جاذبية الشمس غاية في الأهمية، فلو أنه حصل نقص في قوة جاذبية الشمس فإن الأرض تضيع في الفضاء بسرعة غير عادية، وذلك يمثل نهايتها، والعكس أيضًا صحيح، بمعنى أنه لو حدثت زيادة في قوة جاذبية الشمس فإن الأرض تتوجه نحو الشمس بسرعة هائلة وتذوب وتتبخر، وبالتالي فنحن أيضًا سوف نتبخر معها، ولو كانت جاذبية الأرض لـما عليها من البشر والأشياء أقل مما هي عليه الآن لطاش كل شيء ولطشنا نحن أيضًا في الفضاء.

- فنحن الآن نطير في الفضاء حول هذه النار في دورة كل عام، وفي هذا شعور بالرعب والخوف، والشعور بأن هناك قوة أعلى من الإنسان تفعل به ما تشاء، والشعور بمدى ضآلة الإنسان، وبالتالي الشعور بالاستسلام والخضوع للخالق.

- هناك حدثان يحدثان في آن واحد هما أنك تتحرك الآن على كرة تطير بك في الفضاء، والحدث الثاني هو أحداث الحياة وصراعاتها ومشاغلها وهمومها وعلومها وشهواتها وما يدور من حولك من أمور في دنيا الناس، فأي الحدفين يشغل بالك أكثر؟ وهل يمكن أن تنسى هذا الحدث الأكبر أنك تسير الآن في الفضاء؟ طبعاً العاقل يشغله الأمر الأول عن الثاني، ولكن البعض يغفل عن هذا الأمر ويعطل عقله عن النظر فيه ولا يشغل عقله بغير ما يحدث من مشاغل الحياة وهمومها وشهواتها وأعمالها، وهؤلاء هم غافلون عن هذه الآية من آيات الله ومشغولون بما سوى ذلك.

- لا يمكن لإنسان عاقل أبداً أن ينسى أنه يسير الآن على متن مركبة في فضاء سحيق، ومن يعقل ذلك فإنه يركع ويسجد على متن هذه المركبة لمن يحركه على هذه المركبة في فضاء الكون الهائل!

- مثال (٥): اليقين الحقيقي بأن الأرض كرة معلقة في الفضاء!:

- عندما صعد العلماء إلى القمر رأوا الأرض صغيرة وكأنها القمر بالنسبة لهم، تخيل نفسك هناك على سطح القمر وتشير إلى الأرض من بعيد: هناك بيتي وأهلي وأهلي في انتظاري حتى أعود، إن الآخرة مثل ذلك، وانظر كيف أن الأرض كرة معلقة في الفضاء!





- مثال (٦): اليقين الحقيقى بمدى اتساع الكون الهائل:

- الضوء يقطع المسافة بيننا وبين أقرب نجم إلينا في مدة أربع سنوات وربع، ومن النجوم ما يبعد عنا مسافة يقطعها الضوء في مائة سنة، ومنها ما يسافر منها الضوء إلينا في ألف سنة، ومنها ما يبقى الضوء مسافراً منها إلينا في مدة مليون سنة، ومنها ما يبقى الضوء مسافراً منها إلينا في (٣٤٠) مليون سنة، ومنها ما يبقى الضوء مسافراً منها إلينا في مدة ملايين السنين!! [سرعة الضوء (٣٠٠) ألف كيلومتر في الثانية]: ((فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسْمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ))^(١).

- لا يكفي أن يشعر الإنسان بمدى ضخامة حجم النجوم وعدها الهائل، فلابد أن يشعر أيضاً بعظمة المسافات بينها، فذلك يجعل الإنسان العاقل يُجن ويخر ساجداً، فإن أرقام المسافات والأحجام هائلة وبهرة جداً ولا يمكن تصورها أو تخيلها: ((الْخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ))^(٢).

- وأيضاً تأمل أن الفضاء كله ظلام، والنور موجود فقط في قشرة طفيفة على الأرض.

- مثال (٧): اليقين الحقيقى بأن كوكب الأرض لم يكن عليه بشر لمدة أكثر من ٤ مليار سنة:

- الأرض بقىت بدون بشر لعدة أكثر من ٤ مليار سنة، والحيوانات والنباتات كانت تعيش على الأرض لأكثر من ٢٠٠ مليون سنة ولم يكن هناك بشر على الأرض طوال هذه المدة، والإنسان ضئيل جداً وعمره منذ خلق آدم هو فقط عشرة ألاف عام تقريباً: ((هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً))^(٣).

(١) الواقعة: ٧٥ ، ٧٦

(٢) غافر: ٥٧

(٣) الإنسان: ١

- وقبل خلق الكون والأشياء لم يكن شيئاً سوى الله سبحانه، فلا شيء قبله، فلا كواكب ولا شمس ولا فضاء ولا سماء ولا بشر ولا مخلوقات ولا شيء سوى الله سبحانه، ففي الحديث: ((كان الله ولم يكن شيء قبله))^(١)، وهذا معناه أن يشعر الإنسان بضعفه.

- اليقين الحقيقى بالحقائق العلمية!:

- العلم يكشف لنا حقائق مذهلة عن الطبيعة وما في داخل الإنسان ولكن كل ذلك لا يؤثر في مشاعر الكثير سواء من هذه الأمور المذهلة أو من مدى قدرة الخالق، وبالتالي فاليقين بهذه الحقائق العلمية (آيات الله المنظورة) هو يقين كاذب.

- إذا علم الإنسان حقائق علمية مثل اكتشاف أن الأرض كرة معلقة في الفضاء أو دوران الأرض حول نفسها أو دورانها حول الشمس، وكل هذه أمور عجيبة ومذهلة وأعجوبة من السحر، فإذا لم يشعر الإنسان بالتعجب والتحير ويشعر بضآلته الإنسان أمام عظمة هذا الكون وأنه أشد ضاللة أمام خالق الكون فيشعر بالخضوع والاستسلام لله فهو لا يزال لا يعرف خطورة معنى هذه الأمور ويتجاهلها، فإذا كان تعامله كذلك مع كل ما يراه من آيات الله من أرض وسماء وزرع وجبال وكائنات وكذلك مع إعجاز القرآن والسنة فيقينه بالخالق كاذبا.

- ملحوظة:

- هناك تفاوت كبير بين الناس، فمن الناس من يشعر بالإعجاز في آية واحدة من آيات الله المنظورة وعندئذ تتغير مشاعره وهمومه وتفكيره وتتغير حياته كلها، ومن الناس من لا يتأثر إلا بعد مرات كثيرة من النظر في الآيات الكونية ليفيق من غفلته، ومن الناس من لا ينفع معه التذكير بالأيات الكونية مطلقاً ولو رأوا المعجزات بأعينهم: ((وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرْتُ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ))^(٢)، ((وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي

(١) صحيح البخاري (٧٤١٨)

(٢) الحجر: ١٤، ١٥

قِرْطَاسٌ فَلَمْسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ^(١)،
 ((قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ
 قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ^(٢)، ((وَكَأَيْنِ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْرُونَ
 عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ^(٣)).

- التفكير الصحيح في الآيات الكونية هو الذي يؤدي إلى الخضوع، وهو نعمة من الله، فمن كان متكبراً ولا يعيش معيشة الخضوع لله تعالى يحرمه الله من هذه النعمة، ففي تفسير السراج المنير: ((سأصرف عن آياتي المنصوبات في الآفاق والأنفس كخلق السموات والأرض وما بينهما {الذين يتکبرون في الأرض} أي: أصرفها عنهم بالطبع على قلوبهم فلا يتفکرون فيها ولا يعتبرون بها))^(٤)، وفي تفسير البحر المحيط: ((سأصرف عن آياتي الذين يتکبرون في الأرض بغير الحق...) قال ابن حبیب سأصرفهم عن الاعتبار والاستدلال بالدلائل والآيات على هذه المعجزات وبداعي المخلوقات، وقال سفيان بن عيينة سأمنعهم من تدبرها ونظرها النّظر الصّحيح المؤدي إلى الحق^(٥)).

(١) الأنعام: ٧

(٢) يونس: ١٠١

(٣) يوسف: ١٠٥.

(٤) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (٥١٦ / ١).

(٥) البحر المحيط في التفسير (٥ / ١٧٣).

الفصل السابع عشر

علاج السماع الكاذب والتصام (التذكر)

- علاج المعرفة الكاذبة واليقين الكاذب هو استعادة المعرفة الحقيقة، واستعادة المعرفة الحقيقة يتم من خلال التذكر والتفكير، ولا بد أن يكون التذكر والتفكير بطريقة صحيحة.

- التذكر يكون للشيء الذي عرفه عن طريق السماع، والتفكير يكون للشيء الذي عرفه من خلال رؤيته، فالذكر يكون للغيبات لأنها وصلتنا عن طريق السماع والتفكير يكون للمرئيات وما يستنتج منها.

- أي أن التذكر يكون لما عرفه عن طريق ما سمعه من الرسل والدعاة وأقوالهم عن الغيبات مثل وجود الخالق وصفاته ومدى عظمته صفاته وعن الآخرة وخطورة ما فيها وعن وجود الملائكة وما يكون في القبر، لكن الإنسان يتضام كأنه لم يسمع أو أنه أصيب بمرض السماع الكاذب.

- وقد يحسب الإنسان أنه لا يتضام وذلك لأنه تعود على التضام فأصبح التضام تلقائي.

الهدف من خلق السمع والبصر والعقل هو التذكر والتفكير لمعرفة الله معرفة حقيقة:

- السمع والبصر والعقل هي وسائل يستخدمها الإنسان من أجل التذكر والتفكير في حقيقة الأشياء، وأهم شيء يستحق أن يتذمّر ويفكر فيه هو قضية الخالق والآخرة، فإذا لم يتذكر ويتذكر الإنسان في ذلك وصرف كل تفكيره في قضايا الدنيا فقد أضاع الفائدة من السمع والبصر والعقل.

- ففي تفسير أبي السعود: ((وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْنِدَةً)) لايستعملوها فيما حُلِّقَتْ لَهُ ويعرِفُوا بكل منها ما بيّنوا به معرفته من فنون النعم ويستدلُّوا بها على شؤن منعهم عزّ وجلّ ويداومُوا على شُكُرِه {فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ} حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ الرسل

{وَلَا أَبْصَارُهُمْ} حيث لم يجتلوا بها الآيات التكوينية المنصوبة في صحائف العلم {وَلَا أَفْئَدُهُمْ} حيث لم يستعملواها في معرفة الله تعالى))^(١)

- وفي صفة التفاسير: ((وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئَدَةَ} أي خلق لكم هذه الحواس لتسمعوا وتبصروا وتفهوا، وفيه توبیخ للمشركين حيث لم يصرفوا النعم في مصارفها، لأن السمع خلق ليسمع به ما يرشده، والبصر ليشاهد به الآيات على كمال أوصاف الله، والعقل ليتأمل به في مصنوعات الله وباهر قدرته فمن لم يصرف تلك النعم في مصارفها فهو بمنزلة عادمها كما قال تعالى: {فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئَدُهُمْ مِنْ شَيْءٍ} [الأحقاف: ٢٦])^(٢).

- وفي تفسير الخازن: ((وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئَدَةً} يعني إنما أعطيناهم هذه الحواس ليستعملوها فيما ينفعهم في أمر الدين فما استعملوها إلا في طلب الدنيا ولذاتها فلا جرم فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء))^(٣).

- ويوم القيمة يندم الإنسان على عدم التذكر: ((وَهُمْ يَصْطَرُخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرُجْنَا نَعْمَلُ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْلَمْ نُعَمِّرُكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ))^(٤).

التذكر والتفكير والمداومة عليه يؤدي إلى تحقيق المعرفة الحقيقة وتقويتها وبالتالي تحقيق العبادة وتقويتها:

- البعض يحسب أن الهدف من التفكير هو فقط لتحقيق اليقين بوجود الخالق إذا لم يكن موجودا، لذلك فهو لا يرى داعي للتفكير، ولكن هناك هدف أهم للتفكير وهو الانتقال من المعرفة الكاذبة إلى المعرفة الحقيقة وتجديد المعرفة الحقيقة وتقويتها، لذلك فالجميع يحتاج إلى التفكير دائما.

(١) تفسير أبي السعود = ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٨٧/٨)

(٢) صفة التفاسير (٢/٢٩٠)

(٣) تفسير الخازن - دار الكتب العلمية - بيروت (٤ / ١٣٤).

(٤) فاطر: ٣٧

- وكذلك فالغرض من التذكر هو الانتقال من المعرفة الكاذبة الى المعرفة الحقيقة وتجديد المعرفة الحقيقة وقويتها.

- التفكير والتذكر عبادة قلبية من أكبر طاعات القلوب وأهم من أعمال الجوارح، والقيام بهذه الطاعة ليس فقط للحصول على الحسنات ولكن لابد أن تفهم الغرض منها لكي تتحقق.

- لقد أمرنا الشرع بالتفكير والتذكر: ((فُلِّ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْأَيَّاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ^(١)، ((أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْفَالُهَا^(٢)))، وفي الحديث: ((لَقَدْ نَزَّلْتُ عَلَيَّ الْلَّيْلَةَ آيَاتٍ وَبِلِّ لَمْنَ قَرَأْهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا {إِنَّ فِي حَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ^(٣)}).

- يقول شيخ الإسلام ابن القيم: ((التفكير والتذكر أصل الهدى والفلاح وهمما قطبا السعادة ولهذا وسعنا الكلام في التفكير في هذا الوجه لعظم الممنوعة وشدة الحاجة إليه، قال الحسن: ما زال أهل العلم يعودون بالتذكر على التفكير وبالتفكير على التذكر ويناطقون القلوب حتى نطقت فإذا لها أسماع وأبصار))^(٤)، ويقول أيضاً: ((والتذكر والتفكير متزلاً يُمْرَأَنَّ أَنْوَاعَ الْمَعَارِفَ، وَحَقَائِقَ الْإِيمَانَ وَالْإِحْسَانَ، وَالْعَارِفُ لَا يَرَالْ يَعُودُ بِتَفَكُّرِهِ عَلَى تَذَكُّرِهِ، وَبِتَذَكُّرِهِ عَلَى تَفَكُّرِهِ، حَتَّى يُفْتَحَ قُلُّ فِلِيْهِ يَادِنَ الْفَتَّاحِ الْعَلِيمِ، قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: مَا زَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ يَعُودُونَ بِالتذَّكُّرِ عَلَى التَّفَكُّرِ، وَبِالْتَّفَكُّرِ عَلَى التذَّكُّرِ، وَيَنَاطِقُونَ الْقُلُوبَ حَتَّى نَطَقَتْ))^(٥).

- جاء في تفسير الطبرى: ((عن مجاهد في قوله (إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِحَالِصَةِ ذِكْرِ الدَّارِ) قال: بذكر الآخرة فليس لهم هم غيرها))^(٦)، وفي الحديث: ((أكثروا ذكر هادم الذات))^(٧).

(١) يومن: ١٠١

(٢) محمد: ٢٤

(٣) السلسلة الصحيحة (١٤٧/١)

(٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (٢١٣/١)

(٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٤٤٠ / ١)

(٦) تفسير الطبرى - مؤسسة الرسالة (ج: ٢١، ص: ٢١٨).

(٧) تحقيق الألبانى: صحيح: (انظر حديث رقم: ١٢١٠ في صحيح الجامع)

- ويقول شيخ الإسلام ابن القيم: ((فالتفكير إذا هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها وهذا يكشف لك عن فضل التفكير وشرفه وأنه من أفضل أعمال القلب وانفعها له حتى قيل تفكير ساعة خير من عبادة سنة، فالتفكير هو الذي ينفع من موت الفطنة إلى حياة اليقظة))^(١).

- الهدف من أذكار الصباح والمساء هو تحقيق المعرفة الحقيقة بالله وتقويتها.

الطريقة الصحيحة للتذكر:

- التفكير والتذكر ليس جمع معلومات ولكن هو عبارة عن تصور لمدى ما في الامر من عجب وغرابة وخطورة وتصور كونه مريب أو مخيف أو رائع ومحبوب وتصور ما في الأمر من صفات خارقة فوق كل التصورات بحيث يؤدي إلى التأله وبالتالي تأثير المشاعر والهموم والجوارح.

- إذا لم يؤدي التذكر إلى شدة التأله (الدهشة الشديدة) فلا قيمة له، ولكي يؤدي إلى التأله لابد أن يتم التذكر بطريقة تثير الدهشة والتعجب من غرابة وهول وخطورة الأمر كالتالي:

أولاً: يتصور الأمر كأنه يسمع عنه أول مرة، وفي كل مرة يتذكر فيها نفس الأمر يتصوره كأنه يسمع عنه لأول مرة:

- أخطر مشكلة هي التعود على الأمر، الاعتياد على سماع أهواه القيامة يجعل الإنسان لا يتأثر بها، وعدم التأثر لن يغير من حقيقة الأهواه القادمة شيء.

- أكثر المعلومات التي يسمعها الناس كثيراً في حياتهم هي أن لهم خالقاً وأن هناك آخرة، ولكن هذا الأمر أصبح عند البعض تعود ومعلومات روتينية باهتة، فلابد أن يتصور الإنسان معنى الخالق ومعنى الآخرة كأنه يسمع عن ذلك لأول مرة.

(١) مفتاح دار السعادة ومنتشر ولادة العلم والإرادة (١/١٨٣)

ـ كذلك يتعامل مع قضية البعث كأنه يسمع عنها لأول مرة فيتعجب من الأمر ومن غرابتة ثم يدرك هذه الحقيقة المذهلة.

ـ ويتعامل مع الآخرة على أنها عالم آخر غريب غير عالمنا الذي نعيش فيه ومجهز ومعد لاستقبالنا حينما نصل إليه، كأنه يسمع عن هذا العالم الغريب لأول مرة.

ـ والعاقل هو الذي يسمع عن الأمر كأنه أول مرة ولو تكرر مئات المرات لأن التعود يجعل الإنسان لا يتصور الأمر.

ـ كل إنسان يعلم أن الله يسمعه ويراه ولا يتأثر بذلك، ولكن عندما تتصور أنه لأول مرة تعلم أن هناك أحدا لا تراه له القدرة على أن يراك ويسمعك في أي مكان وطوال الليل والنهار، فلا تستطيع أن تتحرك إلا وأنت مكشوف ومراقب، فهذا يجعل الإنسان في ذهول ولا يغيب ذلك عن ذهنه أبداً لأنه كلما عمل عملاً فهناك أحداً رأه.

ـ ثانياً: المقارنة بين الأمر الغيبي والأمر الحسي:

ـ المقارنة معناها تصور الآخرة وما يحدث فيها من خلال تشبيه ما فيها بما في الدنيا.

ـ قيمة الشيء تعرف من خلال مقارنته بغيره فمثلاً: هل ألف جنيه هو مبلغ كبير أم صغير؟ بدون المقارنة بشيء لا نعرف، بالمقارنة بالمليون جنيه فهو تافه، وبالمقارنة بالجنيه فهو عظيم القيمة.

ـ قيمة الدنيا تعرف بالمقارنة بالآخرة، فوجود الآخرة جعل الدنيا شيء تافه لا قيمة له، وإذا لم يكن هناك رب ولا آخرة لكانة الدنيا عظيمة جدًا؛ لأنه ليس أمام الإنسان شيء غيرها.

ـ فلابد من المقارنة بين قوة الله وقوه الإنسان، ورؤيه الله ورؤيه الإنسان وقدرة السمع عند الله وقدرة السمع عند الإنسان وبين الأمر الطبيعي والأمر الخارق للأسباب، وبين قيمة الدنيا وقيمة الآخرة، والمقارنة بين صحة الإنسان في الدنيا وصحته في الجنة، وقصر عمره في الدنيا أمام طول عمره في الآخرة، والمقارنة بين الشهوات والعقاب عليها، وهكذا

حتى يفتق الإنسان من الغيوبية وينتبه من غفلته إلى أن قدرة الله و هو
الآخرة خطر واقع رهيب، وعندئذ تتحقق المعرفة بالله والآخرة.

- النعم عبارة عن أمران هما صفات في الإنسان كالقدرة على السمع
والقدرة على الرؤية ونعم الدنيا كالماء والهواء والتكنولوجيا، إذا قارنا
بين النعم التي هي قدرات في الإنسان وبين قدرات الخالق فهي لا شيء،
وإذا قارنا بين نعم الدنيا ونعم الجنة فهي لا شيء.

- الإنسان مغرور بما عنده من قدرات كالسمع والبصر والعلم وتوهمه
بالقدرة على تسخير الأشياء لصالحه، ولن يزول هذا الغرور حتى
يتصور مدى ضعفه فيشعر بالذل.

- ومن صور المقارنة ما يلي:

١- المقارنة بين آلام ولذات الدنيا أمام آلام ولذات الآخرة:

- إن كل آلام الدنيا ومشاكلها وهمومها ليست بشيء أمام ألم النار يوم
القيمة وكل لذات الدنيا ليست بشيء أمام لذات الجنة.

- فلو أن إنساناً غمس في النار خمسة وحدة ثم عاد إلى الدنيا فكل آلام
الدنيا ومشاكلها في نظره لهو ولعب ولا قيمة لها، ولو أن إنساناً غمس
في الجنة خمسة وحدة ثم عاد إلى الدنيا فكل متع الدنيا ولذاتها في نظره
لهو ولعب ولا قيمة لها، وفي الحديث: ((يُؤْتَى بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ بِأَنْعَمَ أَهْلَ الدُّنْيَا
مِنَ الْكُفَّارِ فَيَقُولُ أَغْمَسْوْهُ فِي النَّارِ خَمْسَةً، فَيَعْمَسُ فِيهَا ثُمَّ يُقَالُ لَهُ أَيُّ فُلَانٍ
هَلْ أَصَابَكَ نَعِيمٌ قَطُّ، فَيَقُولُ لَا مَا أَصَابَنِي نَعِيمٌ قَطُّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِ الْمُؤْمِنِينَ
ضَرًّا وَبَلَاءً، فَيَقُولُ أَغْمَسْوْهُ خَمْسَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيَعْمَسُ فِيهَا خَمْسَةً فَيُقَالُ لَهُ
أَيُّ فُلَانٍ هَلْ أَصَابَكَ ضُرٌّ قَطُّ أَوْ بَلَاءً فَيَقُولُ مَا أَصَابَنِي قَطُّ ضُرٌّ وَلَا
بَلَاءً)).^(١)

٢- المقارنة بين قصر العمر في الدنيا أمام الخلود في الآخرة:

- وجود الآخرة هو الذي جعل الدنيا لا قيمة لها، لأن الدنيا بالمقارنة
بالآخرة تساوي صفر وكل آلامها ولذاتها تساوي صفر ومرة البقاء فيها

(١) تحقيق الألباني: صحيح (الصحيحة: ١١٦٧)

تساوي صفر رغم أنها سنوات طويلة لكنها في حقيقتها تساوي صفرًا أمام مدة البقاء الالهائية في الآخرة، ولكن الشيطان يزين للإنسان أن الحياة في الدنيا طويلة، وأن الستين سنة (مثلاً) التي يحياها في الدنيا أعمار طويلة.

- لو أن إنسانًا عاد من الآخرة إلى الدنيا فسوف ينظر إلى السنوات الطويلة التي يقضيها في الدنيا على أنها ثوانٍ معدودة لا قيمة لها وأنه باقي على قيام الآخرة ثوانٍ معدودة: ((قَالَ كُمْ لَيْثُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَيْثًا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِيْنَ (١١٣) قَالَ إِنْ لَيْثُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ))^(١)، ((أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ))^(٢).

٣- المقارنة بين دار الإقامة ودار الغربة:

- الدنيا ليست المكان المعد والمجهز والمناسب لإقامة الإنسان فيه، ولكن الدنيا عبارة عن سفينة أو مركبة تحمل الإنسان إلى بيته أو داره ومكان إقامته، وداخل هذه السفينة يعيش الإنسان حياة مؤقتة عابرة فيها مكان مؤقت ينام فيه وطعام وشراب مؤقت.

- الدنيا دار غربة نحن الآن مسافرون منها عائدين إلى وطننا وأهلينا، فنحن الآن مسافرون سفر العودة والرجوع وليس سفر الذهاب بعيداً عن الوطن والأهل، فوطن الإنسان وأهله هو في الآخرة وليس في الدنيا.

٤- المقارنة بين صفات الإنسان وصفات الخالق:

- الإنسان مغدور بما عنده من نعم الدنيا كالماء والهواء والصحة والمال والشهوات والتكنولوجيا، ويحسب أنه قوي بها، ولن يزول هذا الغرور حتى يتصور مدى ضلالة صفاته أمام صفات الخالق ومدى نعم الدنيا التي يغتر بها أمام نعم الجنة فيشعر بالذل.

(١) المؤمنون: ١١٤ - ١١٢

(٢) الشعراء: ٢٠٦ ، ٢٠٥

الإنسان له قوة والله سبحانه له قوة، قوة الإنسان تتمثل في النعم التي أنعم الله بها على الإنسان من إرادة وعقل وسمع ومال ومسكن وزروع ... الخ، صفات الخالق معجزة وتدعو إلى الرهبة كالقدرة على السمع والرؤى وعمل الأشياء لأنها قوة أعظم من قوة البشر كلهم ولأن ما عند الإنسان من قوة هي في حقيقتها نعم من الله وليس قوة له، كما أن نعم الدنيا بالمقارنة بنعم الآخرة فهي ضئيلة جداً وإلى زوال سواء بالمقارنة بين مدة بقاءها أمام الخلود في الآخرة أو بقيمتها أمام مدى قيمة النعيم في الجنة، وبدلاً من أن تكون النعم سبباً لمعرفة قدرة الله وقوته وإنعامه أغتر بها الإنسان على أنها ملك له وأنه أوجدها لنفسه واعتبرها قوة له، لذلك لا يريد أن يستسلم.

معرفة الخالق تؤدي إلى أن يعرف الإنسان حقيقة نفسه فيرى نفسه ضعيفاً ويرى ضاللة نفسه ويشعر بالذل فلا يغتر بنفسه ولا يعيش من أجل نفسه ولكن من أجل الخالق، فإذا تعلق قلبه بتحقيق رغبات نفسه فهذا دليل على أن الإنسان لا يزال لم يعرف حقيقة نفسه وسبب ذلك أنه لا يزال لم يعرف الخالق سبحانه.

الإنسان مغروم بما عنده من صفات كالقدرة والسمع والبصر وبما عنده من نعم كالمال والمتلكات، لكن إذا قارن الإنسان بين صفات المخلوق وصفات الخالق، وقارن بين النعم في الجنة ونعم الدنيا لوجد أن ما يملكه الإنسان من صفات ونعم ليس بشيء أمام صفات الخالق ونعم الجنة وعندئذ يزول غروره بنفسه.

بل إن الإنسان لا يملك أصلاً ما عنده من صفات ولا ما عنده من نعم فكلها ملك الله فهذا معناه أن يزول غروره بنفسه.

ثالثاً: التصور والوصف للأخرة كأنك تراها وكذلك قدرة الله وليس ذاته:

لا يمكن تصور صفات الذات للخالق سبحانه؛ لأنه سبحانه ليس كمثله شيء، ولكننا نستطيع أن نتصور الصفات المعنوية كالقدرة والعلم، فالذي يتصور مدى قدرة الله ومدى علمه فلا يمكن أن يفارق ذهنه صورة هذه

القدرة المذهلة وهذا العلم الهائل، فنتصور مدى قدرة الله على السمع، فسبحانه له القدرة على أن يسمع كل الكائنات وكل المخلوقات في أن واحد، وكذلك نتصور مدى قدرة الله على رؤية كل شيء حتى الذي في الظلمات والذي في الجحور والذي في السماء والذي في الأرض ويرى كل ما تعلمه المخلوقات في أن واحد، ونتصور مدى قدرة الله على العلم بكل شيء حتى الذي سوف يحدث في المستقبل هو يعلمه ومدى علمه سبحانه وحكمته في تدبير أمور جميع المخلوقات وما يحدث داخل الذرات وفي المجرات بدقة متناهية كاملة باللغة سبحانه، ونستطيع أن نتصور مدى قوة الله إذا قورنت بقوة المخلوقات فهو يستطيع أن يبيد البشرية والكون وينشئهم من جديد.

- رابعا: التخيل كأنك في الآخرة:

- تخيل أنك تقف الآن على أرض المحشر في الآخرة أو أنك الآن داخل جنة الآخرة أو أنك الآن داخل نار الآخرة، أنت الآن فقط تعرف قيمة الدنيا وأنها بكل ما فيها من لذات وألام لم تكن سوى لعب ولهو، وأنت الآن تدرك أن الناس الذين يعيشون في الدنيا في غفلة تامة عن الآخرة وأن الآخرة خطر هائل جدًا فوق كل تصورات الناس، وأنت تدرك الآن أن الأمور معكوسه تماماً فكل تفكير الناس ومشاعرهم وأعمالهم هي في أمور الدنيا وأنت تقول: أهؤلاء أغياء لا عقل لهم!

- الإنسان العاقل هو الذي لا يحتاج إلى أن يذهب للآخرة لكي يعرف مدى هذا الخطر ويشعر به ولكي يشعر بأن الدنيا ما كانت إلا لعب ولهو، وإنما هو يستطيع أن يدرك ذلك بأن يتصور خطورة الأمر وهو ما زال في الدنيا وهذا هو العاقل.

- خامسا: تصور الآخرة كصورة من صور قدرة الله:

- القدرة على خلق النار الهائلة التي لا تنطفئ ولا يفني وقودها والقدرة على خلق الجنة وما فيها من متع هائل هي قدرة هائلة جداً تدل على عظمة قدرة الله وعظمة ثوابه وعقابه فهذا معناه الشعور بالمهابة من عظمة قدرة الله تعالى.

- وكذلك قدرة الله على البعث ومدى علمه سبحانه في محاسبته للعبادة جميعاً.

ـ سادساً: التدبر لمعنى ما يسمعه وإدراك المغزى من الامر به:

طالما أن الإنسان لا يزال لم يتأثر بخطورة ما سمع فهو لا يزال لم يسمع، ولكي يستعيد وظيفة السمع لابد أن يستمع إلى الأمر من جديد كأنه يسمعه أول مرة ويسمعه بتفكير وتدبر وتصور ما فيه من خطورة: ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ))^(١)، ((وَتَعْيِهَا أَذْنُ وَاعِيَةً))^(٢).

- مثل التدبر لمعاني الاذكار وإدراك المغزى الشرعي من الامر بها، فالاذكار تسمى بذلك لأنها تذكر الانسان بالخلق والآخرة، ولها معاني عظيمة تحتاج الى التدبر.

- ومثل تدبر معنى الركوع والسجود ومعنى كلام الله وتدبر معانيه.

ـ سابعاً: التذكير بحقيقة المعرفة واليقين وأثره:

وذلك حتى ينتبه الإنسان إلى أنه لا يزال لم يعرف الله والآخرة فيسعى إلى تحقيقها، وهذا الكتاب هو بيان لذلك، وتكرار قراءته تعين على تحقيق المعرفة الحقيقة.

ـ ملحوظة:

قد يؤدي التذكير إلى إحياء المعرفة من أول مرة تذكره بها أو في أحد المرات التي تذكره بها، وقد تذكره مرات كثيرة جداً فلا يتذكر ولكن يشاء الله في أحد المرات أن يتذكر، وقد لا ينفع معه التذكير مطلقاً مهما حدثته عن معلومات هائلة عن الخالق وعن الآخرة وأفهمته المعاني فلن يتاثر ومهما تعرض لمواقف مؤثرة أو سمع مواعظ مؤثرة.

٣٧: (١) ق: (٢) الحaque: ١٢

- فهناك تفاوت كبير بين الناس، فمن الناس من يتعرض لموقف مثل موت قريب له أو يستمع لمواعظة ذات مرة ف تكون سببا في إحياء المعرفة عنده و هدايته وتتغير بذلك حياته كلها ومن الناس من لا يتأثر إلا بعد مرات كثيرة من الموعظة ليفيق من غفلته ومن الناس من لا ينفع معه التذكير مطلقا.



الفصل الثامن عشر

هل الغيبات مرعبة ورائعة وتدعوا إلى شدة التأله والتعلق بها؟

- قد يسأل سائل: هل صفات الخالق والحياة في الآخرة تدعوا للتحير والتعجب والشعور بالمهابة وانشغال البال؟ والجواب: وهل هناك شيء بعد الله والآخرة يدعوا للتحير والتعجب والشعور بالمهابة وانشغال البال؟

- لو افترضنا أن الناس يرون الغيبات من حولهم، فهم يرون الملائكة تسير حولهم ويرى كل واحد قرينه من الجن يسير معه، وكذلك يرون الله ويرون الكرسي والعرش ويرون الجنة ويرون الحور العين التي تطل من نوافذ الجنة، ولكن كان هناك إنساناً أعمى يعيش وحوله الناس بمصرون، والناس يقولون له حولك الآن ملائكة هائلة مخيفة ويسيرون معك الآن قرین من الجن ويراك الخالق فبماذا يشعر هذا الأعمى؟ إنه يشعر بالرعب والرعب والخوف وربما ما استطاع أن ينام وهمه منشغل بهذا الأمور المذهلة.

- لقد خلق الله الناس ومنعهم من رؤية الغيبات من حولهم ليختبرهم: ((لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ))^(١).

- ومن ضمن الأمور المرعبة أن يكون أمامك شيء خطير وأنت ممنوع من رؤيته فهذا أيضاً أمر يدعوا إلى الدهشة والرعب من قدرة الله على منع عينك أن تراه، وبخاصة إذا كان ذلك الشيء هائلاً ومرعباً، وكون ذلك الشيء غيببي لا تراه فهذا يزيد من الإثارة والقلق والخوف والحيرة والدهشة، فالملائكة والجن حولك وأنت لا تراهم، فهذا أمر معجز خارق للعادة.

(١) ق: ٢٢

- إذا كانت رؤية الغيبات تؤدي إلى تأثر شديد وذهول، فعدم الرؤية لا يغير من حقيقة وجود الغيبات شيئاً فلماذا لا تتأثر بها؟

- والإنسان مهما كان يقينه ففي يوم القيمة سوف يكتشف أن حجم الألم أو اللذة كان يفوق كل تصوراته عندما يرى الملائكة ويرى الجنة والنار ويجد أن الدنيا قد انتهت وأنها ليست بشيء على الإطلاق!، فهو عندئذ يعلم الحقيقة واضحة ولكن بعد فوات الأوان، فالناس في غفلة فإذا ماتوا انتبهوا، ففي اللحظة التي يموت فيها الإنسان فإنه يرى الملائكة ويرى الأهوال ويعلم أنه كان في الدنيا أعمى لا يرى شيئاً والآن أصبح يرى، وأنه كان أحمقًا لا عقل له والآن أدرك الحقائق ولكن لا يستطيع أن يعود ولو للحظة واحدة، فالغافل يرى أمر الآخرة بعيداً جداً ولا يعلم أنه في لحظة واحدة مفاجأة مباغة من ليل أو نهار قد يأتيه عذاب الآخرة فوراً: ((قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَّاكُمْ عَذَابٌ بَيَّنًاً أَوْ نَهَارًاً مَادِيًّا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرُمُونَ (٥٠) أَتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ أَمْنُثُ بِهِ آلَانَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ))^(١).

- وجود الملائكة والجن من حولنا يدعوا إلى الدهشة والذهول لما فيه من الإثارة:

- ربما تسمع أسطير عن إنسان رأى عفاريت وأشباح أو أن مكاناً معيناً مسكوناً بالعفاريت، هذه أمور مرعبة، فالملائكة من حولنا الآن أشد رعباً من هذه العفاريت فضلاً عن أنها حقيقة، فأي عاقل يومن بأنه يعيش وحوله كائنات أكثر رعباً من العفاريت ثم لا يشعر بالقلق والخوف من مهابتها، وأي عاقل يومن بأنه سوف يرى هذه الملائكة ويرى الأهوال يوم القيمة ثم لا يشعر بالقلق والخوف من مهابة الأمر!

- وجود كائنات تختلف عن البشر ولا يراها الناس ولها قدرات هائلة هو أمر مدهش وعجيب ومذهل، لكن بالنسبة للغافل هو أمر عادي؛ لأنه في حقيقة الأمر هو يجهل هذا الأمر.

- وهذه الكائنات عجيبة من حيث تكوينها وصفاتها وقدراتها ومن حيث وجودها معنا ومن حيث أنها لا نراها، لكن كل هذا لا يثير انتباه الغافل

(١) يونس: ٥٠ ، ٥١

عنها، وهو يعيش كأنها كالعدم أو كأنها كائنات عادية جدًا وليس فيها أمور تدعو للدهشة، وذلك رغم يقينه التام بوجودها.

- لو قيل لك أن هناك اثنين من الكائنات الفضائية العملاقة يسيران معك في كل لحظة وهمما في حالة اختفاء فلا تستطيع رؤيتهم ويحملان كاميرات مراقبة خفية ويسجلان عليك كل حركة وسكنه وكل كلمة حيث تحسّب على كل شيء، إنك عندئذ تشعر بخطورة الأمر، فأنت تعيش وصورة هذه الكاميرات وهي ترصدك لا تكاد تفارق ذهنك في كل أعمالك، أما لو قيل أن هناك ملكين يسجلان عليك كل شيء فقد تنظر إلى ذلك كما تنظر إلى أمر لا قيمة له أو كأنه أمر لا يخصك فلا تشعر بأي قيمة أو خطورة لهذا الأمر فهذا يدل على أنك غافل تماماً عن وجود الملائكة معك الآن وفي كل وقت.

- وكيف تكون حياة الناس لو أن الله جعل الناس يرون الرقيب والعتيد وهمما يسيران مع كل واحد في كل لحظة؟! وهل عدم رؤية الناس لهم تغير من حقيقة وجودهم معنا شيئاً؟ وماذا أيضاً لو أن الله كشف الحجب فرأى الناس الله وهم في الدنيا؟ وهل هذا يغير من حقيقة وجود الله شيئاً؟ ولكن لا يشعر الإنسان بالمهابة من وجود الله ومن وجود الملائكة رغم وجود الاقتناع التام بوجود الخالق وجود الملائكة.

- فلابد أن يشعر الإنسان بأن وجود الجن والملائكة حقيقة واقعة حوله الآن في هذه اللحظة وفي كل وقت، ولا يمكن لإنسان عاقل أن تغيّب صورة هذه الملائكة والشياطين وهي تعيش معه وتلازمه عن ذهنه أبداً.

- تصور لو أن الناس ترى الملائكة حولها وفي الطرقات لصعق الناس جمِيعاً وماتوا من هول ما يشاهدونه، ففي تفسير الخازن: ((ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً}) يعني ولو أرسلنا إليهم ملكاً لجعلناه في صورة رجل، وذلك أن البشر لا يستطيعون أن ينظروا إلى الملائكة في صورهم التي خلقوا عليها، ولو نظر إلى الملك ناظر لصعق عند رؤيته، ولذلك كانت الملائكة تأتي الأنبياء في صورة الأنس، كما جاء جبريل إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) في صورة دحية الكلبي، وكما جاء الملكان إلى داود عليه السلام في صورة رجلين، وكذلك أتى الملائكة إلى إبراهيم ولوط عليهما

السلام، ولما رأى النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) جبريل في صورته التي خلق عليها صعق لذلك وغشى عليه^(١)، وفي تفسير الثعالبي: ((لما توا من هول رؤية الملك في صورته))^(٢)، أي يموت الإنسان من شدة الرعب والفزع من رؤية هذه المخلوقات المرعبة جداً الهائلة في ضخامة خلقها.

- لماذا ت الخاف الملائكة من الله؟ إنها ت الخاف من هيبة الله تعالى: ((وَيُسَيِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ))^(٣)، وهذا الخوف يؤدي بهم إلى عمل دائم هو أنهم يسبحون الله تعالى، وفي الحديث: ((مررت ليلة أسرى بي بالملأ الأعلى وجبريل كالحلس البالي من خشية الله))^(٤)، و(الحلس) هو كساء رقيق يوضع على ظهر البعير تحت السرج، إن الملائكة عرفت عظمة الله وعظمته قدره وعظمته قدرته معرفة حقيقة أدت إلى الشعور بالمهابة والحب لله، وأنت أيضاً إذا كنت تعرف قدرة الله معرفة حقيقة فلابد أن ينشأ عن ذلك الشعور بالمهابة والحب لله تعالى.

- فالملائكة والجن مثلاً ليسوا مصنوعين من مادة كالهواء بحيث لا تراها ولكن المشكلة عندك هي أن عينك ممنوعة من رؤية الملائكة والجن الموجودين معك الآن وأنت تقرأ هذه السطور.

- وجود الخالق معنا بقدرته وبرؤيته لنا في كل لحظة يدعو إلى الدهشة والذهول لما فيه من الآثار:

- لو افترضنا أن هناك رجل مسلح بكل أنواع الأسلحة وكان في غاية القوة وهو يسير معك في كل لحظة فأنت تحت مراقبته الدائمة وتحت قدرته فيفعل بك ما يريد فبماذا تشعر؟، إنك تشعر بالرهبة والخوف دائماً.

- ولكن إذا ابتعد عنك هذا الرجل فإنه لا يستطيع أن تصل رؤيته لك ولا أن تصل قدرته عليك.

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (٩٩ / ٢) (١٠٠)

(٢) تفسير الثعالبي - مؤسسة الأعلمي (١ / ٥٠٧)

(٣) الرعد: ١٣

(٤) تحقيق الألباني: حسن (انظر حديث رقم: ٥٨٦٤ في صحيح الجامع).

- الله سبحانه تصل رؤيته إليك وإلى كل الناس وتصل قدرته عليك وعلى كل الناس كأنه مع كل الناس ذاته، فلا تستطيع أن تهرب من علمه بك وقدرته عليك: ((وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ))^(١)، فلابد أن تشعر تجاه الخالق بنفس الشعور تجاه الرجل المسلح الذي يسير معك في كل لحظة بل أكثر بكثير.

ـ صفات الخالق كالقدرة والملكيـة والانعام هي صفات مذهلة جداً وتدعـو إلى التـأله وشـدة التـعلق:

- لا يزال الإنسان لا يعرف معنى (الخالق) ولا يزال لا يومن به حتى يتأثر قلبه وجوارحه به فيتعلق به بقلبه وجوارحه ويذوق تعلقه وغزوره بنفسه فيخضع لأنـه لا يمكن لـإنسـان عـاقـل يـعـرـف مـدى قـدرـةـ الخـالـقـ وـمـدىـ عـلـمـهـ وـمـدىـ مـلـكـهـ وـمـدىـ خـضـوعـ إـلـاـنـسـانـ كـوـنـيـاـ تـحـتـ أـمـرـهـ وـمـدىـ اـنـعـامـهـ وـيـوـقـنـ بـذـلـكـ ثـمـ لاـ يـتـعـلـقـ بـهـ بـقـلـبـهـ وـجـوـارـحـهـ،ـ فـإـذـاـ كـانـ عـاقـلاـ وـمـوـقـتاـ وـلـمـ يـتـأـثـرـ فـذـلـكـ لـأـنـ اللهـ طـبـعـ عـلـىـ قـلـبـهـ فـأـبـطـلـ مـعـرـفـتـهـ أـوـ أـنـهـ تـجـاهـلـ الخـالـقـ وـلـمـ يـتـدـبـرـ وـيـتـذـكـرـ مـعـنـاهـ وـتـجـاهـلـ السـعـيـ لـلـوـصـولـ لـرـضـاهـ وـجـنـتـهـ فـحـصـرـ عـقـلـهـ وـسـعـيـهـ وـرـاءـ دـنـيـاـ فـانـيـةـ.

- المعرفة النظرية بالله موجودة عند جميع الناس، أما المعرفة الحقيقة فهي التي تؤثر على مشاعر الإنسان وحياته، لذلك يقول شيخ الإسلام ابن القيم: ((معرفة الله تعالى نواعن، النوع الأول: معرفة واقرار، وهي التي اشترك فيها الناس، البر والفاجر، والمطبع والعاصي، النوع الثاني: معرفة توجب الحباء منه، والمحبة له، وتعلق القلب به، والشوق إلى لقائه، وخشيته، والإنبابة إليه، والأنس به، والفرار من الخلق إليه. وهذه هي المعرفة الخاصة الجارية على لسان القوم، وتفاوتهم فيما لا يحصيه إلا الذي عرفهم بنفسه، وكشف لقلوبهم من معرفته ما أخفاه عن سواهم، ... ولهذه المعرفة بابان واسعان: باب التفكير والتأمل في آيات القرآن كلها، والفهم الخاص عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. والباب الثاني: التفكير في آياته المشهودة، وتأمل حكمته فيها، وقدرته ولطفه، واحسانه

^(١) (الحـيـدـ):

وعدله، وقيامه بالقسط على خلقه. وجماع ذلك: الفقه في معاني أسمائه الحسنى، وجلالها وكمالها، وتفرّده بذلك، وتعلقها بالخلق والأمر)(١).

الخلود في لذات لا نهائية أو عذاب رهيب يدعو إلى أن يعيش الإنسان حياته في تأثر شديد بالأمر:

- كل لذات الدنيا وألامها ليست بشيء أمام لذات وألام الآخرة، وعودة الإنسان إلى شباب دائم وبلا موت أو مرض في قصور مبنية من الذهب والفضة فيها نساء فاتنات وخمور وكل ألوان السعادة فوق كل التصورات ولا تخطر على بال بشر هو أمر مذهل، وسنوات العمر الطويلة في الدنيا ليست بشيء أمام الخلود في الآخرة، والأخطر من كل هذا هو قدرة الخالق وعلمه الهائل وجوده معنا بقدرته وعلمه (وليس بذاته) والأخطر أننا لا نراه رغم أنه يرايانا ويحيط بنا بقدرته وعلمه الهائل ولسنا إلا جزءا من ملكه وكل أمرنا بيده وكل ما عندنا وحولنا هو الذي خلقه وتحت أمره، إذن كل هذا إذا لم يؤثر في مشاعر الإنسان فيتعجب أشد العجب ويمتلأ بالحب والخوف والرجاء ويعيش خاضعاً معتزاً ومستسلماً لقدرة الخالق سبحانه، فإذا لم يؤثر كل هذا على مشاعر الإنسان وحياته فهذا معناه أنه لا يعرف الخالق ولا الآخرة معرفة حقيقة.

عذاب القبر وسؤال الملkin يدعونا إلى الدهشة والذهول لما فيه من الإثارة ويدعونا إلى الخوف:

- أنت تؤمن تماماً بعذاب القبر وسؤال الملkin، لكن لو قام إليك أحد الموتى ليخبرك بما كان من سؤال الملkin وعذاب القبر فتقول له وأنت بارد القلب: أنا أعرف ذلك وأكثر منه، فلو جاء بعصاة وضربك بها لكان محظياً ويقول لك: أنت ليس لديك أي تصور عن عذاب القبر؛ لأنك لا تشعر بمدى خطورة هذا الأمر وألم هذا العذاب.

(١) الفوائد لابن القيم طـ أخرى (ص: ١٨٦، ١٨٧) - المصدر: الشاملة الذهبية

- فإذا لم يحدث لك خوف مهابة من عذاب القبر وسؤال الملkin فأنتماما مثل الذي لم يسمع عن شيء اسمه عذاب القبر أو سؤال الملkin ب رغم وجود اليقين بذلك.

- قدرة الله على البعث تدعوا إلى الدهشة والذهول لما فيها من الآثار:

- لو أن إنساناً مات منذ سنين وبلغ جسمه ثم أخبروك أنه سوف يقوم حيًّا يسعى إليك وتراه وتتحدث معه، إنه أمر مرعب يجعلك ترتعش وتخاف، وسبب هذا الرعب أن ذلك الأمر خارق للأسباب، إن هذا الأمر سوف يحدث بالفعل لجميع الناس ولكن أنت ستكون واحداً من هؤلاء الذين يقومون بعد أن ماتوا وفنيت أجسامهم، إن هذا الأمر حقيقة فعلية وقادمة قريباً، فإذا لم تتحير وتتعجب من مدى قدرة الله على إحياء الأموات وتشعر بالمهابة من البعث ويتأثر همك بهذا الحدث المنتظر القريب الهائل حينما تقوم من موتك ويقوم معك كل الناس فهذا معناه أن قضية البعث ليس لها قيمة في مشاعرك، فأنت غافل عنها كأنها لن تحدث على وجه الحقيقة، فالبعث والحياة في الآخرة هي أخطر قضية في حياة أي عاقل، فلماذا لا يشغل بها عقل الإنسان ويشعر بالمهابة؟ ذلك لأنه لا يزال جاهلاً لا يعرف البعث والآخرة تماماً مثل الجاهل الذي لم يسمع عن شيء اسمه البعث أو الآخرة.

- بل إنك كنت ميتاً ثم أحياك الله، فكنت نطفة ميتة لا روح فيها في رحم أمك ثم نفخ الله فيك الروح فأصبحت حيًّا، وهذا ما تراه كل يوم لجميع الناس حيث يخلق الله الأطفال في الأرحام من نطفة لا قيمة لها وينفخ فيها الروح، إن ذلك أشد عجباً وغرابة وليس سحراً ولكنه حقيقة وخرق للأسباب، فلماذا لا تشعر بالتحير والتتعجب من مدى عظمة الخالق وقدرته فتشعر بالاستسلام والخضوع لقدرة الله: ((قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ))^(١)، ولماذا لا تشعر بضعفك وضلالك

(١) عبس: ١٧

حيث يفعل الله بك ما يشاء فيحييك ثم يميتاك ثم يحييتك؟ ((كَيْفَ تَكُفُّرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيْكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ))^(١).

- والزروع تراها أمام عينك بذور ميّة تتحول إلى أشجار حيّة تتنفس وتكبر ثم تموت، فإذا لم يؤثر كل هذا في الإنسان فيشعر بالرهبة من أمر البعث وخطورته ويشعر بالخضوع والاستسلام لله، فهذا معناه أنه لا يزال لا يعرف خطورة معنى البعث ولا الآخرة.

- فلو أن إنساناً وضع في يده حفنة من التراب ثم قال لك انظر إلى هذا التراب فلما نظرت إليه وجدته يتحوّل إلى برتقالة! إنك تقول إن هذا الإنسان ساحر، إن هذا الأمر يحدث بالفعل ولكن الساحر هنا ليس إنساناً ولكنه بذرة البرتقال حيث تستطيع بذرة شجرة البرتقال أن تستخدم تراب الأرض وتحوله إلى برتقال! وهكذا كل النباتات والزروع، وفي الحقيقة فإن بذرة البرتقال ليس لديها القدرة على عمل ذلك، ولكن هناك قوة خارجية خفية هي التي تمكن بذرة البرتقال من هذا العمل، فالبذرة هي جماد تحول إلى كائن حي (نبات): ((فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِيُ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))^(٢).

- الذي يعيش للأخرة يتعامل مع البعث والآخرة على أنها حقيقة واقعة وجد لا هزل فيه وخطر محقق، والذي يعيش للدنيا يتعامل مع البعث والآخرة كأنها لعب أو أمر غير مهم ولا يأخذهاأخذ الجد ويتفاوض عنها رغم اليقين بها.

الحياة في الآخرة تدعو إلى الدهشة والذهول لما فيها من الآثار:

- إن كلمة الآخرة تعني المصير المرعب والمخيف الذي أنت مقبل عليه، وتعني الأهوال العظيمة، فلماذا لا تشعر بالمهابة والقلق من أهوال القيمة؟، فمن أسماء الآخرة (يوم الحسرة) و(يوم الزلزلة) و(يوم تشخيص

(١) البقرة: ٢٨

(٢) الروم: ٥٠

فيه الأ بصار)، و(الغاشية)، وفي تفسير البحر المحيط: ((هل أتاك حديث الغاشية}) والغاشية: الظاهرة التي تغشى الناس بشدائدها يوم القيمة)^(١)، ((يوماً يَجْعَلُ الْوَلْدَانَ شَبِيًّا))^(٢)، إن الآخرة هي أخطر شيء في حياة الإنسان، وأهواه القيمة من أشد ما يمكن ومن أخطر ما يمكن، وما نشعر به من ذلك الخطر لا يساوي واحد على مليون من خطورة الآخرة، فالأمر يقابل البعض ببرود في حين مع أي أمر من أمور الدنيا تجد المشاعر تتفاعل والخوف شديد، وانظر إلى شدة خوف الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين والصالحين من الآخرة، فلو جاء إلينا إنسان من الآخرة فرأى حالنا لأصابته سكتة قلبية من حال البعض وبرود أصابعهم تجاه هذا الخطر المدقق، انظر كيف يعبر القرآن عن هذا الخطر: ((يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذَهَّلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُّ كُلُّ ذَاتٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ))^(٣)، فهل رأيت إنساناً أصابه السُّكُر من شدة العذاب؟، إن ما يحدث في الآخرة هو أغرب من الخيال، وهو حقيقة وليس خيالاً، فلا بد أن تشعر بمدى ما أنت مقبل عليه، وكيف لا يهتم إنسان بأن يشعر بما هو مقبل عليه.

- إن الطالب إذا دخل الامتحان فمن هول الموقف قد يتلعنتم ولا يستطيع الإجابة، وبعض الناس إذا تعرض لصدمة شديدة فإنه قد يفقد الذاكرة، فنحن في الدنيا في حالة امتحان عصيّ على رقّيب وعندك لكننا غافلون عنه.

- جاء في تفسير المحرر الوجيز: ((يُوْمَ يَجْمِعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجْبَتْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا))^(٤) واختلف الناس في معنى قولهم عليهم السلام {لَا عِلْمَ لَنَا} فقال الطبرى: ذهلو عن الجواب لهول المطلع، وذكر عن الحسن أنه قال: لَا عِلْمَ لَنَا مِنْ هُولِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وعن السدي أنه قال: نَزَلُوا مِنْ لَا

(١) البحر المحيط في التفسير (٤٦١ / ١٠)

(٢) المزمل: ١٧

(٣) الحج: ٢

(٤) المائد: ١٠٩

ذهلت فيه العقول فقالوا: لا علم لنا، ثم نزلوا منزلا آخر شهدوا على قومهم، وعن مجاهد أنه قال: يفزعون فيقولون لا علم لنا^(١).

- وفي الحديث: ((تُحشِّرونَ حُفَّةً عُرَّاً غُرْلَا فَالْتَّ عَائِشَةَ: فَقَالُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ فَقَالَ: الْأَمْرُ أَشَدُ مِنْ أَنْ يُهَمِّهُمْ ذَالِكِ))^(٢)، وذلك من شدة الخوف من هول الموقف.

- إن الذي يقف أمام القاضي ينتظر حكم المحكمة هل يحكم عليه بالسجن أم بالبراءة فهو قلق جدًا لدرجة أنه قد لا يستطيع الوقوف على رجليه فيجلس على ركبتيه من هول الترقب والانتظار وليس من التعب، ففي أيسير التفاسير: ({وترى كل أمة جاثية}): أي كل أمة ذات دين جاثية على ركبها تنتظر حكم الله فيها)^(٣)، وفي تفسير الخازن: ({وترى كل أمة جاثية} أي باركة على الركب وهي جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء، قال سلمان الفارسي: إن في القيامة ساعة هي عشر سنين يخر الناس فيها جثة على الركب حتى إبراهيم ينادي ربه لا أسألك إلا نفسي)^(٤)، وفي تفسير الخازن أيضًا: ({وترى كل أمة جاثية}) قلت وصفوا بالجثو على العادة المعهودة في مواقف المقالات والمناقلات، وذلك لما فيه من القلق مما يدهمهم من شدة الأمور التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيجثون على ركبهم جثوا^(٥).

- إن تصور لحظة واحدة من الحياة في القبر أو الحياة في الآخرة يجعل الإنسان ينسى الحياة الدنيا، وبالتالي فالعاقل هو الذي يتوجه تفكيره واهتمامه وتتصوره إلى الحياة في الآخرة وليس الدنيا.

- وكان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا خطب على المنبر فذكر الآخرة تحركت مشاعره وانفعل بشدة ففي الحديث: ((وكان إذا ذكر الساعة

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢٥٦/٢)

(٢) صحيح البخاري: (٦٥٢٧)

(٣) أيسير التفاسير للجزائري (٣٩/٥)

(٤) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (١٢٥/٤)

(٥) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (١٩٣/٣)

احمرت وجنتاه وعلا صوته واشتد غضبه كأنه نذير جيش يقول صبحكم مساكم))^(١).

الفارق بين الخيال والسحر وبين الغيبيات:

- الفارق في أمرين هما:

١- الغيبيات أغرب وأعجب من الخيال والسحر، فمثلاً الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، والله يقول للشيء كن فيكون ولا يعجزه شيء.

٢- الغيبيات حقيقة، أما الخيال والسحر فهو وهم.

- إن الآخرة فوق مستوى الخيال وأشد رعباً من كابوس مرعب وأشد رعباً من رؤية أشباح وأعجب من السحر، لكن الآخرة في مشاعر البعض هي عالم عادي جداً لا خطورة منه ولا مشكلة فيه مثل حواديت، فمثل هؤلاء يفاجئون بعد الموت بعالم حقيقي أخطر وأغرب وأعجب من هذه الأشياء، فيرون الملائكة ويفاجئون بالحساب والجنة والنار؛ ففي تفسير التيسير: ((وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبَلِّسُ الْمُجْرُمُونَ} أي تصيبهم الحيرة والذهول، لأنهم لم يكونوا يتوقعون قيام الساعة أبداً، يقال: (أبلس الرجل) إذا سكت وانقطعت حجته ولم يؤمل أن تكون له حجة))^(٢).

- عندما يرى الإنسان كابوساً مرعباً فإنه قد لا ينام عدة أيام؛ لأنه كلما نام رأى الكابوس، ويكون في حياته قلقاً متوتراً خائفاً منزعجاً وصورة الكابوس لا تفارق عينه ولا يستطيع أن ينساها، فالآخرة أشد في خطورتها من أي كابوس؛ لأن فيها أهواً أشد من أي كابوس، فضلاً عن أنها حقيقة وليس كابوساً، فالذى يعرف خطورة معنى الآخرة لا تفارق صورة الآخرة ذهنه.

- الغيبيات هي أغرب من الخيال والسحر، فلو كانت الجنة خيال أو حدوثه لما صدقها أحد، لأنه كيف لإنسان أن يعيش بلا موت ولا مرض ولا

(١) قال الشيخ اللبناني: صحيح (سنن النسائي) ج: ٣، ص: ١٨٨، برقم (١٥٧٨).

(٢) التيسير في أحاديث التفسير (٢٦ / ٥)

شيخوخة وفي متع لا تحصى؟!، فما بالك والجنة حقيقة وليس خيالاً، والقضية ليست في التصديق فقط ولكن في شعور الإنسان بهذا العجب العجاب وتأثير هذا الأمر المدهش على مشاعره وانفعالاته وتصرفاته وترقبه طوال عمره لهذا الكنز الحقيقى الذي هو أعظم من الكنوز التي تذكرها القصص والخيالات.

- فالذى يتعامل مع الجنة في بروء تمام هو في حقيقة أمره مغيب عن الوعي.

ـ الحياة عند لحظات وقوع الخطر:

- عندما تقع كارثة معينة أو توشك أن تقع أو عندما يتعرض الناس لخطر معين ما الذي يحدث؟، إن الناس يعيشون لحظات الخطر في رب وخوف وهلع وترقب لما يمكن أن يحدث، كل الناس يتربكون عملهم ولعبهم ويتوقفون عن الطعام والشراب ولا ينشغلون بأمور الدنيا مطلقاً، منهم من يجري ومنهم يموت من هول الصدمة ومنهم من يصاب بالهستيريا.

- السنوات التي نعيشها في هذه الحياة ولو كانت مائة سنة ليست إلا لحظات وقوع الخطر، والخطر الذي نتعرض له هو أننا الآن مسافرون في لحظات إلى الآخرة بكل ما فيها من أحوال لنعيش فيها حياة أبدية وبراءة، وكذلك الخطر الهائل جداً الذي هو قدرة الله وعلمه ومراقبته لنا، فقدرة الله معنا في كل مكان أينما ذهبنا ولو في الحصون والمخابئ المحسنة، وقدرة الله هائلة جداً فهي أمر مخيف ومرعب، وكذلك علم الله ومراقبته لنا ورؤيته لنا في كل مكان ولو في الظلام ولو داخل الحجرات المغلقة، نحن نعيش في حصار تمام ونخضع لهيمنة تامة لنستطيع أن نفلت أو نهرب.

- أعمال الدنيا كلها عند لحظة وقوع الخطر ما هي إلا لعب ولهو، والدنيا ما هي إلا لحظات الخطر، والعجيب أن هناك نائمون وآخرون يلعبون والخطر يحيط بهم فهؤلاء لا عقل لهم فقد ماتت عقولهم، وهناك آخرون قد أخرجوا كل أعمال الدنيا من قلوبهم وشمروا سوادهم ولاذوا بالفرار



في رعب وخوف لا يأمونون ما الذي يمكن أن يحدث لهم أو يصيّبهم من هذا الخطر الهائل، فهو لاءٌ هم أصحاب العقول وهو لاءٌ هم أولوا الألباب: ((أَفَمِنْ أَهْلُ الْقُرْيَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِأَسْنَانَ بَيَّانًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوْ أَمِنْ أَهْلُ الْقُرْيَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِأَسْنَانٍ ضُحْيَ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَمِنْهُمْ مَكْرُ اللَّهِ فَلَا يَأْمُنُ مَكْرُ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ))^(١).

- لو قالوا لك أن الكرة الأرضية معرضة لخطر ما محقق ووشيك مثل نزول نيزك ضخم يحطم الأرض أو تعرض الأرض لأشعة تهلك البشر وأن هذا الخطر حقيقة سوف تقع، فماذا يمكن أن يكون سلوك الناس عندئذ؟، هل يكون همهم مشاغل الحياة والأكل والشرب والبحث عن الشهوات والذهب للعمل أم يكون همهم مُنصَّبًا على هذا الأمر الذي سوف يهلك البشرية كلها، إن هذا الخطر واقع فعلاً وهو أنك سوف تموت قريباً وسوف يموت كل البشر وسوف تدمر الأرض وكل الكون، فلماذا لا يشغل هذا الأمر بالناس ويفكرُون فيه؟ ذلك لأنهم يتجاهلونه بينما يفكرون ويهتمون بأمور الدنيا.

- وكذلك لو حدث حدثٌ كوني كبير ثم قيل إن القيمة سوف تقوم الآن مثلاً، فماذا يمكن أن يفعل الناس؟ إنهم لن ينشغلوا بأي أمر من أمور الدنيا وسوف يهرون إلى الصلاة والعبادة خائفين وجلين متربّين الآخرة: ((اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفَلَةٍ مُعْرَضُونَ))^(٢).

- أثر اليقين بالغيبيات هائل جداً:

- قدرة الخالق خارقة لا حد لها ومحيطة بالإنسان، وسمعه وبصره محبط بالإنسان، فمجرد أن يعرف الإنسان بقدرة الخالق فسوف يتاثر ذهنه ومشاعره وعمله تأثراً شديداً وربما لا ينام ولا يشغل باله طوال حياته بغير ذلك، فإذا لم يحدث ذلك التأثر الشديد فهذا معناه وجود خلل في الإنسان فهو مجنون أو لا يعقل أو هو يتناهى الخالق فيصبح كأنه لم يسمع عن الخالق.

(١) الأعراف: ٩٧ - ٩٩

(٢) الأنبياء: ١



- ولو افترضنا أن الله لا يعاقب الإنسان سواء في الدنيا أو الآخرة ولا يعطيه ثوابا لا في الدنيا ولا في الآخرة فهل ينقطع تأثر ذهنه ومشاعره وجوارحه بقدرة الخالق؟، إنه سوف يخاف من مهابة قدرة الخالق بشدة وسوف يمتلا قلبه بحب الخالق اعجابا بقدرته وحبا لإنعامه فلا يحب شيئاً سواه وسوف يشغل همه بقدرة الخالق فلا هم له غير ذلك لعظم قدرته، وسوف يعيش حياته لله من شدة حبه له، كل هذا ولا توجد أي علاقة نفع أو ضرر من الخالق له.

- فتأثير المعرفة بالخلق والأخرة هو أمر خطير جدا، فالطبيعي أنه بمجرد أن يعرف الإنسان بوجود الخالق والأخرة فإن حياته كلها من مشاعر وأهداف وطموحات وسلوك وتصيرفات وانفعالات وفرح وحزن وغضب وأخلاق وكلام ونية وعمل سوف تتأثر تأثرا كبيراً، وسوف تتغير حياته بزاوية مائة وثمانين درجة.

- ولكن لأننا نعيش في زمن الغفلة فقد يتعجب الإنسان ويسأل وهل الغيبيات خطيرة جدا إلى هذه الدرجة؟، وسبب هذا السؤال أنه غافل وليس لديه تصور لمدى خطورة الأمر، وطالما أن الإنسان لا يزال لم تتأثر مشاعره بالغيبيات فهو لا يزال لم يحقق المعرفة الحقيقية، وربما كان مننوعاً من تحقيق المعرفة الحقيقية فذلك هو المعرفة الكاذبة وعندئذ مهما سمع عن الغيبيات طوال عمره فلن يحقق المعرفة الحقيقية وبالتالي لن يحقق أثر هذه المعرفة.

- فالمشكلة أن الكثير من الناس لا يعلمون أن مجرد المعرفة الحقيقية بالخلق والأخرة هو أمر خطير جداً ومؤثر جداً إلى هذه الدرجة، لكنهم سوف يعلمون ذلك عندما يجدون أنفسهم واقفين على أرض المحشر في الآخرة.

- فإذا لم تتأثر حياة الإنسان بالله والأخرة بهذا التأثر الكبير جداً، أو كان تأثيرها قليل أو شكلياً في بعض المظاهر فهذا يدل على أن المعرفة كاذبة واليقين كاذباً وحقيقة الإنسان عندئذ أنه كالجاهل تماماً.

- اليقين الحقيقى بالآخرة يؤدى إلى أن يعيش الإنسان حياته من أجل الإعداد للآخرة، ف تكون حياته كلها كالذى يرتب أموره ويعد حقائبه ويجهز نفسه ويستعد للرحيل، فلا يعيش حياة المقيم، وإنما حياة الإعداد والترتيب والاستعداد النفسي والتأهب للمرحلة القادمة الخطيرة.

- عندما يشعر الإنسان بالآخرة فإن حساباته في الحياة سوف تختلف تماماً، وإنه سوف يسقط أمور الدنيا والناس من حساباته؛ لأنه يشعر أن الدنيا ضئيلة، ويشعر بأن السعادة إنما هي في الجنة، ف تكون الجنة هدفه وطموحه وغايته ومستقبله؛ لأنه سوف يشعر بأن الحياة التي نعيشها الآن بكل ما فيها من الأعمال الضخمة هي حياة كاذبة ومجرد لعب ولهم مثل لهو ولعب الأطفال: ((وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوَ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهُيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ))^(١)، فالمكان الطبيعي لمعيشة البشر ليس الكرة الأرضية وإنما هو الآخرة، والكرة الأرضية ليست إلا مكاناً هبط إليه آدم ليتم اختباره وذريته ثم يعودون إلى حيث ديارهم وأهليهم وأوطانهم في الآخرة، أما إذا ظل الإنسان غافلاً تلهيه الدنيا فغداً سوف يشعر بالآخرة حين لا ينفع الندم: ((يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّ لَهُ الذِّكْرَى))^(٢).

(١) العنكبوت: ٦٤
(٢) الفجر: ٢٣ ، ٢٤

الفصل التاسع عشر

اليقين الحقيقى بضاللة الدنيا وخطورة الآخرة

- اليقين الحقيقي بالبعث ولقاء الله والحساب وما يحدث في أرض المحشر معناه خوف المهابة وانشغال الهم بهذه الأمور لأنه لا يوجد ما هو أخطر منها، واليقين الحقيقي بالآخرة بالنظر إلى الثواب والعقاب معناه التعلق بالآخرة، أي وجود العناصر الأربع للتعلق.

- اليقين الحقيقى بالبعث:

البعث معناه إحياء كل البشر من جديد، وهذا يبين مدى قدرة الله تعالى ومدى ضعف الإنسان الذي لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الموت ولا يستطيع أن يعيده لنفسه الحياة، فالبعث أمر رهيب.

فاليقين الحقيقى بالبعث معناه خوف المهابة من البعث ومن قدرة البعث، وانشغال أكبر الهم بالبعث وبقدرة البعث، وتعلق المشاعر والجوارح بالبعث، وعدم وجود هذه الأمور معناه أن اليقين بالبعث كاذب.

- اليقين الكاذب بالبعث:

– عدم وجود خوف المهابة من البعث معناه أن الإنسان لا يبالي بأمر البعث وينظر إليه نظرة اهمل، ففي تفسير السراج المنير: ((وقال الذين لا يرجون لقاءنا} أي: لا يخافون البعث، قال الفراء: الرجاء بمعنى الخوف لغة تهامة، ومنه قوله تعالى: {ما لكم لا ترجون الله وقاراً} (نوح، ١٣) أي: لا تخافون الله عظمة)).^(١)

- عدم وجود خوف المهابة من البعث معناه الاطمئنان بالدنيا فهو لا يجد في المعيشة في الحياة الدنيا شيئاً يدعو إلى القلق وبالتالي فهو راضي بها وفرح بها ومسرور بها، فهو يشعر بالاستقرار في الدنيا ويعامل مع

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معانٍ كلام ربنا الحكيم الخبير (٦٥٥/٢)

الدنيا على أن معيشته فيها، فهو بذلك جعل الدنيا دار مقر وليس دار ممر وارتحال، وهو بذلك يقول بلسان حاله أن الحياة إنما هي في الدنيا رغم أنه يومن بأن الحياة إنما هي في الآخرة، وهو بذلك لا يرجو الآخرة رغم يقينه بالآخرة: ((إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَأَطْمَأَنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ آيَاتِنَا غَافِلُونَ، أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ))^(١)، أما المؤمن فيشعر بأنه غريب عن هذه الحياة؛ لأنها ليست وطنه، فهو غير مطمئن بها ولا يألف المعيشة فيها؛ لأنه يعيش بين غراء وينتظر الرحيل إلى وطنه وأهله.

- عدم الشعور بالقلق وتوقع الموت في أي لحظة معناه أنه لا يزال لا يعرف أن الموت قد يأتي بغترة في أي لحظة، وهذا معناه أنه مطمئن بالدنيا، فالمؤمن عنده استعداد نفسي لأن يترك أهله وزوجته وأولاده وأصحابه ووطنه وأعماله التي تعود عليها وماله وكل شيء، وهو يشعر أن ذلك وشيك وسوف يحدث خلال أيام قليلة هي ما بقي له من أيام الدنيا القليلة.

-. خوف المهابة وانشغال الهم بقضية الانتقال إلى حياة جديدة:

- انتقال البشر جميعهم من الحياة على هذه الكرة الأرضية إلى حياة أخرى من جديد في مكان آخر غير كوكب الأرض هو أمر خطير ومثير ومؤثر جدًا ويدعو إلى الدهشة والذهول لما فيه من الآثار وبالتالي انشغال الهم وتتأثر المشاعر والجوارح بإعداد العدة لما بعد هذا السفر، لكن ذلك عند البعض هو أمر عادي جدا لا شيء فيه غريب أو يدعو للدهشة والعجب، فأنت مهاجر إلى حياة غير الحياة التي تعيشها الآن وسكن غير السكن الذي تسكن فيه وطعام غير الطعام الذي تأكله.

- لو قيل لك أنه قد تحدد لك موعد سفرك من أرض الدنيا إلى أرض المحشر بعد شهر من الآن، وأن جواز سفرك قد تم التأشير عليه بالهجرة من الدنيا بلا عودة، إن هذا الأمر عندئذ سوف يشغل تفكيرك ليلاً ونهاراً، وستظل تفكر في لقاء الله وتتهيّب الأمر حيث تقف أمامه لتجيب عليه

(١) يونس: ٧



وهو يسألك عن أعمالك، وسوف تتعامل مع أهلك والناس تعامل المودع لهم الراحل عنهم، إنه تفكير دائم وشعور بالتهيب من الأمر.

- إنه بالفعل قد تحدد لك موعد سفرك وهو قريب جدًا، وهو سفر بلا عودة فليس للإنسان أن يجرب أو يتراجع، ولكن لم يتم إعلامك به، فلماذا لا يتوجه تفكيرك إلى هذا الأمر ولماذا لا تتهيب الأمر طوال وقتك؟ ذلك لأنك تبعد تفكيرك عن هذا الأمر وتتناساه وتتجاهله وتتغافل عنه كأنك لن تسافر وترحل ولن تقابل الله نفسه سبحانه، إذن يتضح الآن أن عالم الغيب إما ليس له وجود في مشاعرك.

- كل إنسان يتربّب اليوم الذي يحقق فيه هدفه أو اليوم الذي يحدث فيه أمر خطير فيظل همه منشغلًا بهذا اليوم، فالطالب يتربّب يوم الامتحان والسبعين يتربّب يوم الإفراج، والعاقل الذي يشعر بخطورة الآخرة فإنه يعيش حياته متربّقًا يوم لقاء الله والآخرة ومتربّقًا يوم موته حيث يلقي الآخرة فيظل ذهنه منشغلًا بالتلطّع إلى يوم اللقاء المهيّب حيث تكون الدنيا لا قيمة لها.

- الآخرة واقع قادم والسفر لا اختيار فيه، فهو إجباري رغمًا عن أنفك وموعد السفر قد تحدد وهو في وقت قريب جدًا، وإذا جاء موعد السفر فلا رجعة سواءً كنت مستعدًا للرحيل أم غير مستعد ولا انتظار ولو ثانية واحدة وانتهت القضية وقد أُغلق دفتر حياتك: ((إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ))^(١).

- فهل لديك شعور بأن هذا السفر هو سفر نهائي وأنه سفر بلا عودة؟، وقد سبقك إليه الكثيرون والدور في انتظارك، والرحيل مفاجئ وفوري وبلا رجعة، فالقضية حاسمة وخطيرة ولا تحتمل التراخي ولكننا في غفلة، وغدًا تنتهي الحياة فماذا أنت صانع؟ إنها ليست موعظة ورثائق، ولكنها حقيقة ومشاعر حقيقة في النفس، يتضح الآن أن عالم الغيب ليس له وجود في مشاعرك، فمشاعرك تقول أننا لسنا في دار غربة ولسنا

(١) الطور: ٧ ، ٨

على سفر، ومشاعرك تقول: ((إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمُبْعُوثِينَ))^(١)، رغم أن الاقتناع تام بالآخرة.

- إن الذي لا يشعر بأنه مقبل على عالم آخر فإنه يعيش كأنه لن يموت، وعندما يأتيه الموت يشعر أنه هو النهاية، ولا يريد أن يموت، ويكره ممن يقبض روحه.

- إذا لم يشعر الإنسان بالمهابة والقلق من خطورة السفر إلى حياة أخرى غير عالمنا الذي نعيش فهذا يدل على أنه لا يعرف الآخرة معرفة حقيقة، وبالتالي لا يتعامل مع هذه الأمور على أنها جد لا هزل فيه وتظل هذه المعاني مجرد كلام لا يؤثر فيه؛ لأن خاصية الانتباه للأخرة قد ماتت عنه، وغداً يُفاجأ بالآخرة أمام عينه حقيقة واقعة في أقل من ثانية ولكن لا ينفع الندم.

ـ خوف المهابة وانشغال الهم بخطورة الانتقال للأخرة في أي لحظة:

- الانتقال للأخرة في أي لحظة مفاجئة هو أمر رهيب يستحق أن تخاف من مهابته ويستحق أن يشغل الهم بخطورته.

- مدة البقاء في دار الإقامة المؤقتة (الدنيا) قصير جدًا والسفر فوري في أي لحظة من ليل أو نهار فلابد أن يكون الإنسان جاهزاً بحقائب مرتدية ملابس سفره في كل وقته.

- ليست المشكلة فقط في قصر عمر الدنيا وأنها دار سفر، فالأخطر من ذلك أن الانتقال إلى الآخرة يكون في لحظة مفاجئة مباغته وبلا مقدمات وينتهي كل شيء للأبد: ((قَدْ حَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِإِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَعْثَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا))^(٢)، ((وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلْمَحُ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))^(٣)، فيفتح الإنسان عينيه فلا يجد بيته الذي كان يسكن فيه وعمله الذي كان يعمل

(١) المؤمنون: ٣٧

(٢) الانعام: ٣١

(٣) النحل: ٧٧

فيه وأهله وأصدقائه الذين أَلْفَ المعيشة معهم، فجأة يفتح عينه ليجد كل شيء قد تغير في لحظة: ((وَنُفَخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجَادِثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (٥١)) قالوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقُدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ))^(١)، فالمعرفة الحقيقة بأن الموت يأتي في أي لحظة وينتقل الإنسان للأخرة معناه الشعور بالمهابة من خطورة الانتقال إلى الآخرة في أي لحظة، ومعناه أن يعتبر الإنسان نفسه من أهل القبور، ففي الحديث عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ أَبْنَاءِ عُمَرَ: قَالَ أَخْذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِنْكِيٍّ فَقَالَ: ((كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرٌ سَيِّلٌ، وَعَدَ نَفْسَكَ فِي أَهْلِ الْقُبُورِ، فَقَالَ لِي أَبْنُ عُمَرَ: إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْمَسَاءِ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّبَاحِ، وَحُذْدْ مِنْ صِحَّتِكَ قَبْلَ سَقْمِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ غَدًا))^(٢).

ـ خوف المهابة وانشغال الهم بالآخرة ولقاء الله:

ـ الآخرة ولقاء الله هو أمر رهيب يستحق أن تخاف من مهابته ويستحق أن يتعلق به الهم والمشاعر والجوارح، فإذا لم يحدث هذا التعلق فاليقين بالآخرة ولقاء الله كاذب.

ـ إذا كان لديك موعدا هاما لأمر ما فأنت تظل في حالة ترقب وتأهب وقلق وتطلع في انتظار ذلك الموعد الهمام وينشغل ذهنك به طول فترة الانتظار.

ـ فالآخرة هي أخطر موعد تنتظره لأنه يتحدد فيه مصيرك وهو حياتك ومستقبلك، فعدم وجود هذا الشعور بالاستعداد والتأهب والتطلع إلى الآخرة معناه عدم وجود المعرفة الحقيقة باقتراب الآخرة.

ـ فالذى يشعر باقتراب الآخرة يعيش سنوات عمره في حالة تأهب وترقب واستعداد نفسي متطلعا إلى اليوم المحتوم الذي يعيش من أجله متظرا مجىء اليوم الذي يصل فيه إلى بيته بعد سفر طويل!، وهو يعيش حياته

(١) يس: ٥٢، ٥١

(٢) تحقيق الألباني: صحيح (الصحيح: ١١٥٧)

معيشة المسافر عابر السبيل الذي ينظر إلى الحياة الدنيوية على أنها مؤقتة فانية وأنه راحل إلى حياة الخلود حيث داره وأهله ومعيشته، وهو يعيش في حالة قلق وإشراق وخوف من الآخرة، ويستمر ذلك طوال حياته وأنثناء أداءه للأعمال.

- وعنه صبر طويل، فهو يصبر على الدنيا منتظرا الآخرة، والصبر على الدنيا معناه أن يصبر الإنسان مدة الستين سنة أو أكثر أو أقل حسب عمر الإنسان باعتبار أن هذه السنوات ما هي إلا لحظات منتهية ضئيلة في عمر الآخرة، فالذي يومن بالآخرة ويشعر بها فإنه يصبر على أيام هذه الدنيا حتى تنتهي؛ لأن الإنسان منشغل عن الدنيا بانتظار الآخرة، ولأنه يشعر بأن الدنيا عابرة وتمر سريعا: (فَاصْبِرْ صَبِرْ جَمِيلًا، إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا، وَتَرَاهُ قَرِيبًا) (١).

- فالذي يشعر باقتراب الآخرة يعيش في الدنيا معيشة من يقف في مكان ما ينتظر أحداً على موعد لمقابله وهو قلق ينظر في الساعة دائمًا ويتلفت يميناً وشمالاً لعل من ينتظره قادم الآن، فلحظات الانتظار هذه هي فترة عمره يبقى طوال حياته الدنيوية في حالة ترقب وانتظار وتوقع مجيء الموت والآخرة ولقاء الله في أي لحظة وإعلان النتيجة لما يصنعه في الدنيا.

- إن الذي ينتظر أحداً في موعد، فاثناء فترة الانتظار يكون قلقاً، ويزيد ذلك القلق إذا كان لقاء هاماً جدًا يترتب عليه مصير الإنسان، كما يزيد القلق إذا لم يكن يعرف الموعد بالضبط، ويزيد القلق إذا علم أن الموعد وشيك وقريب جدًا، ويزيد القلق إذا لم يكن يعلم هل نتائجه هذا اللقاء تؤدي إلى الشقاء والمصائب أم إلى السعادة والراحة؟، وهل سيلقي الترحيب بهذا اللقاء أم الزجر والويل والثبور؟، كما يزيد القلق إذا علم أن من سيقابل له مكانة كبيرة مثل ملك من الملوك أو زعيم من الزعماء، هذا بالنسبة لأمور الدنيا، فما بالك بقاء الله والحساب الذي يبني على الشقاء الأبدي أو السعادة الأبدية، فلا بد أن ينزعج ذهن المؤمن وينشغل باله

(١) المعارض: ٥ ، ٧

طوال فترة حياته فلقاً على ما ينتظره وما يحدث له من أهوال ومخاطر قادمة حتمية وقريبة.

- وكذلك الذي ينتظر لقاء محبوبته الجميلة، فأثناء فترة الانتظار يكون فلقاً، ويزيد ذلك القلق إذا كان لا يعلم هل ستأتي أم لا؟، كما يزيد القلق إذا لم يكن يعرف الموعد بالضبط، ويزيد القلق إذا علم أن الموعد وشيك وقريب جدًا، هذا بالنسبة لأمور الدنيا فما بالك بلقاء الحور العين وملذات الجنّة، فلابد أن يعيش المؤمن حياته في انتظار الحور العين وفي انتظار النعيم المقيم، ولا بد أن ينزعج ذهن المؤمن وينشغل باله طوال فترة حياته فلقاً على ما ينتظره وما يحدث له هل سيصل إلى الحور العين أم إلى الجحيم؟

- لو قيل لك أن لديك موعد قريب تقابل فيه رئيس الدولة شخصياً، فإنك تشعر بالمهابة من هذا اللقاء، فما بالك برب العالمين، ولماذا لا تشعر بالمهابة من هذا اللقاء؟ فذلك لأن لقاء الله لا وجود له في مشاعرك.

- وكذلك لو قيل لك إنك على موعد في محكمة من المحاكم مع قاضٍ من القضاة ليناقشك فيما عملته ويقول حكمه على ما فعلته بماذا تشعر؟، ولماذا لا تشعر بهذا الشعور من لقاء الله ليحاسبك على ما فعلت؟، وبماذا تشعر لو علمت أن هذا الموعد اقترب وينعقد في أي لحظة؟، وبماذا تشعر عندما تعلم أن الأمرين معاً، فأنت تقابل رب العالمين وهو سبحانه الذي يحاسبك؟

ـ البيفين الكاذب بأنك غريب في الدنيا:

- نحن ضيوف على وجه هذه الكوكبة الأرضية، فالدنيا هي دار غربة ونحن مسافرون منها إلى الآخرة حيث وطننا وأهلنا، وهذا معناه الشعور بالغربة من وجود الإنسان في بلد ليست بلده وليس فيها أهله هي الدنيا، فهو يعيش في ترقب وشعور بالحنين لليوم العودة إلى أهله ووطنه.

- فهل عندك فعلاً شعور بالغربة والحنين أم أنك تدعى ذلك؟، والشعور بالغربة أمر خطير؛ لأن عدم وجود الشعور بالغربة يعني أن الذهاب إلى الآخرة لا وجود له في مشاعرك.



- انظر إلى الحالة النفسية لشخص سجين، إنه يشعر بالحنين إلى أهله ووطنه، ويشعر بالضيق مما هو فيه، فهذا حال المؤمن ففي الحديث: ((الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر))^(١)، فهل تشعر في نفسك بالغربة مثلما يشعر الإنسان الغريب أو عابر السبيل أو المسافر أو السجين؟!.

الـ اليقين بأن الدنيا دار سفر يؤدي إلى عدم التعلق بالناس:

- الدنيا ليست المكان المعد والمجهز والمناسب لإقامة الإنسان فيه، ولكن الدنيا عبارة عن سفينة أو مركبة تحمل الإنسان إلى بيته أو داره ومكان إقامته، وداخل هذه السفينة يعيش الإنسان حياة مؤقتة عابرة فيها مكان مؤقت ينام فيه وطعام وشراب مؤقت.

- الدنيا دار غربة نحن الآن مسافرون منها عائدين إلى وطننا وأهلينا، فنحن الآن مسافرون سفر العودة والرجوع وليس سفر الذهاب بعيداً عن الوطن والأهل، فوطن الإنسان وأهله هو في الآخرة وليس في الدنيا.

- ويمكن تشبيه ذلك بأن إنساناً ركب سيارة أجرة ليصل إلى مكان ما، دخل السيارة فوجد فيها ركاباً آخرين مثله، ربما يتحدث معهم أو يتعرف على أحد منهم، وعندما يصل إلى المكان الذي يريده ينزل من السيارة ويترك الركاب الموجودين فيها، فالدنيا هي وقت الإنسان الذي يقضيه داخل السيارة، والركاب الموجودين داخل السيارة هم الناس الموجودين في الدنيا، والإنسان مهما تعامل معهم فليسوا أهله ولكنهم غرباء مسافرين مثله، وعندما ينزل من السيارة لا يشعر بألم الفراق؛ لأنه لا تربطهم به سوى أنه تقابل معهم أثناء الطريق.

- والمؤمن عنده استعداد نفسي لأن يترك أهله وزوجته وأولاده وأصحابه ووطنه وأعماله التي تعود عليها وماله وكل شيء، وهو يشعر أن ذلك وشيك وسوف يحدث خلال أيام قليلة هي ما بقي له من أيام الدنيا القليلة.

- فينبغي أن تشعر أذك الآن في دار الغربة، والأصح أن تشعر بأنك الآن أثناء السفر منتقل من دار الغربة إلى مكان الإقامة والمعيشة فأنت عابر

(١) تحقيق الألباني: صحيح (انظر حديث رقم: ٣٤٢ في صحيح الجامع)

سبيل، ففي الحديث عن مُجاهِدٍ عَنْ أَبْنَ عُمَرَ: قَالَ أَخْذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: ((كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرٌ سَبِيلٌ، وَعُدُّ نَفْسَكَ فِي أَهْلِ الْفَبُورِ، فَقَالَ لِي أَبْنُ عُمَرَ: إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْمَسَاءِ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّبَاحِ، وَحُذِّ مِنْ صِحَّتِكَ قَبْلَ سَقْمِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَذَرِّي يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ غَدًا))^(١)، و(أو) في الحديث بمعنى (بل) للإضراب، أي كن في الدنيا كأنك غريب بل عابر سبيل.

- فالدنيا إما أنها دار إقامة مؤقتة أو أنها مجرد طريق يسير فيه السائر ليصل إلى بيته، ومن لم يشعر بهذا أو بهذا فهو يعتبر الدنيا دار إقامة دائمة وأنها بيته، وبالتالي فهو لا يعرف الآخرة معرفة حقيقة.

ـ اليقين بأن الدنيا دار سفر يؤدي إلى عدم التعلق بالدنيا:

- إذا عرف الإنسان أنه مسافر إلى الآخرة لا يشغل همه بالدنيا إلا في حدود ما يحتاجه عابر السبيل أثناء سفره، ولا تتأثر مشاعره بالدنيا وشهواتها إلا في حدود ما يحتاجه عابر السبيل، ولا تنشغل جوارحه بالعمل فيها إلا بما يشغل به عابر السبيل، ويكون عمل الإنسان مثل عمل الغريب أو عابر السبيل المسافر المستعد للرحيل، ولا يكون عمله مثل عمل المقيم في بلده، فمثلاً الشخص الذي يعيش في غربة في بلد ما وعيشه في بلد الغربة فهو كيما اتفق يرضى بأي شيء يؤدي الغرض، فإن الذي يرى أن طعامه إنما هو في الآخرة فإنه لا يهتم كثيراً بطعم الدنيا فهو كيما اتفق، وإنما هو يأخذ زاد المسافر، وكذلك سكن الدنيا ومتطلباتها، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نام على حصير، فقام وقد أثر في جسده، فقال ابن مسعود: يا رسول الله لو أمرتنا أن نبسط لك ونعمل، فقال: ((ما لي ول الدنيا؟ وما

(١) التخريج: صحيح الترغيب والترهيب برقم (٣٢٨٣).

أنا والدنيا، إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها))^(١)، وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو قال: ((مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج حصاناً لنا فقال: ما هذا؟، قلنا: حصاناً لنا وهي نحن نصلحه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أرى الأمر إلا أجل من ذلك))^(٢)، وقد كان الإمام أحمد بن حنبل يقول: ((إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وإنها أيام قلائل))^(٣).

- فالذي يعيش في غربة ليست قضيته أن يبحث عن الراحة والطعام والشراب، فإنه ينتظر الراحة والطعام والشراب عند العودة إلى وطنه، أما طعامه وشرابه ومكان نومه وعيشته في بلد الغربة فهو كيما اتفق يرضي بأي شيء يؤدي الغرض، فهل في شعورك أن الطعام الذي تأكله هو طعام مؤقت وأن السكن الذي تسكن فيه هو سكن مؤقت أم أنك تشعر أنه سكن دائم؟

- الحياة التي يعيش فيها الإنسان ويأكل ويشرب ويلبس ويقيم هي الآخرة أما هذه الحياة التي نعيشها في الدنيا فهي حياة كاذبة مؤقتة مثل الحياة التي يعيشها عابر السبيل ليصل إلى بيته ووطنه: ((وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوَ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهُيَ الْحَيَّانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ))^(٤)، "الحيوان" أي الحياة الحقيقية وفي الآية: ((يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَمْتُ لِحَيَّاتِي))^(٥)، أي لحياته في الآخرة، لذلك من الناس من تكون قضيته كيف يعيش حياته وكيف يقوم ب Shelon معيشته وكيف يدبر أموره المعيشية وهو لا يدرى أنها ليست بحياة وأنها مجرد سفر أو شك أن ينتهي، أما الذي يدرك أنه على سفر فهو منشغل بسفره عن هذه الأمور المعيشية المؤقتة فهو لا يبالي بآليات تعينه على سفره كيما اتفق، ولا يبالي كيف

(١) أخرجه الترمذى (٢٣٧٧)، وابن ماجه (٤١٠٩)، وقال الترمذى: حسن صحيح، وإسناده صحيح (انظر الصحىحة: ٤٣٨)

(٢) أبو داود في الأدب (٥٢٣٦) والترمذى في الزهد (٢٣٣٦)، وقال الترمذى: حديث حسن صحيح

(٣) صيد الخاطر دار الفلام- دمشق (٤٤٧ / ١).

(٤) العنكبوت: ٦٤

(٥) المؤمنون: ٣٧

تكون هذه الحياة المعيشية العابرة؛ لأنها زائلة سريعاً فتكون عنده كيماً اتفق.

ـ اليقين الكاذب بأن الدنيا دار سفر:

ـ هناك من بنى حياته على أساس البقاء كأنه يبقى فيعيش كأنه خالد لن يموت، فلا هم له ولا عمل له ولا كلام له إلا للمال والدنيا، وهو منكب على الدنيا يلهث وراء الأموال والشهوات، وهناك من بنى حياته على أساس أنه مفارق الناس جمياً وكل شيء وأن من حوله لن يدومون وأنه سوف يفارق كل شيء وكل الناس، فهو يعيش كأنه غريب أو عابر سبيل.

ـ البعض قد يتعامل مع الدنيا على أنها دار إقامة وليس على أنها دار سفر وليس على أنه عابر سبيل، فيعيش حياته كأنه لن يموت، فهو يعيش من أجل تدبير مسكنه وأمور معيشته والحفاظ على صحته فلا هم له ولا سعي له غير ذلك كأنه خالد في الدنيا، ولذلك ففي تفسير الرازبي : ((وَتَتَّخِدُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ} المصانع مأخذ الماء، وقيل القصور المشيدة والحسون {لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ} ترجون الخلد في الدنيا أو يشبه حالكم حال من يخلد، وفي مصحف أبي : (كأنكم)، وقرأ (تخلدون) بضم التاء مخففاً ومشدداً، واعلم أن الأول إنما صار مذموماً لدلالته إما على السرف، أو على الخياء، والثاني: إنما صار مذموماً لدلالته على الأمل الطويل والغفلة عن أن الدنيا دار ممر لا دار مقر))^(١).

ـ قد يومن الإنسان بأن الدنيا دار غربة ودار سفر لكن لا يشعر بالغربة ويعامل مع الدنيا كأنها دار إقامته وكأنه خالد فيها، فلا يشعر بالترقب والتطلع والانتظار للآخرة وتتعلق مشاعره بالمال والشهوات حباً وخوفاً ورجاءً وهدفه الذي يلهث وراءه هو المال أو الشهوات فهو بذلك لا يزال لا يعرف أنه مسافر إلى الآخرة معرفة حقيقة.

ـ الإنسان الذي يتعامل مع الدنيا كأنها دار إقامة عندما يشعر باقتراب الموت أو قبل موته يحدث له اكتئاب شديد وخوف وهلع؛ لأنه لا يريد

(١) تفسير الرازبي [مفاتيح الغيب - التفسير الكبير] - دار إحياء التراث العربي - بيروت (ج : ٢٤ ، ص : ٥٢٣)

أن يترك ما اعتاد عليه، فهو يقول بـلسان حاله أن الموت هو النهاية للحياة وليس البداية للحياة فلا يريد أن يموت، ويكره من يقبض روحه.

ـ اليقين الحقيقى بقصر العمر في الدنيا أمام الخلود في الآخرة:

ـ وجود الآخرة هو الذي جعل الدنيا لا قيمة لها، لأن الدنيا بالمقارنة بالأخرة تساوي صفر وكل آلامها ولذاتها تساوي صفر ومدة البقاء فيها تساوي صفر رغم أنها سنوات طويلة لكنها في حقيقتها تساوي صفرًا أمام مدة البقاء اللا نهائية في الآخرة، ولكن الشيطان يزين للإنسان أن الحياة في الدنيا طويلة، وأن السنتين سنة (مثلاً) التي يحياها في الدنيا أعمار طويلة.

ـ الخلود في الآخرة جعل عمر الإنسان في الدنيا مجرد ثوانٍ، فهل يهتم الإنسان بحياة مدتها ثوانٍ أم بحياة مدتها ما لا نهاية؟ وهل يهتم بما يحدث له من خيرٍ أو شرٍ في مدة لا تزيد عن ثوانٍ؟ فالعمر ما هو إلا يومان، يوم ذهب وبقى يوم.

ـ الخلود في الآخرة ليس أمر بسيط يمكن أن نمر عليه من الكرام، فالخلود في النار معناه أن يظل الإنسان في العذاب داخل النار ليس لمدة ساعة - وإن كان ذلك مروع جدًا - وليس لمدة يوم كامل، ولا لمدة شهر ولا سنة ولا مائة سنة ولا مليون سنة ولا مiliar سنة، ولكن للأبد من غير أن يموت، فمقارنة ذلك بأيام الدنيا وألامها تكون الدنيا لحظات، حتى لو عاش الإنسان في الدنيا مائة عام تكون لحظات تمضي سريعة، وكذلك الخلود في نعيم الجنة وملذات الجنة ليس لمدة يوم - وإن كان ذلك غاية في المتعة - وليس لمدة شهر ولا سنة ولا مائة سنة ولا مليون سنة ولا مiliar سنة، ولكن للأبد من غير أن يموت، إنها السعادة الأبدية في متعة ولذة بلا حدود وإلى الأبد ومع الجميلات الفاتنات الساحرات من الحور العين، قارن هذا أمام السنوات الحقيرة المعدودة في الدنيا، فلا وجه للمقارنة أصلًا، فإنك في الجنة سوف تبقى شبابًا للأبد بلا مرض ولا ضعف ولا موت مع كل ألوان المتع.

- فإذا كانت مشاعر الإنسان تتعلق بسعادة مدتها ثانية - هي سعادة الدنيا - فهو لا يزال لا يعرف ما هي الآخرة، وهو أحمق لا يعقل.

- إن كل شيء منتهي فهو ضئيل، وكل شيء خالد فهو عظيم، فالدنيا زائلة ومتناهية وليس فيها خلود، والتمتع والشهوات التي تنتهي لا قيمة لها، ولكي يشعر الإنسان بذلك يسأل نفسه: وماذا بعد أن يأكل ويشرب وينام ويعمل ويتمتع ويقوم بأمور الدنيا؟ فالإجابة: إن كل ذلك إلى زوال وبعد ذلك القيمة.

- قال مالك بن دينار: ((لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا مِنْ ذَهَبٍ يَقْنَى، وَالْآخِرَةُ مِنْ حَرْفٍ يَبْقَى، لَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يُؤْثِرَ حَرْفَ يَبْقَى، عَلَى ذَهَبٍ يَقْنَى. قَالَ: فَكَيْفَ وَالْآخِرَةُ مِنْ ذَهَبٍ يَبْقَى، وَالْدُّنْيَا مِنْ حَرْفٍ يَقْنَى)).^(١)

- لو أن إنساناً عاد من الآخرة إلى الدنيا فسوف ينظر إلى السنوات الطويلة التي يقضيها في الدنيا على أنها ثوانٍ معدودة لا قيمة لها وأنه باقي على قيام الآخرة ثوانٍ معدودة: ((قَالَ كُمْ لَيْتُمُ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِيْنَ (١١٣) قَالَ إِنْ لَيْتُمُ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ))^(٢)، ((أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ))^(٣).

- وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو قال: ((مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصاً لنا فقال: ما هذا؟ فقلنا: قد وَهَى فنحن نصلحه، قال: ما أرى الأمر إلا أَعْجَلَ مِنْ ذَلِك))^(٤)، أي الآخرة قريبة ووشيكة حتى كأنه لا وقت للاشتغال بشيء غيرها.

- لا يزال الإنسان لا يعي ولا يدرك مدى الفرق بين مدة الحياة في الدنيا والآخرة حتى يكون تعلقه بالحياة الآخرة ولا يتعلق بالحياة الدنيا.

(١) تفسير القرطبي (٢٤ / ٢٠)

(٢) المؤمنون: ١٢ - ١٤

(٣) الشعراء: ٢٠٥ - ٢٠٧

(٤) قال الشيخ الألباني: صحيح (جامع الترمذى ج: ٤، ص: ٥٦٨، برقم: ٢٣٣٥)

٦- اليقين الحقيقى بالأخرة يؤدى الى عدم التعلق بالدنيا:

- قيمة الشيء تعرف بالمقارنة بشيء آخر، فإذا انتبه الإنسان إلى حقيقة الآخرة رأى الدنيا على حقيقتها وبالتالي لم يتعلق بها وينظر إلى المال والشهوات والدنيا نظرة احتقار وليس نظرة تعظيم.

- الدنيا وما بها من مال وشهوات ومتاع لا تساوي شيئاً بالمقارنة بالأخرة، فمن يعرف الآخرة ويوقن بها تكون كل أموال الدنيا وشهواتها ومناصبها هي مثل الطين في نظره؛ لأنه يقارنها بالأخرة فلا تساوي شيئاً، وهو ينظر إلى من عنده قدر كبير من أموال الدنيا ومناصبها وشهواتها على أنه عنده قدر كبير من الطين، فلا ينظر له نظرة انبهار، وينظر إلى الفقير المعدوم على أنه عنده قدر قليل من الطين، وإذا ظلمه أحد فلا يتالم ويشتت حزنه؛ لأنه يعلم أن ذلك الظالم مسكون قد أتعب نفسه وأخذ منه قدراً من الطين، وهذا لا يمنع من أن يطالب بحقه، أما الذي لا يعرف الآخرة إذا كان مظلوماً أو فقيراً فإنه يكون دائم التسخط والتالم الشديد والحزن الشديد و دائم الشكوى، وإذا خسر في تجارة أو أصابه مصاب قد يصاب بسكتة قلبية أو اكتئاب شديد جداً، وإذا كان ظالماً أو غنياً فإنه يكون دائم التهلل والفرح الشديد ويعجب بنفسه بشدة ويتكبر على غيره، والذي لا يعرف الآخرة يكون خائفاً خوفاً شديداً جداً على صحته وعلى عمره لدرجة الهلع كأنه لا يريد أن يموت، وكذلك فهو خائف بشدة على ألا يفوته أو ينقص منه شيء من متاع الدنيا وحريص بشدة على أن يُفقد غيره من الناس متاع الدنيا وألا يحصلوا على شيء من متاعها حتى يكون هو الأعلى، وذلك لأن الدنيا ومناصبها وأموالها وشهواتها هي في نظره عظيمة وكبيرة جداً، ويوم القيمة يُفاجأ بأن كل ذلك كان مجرد طين وأنه كان حريصاً على جمع الطين!!.

- فعندما يعرف الإنسان الآخرة تتغير نظرته تجاه صاحب الأموال الهائلة الذي يعيش من أجل جمع المال يراه مسكيّناً غبيّاً يُورّد نفسه موارد الهالك، وعلى العكس فإنه ينظر إلى الإنسان المتصل بالله نظرة إكبار وتعظيم ويحسده على ما عنده من إيمان، وينظر إلى الأعمال الهائلة التي

يعملها الذين يعيشون للدنيا فيراها لهوا ولعباً رغم أنها عند أهل الدنيا
أعمال عظيمة جداً.

- فالناس أمامهم جبل من الذهب الحقيقي وجبل من الطين، وهم يتهاقون
ويتنافسون على جبل الطين الذي هو أموال الدنيا وشهواتها ومناصبها،
ويتركون جبل الذهب الذي هو رضا الله وجنات النعيم.

- فالتأثير الشديد بظلم الظالم هو من الغباء؛ لأن الدنيا ليست إلا طيناً،
فالظلم أخذ كثيراً من الطين والمظلوم عنده قليل من الطين، والفرح
الشديد بالحصول على الدنيا أو الحزن الشديد بفقدان الدنيا من الغباء لأن
كلاهما لا شيء أمام الآخرة: ((لِكَيْلًا تَأْسُوا عَلَى مَا فَانَّكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا
آتَكُمْ))^(١).

- فالدنيا مثل لعبة الكراسي الموسيقية، في المنتصف يوضع الشهوات
والمناصب والأموال، والناس يدورون حولها كأنهم يطوفون حولها، كل
واحد يريد أن يأخذ من هذه الكومة الموضوعة في المنتصف، ولكن
البصير ينظر إلى هذه الكومة فيراها كومة من الطين فلا يدور معهم.

- وطالما أن الإنسان لا يزال متعلقاً بالمال والشهوات ولا يستطيع تركها
ويراها عظيمة فهو لا يزال لم يعرف الخالق والآخرة.

- وكذلك طالما أن الإنسان لا يزال يغضب وينفع ويتأثر بآلام الدنيا
ومشاكلها هو أنه لا يزال لم يعرف أن الدنيا إلى فناء وأن آلام الدنيا ليست
بشيء أمام آلام النار.

ـ البيتين الكاذب بالآخرة:

- الإنسان يعيش حياة في الدنيا وحياة في الآخرة، ولكن الحياة الدنيا لا
ترزيد عن كونها ثانية أو أقل بالنسبة للحياة في الآخرة لذلك فانشغال الهم
وتعلق القلب والجوارح بالحياة في الآخرة لابد أن يكون أكبر بكثير من
انشغال الهم وتعلق القلب والجوارح بالحياة التي في الدنيا وما يتعلق بها
من غذاء الجسد.

(١) الحديد: ٢٣



- كيف يومن الإنسان بأن الدنيا ضئيلة وزائلة ولا قيمة لها وأن الحياة الحقيقية الأبدية في الآخرة ورغم ذلك لا تتعلق مشاعره وهمومه وأهدافه إلا بالدنيا، فهذا تناقض عجيب، فهو يومن بأن الحياة الحقيقية في الآخرة لكن يتعامل مع الدنيا على أنها هي الحياة، ويومن بخطورة الآخرة لكن ينظر إليها نظرة إهمال، ويومن بضآلية المال والشهوات لكن ينظر إلى المال والشهوات نظرة تعظيم، فيقينه كاذباً وحاله حال الجاهل بوجود الآخرة.

- كل لذات الدنيا وألامها ليست بشيء أمام لذات وألام الآخرة، وسنوات العمر الطويلة ليست بشيء أمام الخلود في الآخرة، وانتقال الإنسان إلى حياة أخرى من جديد هو أمر خطير ومثير، ورغم ذلك فالبعض لا تتأثر مشاعرهم ولا همومهم ولا أهدافهم ولا حياتهم إلا بأمور الدنيا، فهو لاء إما أن يكونوا جاهلين بالآخرة أو لديهم معرفة كاذبة ويقين كاذب بالآخرة.

- بل إن الإنسان إذا عاش حياته مكتئباً غاضباً من أمور الدنيا وما فاته منها فهذا دليل على أنه لا يزال لم يعرف الآخرة بعد لأن الدنيا لا تساوي شيئاً بالمقارنة بالآخرة سواء كان فيها سعادة أو شقاء.

- الحياة التي نعيشها هي حياة كاذبة وما فيها من متع هي متع كاذبة وما فيها من آلام هي آلام كاذبة وذلك لأن الحياة الحقيقية هي حياة واحدة وهي حياة الخلود في الآخرة وكل متع الدنيا وألامها ما هي إلا اسم فقط أمام متع وألام الآخرة، ولكن لسان الحال يقول عكس ذلك تماماً، فلسان الحال يقول بأن الدنيا هي الحياة وليس غيرها حياة أخرى ولا شيء بعد الموت.

- هل مشاعرك وحبك وغضبك وفرحك متعلق بالله والآخرة أم متعلق بالدنيا، وأيهما يتعلق أكثر؟، فإذا لم تتأثر المشاعر بالخالق والآخرة فالبيفين كاذباً.

- معنى أن مشاعر الإنسان تتفاعل بشدة بأمور الدنيا من المال والشهوات ومشكلات الحياة في حين لا تتفاعل مع أمور الآخرة دليل عن أن الإنسان كالجاهل عن الآخرة تماماً كأنه لم يسمع عن شيء اسمه الآخرة،

فمشاعره وأهدافه وطموحاته وانفعالاته وسلوكيه وفرجه وحزنه ونيته وأكثر كلامه ونقاشاته وأكثر عمله لا علاقة له بالغيبيات، فلو ذكرته بعذاب الآخرة لا يؤثر ذلك في نفسه شيئاً، في حين لو أخبرته بفقد شيء من ماله لطاش عقله وتأثرت مشاعره.

- لو افترضنا أنه جاء أحد من الآخرة فرأى حال الكثير من الناس الذين لديهم يقين تام وجازم بالآخرة لأقسم أن هؤلاء لم يسمعوا عن الآخرة ولا يعرفونها، فهل هؤلاء موقنون بالآخرة أم جاهلين بها؟، فالذى يحكم عليهم من خلال لسان الحال يقول أنهم جاهلين بالآخرة والذى يحكم عليهم من خلال لسان المقال يقول أنهم موقنون تماماً بالآخرة، والحكم الشرعي على هؤلاء هو أن لديهم يقين كاذب بمعنى أن يقينهم صحيح شرعاً وهو حجة عليهم ولكن هذا اليقين معطل عن العمل ومحظوظ وميت ولا قيمة له فهو كالعدم وحقيقة هؤلاء أنهم كالجاهلين.

المقارنة بين التعامل مع قضية الآخرة وقضايا الدنيا تكشف حقيقة اليقين بالآخرة:

- قضايا الدنيا كثيرة منها العمل لكسب لقمة العيش والتغلب على أعباء الدراسة والزواج وتدبير نفقات الأولاد وتوفير الطعام والشراب، ومنها الحصول على مناصب أو شهادات، ومنها قضية التمتع بشهوات النساء، ومنها حل مشاكل تواجه الإنسان كالفقر والمرض والمشاكل العائلية أو إنجاب الأطفال أو الظلم من أحد، ومنها توفير وسائل السعادة والترفيه والتطلع لشراء مسكن أو سيارة ومنها أمور التسلية أو الترفيه وغير ذلك.

- إذا وضعت مقارنة بين مقدار انشغال الهم ومقدار الانفعال والتفاعل وتأثر المشاعر بقضية الغيبيات وقضايا الدنيا، تجد التفاعل كله أو معظمه لقضايا الدنيا رغم أن قضايا الدنيا ومشاكلها وملذاتها لا شيء أمام قضية الغيبيات، فهذا يدل على أن اليقين بالغيبيات كاذب.

- جميع آلام الدنيا وملذاتها ليست بشيء أمام الآخرة ورغم ذلك تتفاعل معها مشاعر الإنسان وانفعالاته في حين لا تتفاعل وتأثر بالغيبيات، فذلك يدل على حماقة الإنسان وعدم وجود المعرفة الحقيقة بالغيبيات.

- وتتضح هذه المقارنة من خلال العناصر الأربع لتعلق القلب والجوارح وهي:

١- الأموال والشهوات عظيمة جدا في نظره (شدة التأله)، في حين ينظر إلى ما في الآخرة من ملذات ونعميم وعذاب كما ينظر إلى شيء ضئيل لا قيمة له.

٢- كل حبه ورجاءه وخوفه متعلق بالمال والشهوات ولا يستطيع أن يترك تعلقه بها، في حين لا يشعر بشيء تجاه ما في الآخرة من ملذات ونعميم وعذاب.

٣- ويشعر بالتألم الشديد والكراهية لآلام الدنيا، فالإنسان في حياته قد يواجهه مشاكل حياتية كثيرة، عند كل مشكلة قد يغضب ويثور ويتضايق وينفعل، أما الآخرة عنده فليست بمشكلة رغم أنها الخطر المرتقب والامتحان العصيب والحياة الأبدية، ورغم أن الدنيا أيام قليلة تقني بمشاكلها، أما الذي يشعر بحجم الخطر في مشكلة الآخرة أمام ضالة مشاكل الدنيا فتهون عليه مشاكل الدنيا وتتفعل مشاعره ويقلق ويغضب ويضطرب أمام مشكلة الآخرة.

٤- صورة عظمة المال والشهوات وخطورة آلام الدنيا لا تفارق ذهنه (الشاغل الأكبر)، في حين لا يشغل همه بشيء مما في الآخرة من ملذات ونعميم وعذاب.

٥- يبني حياته على أساس الحصول على المال والشهوات وتجنب آلام الدنيا وعلى أساس أنه مقيم وخلال في الدنيا، ويعيش حياته حرا غير خاضع لأحد ويسارع في تحصيل الدنيا وتظل تلهيهم أعمال الدنيا ويتلهي بها حتى يجد نفسه واقعا على أرض المحشر (تعلق الجوارح).

٦- فلا يمكن لإنسان عاقل يوقن تمام اليقين بنعيم الجنة الهائل ثم هو يلهث وراء فتات الدنيا إلا إذا طبع الله على قلبه فأصبح كالذي لا يعقل ما يوقن به.

٧- فالإنسان قد يصدق بالآخرة ولقاء الله لكن لا يعبأ بذلك ولا يهتم به ولا يتأثر به ولا يشغل همه به فهو رجل دنيوي كل همه الدنيا وكل كلامه

للدنيا وكل مشاعره وطموحاته الدنيا، فالقضايا التي تشغله همه وتفكيره وكلامه ونقاشاته وطموحاته كلها أمور الدنيا ومشاغلها وليس فيها الآخرة، ويتجاهل أي شيء فيه تذكير بالله والآخرة كأنه لا يسمع ((ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ))^(١)، وفي الجانب الآخر فمن الناس من لا هم له إلا الآخرة، ففي تفسير الطبرى: ((عن مجاهد في قوله (إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ) قال: بذكر الآخرة فليس لهم هم غيرها))^(٢).

- الآخرة شيء مهيب ومخيف ومرعب ومفزع ويدعو إلى القلق، فبدون أن يحدث خوف مهابة من الآخرة وبدون أن تتأثر مشاعر الإنسان بالآخرة (الخوف والرجاء) وطالما أن المال والدنيا والشهوات ما زالت هدف الإنسان فهو تماما كالذى لا يعرف ما هي الآخرة وكأنه لم يسمع عنها.

(١) الحجر: ٣

(٢) تفسير الطبرى - مؤسسة الرسالة (ج: ٢١، ص: ٢١٨).

الفصل العشرون

اليقين الحقيقى بالحياة في الجنة والنار

- الجنة والنار هي أهم وأخطر قضية في حياة الإنسان ولا يمكن لِإنسان عاقل أن يكون له هدف يعيش له غيرها.

- لا يزال الإنسان لا يعرف ما هي الجنة ولا يزال لا يومن بالجنة يقيناً حقيقياً حتى يتتأثر قلبه وجوارحه بالجنة فيتعلق بها بقلبه وجوارحه لأنَّه لا يمكن لِإنسان عاقل يُعرف الجنة ويُومن بما فيها من النعيم والخلود في المُلذَّات ثم لا يتعلَّق بها بقلبه وجوارحه، فإذا كان عاقلاً وموثقاً ولم يتتأثر بذلك لأنَّ الله طبع على قلبه فأبطل معرفته أو أنه تجاهل الجنة فلم يتذَّر ويُتذَّكر بما فيها وتجاهل السعي للوصول إليها فحصر عقله وسعيه وراء دنيا فانية.

- وكذلك لا يزال الإنسان لا يعرف ما هي النار ولا يزال لا يومن بها يقيناً حقيقياً حتى يتتأثر قلبه وجوارحه بها فينشغل بها بقلبه وجوارحه لأنَّه لا يمكن لِإنسان عاقل يُعرف النار ويُومن بما فيها من الآلام والخلود داخل نار محرقة ثم لا ينشغل بها بقلبه وجوارحه، فإذا كان عاقلاً وموثقاً ولم يتتأثر بذلك لأنَّ الله طبع على قلبه فأبطل معرفته أو أنه تجاهل النار فلم يتذَّر ويُتذَّكر بما فيها وتجاهل الهرب منها فحصر عقله وسعيه وراء دنيا فانية.

ـ التعُّلُقُ بِنَعْمِ الدُّنْيَا مَعْنَاهُ غِيَابُ الْيَقِينِ الْحَقِيقِيِّ بِنَعْمِ الْجَنَّةِ:

- الإنسان مغزور بما عنده من نعم الدنيا كالماء والهواء والصحة والمال والشهوات والتكنولوجيا، ويحسب أنه قوي بها، ولن يزول هذا الغرور حتى يتصور مدى ضَآلَّة نعم الدنيا أمام نعم الجنة فيشعر بالذل.

- وكذلك فالتعلق بنقص نعم الدنيا بأن تكون كل قضيته التغلب على أعباء الحياة ومشاكلها وألامها وتأثره الشديد بها حزناً وهمَا وسعياً فهذا معناه

غياب اليقين الحقيقى بعذاب النار لأن مشاكل الدنيا وألامها ليست بشيء أمام آلام النار.

ـ اليقين الكاذب بالجنة والنار:

ـ مجرد أن يعرف الإنسان بوجود الجنة والنار فسوف يتأثر ذهنه ومشاعره وعمله تأثراً شديداً وربما لا ينام ولا يشغل باله طوال حياته بغير الجنة والنار، فإذا لم يحدث ذلك التأثر الشديد فهذا معناه وجود خلل في الإنسان فهو مجنون أو لا يعقل أو هو يتناهى الجنـة فيـصبح كـأنـه لم يـسمـعـ عنـ الجـنةـ وـالـنـارـ، لأنـ ماـ فيـ الجـنةـ منـ نـعـيمـ وـمـاـ فيـ النـارـ منـ عـذـابـ يـفـوقـ كـلـ التـصـورـاتـ وـجـمـيعـ لـذـاتـ الـدـنـيـاـ وـآـلـمـهـ لـيـسـ بـشـيـءـ أـمـامـ لـذـاتـ الـجـنةـ وـآـلـمـ النـارـ.

ـ ولو افترضنا أن الله ضمن للإنسان دخول الجنة فهل ينقطع تأثر ذهنه ومشاعره وجوارحه عن الجنة والنار؟ إنه سوف يخاف من مهابة النار بشدة وسوف يذهل وينبهر من حلاوة الجنـةـ بشـدـةـ وـسـوـفـ يـمـتـلـأـ قـلـبـهـ بـحـبـ الجنـةـ فـلـاـ يـحـبـ شـيـئـاـ سـوـاـهـاـ مـنـ كـلـ مـحـابـ الدـنـيـاـ وـسـوـفـ يـمـتـلـأـ قـلـبـهـ بـكـرـاهـيـةـ النـارـ فـلـاـ يـكـرـهـ شـيـئـاـ سـوـاـهـاـ وـسـوـفـ يـنـشـعـلـ هـمـهـ بـالـجـنةـ وـالـنـارـ فـلـاـ هـمـ لـهـ غـيـرـ ذـلـكـ لـعـظـمـ الـجـنةـ وـالـنـارـ، وـسـوـفـ يـبـقـىـ مـتـعـلـقاـ بـالـلـهـ حـبـاـهـ.

ـ إذا كنت لا تزال لا تشعر بالمهابة من مدى ما في الجنة والنار من عجب وخطر فأنت لا تزال لا تعرف ما هي الجنـةـ وـمـاـ هيـ النـارـ، وإذا كنت لا تزال لا تشعر بالشوق للجنة وحب الحور العين والخوف من النار فأنت لا تزال لا تعرف ما هي الجنـةـ وـمـاـ هيـ النـارـ.

ـ طالما أن ذهن الإنسان ومشاعره وعمله لا يزال لم يتأثر بالجنة والنار أو لم يكن تأثره شديداً فهو لا يزال لم يعرف الجنـةـ وـالـنـارـ مـعـرـفـةـ حـقـيقـيـةـ وهو لا يزال يتـناـهـيـ الجنـةـ وـالـنـارـ.

ـ أثر اليقين الحقيقى بوجود الجنـةـ الـآنـ:

ـ تصور لو أن هناك كوكباً آخر في السماء غير الأرض عليه سكان من البشر يعيشون حياة غاية في التطور والرفاـهـيـةـ، فمن يعيش على هذا الكوكب يعيش في متع متناهـيـةـ لا حد لها، وينال كل ما يـشـتهـيـ وـيـتـمـنـىـ

ولا يتعب ولا ي العمل، ولكن تركيبة البشر هناك مختلفة عن تركيبة البشر على الأرض، فهم في شباب دائم وصحة دائمة وأجسادهم مصممة بحيث أنها غير قابلة للمرض أو الموت وهم يأكلون ويتغذون كيما شاءوا وكل ما يريدونه يتحقق فوراً وكأنه سحر، لذلك من أراد الوصول إلى هذا الكوكب من سكان الأرض فلابد أن يتغير جسده ويتحول من جديد حيث يموت أولاً ثم يتشكل جسده من جديد ثم يُصعد به إلى هناك بدون مركبة فضائية.

- كذلك الجنة موجودة الآن، وسكانها الآن هم الحور العين، ومن يصل إليها هم المؤمنون، وفيها عالم آخر كامل من المعيشة في حياة الخلود، وفي الجنة الآن الحور العين وهن ينظرن إليك ويرونك الآن في الدنيا، ففي الحديث: ((لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا)).^(١)

- فالجنة موجودة الآن فوق السماء السابعة وسقفها العرش، والرسول صلى الله عليه وسلم دخل الجنة حقيقة في رحلة المراج، ففي الحديث: ((ثمَّ أَدْخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا جَنَابُ اللَّوْلَوِ، وَإِذَا ثُرَابُهَا مِسْكٌ))^(٢) والجناب هي القباب.

- أثر اليقين الحقيق بالجنة:

- الجنة هي حياة مليئة بالأفراح والورود وبكل ألوان السعادة والملذات والفتيات الجميلات والخمور والشهوات والقصور وكل ما تخيله من ألوان المتع لدرجة أن ما فيها من متع يفوق كل ما يخطر على بالك، وهذا يؤدي إلى الشعور بالمهابة والتعجب الشديد والذهول من مدى ما في الجنة من متع ولذات عجيبة جداً ومذهلة وتفوق كل التصورات والانبهار بها.

(١) تحقيق الألباني: صحيح (ابن ماجة: ٢٠١٤)

(٢) منقى عليه، أخرجه البخاري في الصحيح / ١ - ٤٥٩، ٤٥٨، كتاب الصلاة.



- تخيل لو أن رجلاً أخبرك بأنه على موعد مع فتاة جميلة ولكنها تسكن في مكان ما فوق السحاب، وأنه لن يصعد إليها بطائرة، ولكنه سوف يصعد إليها بعد أن يموت! لأنه سوف تحل الروح في جثته ثم يطير فوق السحاب ليلاقها! إنك سوف تقول: إن هذا هراء وأساطير وخرافات، فما بالك أن وجود الحور العين أمر أعجب من ذلك، فأنت فعلاً على موعد مع فتيات حسنوات جميلات في مكان آخر غير العالم الذي نعيش فيه، وسوف تلقاءهن بعد أن تموت ويتحلل جسده في التراب، ثم تحل فيك الروح وتذهب للقائهن إن كنت من أهل الإيمان، وهذا الأمر قريباً جداً، مما العمر في الدنيا إلا لحظات! فإذا لم يشعر الإنسان بالمهابة من هذا الأمر العجيب فكأنه لم يسمع عن شيء اسمه الجنة.

- تخيل مكاناً ما به كل ألوان المتع والملذات من نساء وخمور ورقص وطعام وشراب، فإن الجنة بها أعجب من كل ذلك، فلماذا لا تتحرى من عجائب ما فيها ولماذا لا تشعر بحب الجنة وتشتاق للوصول إلى متعها؟ **أين الرغبة الحقيقة والشوق إلى الجنة؟**

- تخيل أن العلم قد توصل إلى طريقة تجعل الإنسان يعود من الشيخوخة إلى الشباب ولا يمرض ولا يموت، فسوف تجد الناس يتسابقون إلى ذلك ويدفعون في ذلك كل ما يملكون ولكن ذلك كل همهم وكل هدفهم مشاعرهم، فالإنسان في الجنة يعود من الشيخوخة إلى الشباب ولا يمرض ولا يموت ويعيش في متع أبدية ولا يوجد ما يعكر مزاجه أو يشغل باله، ورغم ذلك لا تجد أي شعور أو رغبة أو انشغال لهم بهذا الإعجاز الهائل القريب جداً؛ ذلك لأن الإنسان غير منتبه لخطورة الجنة وبالتالي لا يزال لا يعرف ما هي الجنة كأنه لم يسمع عنها.

- وفي الحديث: ((إن الرجل من أهل الجنة ليعطي قوة مائة رجل في الأكل والشرب والشهوة والجماع، حاجة أحدهم عرق يفيض من جلده فإذا بطنه قد ضمر))^(١)، وفي حديث آخر: ((يعطى المؤمن في الجنة قوة مائة في النساء))^(٢)، فالجماع في الجنة مائة ضعف الجماع في الدنيا

(١) تحقيق الألباني: صحيح (انظر حديث رقم: ١٦٢٧ في صحيح الجامع)

(٢) تحقيق الألباني: صحيح (انظر حديث رقم: ٨١٠٦ في صحيح الجامع)

وهو في ريعان الشباب (في سن ٣٣ سنة) ويستطيع الإنسان ذلك لأنه يعطى قوة مائة ففي حديث آخر: ((يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع قيل يا رسول الله أو يطيق ذلك قال يعطى قوة مائة))^(١)، وفي حديث آخر: ((يُنادي مُنادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْبُّوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرُمُوا أَبَدًا وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَتَعَمَّوا فَلَا تَبَسُّوا أَبَدًا))^(٢)، وفي حديث آخر: ((خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا ... فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ فِي طُولِهِ سِتُّونَ ذِرَاعًا فَلَمْ تَرِدِ الْخَلْقُ تَنْفُصُ بَعْدَهُ حَتَّى الْآن))^(٣)، فلماذا لا تشعر بالحب لأن تكون كذلك؟ إن الإنسان الذي يعيش للدنيا هدفه أن يأكل ويشرب ويتمتع بكل ألوان الراحة، وكذلك الإنسان الذي يعيش للأخره يريد أن يأكل ويشرب ويتمتع بكل ألوان الراحة ولكن أي طعام وأي متعة؟ إنه يريد المتع الحقيقية التي لا تفني والتي لا يحيطها مخاوف بالمرض أو الشيخوخة أو الموت أو سلب النعمة، إنه يريد المتع الدائمة والشباب الدائم وحياة لا يموت فيها ولا يمرض، وحياة بها الفاتنات الحسنوات من الحور العين.

- تأمل قوله تعالى: ((أَلَّهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدِينَا مَزِيدٌ))^(٤)، فكل ما تمنى يتحقق فوراً وتراه حقيقة وليس سحراً، فقد ورد أن رجلاً من أهل الجنة اشتوى أن يزرع فبذر فنما الزرع سريعاً وكان كالجبال، ففي الحديث: ((إِنْ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ فَقَالَ لَهُ: أَسْتَ شِئْتْ؟ قَالَ: بَلَى وَلَكِنْ أَحَبُّ أَنْ أَزْرَعَ! فَبَذَرَ فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتَوَاؤُهُ وَاسْتَحْسَادُهُ فَكَانَ أَمْثَالَ الْجِبَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ! فَإِنَّهُ لَا يُشَبِّعُكَ شَيْئًا))^(٥).

- لو أن امرأة من نساء أهل الجنة نظرت من نافذة مثلاً وهي في الجنة إلى الأرض فإن نور جمالها سوف يضيء الدنيا، ورائحة العطر الذي

(١) تحقيق الألباني: حسن صحيح (المشكاة: ٥٦٣٦)

(٢) حكم الألباني: صحيح (انظر حديث رقم: ٨١٦٤ في صحيح الجامع)

(٣) حكم الألباني: صحيح (انظر حديث رقم: ٣٢٣٣ في صحيح الجامع)

(٤) ق: ٣٥

(٥) حكم الألباني: صحيح (انظر حديث رقم: ٢٠٨٠ في صحيح الجامع)

فيها سوف يملأ الدنيا عبًقاً، والزينة التي تظهر على رأسها أجمل من كل الجمال الذي في الدنيا، ففي الحديث: ((ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لم لات مَا بينَهُمَا ريحًا ولا ضاءً مَا بينَهُمَا ولن تصيفها على رأسها خيرٌ من الدنيا وما فيها))^(١)، فلما الدين يبحثون عن الشهوات؟ فهذه هي الشهوات الحقيقة.

- تخيل أننا الآن في الجنة ونذكر أيام الدنيا وما كان فيها، فما قيمتها وما قدرها عندئذ؟ إنها كانت أيامًا قليلةً وحياةً ضئيلةً انتهت ولا قيمة لها، أما نحن الآن (في الجنة) فهذه هي حقًا الحياة نعيش فلا نموت ولا نمرض ونتمتع كيما نشاء.

- انظر إلى مدى لذة النظر إلى الله تعالى التي هي أعظم من كل لذات الجنة، فهل من مشتاق إلى الجنة من أجل أن يستمتع بلذة النظر إلى وجه الله تعالى.

- إن شهوات الدنيا ضئيلة حتى وإذا حاول الإنسان أن يكثر منها فإن اللذة منها تقل عندئذ حتى تنتهي، لأن يكثر من الطعام أو الشراب أو الجماع أو ينظر إلى عورات النساء، بل يتعرض عندئذ للأمراض، كما أن المتع تقل مع كبر عمر الإنسان خاصةً عندما يصل إلى الشيخوخة ويعود إلى الضعف مثلما كان طفلاً ضعيفاً، ولذلك يقول تعالى: ((وَمَنْ نُعَمِّرُهُ ثُنَكْسُهُ فِي الْخُلُقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ))^(٢)، أما في الجنة فلا يحدث أن تقل اللذة منها أكثر الإنسان من ألوان المتع: ((لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ))^(٣)، إن شهوات الدنيا كما أنها ضئيلة فليست سهلة المنال أيضًا ولا بد من السعي والتعب، فالحصول على الدنيا ليس أمراً سهلاً، فإن المتنافسين على الدنيا كثير وطلاب الدنيا كثير، وهم يقاتلون ويتناحرن عليها، ويتشبهون بها بأيديهم وأسنانهم، ومن يأتي بينهم ليتنافس على الدنيا لا يرقون فيه إلا ولا ذمة فيأكلوه، أما شهوات وطعام وفواكه الجنة ((لَا مَفْطُوعَةٌ وَلَا مَمْنُوعَةٌ))^(٤)، وفي الحديث: ((فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ رَأَيْتَكَ تَنَوَّلْتَ شَيْئًا

(١) حكم الألباني: صحيح (انظر حديث رقم: ٥١١٦ في صحيح الجامع)

(٢) بيس: ٦٨

(٣) الواقع: ١٩

(٤) الواقع: ٣٣

فِي مَقَامِكَ هَذَا ثُمَّ رَأَيْنَاكَ تَكَعَّكَعْتَ قَالَ: (إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ - أَوْ أَرَيْتُ الْجَنَّةَ - فَتَوَلَّتْ مِنْهَا عُنْفُودًا وَلَوْ أَحَدَتْهُ لَأَكَلْتُ مِنْهُ مَا بَقِيَّتِ الدُّنْيَا) ^(١).

- الجنة هي أعجب من الخيال والسحر؛ لأنّ كيف لإنسان أن يعيش بلا موت ولا مرض ولا شيخوخة وفي متع لا تحصى، فما بالك والجنة حقيقة وليس خيالاً، فهذا أمر عجيب ومدهش يؤثر على مشاعر الإنسان وانفعالاته وتصرفاته و يجعله يتربّط طوال عمره لهذا الكنز الحقيقي الذي هو أعظم من الكنوز التي تذكرها القصص والخيالات.

- كل ما يمكن أن تخيله من المتع والشهوات من نساء فاتنة ساحرة وخمور وكل ألوان الطعام والشراب وكل ألوان المرح والترفيه فشهوات الجنة أكبر من ذلك، وكل شيء بمجرد أن تتمناه يتحقق لك كأنه سحر لكنه حقيقة، وكل هذا موجود الآن في الجنة: ((وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيَ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّلُ الْأَعْيُنُ)) ^(٢)، ((وَهُمْ فِي مَا اسْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ)) ^(٣)، ((وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيَ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَعُونَ)) ^(٤)، ((لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدِينَا مَزِيدٌ)) ^(٥)، وفي الحديث القدسي: ((أَعْدَدْتُ لِعَبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ وَلَا أَذْنَ سَمِعَتْ وَلَا خَطْرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ)) ^(٦).

- فما في الدنيا من طعام وشهوات ليس إلا مجرد اسم فقط: ((وَبَيْشِرُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلُّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلٍ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)) ^(٧)، وفي الحديث: ((ليس في الجنة شيء مما في الدنيا إلا الأسماء)) ^(٨)، وفي الحديث: ((إن مطعم ابن آدم قد ضرب مثلاً للدنيا وإن قزحه وملحه فانظر إلى ما يصير)) ^(٩)،

(١) تعليق الشيخ الألباني: صحيح (صحيح أبي داود: ١٠٧٥)

(٢) الزخرف: ٧١

(٣) الأنبياء: ١٠٢

(٤) فصلت: ٣١

(٥) ق: ٣٥

(٦) حكم الألباني: صحيح (انظر حديث رقم: ٤٣٠٧ في صحيح الجامع)

(٧) البقرة: ٢٥

(٨) حكم الألباني: صحيح (انظر حديث رقم: ٥٤١٠ في صحيح الجامع)

(٩) حكم الألباني: حسن (انظر حديث رقم: ٢١٩٥ في صحيح الجامع)

وفي حديث آخر: ((والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدهم
أصبعه هذه في اليم فلينظر بم يرجع))^(١).

- الساحر يسحر لك أشياءً تدعو للدهشة والعجب فيحدث خوف من مهابة
الأمر، أما شهوات الجنة فهي فوق مستوى الخيال وأعجب من السحر،
فضلاً عن أنها حقيقة وليس سحراً، فلماذا لا يحدث خوف من مهابة
الأمر؟ ولماذا يحدث الحب والرجاء لشهوات الدنيا ونساءها في حين لا
يحدث ذلك لشهوات الجنة التي هي أعظم بكثير؟؛ ذلك لأن الجنة غير
موجودة في المشاعر، ففي المشاعر هي خيال أو وهم أو شيء مصنوع
من البلاستيك لا معنى له، أو شيء بعيد الاحتمال تماماً أو كلاماً نظرياً
فقط كأساطير الأولين، رغم وجود الاقتناع التام واليقين التام بوجود
الجنة.

ـ اليقين الحقيقي بضالة قيمة المال أمام متع الجنة:

- المال هو أهم وسيلة للحصول على متع الدنيا، ومتى الدنيا بالمقارنة
بمتى الجنة فهي تساوي صفر، وهذا معناه أن قيمة المال تساوي صفر،
وكذلك بالمقارنة بين مدة التمتع بالدنيا أمام الخلود في الجنة فمتى الدنيا
تساوي صفر، أي أن قيمة المال تساوي صفر.

- قد يكون الإنسان فقيراً لكن قلبه متعلق بالمال، وقد يحصل الإنسان على
المال من طريق حلال ولكن قلبه متعلق بالمال.

- إذن فالإنسان العاقل الذي يؤمن بالجنة لا يتعلق أبداً بالمال، والتعلق
بالمال معناه أن اليقين بالجنة كاذب، أما إذا كان الإنسان أعمى القلب فهو
يرى المال عظيماً ويتعلق به.

- التعلق بالمال يشمل عناصر التعلق الأربع كال التالي:

١- تأله المال: أي يراه عظيماً.

٢- الهم الأكبر هو المال: فلا هم له غيره.

(١) حكم الألباني: صحيح (انظر حديث رقم: ٧١٠٠ في صحيح الجامع)

٣- تعلق المشاعر بالمال: فرحة وحزنه وغضبه وحبه وخوفه ورجاءه متعلق بالمال.

٤- تعلق الجوارح بالمال: فيبني أمور معيشته على أساس جلب المال ويستغرق أكثر وقته وجهده للحصول على المال ومعظم كلامه عن المال وردود افعاله تتعلق بالمال.

٥- أصعب شيء يمكن أن تطلبه من أحد في هذا الزمان هو أن يغير نظرته إلى المال فبدلاً من أن يراه عظيماً يراه ضئيلاً، فتغيره هذا الأمر أشبه بالمستحيل، وكذلك حبه الشديد للمال ورجاءه الشديد في الحصول عليه وندمه الشديد في ضياعه، وكذلك إذا طلبت منه إلا يكون المال هو الشاغل الأكبر لهم، فالمال هو أهم اختبار للإنسان خاصة في هذا الزمان هل يجعل هدفه الذي يعيش له المال أم الجنة؟، ففي الحديث: ((لكل أمة فتنة وإن فتنة أمتي المال))^(١).

٦- اليقين الكاذب بالجنة:

٧- قيمة الشيء تعرف بالمقارنة بغيرها، فمن عرف الآخرة والجنة والنار معرفة حقيقة رأى الدنيا حقيرة ولم يتعصب بها، وطالما أن الإنسان لا يزال يتعصب بالمال والشهوات في الدنيا فهذا معناه أنه لا يزال لم يعرف الآخرة والجنة والنار معرفة حقيقة.

٨- إذن فمن لا يشعر بأي قدر من حب الجنة والشوق لها والتعجب (الشعور بالمهابة) من مدى ما فيها من ألوان النعيم هو في حقيقته يقول بمشاعره أن الجنة أسطoir الأولين وحواديت الشاطر حسن! رغم اليقين التام بالجنة، فالحور العين بالنسبة له كأنهن نساء خيالية وليس نساء حقيقة فيها لذة أمتع من كل نساء العالم!، فلو كان يشعر بمدى جمالهن حقاً لعاش من أجل الوصول إليهن ورثد في نساء الطين!

٩- تخيل أن رجل يحب امرأة جميلة، ويستيقظ إلى لقائها بماذا يشعر؟ فإن الحور العين أجمل من ذلك بكثير وللقاء بهن حق، فلماذا لا تشعر بالحب

(١) قال الشيخ الالباني: صحيح – السلسلة الصحيحة (٢٢١٦)



للحور العين؟ ولماذا لا تشترق وتحلم بلقائهم؟ ولماذا لا تسبح بخيالك مع فتاة أحلامك من الحور العين فإن كل محبوب يفكر في محبوبه؟ أليست الحور العين حقيقة أم أنها مصنوعة من البلاستيك؟ وأليس الوصول إليهن قريباً جداً؟، وإذا كانت حور الطين يلهم وراءها الكثيرون ويعيشون من أجلها فما بالك بحور العين، إن عبارة (الحور العين) أي التي تتحير فيهن العيون وتندهش من شدة جمالهن.

- إن لكل إنسان مقعده من الجنة ومقعده من النار، فهل تشعر أن الحور العين الآن تشترق إليك وتنظرك إلى أن تلقاها، إن كلمة (الحور العين) هي كلمة موجودة وراسخة في الاقتناع لكن في المشاعر لا يوجد شيء اسمه الحور العين ولا يزال الإنسان لا يعرف شيئاً اسمه (الحور العين).

- تخيل لو علم الناس بوجود كنز كبير يمكن الوصول إليه، تصور كيف ستكون مشاعرهم متوجهة بالشوق للوصول لهذا الكنز، وسوف يشغل ذلك الكنز بهم وأكثر همهم، فالجنة كنز حقيقي هائل لا ينفد، فلماذا لا تتجه إليه المشاعر والتطلعات متلماً تتجه لكنز من كنوز الدنيا؟ ذلك لأن ذلك الكنز الحقيقي (الجنة) في مشاعر البعض إنما هو كلام نظري فقط كأساطير الأولين !!

- ولابد من وجود حقيقي للمشاعر وليس التوهم بوجودها، ويتبين ذلك من خلال وجود الحالة النفسية المميزة للحب والشوق والرغبة في الجنة.

- إذا سمع الإنسان عن وجود كنز وتأكد من وجوده في مكان ما، فإنه يسعى ويلهث وراءه ويحلم بأن يجد فيه الذهب والياقوت والمرجان ويكون ذلك هدفه، ولكن إذا سمع عن وجود الجنة التي هي كنز هائل به الذهب والياقوت والمرجان فلا تجده يلهم وراءه ولا يشترق إليه ولا يشغل به همه ولا يتخيله ولا يحلم به، ذلك لأنه لا يزال لا يعرف الجنة.

ـ المعرفة الحقيقة بخطورة الحياة داخل النار

- إذا وضع الإنسان داخل النار فسوف يموت في لحظات، لكن إذا منعه الله من الموت فسوف يعيش حيا داخل النار خالداً فيها ليذوق آلام الموت

طوال حياته الخالدة من غير أن يموت، فما أقسى وما أشد وما أفظع هذا العذاب، فلا يمكن لعاقل أبداً يوقن بالنار أن ينسى النار، ذلك المصير المرعب الذي يخشاه كل عاقل، فالعاقل يكون دائم التفكير في ذلك الخطر الهائل وكيفية تفاديه.

- إن الغرض الأصلي من وجود النار في الدنيا هو أنها تذكرة ل النار الآخرة: ((نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ))^(١)، ولو كانت نار الآخرة مثل نار الدنيا لكفت، ففي الحديث: ((ناركم هذه التي توقد بنو آدم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم قيل: يا رسول الله! إن كانت لكافية؟ قال: فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها))^(٢).

- لو كانت الشمس هي نار الآخرة وكانت كافية، فيمكن أن تخيل أن الشمس هي نار الآخرة، فإذا رأينا مدى حجمها وشدة نارها بحيث أنها يمكن أن تبتلع الأرض ومن عليها ولا يمثل ذلك سوى واحد على مليون من حجمها، وشدة نارها تصل إلى ملايين الدرجات المئوية، وحر الصيف الذي نعيشه هو مجرد اقتراب بسيط جداً من الشمس فنحن على مسافة هائلة منها، فالشمس عبارة عن كتلة هائلة من النار معلقة في الفضاء ونحن على الكرة الأرضية ندور حول هذه الشمس في دورة كل عام، فإذا ما تصورنا حجم هذه النار وجودها وأننا ندور حولها وأثرها الواصل إلينا فيمكننا أن نتصور مدى خطورة نار الآخرة الأكثر شدة والتهايا.

- وحيث أن وجود هذه الشمس التي هي نار معلقة في الفضاء بهذه الشدة والالتهاب وحيث أنها ما زالت موقدة ولم تنطفئ على مدى ملايين السنين من قبل خلق البشر أساساً، فما بالك إذن بنار الآخرة؟!

- وجميع النجوم مثل الشمس عبارة عن نار هائلة معلقة في الفضاء، ومنها ما هو أضخم من الشمس ملايين المرات، وهذه النجوم ما هي إلا زينة للسماء فانظر إلى مدى قدرة الله تعالى.

(١) الواقعة: ٧٣

(٢) حكم الألباني: صحيح (انظر حديث رقم: ٦٧٤٢ في صحيح الجامع)

- ونار الآخرة موجودة الآن وبالطبع هي أضخم من كل هذه النجوم.

ـ الشعور بمدى عذاب وألم النار:

- إذا ذهبت إلى قسم الحرائق بأحد المستشفيات ونظرت كيف تفعل النار في الجسم، بماذا تشعر؟، وهذا بعد أن حدث الحريق فما بالك لو رأيت حادثة ما فيها أحداً يحترق، وما بالك إذا كنت أنت المصاب في هذه الحادثة؟، إن أهل النار يسمع لجلودهم أزيزًا من الاحتراق متلماً توضع الدجاجة في النار لتشوى، فما بالك لو أنك أنت في مكان هذه الدجاجة!

- فإذا لم يتحقق عندك الشعور بالخوف من مهابة النار والخوف من الوقوع فيها فإن النار في مشاعرك لا تنفع ولا تضر مثل النار التي وضع فيها سيدنا إبراهيم عليه السلام، فإن نار الآخرة في الاقتناع عذابها شديد، أما نار الآخرة في مشاعر البعض فإنها نار لا تحرق قد سلبت منها خاصية الإحرق، فنار الآخرة لا وجود لها في مشاعر البعض.

- وفي الحديث: ((لَوْ كَانَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ مِائَةً [الْأَلْفِ] أَوْ يَزِيدُونَ، وَفِيهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَتَنَفَّسَ فَأَصَابَهُمْ نَفْسُهُ، لَا حَتَّرَقَ الْمَسْجِدُ وَمَنْ فِيهِ))^(١)، وفي الحديث: ((إِنَّ فِي النَّارِ حَيَّاتٌ أَمْثَالُ أَعْنَاقِ الْبُحْتِ؛ يَلْسَعُنَ الْلَّسْعَةَ؛ فَيَجِدُ حَمْوَتَهَا أَرْبَعِينَ حَرِيقًا. وَإِنَّ فِيهَا لَعْقَارَبَ كَالْبِغَالِ الْمُوْكَفَةَ؛ يَلْسَعُنَ الْلَّسْعَةَ، فَيَجِدُ حَمْوَتَهَا أَرْبَعِينَ حَرِيقًا))^(٢)، وفي الحديث: ((لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الرَّزْقِ قَطَرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لَأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ فَكَيْفَ يُمْنَى تَكُونُ طَعَامَهُ؟))^(٣).

- إن نار الآخرة أمر أبعد من كل تصوراتنا وخطر من أشد ما يمكن، وإذا وضعت مقارنة بين نار الآخرة وكل مخاوف الدنيا وألامها فإنها لا تساوي شيئاً، وفي الحديث: ((يُؤْتَى يَوْمُ الْقِيَامَةِ بِأَنْعَمٍ أَهْلَ الدُّنْيَا مِنَ الْكُفَّارِ، فَيُقَالُ: أَعْمَسُوهُ فِي النَّارِ عَمْسَةً، فَيُعْمَسُ فِيهَا، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: أَيْ فُلَانْ هَلْ أَصَابَكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا مَا أَصَابَنِي نَعِيمٌ قَطُّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِ الْمُؤْمِنِينَ

(١) السلسلة الصحيحة (٢٥٠٩)

(٢) السلسلة الصحيحة (٣٤٢٩)

(٣) حكم الألباني: صحيح (انظر حديث رقم: ٥٢٥٠ في صحيح الجامع)

ضرًا وبَلَاءً، فَيُقَالُ: أَغْمَسُوهُ غَمْسَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُغَمَّسُ فِيهَا غَمْسَةً، فَيُقَالُ لَهُ: أَيْ فُلَانْ هَلْ أَصَابَكَ ضُرٌّ قَطُّ أَوْ بَلَاءً؟ فَيَقُولُ: مَا أَصَابَنِي قَطُّ ضُرٌّ وَلَا بَلَاءً^(١)).

- فلا ألم في ألم بعده الجنة، ولا راحة في راحة بعدها النار، لذلك فالعالق يستوي عنده ألم الدنيا مع نعيمها، فكلاهما لعب ولعب، فقارن بين مخاوف الدنيا الفانية وبين الشقاء إلى الأبد فتعيش في عذاب بلا حدود وإلى الأبد، فإن كل آلام الدنيا وهمومها وأحزانها ومشاكلها ليست بشيء أمام آلام النار، وفي الحديث: ((لو أن رجلاً يجر على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرماً في مرضاة الله تعالى لحقره يوم القيمة))^(٢).

- إن كل آلام الدنيا ومشاكلها وهمومها ليست بشيء أمام ألم النار يوم القيمة، فمن كان يشعر بألم الكراهة والضيق لآلام الدنيا ومشاكلها وهمومها وخطورتها ولا يشعر بألم الكراهة والضيق والاشمئزاز لآلام النار في الآخرة (الشعور بالمهابة من شدة النار وخوف الوقوع فيها) لذلك لأن النار في مشاعره خيال وأساطير الأولين!

ـ الخوف والرجاء من فزع هول القيمة:

- الناس يوم القيمة يكونون في خوف شديد ورعب وفزع من هول ما يرون من الاهوال.

- الله سبحانه يجعل المؤمن الذي عبد الله تعالى يكون غير خائف وغير فزع من هذه الاهوال، فمن ضمن الأسباب التي تدفع الإنسان على عبادة الله تعالى هي أن يؤمن من هول يوم القيمة: ((مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ حَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِنْ فَرَّاعِ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ))^(٣).



(١) تحقيق الألباني: صحيح (الصحيح: ١١٦٧)

(٢) رواه أحمد (٤/ ١٨٥) وقال الألباني: صحيح (الصحيح: ٤٤٦)

(٣) التمل: ٨٩

الفصل الأخير

البيتين الكاذب بضعف الانسان وقوه الخالق

- النعم عبارة عن أمران هما صفات في الانسان كالقدرة على السمع والقدرة على الرؤية ونعم الدنيا كالماء والهواء، فإذا قارنا بين النعم التي هي قدرات في الانسان وبين قدرات الخالق فهي لا شيء، وإذا قارنا بين نعم الدنيا ونعم الجنة فهي لا شيء.

- فالإنسان ضعيف لأن الأصل أنه لا يملك سمعاً وأعطاه الله سمعاً، كما أنه لو افترضنا جدلاً أنه يملك سمعه فهو لا شيء أما سمع الله تعالى، وهذا في باقي الصفات، وأيضاً فالإنسان ضعيف لأن الأصل أنه لا يملك شيئاً من نعم الدنيا، كما أنه لو افترضنا جدلاً أنه يملك هذه النعم فهي لا شيء أما نعم الجنة.

- فمعنى أن الانسان يتعلق بالنعم هو أنه يتعامل مع النعم على أنه مالكها لتدل على قوته بدلاً من أن تدل على قوة الله تعالى.

ـ النعم تدل على قوه الخالق وضعف الانسان:

- إذا لم يكن هناك خالق فالإنسان قوي بما يمتلكه من قدرات وما عنده من ممتلكات وقدرته على التحكم فيما حوله وأنه لا يقدر عليه أحد.

- وجود الخالق جعل الانسان ضعيف لأنه بمقارنة قوه الانسان الى قوه الخالق فلا شيء كما ان الانسان نفسه وما عنده من قدرات هو من صناعة الخالق وملكاً له.

- الانسان الذي يريد أن يكون قوي ماذا يصنع؟ يتجاهل الخالق ويعيش بأنه لا خالق وهذا من الغباء لأنه لن يغير من حقيقة الامر شيئاً.

- الانسان يوقن بأن ما عنده عين واذن وصحة وماء وهواء وممتلكات هو نعم من الله لكنه يتجاهل ذلك ويعامل مع ما عنده على انه مملكاً له،

فبدلاً من أن تكون النعم دليلاً على عظمة الله جعلها دليلاً على عظمة نفسه

- فمثلاً عين الإنسان وما بها من اعجاز ليست صفة مدح للإنسان بل هي صفة مدح لمن خلقها ولصحابها، ولكن الإنسان يتعامل مع هذه النعمة على أنها ملكاً له وعلى أنها ليس عطاً من الله له وبالتالي يجعلها صفة مدح له فيغتر بنفسه، وهكذا في باقي النعم.

- فعظمة النعم تدل على عظمة أصحابها، لكن الإنسان يتعامل مع النعم على أنه هو صاحبها وليس الله.

- وكذلك فالقدرة على سلب النعم تدل على عظمة قدرة الله تعالى وذلك بالابتلاءات وبالموت، لكن الإنسان يتجاهل ذلك حتى لا يشعر بضعفه.

الإنسان يتعامل مع النعم على أنه مالكها لتدل على قوته بدلاً من أن تدل على قوة الله تعالى:

- كل الأشياء مسخرة ومفيدة للإنسان، وكل شيء نعم للإنسان، فالإرادة نعمة، والعقل نعمة، والروح التي يحيا بها نعمة، والعين نعمة، واللسان نعمة، والماء نعمة، والهواء نعمة، والمال والزوجة والأولاد نعمة، والبترول في باطن الأرض نعمة، وكل شيء هو نعم من الله سبحانه.

- فمن عرف حقيقة النعمة فإنه يتعامل مع النعم على أنها ملك الله وأنها رزق للإنسان مقدر لا دخل للإنسان فيه ولا يزيد أو ينقص بسعيه أو عدم سعيه، وأنها هدية عظيمة أهدى لها فيفرح بها فرحاً عظيماً ويرحب من أعطاها له، أما الغافل فإنه يتعامل مع النعم على أنه مالكها وهو الذي أتى بها بکده وسعيه، أو أنها موجودة من تلقاء نفسها، أو أن غيره من البشر هو الذي أوجدها وأعطتها له، أو أن الزمان أو الدنيا أو الأسباب هي التي أوجدتها، ويتعامل مع النعم على أنها تزيد وتنقص حسب سعي الإنسان رغم وجود اليقين التام بأن النعم ملك الله وأن الله هو الذي يعطي النعم ويسلبها بما يشاء، وأنه النافع الضار وغيره لا ينفع ولا يضر، وأن الرزق مضمون ومقدر!.

- كل الناس يعترفون بأن كل شيء هو نعم من الله تعالى عليهم، ولكنهم يتعاملون مع النعم على عكس ذلك تماماً كأنهم هم الذين أوجدوها لأنفسهم ولم تأتهم من الله وكانتها ملكاً لهم وليس ملكاً لله تعالى، فعندما ينعم الله على الإنسان بنعمة تجد أن الإنسان يعتبر أنه حصل عليها بسعيه وكده فيقول: (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ)، فيقول تعالى: ((فَإِذَا مَسَ الْإِنْسَانُ ضُرًّا دَعَانَا ثُمَّ إِذَا حَوَّلْنَا نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ))^(١)، وكذلك قال قارون: ((قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي))^(٢)، وفي تفسير البحر المحيط: ((وَلَئِنْ أَذْفَاهُ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتُهُ لَيَقُولُنَّ هَذَا لِي))^(٣) {لِيَقُولُنَّ هَذَا لِي} أي يسعى واجتهادي، وَلَا يَرَاهَا أَنَّهَا مِنَ اللَّهِ))^(٤).

- وبدلاً من أن تكون النعم سبباً لمعرفة قدرة الله وقوته وإنعامه اغتر بها الإنسان كأنها ملك له وكأنه أوجدها لنفسه واعتبرها قوة له، لذلك لا يريد أن يستسلم، لذلك عند الموت لا يريد أن يترك النعم كالمال والمسكن والزوجة والأولاد والجاه والسلطان أو نعم كالعيين والأنف والصحة... إلخ، كأنها ملكاً له ولا يحق لأحد أن يأخذها منه وإلا كان ظالماً فعند الموت تخرج روحه بصعوبة لتعلقها بهذه النعم، ويكره من يقبض روحه لأنه لا يشعر بأنها أمانة أو عارية يستردها صاحبها (وهو الله سبحانه)، ولا يشعر أنه هو نفسه ملك الله تعالى، ولذلك علمنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن نقول إذا توفي أحد: ((الله ما أخذ وما أعطى وكل شيء عنده إلى أجل))^(٥).

- ما عند الإنسان من مال وأولاد ومتلكات هي ملكاً له على سبيل المجاز، وكذلك ما عنده من عقود تملكه لعقارات وغير ذلك هو ملكية مجازية للتعامل فيما بيننا، وكذلك ما يملكه الإنسان من سمع وبصر وعقل ملكاً للإنسان مجازاً، أما المالك الحقيقي لكل شيء هو الله سبحانه،

(١) الزمر: ٤٩

(٢) القصص: ٧٨

(٣) فصلات: ٥٠

(٤) البحر المحيط في التفسير (٣١٦/٩)

(٥) تحقيق الألباني: صحيح (الأحكام: ١٦٣ - ١٦٤)

ولكن الانسان يتعامل مع ما عنده من هذه الامور وغيرها على أنها ملكا له على سبيل الحقيقة وليس على سبيل المجاز، لذلك يتعلق بها ويغتر بها.

- النعم دليل على قدرة الخالق لأن الانسان لا يستطيع إيجادها وعلمه قاصر على إتقانها بدقة معجزة تلبى احتياج الانسان، ولكن الانسان يتغافل عن ذلك ويتعامل مع النعم على أنها قوة له وأنه هو الذي أوجدها لنفسه.

- فهناك طريقتين للتعامل مع النعم بما تعتبرها إنعام من الله وتدل على عظمة الخالق وعجز الانسان وهذا هو التعامل الصحيح، والتعامل مع النعم على أنها ملكا للإنسان وكأنه هو الذي أوجدها لنفسه ولم يعطها أحد له، فيراها قوة له فيغتر بنفسه.

- وفي هذه الحالة المذموم ليس النعم ولكن المذموم هو الاغترار بها، فالنعم كالصحة والنظر والمال والأولاد والتكنولوجيا في حد ذاتها ليست مشكلة بل هي فضل من الله نرجو منه الاستزادة، ولكن المشكلة هي هل الانسان مغزور بها ويتعامل معها كأنه يمتلكها ويعتبرها مصدر قوة له وبالتالي لا يخضع باعتبار أنه قوي أم لا؟

- قدرة الانسان على صنع المعجزات وصنع الحياة المدنية الحديثة من خلال العلم المادي هائلة جدا لكنها لا شيء أمام قدرة الله تعالى، فمن أغمض عينه عن قدرة الله اغتر بقدرة الانسان ورأى أن الانسان قوي وبالتالي لا يعيش معيشة الخضوع وهو في القرن الحادي والعشرين، ففي تفسير مفاتيح الغيب: ((أَفَمَنْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) فَلَمَّا جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ})^(١) ... يجوز أن يكون المراد علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبرها كما قال تعالى: يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ

(١) غافر: ٨٢، ٨٣

عن الآخرة هُم غافلُونَ^(١)، ذلك مَبْلَغُهُم مِنَ الْعِلْمِ^(٢)، فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهي معرفة الله تعالى ومعرفة المعاد وتطهير النفس عن الرذائل لم يلتفتوا إليها واستهزءوا بها، واعتقدوا أنه لا علم أفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به^(٣)، وفي التفسير القرآني للقرآن: (قوله تعالى: «ذَلِكُم بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ» أي ذلك الذي أنتم فيه من بلاء وعذاب في الآخرة، هو بسبب ما كنتم عليه في الدنيا من غرور بما ملكتم فيها، وزهو وعجب بما بين أيديكم من زخرفها ومتاعها، فصرفكم ذلك عن أن تنتظروا إلى ما وراء يومكم الذي أنتم فيه، فقطعتم حياتكم في فرح ومرح، ولهو وعبث^(٤)، أي فرح غرور بالدنيا كأنهم هم الذين جلوا متع الدنيا لأنفسهم فهي ملكهم وهم أقوياء بذلك فاستكثروا عن الخصوص الله القوي).

- فبدلا من أن تكون نعم الله سببا لمعرفة الله وشكوه ومحبته جعلها بعض الناس سببا لرفض دعوة الرسل لأنهم اغترروا بهذه النعم وحسبوا أنهم أقوياء بها ولم يعتبروها نعم من الله ولكن اعتبروا أنهم مالكوها وصانعواها وأنهم أقوياء بها فرفضوا الخصوص فأهلكهم الله وأهلك النعم التي اغترروا بها، فقوم عاد كان عندهم من صور القوة والمدنية الكثير: ((فَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي حَلَقُهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ^(٥)، ((أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبُثُونَ (١٢٨) وَتَنْحِذُونَ مَصَانِعَ لَعْلَكُمْ تَخْلُدُونَ^(٦)، فكان مصيرهم: ((وَمَّا عَادُ فَأَهْلَكُوا بِرِيعٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةً ، سَحَرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَانُوكُمْ أَعْجَازٌ نَحْلٌ حَلَوِيَّةً^(٧)، وهذا هو مصير الذين يغترون بأنفسهم ويدعون القوة بما عندهم من النعم: ((أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا

(١) الروم : ٧

(٢) النجم : ٣٠

(٣) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٥٣٥ / ٢٧)

(٤) التفسير القرآني للقرآن (١٢٦٩ / ١٢)

(٥) فصلت: ١٥

(٦) الشعراء: ١٢٨، ١٢٩

(٧) الحاقة: ٧

كيفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءُنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمُهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ^(١)، ((أَلَمْ يَرُوا كُمْ أَهْلُكُنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكُنَا هُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا أَخْرَيْنَ^(٢)، ((وَكُمْ أَهْلُكُنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْاثًا وَرَبِّيًّا^(٣)، ((وَلَقَدْ مَكَّنَاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَاهُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهِزُونَ^(٤)).

- التعلق بأسباب الرزق يدل على أن الإنسان يتعامل مع النعم على أنها ليست من الله وبالتالي فهي قوة له:

- كل انسان يعلم أن الرزق مضمون وفي الحديث: ((أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب فإن نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم))^(٥).

- ولكنه يتعلق بأسباب الرزق، فتكون عناصر التعلق الأربع مرتبطة بالرزق أي أنه يتاله أسباب الرزق (ينظر إليها نظرة تعظيم فيعتبرها أهم شيء في حياته) وتعلق بها مشاعره فتكون محبوبه الأعظم ورجاءه وخوفه الأكبر، وتكون همه الأكبر الدائم الذي لا يفارق ذهنه، وسلوكيه وتصرفاته وانفعالاته وعمله وأكثر وقته دائماً منشغل بتحصيل لقمة العيش وتوفير متطلبات المعيشة، من طعام وشراب وأن يعيش بصحة ويجد مكان آمن يعيش فيه والانفاق على أسرته وغير ذلك مما يريده من أمر الدنيا للمعيشة، وهو بذلك يجعل هدفه الذي يعيش له هو التغلب على أعباء الحياة ومشاكلها اليومية والتغلب على ما عنده من مشاكل وصراعات دنيوية والخروج من الفقر أو نقص المال وغير ذلك، فيجعل

(١) الروم: ٩

(٢) الانعام: ٦

(٣) مرivity: ٧٤

(٤) الاخلاق: ٢٦

(٥) تحقيق الألباني (صحيح) انظر حديث رقم: ٢٧٤٢ في صحيح الجامع.

قضيته في الحياة توفير لقمة العيش كأن الله خلقه لذلك: ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا
وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ (٥٦) مَا أَرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أَرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ
(٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ دُوَّلُ الْقَوَّةِ الْمَتَّيْنِ))^(١).

- وإذا وضعت مقارنه بين نظرته لأسباب الرزق وتأثير مشاعره وهمه وجوارحه وبين نظرته لخطورة الآخرة ولقاء الله وتأثير مشاعره وهمه وجوارحه بذلك تجد الفارق بينهما كالفارق بين السماء والأرض.

- لاحظ أن هناك فرق بين التعلق بأسباب الرزق والأخذ بأسباب الرزق، فالأخذ بأسباب الرزق معناه أنه يمشي بجوارحه في طلب الرزق وليس يلهث وراءه ليلاً ونهاراً، فلا ينظر إليه نظرة تعظيم ولا يشغل همه به ولا تتأثر مشاعره به ولا تتعلق جوارحه به فلا يكون ذلك هدفه من حياته وإنما أخذه بـأسباب هو لمجرد أنه مطالب بذلك.

- والتعلق بأسباب الرزق معناه أن الإنسان يقول بلسان حاله أن الله ليس هو الرزاق وإنما يأتي الرزق من سعي الإنسان وبأن الرزق ليس له مقدار ثابت وإنما مقداره بحسب سعي الإنسان.

ـ التعلق بالمال والنعم يكشف حقيقة البيقين بضعف الإنسان وبأن النعم من الله تعالى:

- الإنسان ضعيف لأنه لا يملك النعم (المال والصحة والهواء)، والله قوي لأنه يملك النعم وهي لا شيء فيما عند الله تعالى.

- الإنسان لا يفتخر ويفرح بالمال الموجود عند أحد غيره لأنه ليس ماله وبالتالي لا يتعلق به.

- كما أننا لو افترضنا أن الإنسان يملك هذه النعم فلا يكون قوياً بها لأن هذه النعم بالمقارنة بما عند الله وبما في الجنة فهي لا شيء فهو لا يزال ضعيف حتى لو كان يمتلكها وبالتالي لا يتعلق بها وإنما يتعلق بالقوى الذي عنده ما هو أعظم بكثير، ففي الحديث القدسي عن الله تبارك وتعالى أنَّه قال: ((يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي

(١) الذاريات: ٥٦ - ٥٧

صَعِيدٌ وَاحِدٌ فَسَالَوْنِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مَمَّا
عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْفُصُ الْمِحْيَطُ إِذَا دَخَلَ الْبَحْرَ) (١).

- فالنعم عبارة عن أمران هما صفات في الإنسان كالقدرة على السمع والقدرة على الرؤية ونعم الدنيا كالماء والهواء، فإذا قارنا بين النعم التي هي قدرات في الإنسان وبين قدرات الخالق فهي لا شيء، وإذا قارنا بين نعم الدنيا ونعم الجنة فهي لا شيء.

- فالإنسان ضعيف لأن الأصل أنه لا يملك سمعاً وأعطاه الله سمعاً، كما أنه لو افترضنا جدلاً أنه يملك سمعه فهو لا شيء أما سمع الله تعالى، وهكذا في باقي الصفات، وأيضاً فالإنسان ضعيف لأن الأصل أنه لا يملك شيئاً من نعم الدنيا، كما أنه لو افترضنا جدلاً أنه يملك هذه النعم فهي لا شيء أما نعم الجنة.

- فمعنى أن الإنسان يتعلق بالمال والنعم هو أنه يتعامل معها كأنها ملكه ويعامل معها كأنه لا يوجد من عنده أعظم منها، أي كأنه لا خالق ولا آخرة.

- التعلق بالمال والنعم معناه أن يقين الإنسان بأنه ضعيف وبأن الله هو القوي هو يقين كاذب، ومعنى أن اليقين بأن الله صاحب النعم وأنها نعم من الله كاذب.

- ولو قارنت بين تعلق الإنسان بالمال وتعلقه بالله تعالى تجد أن تعلقه بالمال وليس بالله، فنظرته للمال عظيمة في حين لا ينظر إلى الله نظرة تعظيم ولا يحب غير المال ولا يرجو سواه ولا يخاف إلا عليه ولا يفرح ولا يحزن ولا يغضب إلا به، ويلهث وراء جمع المال وكل تصرفاته وسلوكه تدل على أنه لا يعمل إلا له.

(١) صحيح مسلم (٢٥٧٧)

- اليقين الحقيقى بمدى قدرة الخالق سبحانه:

- القدرة على خلق السماوات بما فيها من مرات لا حصر لها هي قدرة خارقة وهائلة جدًا يقف الإنسان أمامها عاجزاً متثيراً: ((فَارْجِعُ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعُ الْبَصَرَ كَرَّتِينَ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِنًا وَهُوَ حَسِيرٌ))^(١).

- فإذا حدث انهيار وتعجب ودهشة من مدى خطورة الأمر والشعور بالمهابة فعندئذ قد عرف الإنسان قدرة الله معرفة حقيقة.

- الساحر يستطيع أن يصنع أي شيء ولكن في الخيال وليس في الحقيقة، فهو يسرّع أعين الناس، أما الخالق فيستطيع أن يصنع أي شيء في الحقيقة وليس في الخيال، فقدرة الله أعظم من السحر، فيصنع أي شيء بدون أسباب أو يحول شيء إلى شيء آخر مختلف تماماً بدون أي أسباب وبمجرد قوله كن فيكون، فهذه قدرة هائلة لا يستطيعها أي بشر.

- فالساحر يستطيع أن يخرج لك ناقة من الصخرة ولكن غير حقيقة، والله أخرج ناقة صالح من الصخرة وهي حقيقة حتى أنهم كانوا يشربون لبنها وذبحوها بأيديهم وأكلوها.

- وسحرة فرعون صنعوا ثعابين من الحبال ولكنها خيالية، والله صنع ثعابنا من الجبل ولكن حقيقية.

- فإذا كان السحر أمراً عجيباً ويرث في النفس الدهشة والانهيار والإعجاب فالقدرة الحقيقة أغرب من السحر فلماذا لا يحدث في النفس الدهشة والإعجاب بقدرة الله تعالى؟؛ ذلك لأن اليقين الحقيقى بقدرة الله غير موجود.

- تصور مدى الفارق الهائل بين قدرة الإنسان وقدرة الخالق:

- لو كانت قدرة الخالق أكبر من قدرة الإنسان مرتين أو ثلاثة مثلاً فربما ذلك لا يثير الانتباه كثيراً، وإذا كانت قدرة الخالق أكبر من قدرة الإنسان ألف مرة، فذلك يجعل العاقل يتصور في ذهنه مدى هذه القدرة الهائلة

(١) الملك: ٣ ، ٤

ويشعر بالتعجب والانبهار والدهشة من هذه القدرة العجيبة، ويستمر انشغال ذهنه بهذا الأمر العجيب.

- ولكن قدرة الخالق أكبر من قدرة الإنسان إلى ما لا نهاية، فإذا لم يشعر الإنسان بالتحير والتعجب من مدى هذه القدرة وإذا لم يشغل باله بهذا الأمر العجيب ويستمر هذا الشعور بالتعظيم والتحير من مدى هذه القدرة فهذا معناه أن الإنسان لا يعقل.

ـ اليقين الحقيقى بعظمة صفات الله تعالى:

- لا يكفي أن يتصور الإنسان صفات الله، وإنما لابد أن يتصور مدى مقدار وعظمة هذه الصفات، فهي صفات خارقة فوق كل التصورات، فالله هو الخالق ولكنه لم يخلق واحداً من البشر أو شيئاً واحداً ولكن قدرته على الخلق هائلة فهو خلق كل هذه البشرية التي لا تعد ولا تحصى، وكل هذا الكون الهائل جداً، والله هو العليم ولكن علمه ليس لما يحدث مع إنسان واحد أو اثنان ولكن علمه مع كل البشرية وكل الذرات والجزئيات وكل ساكن وكل متحرك وفي نفس الوقت، والله يرى كل شيء والحواجز لا تمنعه من رؤية أي شيء حتى ما يكون في الظلام ويرى ما يحدث داخل الذرة، وكذلك يسمع كل من يتكلم وكل ما يصدر عنه صوت حتى ولو كان دبيب نملة على الأرض وكل ذلك في آن واحد، والله يستطيع أن يلغي الزمان والمكان ويلغى قوانين الأسباب ويفعل كل ما يريد في أقل من لحظة، وهكذا.

- صفات الله سبحانه ليست مجرد صفات موجودة ولكنها تصل إلى حد الكمال من العظمة بحيث تجعلك تتحير وتندesh وتعجب وتعجب وتنبه وتذهل من مدى عظمة الخالق وقدرته سبحانه، وهذا هو معنى كلمة (إله) في اللغة، ففي تاج العروس: ((إله يا إله إذا تَحَيَّرَ، يُرِيدُ إِذَا وَقَعَ الْعَبْدُ فِي عَظَمَةِ اللهِ وَجْلَالِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صَفَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ وَصَرَفَ تَوْهُمُهُ إِلَيْهَا، أَبْعَضُ النَّاسَ حَتَّىٰ مَا يَمْلِئَ قَلْبَهُ إِلَى أَحَدٍ)).^(١)

(١) تاج العروس من جواهر القاموس - دار الهدى (٣٢٢ / ٣٦)



- القدرات الهائلة للخالق هي معجزات فوق الأسباب، كقدرة الله على أن يسمع كل شيء ويرى كل شيء ولا ينسى شيئاً مما يفعله العباد من صغيرة أو كبيرة منذ بدأ الخلق إلى قيام الساعة.

- عدم وجود التاله والتاثر بقدرة الخالق معناه أن الإنسان لا يزال لا يعرف من هو الخالق وكأنه لم يسمع عنه.

تَوْحِيدُ الصَّفَاتِ:

- الناس كلهم ضعفاء لأن ما عندهم من قوة إنما هو عطاء من الله لهم، فالقوه ليست نابعة من أنفسهم ولا هم أوجدوها لأنفسهم، والضعف صفة ذم، والقوه صفة مدح.

- الناس كلهم فقراء لأن ما عندهم من مال هو مال الله، والفقر صفة ذم والغنى صفة مدح.

- صفات الضعف والنقص كلها عند الإنسان، فالاصل أن الإنسان أعمى لا يرى وما عنده من عين إنما هي ملك الله وليس ملكا له وليس هو الذي أوجدها لنفسه وإنما هي أمانة يسأردها الله منه، وهكذا في كل النعم، بل إننا إذا أخذنا جميع النعم من الإنسان أصبح لا شيء.

- فالخالق سبحانه له جميع الصفات الحميدة، ولا يقتصر الأمر على ذلك فهذه الصفات تصل إلى درجة الكمال وفوق كل تصورات الإنسان، وما عند الناس من الصفات الحميدة هو مجرد عطاء من الله لهم وليس صفات أصيلة فيهم، فالله وحده الغني والناس الفقراء، والله وحده العليم والناس لا يعلمون شيئاً، وهكذا.

- صفات القوة عند الإنسان والتي تتمثل في قوة جسمية وجاه وسلطان ومال ومتلكات ونعم يتمتع بها، كل هذه الصفات ليست قوة له وهو ضعيف؛ لأنه لا يملك شيئاً منها وما هي إلا نعم من الله عليه، والله هو الذي يملك كل شيء، فجميع الناس ضعفاء وليس فيهم قوى، فلا قوي

بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ وَكُلُّ مَا سُوِّيَ اللَّهُ ضَعِيفٌ: ((وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْفُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا))^(١).

- فكل ما سوى الله فيه كل صفات النقص والعجز والضعف وما عند الإنسان من صفات حميدة إنما هي مجرد عطاء من الله وليس أصلية فيه وبالتالي ليست مدحًا له وإنما مدحًا لمن أعطاها إياه.

- جميع المخلوقات هي في ذاتها فيها كل الصفات المذمومة وما عند المخلوقات من صفات حميدة هي عطاء من الخالق وليس أمور في ذاتها، فالمخلوقات في ذاتها لا تمتلك شيئاً وليس لها حول أو قوة أو علم، كما أن الذي لديه صفات حميدة معرضة لأن تسلب منه بهذه صفات ذم، وجميع الصفات الحميدة هي للخالق وحده، فهي صفات ذاتية في ذات الخالق سبحانه لم يكتسبها من أحد ولم يعطيها أحد له ولا يستطيع أحد أن يسلبها منه سبحانه، إذن فلا يحب لذاته إلا الله، وجميع المخلوقات يبغضها الإنسان لذاتها لضعفها ونقصها، وما يحبه الإنسان في المخلوقات هو من حب الله أي هو حب في الله وليس حب لذات المخلوق؛ لأن المخلوق في ذاته لا يملك ولا يعلم شيئاً وما عنده من إرادة هي عطاء من الله ومعرضة لأن يسلبها الله منه في أي وقت، وحب الرسول صلى الله عليه وسلم هو حب في الله أي هو من حب الله تعالى وكذلك حب المؤمنين.

- فالحب الحقيقي هو فقط لله لأن كل أحد غير الله هو ضعيف وما عنده من قدرة إنما هي عطاء من الله، والخوف الحقيقي والرجاء الحقيقي هو من الله فقط لأن كل ما سوى الله لا ينفع ولا يضر ولا يملك ثواباً ولا عقاباً، ففي الحديث: ((يا غلام! إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأله الله وإذا استمعت فاستمعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك بشيء إلا قد كتبه الله عليك جفت الأقلام ورفعت الصحف))^(٢).

(١) الفقرة: ١٦٥

(٢) تحقيق الألباني: صحيح (انظر حديث رقم: ٧٩٥٧ في صحيح الجامع)

ـ اليقين الحقيقى بصفات الإنعام:

ـ الأصل أن الإنسان محروم من كل النعم ثم أعطاه الله هذه النعم، وإذا حرم الإنسان من كل النعم فهو ميت أو عدم؛ لأن كل شيء هو نعم للإنسان، فالأصل أنك أعمى ثم أبصرت، فانظر كيف يشعر إنسان أعمى إذا أبصر، إنه عندئذ فقط يشعر بنعمة البصر، ويشعر بحب عميق جداً لمن أنعم عليه بأن جعله يبصر، وهذا في كل النعم: ((كَيْفَ تَكُفُّرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أُمَوَّاتٍ فَأَحْيَيْكُمْ))^(١).

ـ إذا لم يكن لديك شيئاً على الإطلاق من طعام أو شراب وأتاك أحد بشربة ماء فأنت حينئذ تكون ممتناً شاكراً، وهذا الماء بالنسبة لك هو نعيم ونعمة كبيرة؛ لأنه جاءك ولم تكن تستحقه وهو ذو قيمة كبيرة وأنت في احتياج كبير له، فلا بد أن تشعر بأنك تعيش في نعيم مهما كان حالك من الفقر والمرض.

ـ فالنعم أمانة أو عارية يستردها صاحبها وهو الله سبحانه في أي وقت شاء، لذلك فأنت تشكر الله لما أعطاك، ولا تكرهه لما سلب منك؛ لأنه أعطاك أمانة تمنت بها فترة من الزمن بغير استحقاق منك، فأنت تشكره لما استفدت به من هذه النعمة خلال هذه الفترة، وكذلك لا يحزن العاقل إذا فقد نعمة؛ لأنه لا يملك شيئاً أصلاً فهذا هو الأمر الطبيعي بالنسبة له.

ـ فيتحقق الشعور بأن الله هو المالك وأن له صفات الإنعام بأن يشعر الإنسان بعظمة نعم الله عليه، وبمدى احتياجاته إلى هذه النعم وأنه لا تقوم حياته بغيرها وأنه غير مستحق لأي منها، وأنه لم يحصل عليها لا من كسب ولا كد ولا تعب فهذه مجرد أسباب وإنما هذه النعم هي محسنة تكرم وإنعام من الله العظيم إلى العبد الفقير المعدوم الذي لا يملك حتى نفسه.

ـ أنت إذا طلب منك أن تبيع عيناك مقابل مائة ألف جنيه فهل توافق؟ طبعاً لا، وإذا طلب منك أن تبيع سمعك مقابل مائة ألف جنيه فهل توافق؟ طبعاً



لا، وهذا، إذن أنت تملك مئات الآلاف من الجنيهات، ولا يعرف قيمة النعمة إلا من فقدها.

- إذا سلبت النعم من الإنسان فأصبح بغير عين ولا أنف ولا مال ولا سلطان فعندئذ يشعر بالضعف والعجز والنقص والخضوع، وإذا لم تسلب هذه النعم من الإنسان فينبغي أن يشعر بنفس هذه المشاعر (أي بالضعف والعجز والنقص والخضوع) لأنها ليست ملكاً له، فحقيقة أنه معدوم مسلوب النعم لا يملك شيئاً، وينبغي عليه أن يشعر بالانهزام والاستسلام والتدلل لمن يعطي هذه النعم له، وينبغي أن يشعر أن الذي يعطيه هذه النعم قوي متكبر ومتعال بما يمتلك من هذه النعم التي يعطيها لهذا الفقير المحتاج المسكين الذليل، كما ينبعي أن يشعر بالحب لمن يمن عليه ويترکم عليه ويتفضل عليه بهذا الإحسان بغير أن يكون مستحفاً لهذا العطاء، كما ينبعي أن يشعر أنه لا يستطيع هو بنفسه مهما سعى وعمل أن يحصل على هذه النعم ويجلبها لنفسه فيشعر بالتوكل والاعتماد على من يعطيها له.

- فإذا لم يشعر الإنسان بهذه المشاعر تجاه الخالق، فهذا معناه أنه لا يزال غافلاً لا يعرف معنى (الخالق) معرفة حقيقة.

- لو أن رجلاً أعطاك مالاً وبيتاً ومرتبًا شهرياً وزوجك وتکلف برعايتك وتودد إليك فلماذا لا تحبه؟ فيجب عليك أولاً أن تشعر بالتجدد والاحتياج إلى النعم وأنك لم تأت بالنعم من كذلك أو تعبك وأنها ليست ملكاً لك وأنك في أمس الحاجة إليها، ثم تتصور أن أحداً يعطيك هذه اللقمة التي تأكلها عن جوع واحتياج وبدون ثمن ولا مقابل فتحبه، وكذلك تتصور أن أحداً يعطيك ما تلبس وما تملك من عنده وبلا مقابل، إنك عندئذ تشعر بالحب له، أما إذا كنت تتصور أن ما عندك إنما هو من كذلك وتعبك وأنه ملك لك أو أن أحداً أعطاك حقاً لك وواجباً عليه وهو ملك لك فلن تشعر بالحب لله.

- وتتصور أنك تقابلت مع شخص هو الذي كان قد أنفق عليك ورعاك طوال سنوات عمرك منذ أن كنت رضيئاً وأعطاك السكن الذي تسكن



فيه وكل شيء فمماذا تشعر؟ ولماذا لا تجد مثل هذا الشعور والله هو المالك لكل شيء المنعم عليك وأنت بين يديه ولا تغيب عنه طول وقتك.

- وتصور لو أنك ذهبت إلى مكان ما وقيل لك أن مصاريف الإقامة والطعام والشراب والملابس على حساب فلان، تصور فعلاً أن إقامتك في هذه الدنيا مدفوعة الحساب (فأنت لا تملك أن تدفع حساب شربة ماء واحدة) إذا لماذا لا تحب الله؟ ولماذا تتوكل على غير الله لأن تعتمد على نفسك؟ ولماذا يكون كل همك في إحضار الرزق؟

- إذا شعرت فعلاً بأن النعم من الله فإنك إذا أكلت أكلة أو شربت شربة فإنك تستشعر أن هذه الأكلة أو هذه الشربة هي ملك الله ليس لك فيها حق، ولم تستطع أن تأكل اللقمة أو تشرب الشربة إلا بعد أن أذن الله لك بذلك، وكذلك تستشعر أن السكن الذي تسكن فيه ليس خاصاً بك وملكاً لك وإنما هو ملك الله ومحض تكرم من الله عليك، بل إن يدك وجسمك ليس ملكاً لك وإنما هو ملك الله تعالى وكونه معك فهو محض تكرم من الله عليك.

- من صفات العظمة الصفات التي فيها نفع للإنسان كالرَّبُّ والوَكِيلُ والرَّزَاقُ والكَرِيمُ والمنْعِمُ والمَجِيبُ والمَغِيْثُ و الشَّافِيُ و الرَّحْمَنُ و الرَّحِيمُ و الغَفُورُ.

- حقيقة الإنسان أنه عاجز عن القيام بأمر نفسه، فإذا وجد من يتولى عنه شيئاً ويمده بما يحتاجه وبلا مقابل فمماذا يشعر تجاهه؟، والله سخر للإنسان كل شيء ليكون فيه النفع له، ولا يعاقبه على سيئاته إذا تاب وهكذا.

ـ معنى أن الله هو المالك لكل شيء:

- لو أن إنساناً وجد مالاً في الطريق فأخذه واعتبر أن هذا المال ليس له صاحب واعتبره ملكاً له، فهذا ما يحدث مع الغافل، فالله وضع في الأرض بترويل ومعادن وزروع وبهائم بقصد أنها نعم للإنسان، والإنسان وجد هذه الأشياء وتجاهل أن هذه الأشياء لها صاحب يملكتها فأخذها واعتبرها ملكاً له فاغتر بنفسه.

- أما العاقل فينتبه إلى أن الله هو مالكها وأنها مهداة إليه من الخالق وهذا معناه أن ملكيتها لا تزال لله رغم أنه يستفيد منها.

- فالملك للشيء هو الذي صنعه وقدر على إيجاده لنفسه بقدرته، أما الذي وجد شيئاً في الطريق فهو ليس بملك، والسعى على الرزق هو مجرد أنه يأخذ ما وضع له من رزق وليس معناه أنه هو الذي أوجده لنفسه من كده وتعبه.

- فالإنسان لم يصنع الزروع ولم يصنع البهائم ولم يصنع المعادن في باطن الأرض وإنما هو وجدها واكتشفها، وهي موضوعة بقصد أن تكون مفيدة للإنسان أي مسخرة له.

- إن هذا الكون الهائل لابد له من خالق، والذي يخلق شيئاً فإنه يملكه، إذن فهو المالك لكل شيء.

- وملكية الإنسان للأشياء هي مسألة مجازية فقط، فالإنسان ليس له بيت يأويه وإنما يسكن في ملك الله ويأكل من رزق الله.

- فكل شيء ملك الله، وهذا معناه أن عقود التملك التي عندنا في الدنيا مجازية للتعامل بيننا في الدنيا فقط وليس عقود حقيقة، لأنه في الحقيقة لا أحد يملك شيئاً فالله هو المالك لكل شيء وإنما هي أمانة وعارية ملك الله ويستردها الله منا وقتما يشاء، لذلك فمن اعتقاد أنه يملك شيئاً ملكاً حقيقة فقد أشرك: ((وَلَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ))^(١)، ((أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ))^(٢)، ((وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ))^(٣)، ((قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْنَ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدْبِرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ قَدْلُ أَفَلَا تَتَفَوَّنَ))^(٤).

- إن كل ما عندك وكل ما معك من مال ومسكن وزوجة وأولاد وكل النعم وكل شيء ملكاً لله تعالى بل أنت نفسك ملكاً لله؛ لأن الذي خلق شيئاً

(١) التور: ٤٢

(٢) يوئس: ٦٦

(٣) التفل: ٩١

(٤) يوئس: ٣١

فهو يملّكه، ولكن الإنسان يظن أن ما به من يد وعين وأنف... إلخ ملّكاً له.

- فالمال ملك الله وليس من كدك وتعبك: ((وَأَثُوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي أَتَّاْكُمْ))^(١)، ((وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ))^(٢).

- كل ما يعمله الإنسان من عمارات وسيارات وغير ذلك فكل ذلك مصدره مادة الأرض أو من النبات أو من الحيوان، وكل ذلك ملك الله تعالى، ففي تفسير الطبرى: ((عَنْ قَتَادَةَ: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} بِأَيْدِيكُمْ))^(٣).

- والمخترعات تنشأ من تطوير مواد الأرض، وقابلية تحويل المواد من مادة إلى مادة أخرى هي من خواص أودعها الله فيها فقد سخر لها الله للإنسان لتقدير التحويل إلى مادة أخرى: ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ))^(٤)، ((وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ))^(٥).

- أعضاء الإنسان من أنف وعين وكلية... إلخ هي ملك الله: ((فَلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْنَ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرُجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرُجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقْلُ أَفَلَا تَتَفَوَّنَ))^(٦).

- والطعام الذي تأكله ليس ملّكاً لك ولم تحضره من كدك وتعبك إنما هو ملك الله وهو الذي أنعم به عليك، وكذلك الملابس التي تلبسها هي ملّكاً لله وليس ملّكاً لك وقد أنعم الله بها عليك، لذلك ففي الحديث: ((من أكل طعاما ثم قال: الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه ومن لبس ثوبا ف قال: الحمد لله الذي

(١) النور: ٣٣

(٢) الحديد: ٧

(٣) تفسير الطبرى = جامع البيان ت شاكر (٢١ / ٧٠)

(٤) الحج: ٦٥

(٥) الجاثية: ١٣

(٦) يونس: ٣١

كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني و لا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر)).^(١)

- وفي الحديث القدسي: ((يا عبادي كلّم ضال إلّا من هديته فاستهدوني
أهدمك، يا عبادي كلّم جائع إلّا من أطعمنه فاستطعوني أطعمكم، يا
عبداني كلّم عار إلّا من كسوته فاستكسوني أكسكم))^(٢).

الـ اليقينـ الحـقـيقـيـ بـأـنـ اللهـ هوـ المـالـكـ لـكـلـ شـيـءـ:

- أثر اليقين بأن الله هو المالك هو الشعور بالخضوع الكوني والرضا
بقضاء الله وقدره والتوكّل على الله، والخضوع طوعاً بالقلب والجوارح
لأن هذا حقه، ويتبّع ذلك كالتالي:

- الملكية قوة وعدم الملكية ضعف، فالذى لا يملك مالاً ولا متابعاً ويشعر
بملكية كل شيء الله يشعر بافتقاره وضعفه أمام الله تعالى، ولن يخضع
الإنسان طالما أنه يشعر بأنه يمتلك، فالنفس تأبى أن تنكسر وتريد أن
تكون هي المالكة ولا تريده أن يمن أحد عليها بعطاء أو يتكرم عليها
بفضل، وأصعب شعور على النفس هو الشعور بالذل.

- الإنسان مغدور بنفسه وبالدنيا، فعندما يعلم بأنه ضعيف ولا يملك شيئاً
وبأن الدنيا ضئيلة فانية يكون شعوره مثل شعور الإنسان الذي تخسر
تجارته وي فقد وظيفته ويتركه أهله ويعيش عالة على الناس، ويكون
سلوكه سلوك الذي لا يستطيع أن يفعل شيء وهو معتمد على الله في كل
شيء، وهذا لا ينفي أخذه بالأسباب.

- لابد أن تشعر بأنك عاري من كل شيء ومحاج إلى غيرك أي أنك
أو لا تنفي كل شيء من نفسك وثانياً تثبت وتنسب كل شيء الله، أي الرضا
بأن الله له كل شيء، وأنك جزءاً من ملكه وهو يقوم بأمرك، وأنك ذليل
إلى الله محتاج إليه، فالله هو المالك لكل شيء حتى النفس الذي تنفسه،
وأنت محتاج إليه فمن غيره تموت وتنهك.

(١) تحقيق الألباني: حسن (انظر حديث رقم: ٦٠٨٦ في صحيح الجامع)

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٧)

- فإذا لم يتوكّل الإنسان على الله فيقينه بأن الله هو المالك هو يقين كاذب، فطالما أن الإنسان يظن أن ما عنده من قوة ومال وقدرات مادية ومعنوية وصحة وهواء الخ هي ملكا له فلن يشعر بالحاجة إلى الله ليعطيه هذه الأشياء، يقول تعالى: ((كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَعْنَىٰ))^(١)، ففي ظنه أنه يمتلك من أسباب القوة ما يجعله في غنى عنه - سبحانه - ولكن عندما يستبدل حاله من اليسر إلى العسر فإنه يتوجه بكليته إلى الله - عز وجل - بعد أن زالت عنه عوارض القوة وعاش في حقيقة فقره وضعفه واستشعر حاجته الماسة إليه سبحانه، فنراه يعود إليه متضرعا منكرا مخلصا له الدين: ((وَمَا يُكُمْ مِنْ تَعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ (٥٣) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ يُرِيْهِمْ يُشْرِكُونَ (٥٤) لِيُكَفِّرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ))^(٢)، ((هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلُكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءُنَّهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنَّوْا أَنَّهُمْ أَحْيَطُ بِهِمْ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ))^(٣).

- إذا سلبت النعم من الإنسان فأصبح بغير عين ولا أنف ولا مال ولا سلطان فعندئذ يشعر بالضعف والعجز والنقص والخضوع، وإذا لم تسلب هذه النعم من الإنسان فينبغي أن يشعر بنفس هذه المشاعر (أي بالضعف والعجز والنقص والخضوع الكوني) لأنها ليست ملكا له، فحقيقة أنه معذوم مسلوب النعم لا يملك شيئا، وينبغي عليه أن يشعر بالانهزام والاستسلام والتذلل لمن يعطي هذه النعم له، وينبغي أن يشعر أن الذي يعطيه هذه النعم قوي متكبر ومتعالى بما يمتلك من هذه النعم التي يعطيها لهذا الفقير المحتاج المسكين الذليل، كما ينبغي أن يشعر بالحب لمن يمن عليه ويتكرم عليه ويتفضل عليه بهذا الإحسان بغير أن يكون مستحقا لهذا العطاء، كما ينبغي أن يشعر أنه لا يستطيع هو بنفسه مهما سعى

(١) العلق: ٦، ٧

(٢) النحل: ٥٣، ٥٤

(٣) يونس: ٢٢

و عمل أن يحصل على هذه النعم ويجلبها لنفسه فيشعر بالتوكل والاعتماد على من يعطيها له.

- معنى أن الله هو المالك أي أن الله له ملكية كل شيء، وهذا معناه أن يتجرد الإنسان عن كل ما يملك وعن نفسه لينسب ذلك إلى الله المالك الحقيقي فيشعر أن كل ما عنده هو محض تكرم وإنعام من الله فيحبه ويذل لعطايه مدين له بالولاء مرهونا وأسيرا لفضله منكسر النفس غير حر لأنه عنده النقص والعوز معترفا بذلك غير قادر على أن يقيت نفسه (فالله هو المقيت أي الذي يعطيه القوت) والله يمده باللقمات التي يأكلها وهو أسير وعبد لإحسانه منكسر المشاعر يشعر بالعجز أمامه ويشعر بأنه ما له حول ولا قوة.

- الإنسان لا يملك شيئاً ولا يستحق شيئاً، وبالتالي إذا لم يجد غير لقمة صغيرة لا تسد جوفه فإنه يكون سعيداً مسروراً بها، لأن الأصل أنه لا يمتلك شيئاً، فما عنده من عين وأنف وما عنده من مال وزوجة وأولاد وكل شيء هو ملك الله وهو عطاء من الله للإنسان، وبالتالي يشعر الإنسان بالسعادة والراحة ولو كان في أشد الأزمات والمحن لأنه أصلاً لم يكن مالكاً لأي شيء افتقده، فالرضا بالقضاء والقدر والرضا بالرزق هو شعور نفسي بالراحة والطمأنينة.

- مالك الشيء له الحق في أن يفعل بما يملك ما يشاء، بل إن الله لو عذب جميع الخلق لعذبهم وهو غير ظالم لأنه مالكهم له الحق أن يفعل بما يملك ما يشاء ففي الحديث: ((لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم ل كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو كان لك مثل أحد ذهباً أو مثل جبل أحد ذهباً تتفقه في سبيل الله ما قبله منك حتى تؤمن بالقدر كله فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصييك وأنك إن مت على غير هذا دخلت النار))^(١).

- فالذي يعرف أن الله هو المالك معرفة حقيقة فإنه يستسلم لله متقبلاً أي شيء يحدث له، فلا يحزن بشيء ولا يفرح بشيء، فهو لا يملك شيئاً

(١) تحقيق الألباني: صحيح (ظلال: ١٤٥، المشكاة: ١١٥)

حتى يحزن على فقده، فالإنسان كالدمية يفعل بها صاحبها ما يشاء، والاستكبار معناه أن الإنسان يرفض أن يكون كالدمية يفعل بها صاحبها ما يشاء فلا يريد أن يتحكم فيه أحد في يريد أن يكون حرا وليس عبدا، فعدم الرضا بالقضاء والقدر دليل على أن اليقين بأن الله هو المالك هو يقين كاذب.

- من أهم المشاعر الناشئة عن المعرفة الحقيقية بأن الله هو المالك هو عدم الخوف من أي ابتلاء ولو فقد كل شيء دفعة واحدة، لأن الإنسان إذا فقد شيئاً لا يخصه ولا يملكه لم يبكي عليه، فما عنده من أمانة يأخذها صاحبها؛ لأنها تكون تحت تصرف صاحبها سواء بقيت معك أو أخذها منك.

- فإذا لم يشعر الإنسان بهذه المشاعر تجاه الخالق، فهذا معناه أنه يشعر بأنه مالك لهذه النعم وأنه حصل عليها بكتبه وتعبه، أو أنها موجودة من تلقاء نفسها أو تجاهل الشعور بقيمة ملكيتها لله تعالى، أي أن الإنسان يقول عنده بمشاعره أن الله ليس هو الرزاق الكريم المنعم الوهاب، وإنما هذه النعم ملكا للإنسان.

- عندما يشعر الإنسان أن كل شيء بقدر الله ومشيئته، وأن الخالق من حقه أن يفعل بمخلوقه ما يشاء ويأمره بما يشاء، فإنه يرضى بما يفعله الله ويسلم نفسه لله يفعل بها ما يشاء ويطيع أوامرها، فيعيش في حالة من الارتياح والسعادة النفسية، فهو لا يقلق بشأن ما حدث أو ما سيحدث فكله بقدر الله، فيعمل وهو هادئ مطمئن قد أسلم أمره لله وتوكل عليه سبحانه، فالإنسان يشعر بالسعادة والراحة ولو كان في أشد الأزمات والمحن لأنه أصلاً لم يكن مالكا لأي شيء افقدمه، فالرضا بالقضاء والقدر هو شعور نفسي بالراحة والطمأنينة.

- وكل من شعر ب مدى عظمة الله وضلاله نفسه تعلم الأدب مع الله وعلم أن الله أن يفعل ما يشاء وشعر بالمهابة من عظمته ولم يقصر في عبادته حياء منه.

٤- تصوّر معنى الملك والقاهر والقهار (الخضوع الكوني):

- معنى (الملك) أي النافذ الأمر في ملكه، فهو يقدر على غيره، وغيره لا يقدرون عليه، ولأن الله يقدر على ملوك الدنيا وأمره نافذ فيهم فهم في الحقيقة ليسوا بملوك، ففي الحديث: ((يقبض الله الأرض يوم القيمة ويطوي السموات بيمنيه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟))^(١).

- فالمالك والقاهر والقاهر والمهيمن والمسيطر أي الذي له السيادة المطلقة والسلطة الكاملة فهو يستطيع أن يعمل أي شيء لأي أحد، فيجازي هذا ويعاقب هذا ويأمر بأي أمر فينفذ فوراً، فله قدرات أن يفعل أي شيء وي Pax له كل شيء فلا يستطيع أحد أن يخرج عن أمره، فهو الذي يهدي وهو الذي يضل وهو الذي يشفى وهو الذي يمرض وهو الذي يعاقب ويثيب ومشيئته فوق مشيئة الإنسان: ((وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين))^(٢).

- تصوّر أن هناك أحداً ما ذو قوة قاهرة يمكن أن يقضي عليك ويزهق روحك فبماذا تشعر عندما تتعامل معه أو يأمرك بشيء؟، إن الله هو القهار الجبار الذي سوف يزهق روحك في أي وقت يحدده لك ولن تفلت منه (فهو المميت) وهو يراك الآن ولن تستطيع أن تفلت منه أو تهرب عن نظره، فلماذا لا تجد مثل هذا الشعور؟ بل إن الله هو الذي يميتك كل يوم ويحييك فأين قدرتك وقوتك وإرادتك وأنت نائم؟، فلماذا لا تشعر بالاستسلام لمن يقهرك ويقدر عليك كل يوم وكل لحظة؟، ولماذا لا تشعر أنك قبل على حياة أبدية؟، فالذي يحييك كل يوم سوف يحييك يوم الدين والذي يميتك كل يوم سوف يميتك ويسلب منك كل شيء، فلماذا لا تشعر بالاستسلام والخضوع لله؟ ((الله يتوفى الأنفس حين مواتها والّتي لم تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ))^(٣).

(١) تحقيق الألباني: صحيح (انظر حديث رقم: ٨١٢٥ في صحيح الجامع)

(٢) التكوير: ٢٩

(٣) الزمر: ٤٢



- فالله هو القهار المسيطر، والعبد يكون مقهوراً واقعاً تحت سيطرته، والله يكون قادراً والعبد لا يقدر على شيء، فالذى يستطيع أن يسيطر على غيره ويقدر عليه ويستطيع أن يعطيه أو يمنعه ويحرمه فهو قوي مسيطر والآخر ضعيف خاضع، فالله هو الملك على كل الناس وكل شيء، والمسيطر على كل الناس وكل شيء، ويستطيع أن يهلك الناس أو يعطيهم أو يمنعهم، وهذا يستلزم قدرة وعلم على عمل ذلك الأمر.

أثر اليقين بالخصوص الكوني (الواقع تحت السيطرة والهيمنة)
هو عدم التعلق بالنفس:

- هناك صفات كثيرة تدعى إلى تغيير شأن النفس والشعور بالذل، لكن من أشد هذه الصفات هي الواقع تحت السيطرة والهيمنة من الغير.

- الإنسان خاضع لله رغم أنه، فقدرة الله مسيطرة على الإنسان وكل شيء، فالإنسان لا يستطيع أن يتنفس إلا بأمر الله ولا يستطيع أن يرفع المرض أو الموت عن نفسه، وما يحدث له من خير أو شر هو مقدر له، فهو خاضع لأمر الله رغم أنه.

- فالخصوص لأمر الله الكوني معناه أن كل المخلوقات خاضعة لله قهراً لا تستطيع الخروج عن أمر الله، ومعناه بأننا واقعون تحت سيطرة قوة قاهرة أكبر من قوى العالم، وأن كل الأمور وكل شيء يخضع لهيمنة الله وسيطرته خصوصاً كاملاً، فنحن وكل ما عندنا عبارة عن جزء من ممتلكاته سبحانه وكل أمرنا بيده، وهذا معناه الشعور بأننا ضعفاء لا نملك شيئاً ولا حتى أنفسنا، ولا نستطيع أن نجلب أي نفع لأنفسنا، فمن عرف أنه خاضع لأمر الله الكوني عرف ضعفه وخضع لأمر الله الشرعي.

- والخصوص لأمر الله الكوني هو عبادة عامة، فهي عامة لجميع الخلق، فكلهم عباد الله، المؤمن والكافر، والفاشق والمنافق، بمعنى أنهم تحت تصرفه وقهره، فلا يستطيع أحد أن يخرج عن قبضته وسلطانه؛ قال تعالى: ((إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَيِ الرَّحْمَنَ عَبْدًا))^(١)،

(١) مريم: ٩٣

((إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ))^(١)، ((أَنَّتُمْ أَضَلُّلُتُمْ عِبَادِي هُوَ لَاءُ أُمُّ هُمْ ضَلَّلُوا
السَّبِيلَ))^(٢).

- الإنسان بداخله متكبر، فإذا انكسر هذا التكبر والغرور بالنفس شعر الإنسان بضعف قدرته وعجزه أمام قدرة الله وشعر بالاستسلام والاستكانة والانكسار والانهزام وشعر كأن أحداً سلب منه إرادته فأصبح تابعاً منقاداً، فيشعر بعجزه أمام قدرة الله ويشعر بأنه واقع تحت تصرف من له القدرة عليه وأنه لا يستطيع أن يقوم بأمر نفسه ولا يستطيع أن يتنفس إلا بأمر الله.

- الإنسان ضعيف لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ضراً أو يجلب لنفسه نفعاً، وكل ما يحدث له من خير أو شر هو بقضاء الله وقدره وبالتالي يشعر بالخضوع لقضاء الله وقدره.

- لقد جعل الله فلاناً غنياً وفلاناً فقيراً، وفلاناً يتعب في عمله ورزقه قليل، وفلاناً لا يعمل أو عمله قليل ورزقه كبير، وفلان أجاب الله دعاءه رغم معاصيه وفلان لم يستجب له رغم تقواه، وفلان يُبتلى ويزيده الله ابتلاءً رغم دعائه وعبادته، وفلان يؤذى الناس في دنياهم ودينهم ويظلمهم ويزيده الله في الترقي في المناصب والمزيد من الدنيا فيتمكن من ظلمهم أكثر، وفلان حرمه الله من البنين، وفلان أعطاه الكثير، وفلان ترك عملاً لأنه كان يكسب منه مالاً حراماً ثم سعى للبحث عن عمل فلم يجد.

- طالما أن الإنسان مع الله ويطيعه فلا بد أن يكون الله معه، ولكن قد يظن الإنسان أن ذلك معناه أنه لابد أن ينقذه الله من الشدائـد ويعطيه من الدنيا ويسجيب له فوراً.

- ما يحدث للإنسان من ضرر هو بالنسبة للإنسان ضرر لكن حقيقته فيه خير للإنسان لا يعلمه، فالله لا يصدر عنه إلا كل خير، فمن علم ذلك أحب الله ورضي بالخضوع الكوني له حباً له.

(١) غافر: ٤٨

(٢) الفرقان: ١٧

البيتين الكاذب بأن الأسباب لا تنفع ولا تضر وبأن الله هو الوكيل والرزاق والنافع الضار:

أنت مطالب بأن تأخذ الدواء عندما تمرض لأن الله أمر بهذا رغم أن الدواء لا يشفى، فأنت ترجو من الله أن يشفيك ولست ترجو من الدواء أن يشفيك، فإذا تم الشفاء فمن الله وليس من الدواء.

قد يومن الإنسان بأن الأسباب لا تنفع ولا تضر لكن يراها عظيمة، فتعامله مع الأسباب يقول بأن الأسباب هي التي أوجدت وصنعت ما يحدث في الأشياء، وإن كان مقتنعاً أن الخالق هو الذي أوجدها.

فمثلاً هو يومن بأن الفاعل للابتلاءات هو الله لكن لسان حاله يقول بأن الفاعل للابتلاءات هي الأسباب، فالمرض بسبب الفيروس وحرارة الجو مثلاً، وينسى من الذي صنع الفيروس وجعله يقدر على الإنسان و يجعله ضعيفاً و مريضاً، ويحسب أن سبب تعرض السفينة للانقلاب هو الريح والأمواج وينسى من الذي يسير الريح، ويتصور أن الزمان هو الفاعل للشيخوخة، وأن المال يأتي بالسبب وليس عطاء من الله وهكذا، فقلبه معلق بالأسباب وحبه وخوفه ورجاءه في الأسباب واعتماده على الأسباب، وينتسب أن المسبب هو الله فيتعامل مع الأمور على أن الأسباب هي التي تفعل الأشياء.

قد يومن الإنسان بأن الله هو الوكيل والرزاق والنافع الضار، ولكن لسان حاله يقول عكس ذلك تماماً، فلديه قلق شديد وهم لا يفارقه وخوف شديد بشأن توفير ما يحتاجه وتدبير أعباء الحياة والقيام بمسؤولياته تجاه أسرته وأولاده ومشاعره تتعلق بالأسباب أو الناس أو الأشياء حباً وخوفاً ورجاءً كأنهم هم الذين يعطونه ما يريد، وكذلك عمله في مسارعة ولهث لأن الأسباب هي التي ترزق، فهو بليسان حاله يعتمد على نفسه أو الناس أو الأسباب ويقول بليسان حاله أن الله ليس هو الوكيل والرزاق والنافع الضار.

فقد يتوجه الإنسان أنه معتمد على الله ويوقن بذلك تماماً ويوقن بأن الأسباب لا تنفع ولا تضر وهو في الحقيقة معتمد على الأسباب، فهو

يتعامل مع الأسباب على أنها هي التي تحقق له ما يريد، فرجاؤه في الأسباب أكبر من رجاؤه في الله أو لا رجاء له إلا في الأسباب، وخوفه من الأسباب أكبر من خوفه من الله أو لا خوف له إلا في الأسباب، وخصوصه لقانون الأسباب أكبر من خصوصه لله أو لا خصوص له إلا في الأسباب، وكل حزنه وفرجه وهمه وأمله في الأسباب، وتاثير مشاعره يعتمد ويتوقف على الأسباب لا على الله.

- فقد تكون كل تصرفات الإنسان وكل ردود أفعاله وكل مشاعره وكل أقواله وكل كلامه ونقاشاته وكل أعمال جوارحه وكل همومه وتفكيره وكل انفعالاته وردود أفعاله وسلوكه وفرجه وحزنه وأمانيه وطمومهاته وتطلعاته تتعلق بشأن الرزق والحصول عليه ورغم ذلك يوقن بأن الرزق مضمون وبأن الله هو الوكيل والرزاق والنافع الضار، فهو عندئذ يقين كاذب ولسان حاله يقول بأن الأسباب هي التي تتفع وتضرر وليس الله، وبأن الرزق يأتي بالأسباب وليس من الله، وهو عندئذ يتوكى على الأسباب وليس على الله رغم أنه على يقين تام بأنه يتوكى على الله تعالى!.

البيقين الكاذب بأن الله هو الوكيل والبيقين الكاذب بأنك تتوكى عليه:

- إنعام الله على العبد معناه أن الإنسان عاجز عن أن ينفع نفسه، فلا يستطيع أن يعيش أو يتنفس إلا بعطاء الله له، والشعور بالاحتياج للغير هو شعور بالذل والخضوع له، وهو شعور بالاستسلام والانهزام ويشعر بأنه في حاجة إلى من يكفله ويقوم بأمره ويرعايه فيلجاً إلى الله ليستعين به ويحتمي به، فيكون كالطفل كلما احتاج إلى أمر لجأ إلى أبيه وهو يثق بأن أبيه لن يخذلانه؛ لأن القوي بحق لا يخذل الضعيف.

- بل إن الإنسان لا يعرف ما ينفعه فقد يحسب أنه في احتياج لأمر معين وفيه ضرر له، لذلك فالإنسان يتراك الأمر إلى الله ليجلب له ما ينفعه ويدفع عنه ما يضره فيسلم أمره كله لله راضياً بما يقدر الله له لأنه يثق أن الله لا يُقدر له إلا خيراً، لذلك فالتوكل هو سكون القلب بين يدي الرب يقلبه كيف يشاء، وهو انطراح القلب بين يدي الرب كأنطراح الميت بين

يَدِي الْغَاسِلِ يُقْلِبُهُ كَيْفَ يَشَاءُ، وَهُوَ تَرْكُ الْاِخْتِيَارِ وَالْاِسْتِرْسَالِ مَعَ مَجَارِي الْاَقْدَارِ.

- فإذا لم يشعر الإنسان بعجزه وضعفه وذل احتياجه للغير (الله تعالى) متوكلاً على غيره ليمده بما هو عاجز عنه واغتر بالنعم فتعلق بها بدلًا من أن يتعلق بصاحب النعم فيقينه بإنعم الله عليه كاذب.

- معنى الوكيل أي الذي يعتمد عليه في قضاء الحاجات، فتكون موقناً أنه لن يستطيع شيء أو أحد أن يقضي حاجات الخلق غير الله تعالى، فإذا أيقن الإنسان بأن الله وحده هو الذي يقضي له حاجة فإنه يستعين به في قضاء الحاجات من أمور الدنيا والدين.

- التوكل على الله هو عدم التوكل على الأسباب سواء كانت هذه الأسباب عبارة عن أعمال أو أشخاص أو خبرة في الأمر أو التفكير أو أي شيء غير الله، مع الأخذ بالأسباب.

- التعلق بالأسباب يكشف أنك في حقيقة أمرك تتوكل على الأسباب وليس على الله، ويكشف حقيقة أن يقينك بأن الله هو الوكيل هو يقين كاذب، رغم أنك تتكلم بافتئاع بأنك متوكل على الله فهو يقين كاذب، وأنت بسان حالك تقول بأن الأسباب هي التي تقضى الحاجات وبدونها لا تنتقض.

الـيـقـينـ الـكـاذـبـ بـالـقـضـاءـ وـالـقـدـرـ:

- الإنسان يؤمن بأن الخالق له أن يفعل في خلقه ما يشاء وبأنه العدل ولا يظلم أحداً وبأنه حكيم في أموره، ولكنه لا يرضى بقضاء الله وقدره، فلا يرضى بأن يعيش حياته بلا إنجاب وغيره ينعمون بالأولاد مثلاً أو بأن يعيش حياته معوقاً وغيره يجرى في الطرقات ويلعبون الكره أو يتنعمون بالصحة، فعدم الرضا هو اعتراض قلبي على الله تعالى.

- فقد يحدث للإنسان مصيبة فيقول الحمد لله ولكن قلبه ساخط غير راضٍ وإن قال: أنا راضٌ، وتتجده يقول (الحمد لله) لكنه من باب الروتين والتعود في الكلام، وفي الحقيقة قلبه ساخط، ونحن قد ندعى الصبر، فما ورد في القرآن هو الصبر الجميل وهو حبس القلب عن التسخط وحبس اللسان عن الشكوى، وهو أن تتجزع المر وانت مبتسماً في منتهى الأريحية



والانبساط، فيتقبل الإنسان المصيبة برضاء، وهو سكون القلب تحت مدار الأحكام وشعور بالاستسلام والانقياد واطمئنان للعاقبة وانتظار للفرج واحتساب للأجر.

- قد ينظر الإنسان إلى أي فعل من أفعال الله كابتلاء مثلاً نظرة اعتراض، أو يرى إنساناً لا حيلة له ورزقه عظيم فينظر إلى الله نظرة اعتراض، فهذا معناه أنه غير راضٍ بقضاء الله وقدره، فالله لا يسأل لماذا يفعل كذا أو كذا؟

- فقد يوقن الإنسان بأن الله لا يظلم أحداً لكن إذا ابتلاه الله نظر إلى الله نظرة غضب وسخط فقلبه متسلط غير راض وربما يعترض بلسانه أيضاً.

- فهو يوقن بالقضاء والقدر لكن يتناسى أن ما يحدث له من خير أو شر هو قضاء الله، فإذا أصابه شر أو خير يتعامل معه على أنه صدفة أو حظ أو بسبب كذا أو كذا.

- قد يكون الإنسان دائم التسلط والتلاؤم الشديد والحزن الشديد و دائم الشكوى، وإذا خسر في تجارة أو أصابه مصاب قد يصاب بسكتة قلبية أو اكتئاب شديد جداً فهو بذلك يقول بلسان حاله أنه غير راض بقضاء الله وقدره.

- إذا رضي الإنسان بقضاء الله وقدره لم يحزن على شيء فاته فهو دائمًا هادئ وسعيد وراض ولا يحمل هم ما حدث أو ما سيحدث.

- عندما يشعر الإنسان أن كل شيء بقدر الله ومشيئته، وأن الخالق من حقه أن يفعل بمخلوقه ما يشاء، فإنه يرضي بما يفعله الله ويسلم نفسه لله يفعل بها ما يشاء، فيعيش في حالة من الارتياح والسعادة النفسية، فهو لا يقلق بشأن ما حدث أو ما سيحدث فكله بقدر الله، فيعمل وهو هادئ مطمئن قد أسلم أمره لله وتوكل عليه سبحانه، فالإنسان يشعر بالسعادة والراحة ولو كان في أشد الأزمات والمحن لأنه أصلاً لم يكن مالكا لأي شيء افتقده، فالرضا بالقضاء والقدر هو شعور نفسي بالراحة والطمأنينة.

- اليقين الكاذب بخضوع الانسان للشيخوخة و تعرضه للأمراض والمحن:

إن كل إنسان عنده اقتناع تام وبلا أدنى شك أنه قد يصل إلى سن الشيخوخة وتضعف قواه أو أنه قد يتعرض للأمراض أو محن، لكن بلسان المشاعر فكأنما يقول : لن أمرض أو أضعف أو أصل إلى الشيخوخة أو لا أريد أن أمرض أو أضعف أو أصل إلى الشيخوخة ، فهذا في لغة المشاعر هراء ولا يمكن أن يحدث أبدا ! : ((وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوْمًٌ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةً وَمَا هُوَ بِمُرْحَزِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ))^(١)، إن الإنسان لو انتبه فعلا لأنه قد يتعرض للمرض والمحن لشعر بالخوف والقلق وشعر بمدي ضعف الإنسان وشعر بأن هناك قوة أعلى من الإنسان تفعل به ما تشاء، وشعر بالخضوع لهذه القوة ، ولتغير حاله تماما، ولذلك من الناس من إذا وصل إلى سن الشيخوخة ، أو من النساء من إذا وصلت إلى سن اليأس، أو إذا تعرض لمرض أو محة فإنه يستذكر ذلك ولا يسلم به ويحدث له اكتئاب شديد لأنه لا يريد لنفسه أن يمرض ولا يريد أن يموت رغم أن الناس من حوله يمرضون ويموتون ، فهو بمشاعره يعترض أولا على إمكانية حدوث المرض أو المحن، وينشا عن ذلك أنه يعترض أيضا بمشاعره على الله وأن ذلك مقدر أو بأن هذا ظلم وتعدي من الله عليه بدون وجه حق، ونفس الشعور قد يحدث له عند خروج الروح لأنه يُسلب منه كل شيء.

- اليقين الحقيقي بمراقبة الله ومراقبة الملkin لنا:

لو علمت أن هناك كاميرات سرية موضوعة لك في كل مكان وأنت يتم رصده وتسجيل كل تصرفاتك وحركاتك وسكناتك فهذا يؤدي إلى الخوف الشديد من مهابة الأمر وخطورته، ولو علمت أن هناك بث مباشر الآن لك على شاشة التلفاز فإنك تشعر بالرهبة وقد تتلهم وتترتبك من الرهبة وتتأكد أن مظهرك لائق وأفعالك وأقوالك لائق، أما لو علمت أن

الخالق نفسه يراك الآن وفي كل وقت وفي كل مكان طوال حياتك فلا تشعر بالرعب والحياة فهذا معناه أن الخالق ليس له وجود في مشاعرك.

- لو قيل لك أن هناك اثنين من الكائنات الفضائية العملاقة يسيران معك في كل لحظة وهمما في حالة اختفاء فلا تستطيع رؤيتهم ويحملان كاميرات مراقبة خفية ويسجلان عليك كل حركة وسكنه وكل كلمة حيث تحاسب على كل شيء، إنك عندئذ تشعر بخطورة الأمر، فأنت تعيش وصورة هذه الكاميرات وهي ترصدك لا تكاد تفارق ذهنك في كل أعمالك، أما لو قيل أن هناك ملكين يسجلان عليك كل شيء فقد تنظر إلى ذلك كما تنظر إلى أمر لا قيمة له أو كأنه أمر لا يخصك فلا تشعر بأي قيمة أو خطورة لهذا الأمر ولا تشعر بالدهشة والتعجب والرعب من ذلك فهذا يدل على أنك غافل تماماً عن وجود الملائكة معك الآن وفي كل وقت وأن الرقيب والعتيد غير موجودين في مشاعرك.

- إن كل إنسان على افتتان تام بأن هناك رقيباً وعتيداً يسيران معه في كل لحظة لا يفارقه، فهل عنده شعور بأنه مراقب وأن ما قاله و فعله منذ قليل تم تسجيله؟ وهل يشعر بما سيكتبوه في صحيفته الآن وبعد قليل؟ فإذا لم يشعر بشيء من ذلك في حياته فهذا يعني أن الرقيب والعتيد غير موجودين في مشاعره، فالإنسان عندما يتصور أنه مراقب في كل لحظة وأن هناك من يعودون عليه كلماته وكل حركاته يأخذه الشعور بالمهابة، كما أنه عندما يتصور أن اثنين يسيران معه ليسوا من البشر بل أقوى بكثير، وفوق ذلك أنهما لها القدرة على إخفاء نفسيهما بحيث لا يراهما أحد، ولهم قدرة هائلة أعظم من كل قدرات البشر فهذا يؤدي إلى الشعور بالمهابة من الملائكة الرقيب والعتيد بسبب مدى قدرتهما وبسبب خطورة أمر تسجيلهما لكل شيء.

- **اليقين الحقيقي بوجود الخالق معنا بقدرته وبرؤيته لنا وسمعه لنا في كل لحظة:**

- لو افترضنا أن هناك رجل مسلح بكل أنواع الأسلحة وكان في غاية القوة وهو يسير معك في كل لحظة فأنت تحت مراقبته الدائمة وتحت قدرته فيفعل بك ما يريد فبماذا تشعر؟، إنك تشعر بالرعب والخوف دائماً.

- ولكن إذا ابتعد عنك هذا الرجل فإنه لا يستطيع أن تصل رؤيته لك ولا أن تصل قدرته عليك.

- الله سبحانه يراك مهما كان مكانك على الأرض كأنه معك حتى لو كنت داخل الحجرات وفي الظلام ويسمعك حتى لو تكلمت في سرك كأنه معك، فلا تستطيع أن تهرب من علمه بك: ((وَهُوَ مَعْكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ))^(١)، والله يسمع ويرى ويعلم كل ما يحدث وكل ما يعلمه ملائكة الخلق والأشياء في آن واحد، ويعلم دبيب النملة السواداء على الصخرة الصماء في الليلية الظلماء، فهذه قدرة هائلة جداً: ((وَعِنْهُ مَفَاتِحُ الْعِيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَأْسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ))^(٢).

- فالله سبحانه تصل رؤيته إليك وإلى كل الناس وتصل قدرته عليك وعلى كل الناس كأنه مع كل الناس بذاته، فلا تستطيع أن تهرب من علمه بك وقدرته عليك: ((وَهُوَ مَعْكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ))^(٣)، فلابد أن تشعر تجاه الخالق بنفس الشعور تجاه الرجل المسلح الذي يسير معك في كل لحظة بل أكثر بكثير.

- هل يستطيع العلم الحديث أن يرصد تحركات أحد الناس من خلال كاميرا تسير معه في ليله ونهاره طوال أيام عمره كلها؟، وهل يستطيع عمل ذلك مع كل البشرية منذ خلق آدم وإلى قيام الساعة؟، وهل يستطيع أن يصنع ذاكرة بحيث يستطيع أن يحدد في اللحظة المعينة منذ ستين عاماً ماذا عمل فلان وأين سقطت ورقة الشجرة التي كانت في مكان ما؟، الله يستطيع ما هو أعظم من ذلك، فالله يعلم ما يفكر فيه الإنسان في هذه اللحظة وما يدور في أذهان البشرية منذ خلق آدم وإلى قيام الساعة، والله يعلم ماذا سيحدث في المستقبل ولا تسأل كيف؟ فهي قدرة الله

(١) الحديد: ٤

(٢) الانعام: ٥٩

(٣) الحديد: ٤

سبحانه، والله يسجل كل ما يحدث ومتى تدق الدقة: ((هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَشْهِدُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ))^(١).

- علم الخالق بكل ما يحدث في الأرض والسماء ورؤيته وسمعه لكل شيء هي قدرة خارقة وهائلة يقف الإنسان أمامها عاجزاً متحيراً، فإذا لم ينتبه الإنسان لذلك ويشعر بالمهابة من هول هذه القدرة الهائلة ويتاثر بها بقلبه وجوارحه فهو لا يزال جاهلاً بالله تعالى.

- والشعور بالمراقبة يقوي ويضعف حسب الشعور بقوة الرقيب، فلو افترضنا أن الإنسان يراقبه طفل من الأطفال، فلن يعبأ بأوامره وبكلامه ولن يقره ويحترمه؛ لأن طفل قوته ضعيفة رغم أنه يعلم أن الطفل يسير معه ويرقب كل ما يفعله، أما إذا افترضنا أن الإنسان يسير معه قوة مسلحة من الجيش بالدبابات من حوله والطائرات الحربية من فوقه والألغام والمتغيرات موضوعة في كل مكان يذهب فيه، فلا يمكن أن ينشغل ذهنه عن هذه الرقابة الهائلة، فقوة الله سبحانه أعظم من كل الجيوش في العالم مجتمعة وهي معك في كل لحظة.

- إن قدرة الله فوق مستوى الخيال وأشد رعباً من قدرة أي شيء مرعب يمكن أن تتصوره، لكن قدرة الله في مشاعر البعض هي شيء عادي جداً لا خطورة منها ولا مشكلة فيها، فمثلاً الإنسان إذا علم أن المخابرات الأمريكية تهم بأمره وترسل له قوة مسلحة تتخفي وترصد في كل مكان فإنه قد لا ينام عدة أيام أو قد لا ينام مطلقاً، فما بالك بقدرة الله عليك التي ترصدك في كل مكان وتعد عليك أنفاسك، فالعقل يكون في حياته قلقاً متوتراً خائفاً منزعجاً وصورة قدرة الله لا تفارق عينه ولا يستطيع أن ينساها، فقدرة الله أشد في خطورتها من قدرة أي شيء مخيف يمكن أن تتصوره.

- من الناس من ليس عنده أي هم بقدرة الله رغم أنها تحيط به لدرجة أنك قد تجد المرء يستغرب ولماذا الهم بمدى قدرة الله ومراقبته؟!، وكأنه لا يوجد أي شيء يدعو للانزعاج!

(١) الجائحة: ٢٩

- عدم رؤيتنا للخالق لَن يغير من حقيقة الامر شيئاً؛ فالله معنا في كل مكان وفي كل لحظة برؤيته لنا وسمعه ما نقول وبقدرتة المحيطة بنا ومراقبته لنا حتى ما نفك فيه: ((وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي الْفُسْكِمْ فَأَحَدُرُوهُ))^(١)، ((يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ حَيْرٍ مُّخْسِرًا وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَدِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ))^(٢)، وهذا أمر مخيف لمن يتصور خطورته ولكن لا يزال البعض يعيش في غيبة أو في حالة سكر لم يفق بعد إلى حجم هذا الخطر.

- وفي أيسر التفاسير: ((وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ) أي بعلمه بكم وقدرته عليكم أينما كنتم)^(٣)، وفي تفسير مراح لبید: ((وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) أي ونحن أقرب إلى الإنسان من العرق الذي يجري فيه الدم، ويصل إلى كل جزء من أجزاء البدن بعلمنا بحاله وبنفوذ قدرتنا فيه، يجري فيه أمرنا كما يجري الدم في عروقه)^(٤)، وفي تفسير القرطبي: ((وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ) أي بالقدرة والعلم والرؤى، قال عَامِرُ بْنُ عَبْدِ الْفَقِيرِ: مَا نَظَرْتُ إِلَى شَيْءٍ إِلَّا رَأَيْتُ اللَّهَ تَعَالَى أَقْرَبَ إِلَيَّ مِنْهُ))^(٥).

- قدرة الله تعالى مسيطرة على الإنسان وكل شيء وتجعل الإنسان خاضعاً لها، فمن مدى قدرة الله أنها محيطة بالإنسان ولا يستطيع الإنسان الهروب منها، فالله يقدر عليه في أي مكان وأي وقت ويقدر أن يفعل به أي شيء، كما أن سمع الله وبصره يصله في أي مكان وأي وقت، والله لا يغفل ولا ينام ففي جميع الأوقات يقدر عليك ويسمعك ويراك.

- فالإنسان ضعيف لا حول له ولا قوة لا يستطيع أن يهرب من هيمنة الله وسيطرته عليه ومراقبته له ورؤيته له وعلمه به في كل وقت ولا يجد حيلة ليفلت من قدرة الله المحاصرة له فيشعر بالاستسلام والذل

(١) البقرة: ٢٣٥

(٢) آل عمران: ٣٠

(٣) أيسر التفاسير للجزائري (٥/٢٥٩)

(٤) مراح لبید لكشف معنى القرآن المجيد (٢/٤٤٦)

(٥) تفسير القرطبي (١٧/٢٣١)

والخضوع تعظيمًا لقدرة الله وعلمه الذي بلغ كل شيء وكل حساباته في الحياة سوف تختلف تماماً.

- اليقين الحقيقى بأن الخالق تكلم إلى البشر (اليقين الحقيقى بآيات الله):

- ما هو أخطر وأهم حدث في تاريخ البشر؟ هو أن بعض البشر سمعوا كلاماً من الخالق نفسه وجاءوا إلى الناس فأخبروه بأن الله تكلم إليهم، وهؤلاء هم الرسل كلفهم الله بتوصيل كلامه إلى البشر جميعاً.

- لا يمكن أن يخلق الله الناس ويتركهم دون أن يخبرهم بأنه خالقهم وبالهدف من خلقهم، فما الطريقة التي تتوقعها لكي يخبرهم بذلك؟ هل يكلم الناس جميعاً فيسمعونه جميعاً، والجيل الذي سمع يخبر الجيل الذي بعده، أم يختار أحداً من الناس فيكلمه بصورة مباشرة أو من خلال وحي ويقوم هو بإبلاغ الناس؟، وأراد الله أن يصل كلامه من خلال الرسل.

- قد يوقن الإنسان بأن الخالق تكلم إلى البشر وأن كلامه وصل إلينا من خلال الرسل لكنه إذا لم يتأثر ذهنه وهمه ومشاعره وجوارحه بهذا الحدث الرهيب الذي هو سماع كلام خالق الكون للبشر فهو يقول بلسان حاله بأن الخالق لم يتكلم بشيء للبشر.

- كلام الله يسمى بـ(ذكر الله) والانسان يتناسى أنه سمع كلام الله فيقول تعالى: ((اسْتَحْوِدُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ))^(١)، ((فَاتَّحَدُتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَسْوَكُمْ ذِكْرِي))^(٢)، ((وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هُؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلَّلُوا السَّبِيلَ))^(١٧) قالوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أُولَيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءُهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا))^(٣)، ((قَالَ كَذَلِكَ أَنْتُكَ آبَاتُنَا

(١) المجادلة: ١٩

(٢) المؤمنون: ١١٠

(٣) الفرقان: ١٧، ١٨

فَتَسِيَّتْهَا وَكَذَّلَكَ الْيَوْمَ تُنْسَى))^(١)، ((الَّذِينَ كَانُوا أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيْعُونَ سَمْعًا))^(٢).

- ونوضح مفهوم التعلق بسماع البشر لكلام الخالق من خلال الرسل كالتالي:

- إذا ألقى أحد الرؤساء أو الزعماء أو القادة خطبة فإنك تجد اهتمام الناس والإعلام بكلام وتصريحات الرؤساء والزعماء وتحليل أقوالهم، وذلك لأنه طالما أن الكلام صادر عن مسئول كبير أو عن عظيم فكلامه مهم وعظيم يهتم به الناس، وإذا أهمل الناس وتجاهلوا كلام زعيم من الزعماء فهذا يعني أن ذلك الزعيم ليس ذو أهمية في نظرهم، إذن عظمة الكلام تأتي من عظمة قائلها، فالقرآن هو خطاب الله إلى البشر، فإذا كنت لا تشعر بقدر وعظمة القرآن، فإن القرآن في مشاعرك هو كلام عادي مثل كلام أي شخص عادي، وإن كان في الاقتناع هو كلام الله العظيم وهو القرآن العظيم.

- وجود كلام ليس من البشر هو أمر مثير، وننزل كلام من الخالق لأهل الأرض هو أمر في غاية الأهمية والإثارة، ولو علم الناس أن هناك كلاماً سوف ينزل من الخالق في وقت ما لكان العالم كله في ترقب وانتظار لمعرفة هذا الكلام، لكن كل هذا لا يثير دهشة وانتباه الإنسان الغافل الجاهل؛ لأنه غير منتبه لخطورة معنى كلام الله للبشر فهو جاهل بكلام الله رغم يقينه التام بنزول كلام الله للبشر!

- فتصور أننا لا نعرف الطريقة التي يصل بها كلام الله إلينا ولم يصلنا شيئاً من كلامه ثم فجأة سمعنا أن أحد الناس قال أنه نزل إليه ملك مرسل من عند الله وأبلغه بكلام الله وكلفه تبليغ كلامه ماذا يكون موقفك ورد فعلك؟ إنك سوف تتدبر وتنبه من هول المفاجأة وخطورة الحدث وستشتاق إلى معرفة ماذا يقوله ربنا وماذا يريده منا وستعيش حياتك كلها بناءً على هذا الحدث، وهذا ما كنت تنتظره وتتوقعه.

(١) طه: ١٢٦

(٢) الكهف: ١٠١

- لو كان القرآن الذي بين أيدينا الآن هو كلام لرجل في عالم الآخرة ينصحنا فيه ويعرفنا بما يكون من أمر الآخرة لكان له شأن عظيم، فما بالك وهو كلام الخالق وهو يخبرنا بما يكون من أمر المستقبل في الآخرة.

- تصور رسالة نزلت إلينا من السماء مكتوب فيها: "من الله تعالى إلى الناس..." مثلاً فكيف تشعر بكلام الله وكيف تتعامل مع كلام الله من العظمة؟، فإن نزول القرآن من عند الله ليس أمراً عادياً وإنما يدعو إلى الشعور بالانبهار والوجل والتعظيم.

- ولكنك تجد أن القرآن نزل على الإنسان فلم يتأثر به في حين لو نزل القرآن على جبل لرأيته حائشاً متصدعاً من حشية الله: ((لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ حَائِشاً مُتَصَدِّعًا مِنْ حَشْيَةِ اللَّهِ))^(١)، وما أكثر ما ورد عن الصحابة والتابعين عن تأثرهم بالقرآن لمجرد أنهم شعروا أنه كلام الخالق العظيم سبحانه إلى العبيد من البشر.

- إن الذي يحمل مصحفاً ولا ينتبه لخطورة ما يحمل وبالتالي لا يتأثر به ولا يعمل به فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا: ((مَتَّلُّ الَّذِينَ حُمِّلُوا التُّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَّلَ الْحِمَارَ يَحْمِلُ أَسْفَارًا))^(٢).

- أنت إذا وقفت أمام ملك من الملوك تستمع إليه وهو يكلمك فقد ترتعد فرائصك ويقشعر بدنك ويقف شعر رأسك وانت مطأطئ الرأس، وإذا طلب منك شيئاً فقد تتلعم وتترتبك في الرد وذلك من هول وعظمة المتكلم، فما بالك وملك الملوك يتحدث إليك، ففي تفسير البحر المديد: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ))^(٣) (٢٧٠) خافت واقشعرت لذكره استعظاماً له وهيبة من جلاله، ((قُلْ أَمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتَلَقَّى عَلَيْهِمْ يَخْرُونَ لِلأَدْقَانِ سُجَّدًا))^(٤) (١٠٧) ويقولون سُبحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً))^(٥) (١٠٨) ويَخْرُونَ لِلأَدْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ حُشُوعًا))^(٦)، ((لَوْ أَنَّزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ حَائِشاً

(١) الحشر: ٢١

(٢) الجمعة: ٥

(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٣٠٤ / ٢)

(٤) الاسراء: ١٠٩

مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرُبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ))^(١)،
((إِذَا تُنْذَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ حَرُّوا سُجَّدًا وَبُكَيًّا))^(٢).

٢١) الحشر:
٥٨) مريم:

الخاتمة

- لا يمكن لـإنسان أن يعيش بغير قضية أساسية تكون هي هدفه التي يحيا بها ويعيش لها ويتوجه إليها بمشاعره واهتمامه وجوارحه، فهذه القضية هي أكبر ما يدهشه من عظمتها (يراهـا أعظم ما يكون) وتكون أكبر ما يحبه ويحافظه ويرجوه ويتمناه ويتطلع إليه ويحلم به وأكبر ما يشغل همه، وأكبر ما يرتبط به من خلال سلوكه وتصرفاته وردود أفعاله وكلامه وعمله وعلامات فرحة وحزنه، قد تكون تلك القضية التي يتعلـق بها ويعيش لها هي المال أو المظاهر أو الشهوات، فإذا لم يكن الخالق والأخرـة هي القضية التي يتعلـق بها ويعيش لها فهـذا معناه عدم وجود أصل العبادة وهو **الخضوع** (التعلق بغير النفس ورغباتها).

- فالإنسان إما أن يتعلـق بنفسه أو يتعلـق بـالـغير، والتعلق بـالـغير هو **الخضوع**، فالتعلق بالـله هو **الخضوع**، ولا إله بـغير خضوع، ووجود الخضوع معناه وجود إله وجود عبد وجود دين، وبـغير خضوع فلا معنى لأن يقول الإـنسـان أنه عبد وأنـ له إـلهـ، فإذا رفـعـنا خـضـوعـ منـ كـلـمـةـ "ـعـبـدـ" أـصـبـحـتـ كـلـمـةـ مـفـرـغـةـ مـنـ الـمـعـنـىـ، فـالـعـبـدـ هـوـ الـخـاطـعـ، وـالـذـيـ لاـ يـشـعـرـ بـأـنـهـ خـاطـعـ هـوـ لـاـ يـرـيدـ أـنـ يـكـونـ عـبـدـاـ وـهـوـ مـسـتـكـبـرـ.

- كما أن المعنى اللغوي لـكلـمـةـ العـبـادـةـ وـكـلـمـةـ الـدـيـنـ وـكـلـمـةـ الـإـسـلـامـ هوـ الـخـضـوعـ وـالـاسـتـسـلـامـ، فـأـصـلـ الـدـيـنـ التـعـلـقـ بـالـلـهـ (ـالـخـضـوعـ) وـظـاهـرـ الـدـيـنـ الـانـتـسـابـ لـلـدـيـنـ وـالـقـيـامـ بـبـعـضـ أـعـمـالـ الـدـيـنـ، فـإـذـاـ تـمـ اـسـتـبـدـالـ أـصـلـ الـدـيـنـ مـنـ التـعـلـقـ بـالـلـهـ إـلـىـ التـعـلـقـ بـالـدـنـيـاـ وـبـقـيـ الـظـاهـرـ أـصـبـحـ الـدـيـنـ كـأـنـهـ لـعـبـ وـلـهـ.

- لا يـكـيـ الـانـتـسـابـ لـلـإـسـلـامـ وـوـجـودـ الـيـقـيـنـ وـالـصـلـاـةـ وـالـصـيـامـ حـتـىـ يـتـحـقـقـ أـصـلـ الـعـبـادـةـ، وـأـصـلـ الـعـبـادـةـ الـخـضـوعـ لـلـهـ، وـالـخـضـوعـ هـوـ التـعـلـقـ بـغـيرـ الـنـفـسـ وـرـغـبـاتـهـ، وـيـشـمـلـ أـرـبـعـةـ عـنـاصـرـ هـيـ شـدـةـ التـأـلـهـ وـتـعـلـقـ الـمـشـاعـرـ وـالـهـمـ وـالـجـوـارـحـ بـغـيرـ.

- والمشكلة أن الإنسان قد يحسب أنه يعرف الله ويحبه ويحافظه ويرجوه ويحسب أن هدفه رضا الله والجنة والحقيقة أنه لا يعرف غير الدنيا ولا يحب ولا يخاف ولا يرجو غيرها ولا هدف له غيرها، كما يحسب أنه يعبد الله وهو لم يحقق أصل العبادة وهو الخضوع لله، وتبقى بعض أعمال ظاهرة مفتعلة أو عادة أو تقليداً أو مجرد مظاهر روتينية، أو ناشئة من تأثيره الضعيف الذي لا يصل إلى التعلق بالخالق والآخرة، فاحذر وانتبه قبل ألا ينفع الندم.

- الهدف من وجود اليقين هو وجود أثره، وأثر اليقين هو أصل العبادة (التعلق بالله - الخضوع)، ولا يمكن تحقيق أصل العبادة إلا من خلال تحقيق اليقين الحقيقي.

- الآخرة ولقاء الله تعالى من أخطر ما يمكن ولكن لماذا لا يؤثر فينا ونتأثر به؟ ذلك لأننا نعيش في غيوبة وهروب وتجاهل للموت وهروب وتجاهل للآخرة وهروب وتجاهل وتجاهل عن الله، وهذا الهروب وهذا التجاهل والتجاهل لن يغير من حقائق الأمور شيئاً؛ فالخطر قائم ونحن مقبلون عليه رضينا أم أبينا، والأمر خطير وعظيم: ((فُلْ هُوَ نَبَّأْ عَظِيمٌ، أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرَضُونَ)) (٢٧٩)، إنك مهما حاولت التغافل والهروب عن الحقيقة والمصير القادم، فإنها أيام قصيرة وغداً اللقاء رضيت أم لم ترض، شعرت بذلك أم لم تشعر، وقد سبقك الكثير إلى هناك، فالقضية حاسمة وخطيرة ولا تحتمل التراخي ولكننا في غفلة، وغداً تنتهي الحياة فماذا أنت صانع؟!

المحتويات

الفصل الأول	مفهوم اليقين الكاذب	٨
٨	مفهوم اليقين الكاذب:	
٨	معنى وجود اليقين مع عدم التأثر بما يوقن به:	
١٠	الهدف من المعرفة واليقين وجود الفائدة منه، أي وجود أثره:	
١١	ما هو أثر اليقين بأي أمر؟:	
١١	أثر اليقين بالخالق والآخرة:	
١٢	اليقين الكاذب هو صورة من صور الجهل:	
١٣	الجهل نوعين هما:	
١٤	أسباب غياب أثر اليقين:	
١٥	موانع أثر اليقين نوعان هما:	
١٥	١. موانع يتعتمد بها الإنسان (تعطيل العقل):	
١٦	٢. مانع هو عقاب من الله للإنسان (المعرفة الكاذبة):	
١٧	أسباب اليقين الكاذب:	
١٩	الفصل الثاني	اليقين الكاذب بوجود خطر هائل.
١٩	وجود الخالق والآخرة هي أمور من أخطر ما يكون ولكننا غافلون:	
٢٢	التناقض بين تعامل الإنسان مع الدنيا والآخرة يدل على التناسي للغيبيات:	
٢٥	ظاهر الأمور على عكس حقيقتها:	
٢٧	عندما تصبح الغفلة هي الوضع الطبيعي يرى الناس الغيبيات غير مؤثرة:	
٢٨	أمثلة توضح مفهوم اليقين الكاذب بوجود خطر هائل:	
٣٦	الفصل الثالث	مفهوم المعرفة الكاذبة (السماع والرؤيا والفهم الكاذب)
٣٦	المعرفة الكاذبة هي صورة من صور الجهل:	
٣٧	الفرق بين المعرفة الكاذبة والجهل:	
٣٧	مفهوم المعرفة الكاذبة:	
٣٨	أسباب العقاب بالمعرفة الكاذبة:	
٣٩	خطورة المعرفة الكاذبة:	
٤٠	المعرفة الكاذبة تشمل ثلاثة أمور هي:	
٤٠	أولاً: مفهوم السمع الكاذب:	
٤١	السماع الكاذب هو السمع الذي لا أثر له:	
٤٢	السماع الكاذب هو عقاب من الله:	
٤٢	تعبيارات القرآن عن السمع الكاذب:	
٤٣	آيات تبين أنه لا فائدة من إخبار من لا يسمع سمعاً حقيقياً:	



٤٤	٢. الرؤية الكاذبة:
٤٥	٣. الفهم الكاذب:
٤٨	الفهم الكاذب لما ي قوله الانسان ويوقن به:
٤٩	الفصل الرابع مفهوم التعلق وعناصره.....
٤٩	مفهوم التعلق:
٥٠	الفرق بين مجرد التأثر بالأمر والتعلق به (شدة التأثر به):
٥١	اليقين بأمر خطير يؤدي إلى التأثر به بحسب درجة خطورته:
٥١	الدافع إلى التأثر الشديد (التعلق) هو الخطورة الشديدة للأمر:
٥٢	اليقين بالخالق والآخرة يؤدي إلى شدة التأثر (التعلق) وليس مجرد التأثر:
٥٣	استمرارية التعلق:
٥٣	عناصر التعلق الأربع:
٥٤	العناصر الأربع للتعلق تعبّر عن معيشة الانسان وحياته:
٥٤	ارتباط عناصر التعلق ببعضها البعض:
٥٤	معاني التعلق بالله والآخرة والتعلق بالدنيا في آيات القرآن:
٥٧	تعلق القلب والجواح هو لسان الحال:
٥٨	هل المشكلة في التعلق بالدنيا أم في عدم التعلق بالخالق والآخرة؟:
٥٨	مفهوم عدم التعلق بالخالق والآخرة:
٦٠	الفصل الخامس التعلق يكشف حقيقة الهدف وحقيقة اليقين.....
٦١	تعلق القلب والجواح يكشف حقيقة يقين الانسان:
٦١	أصل العبادة وأصل الدين هو تعلق القلب والجواح بالله:
٦٢	التناقض بين اليقين وبين تعلق القلب والجواح:
٦٢	التعلق يكشف حقيقة قيام الانسان ببعض أعمال الدين:
٦٢	الذين يعيشون للدنيا (هدفهم الدنيا) صنفين:
٦٣	الفصل السادس شدة التأله (أكبر ما يدهشك).....
٦٥	مفهوم التأله (الدهشة):
٦٥	درجة التأله:
٦٦	مفهوم شدة التأله (الدهشة الشديدة):
٦٦	استمرارية التأله:
٦٦	التأله يعبر عن نظرة التعظيم لخطورة الامر:
٦٧	التأله يعبر عن شعور الانسان بقيمة الشيء:
٦٧	التأله هو خوف المهابة:
٦٩	التأله يكون للأمر الخطير سواء كان فيه ثواب أو عقاب أو لا علاقة له بالثواب والعقاب:
٦٩	أمثلة توضح معنى التأله (الدهشة):
٧١	التأله (الدهشة) له حالتين هما:

١. التأله من عظمة النفس والدنيا:.....	١
٢. عدم التأله للخالق والآخرة:.....	٧٣
٣. التأله من عظمة الخالق والآخرة:.....	٧٣
٤. عدم التأله بالنفس والدنيا:.....	٧٤
بداية الهدایة هي الانتقال من تأله النفس والدنيا إلى تأله الخالق والآخرة:.....	٧٦
شدة التأله يؤدي إلى باقي عناصر التعلق:.....	٧٧
التناقض بين اليقين والتأله:.....	٧٨
الفصل السابع مفهوم تعلق المشاعر.....	٧٩
٨٠ مفهوم شدة الحب والخوف والرجاء:.....	
٨١ أهمية تحقيق المشاعر:.....	
٨٢ أسباب الحب وأسباب كمال الحب لله تعالى:.....	
٨٢ مفهوم الشعور بالحب:.....	
٨٣ حب الله لصفاته الحميدة:.....	
٨٤ حب الله لنعماته وعدم الكراهة لسلب النعم:.....	
٨٥ صفة القوة للخالق سبحانه تدعوه لحبه:.....	
٨٦ صفة المتكبر للخالق سبحانه تدعوه لحبه إعجابا بعظمته:.....	
٨٦ حب الجنة:.....	
٨٧ الدافع إلى كمال الحب (المحظوظ الأعظم):.....	
٨٩ مفهوم الشعور بالكراهة:.....	
٨٩ مفهوم كراهة النار:.....	
٩٠ مفهوم الشعور بالخوف:.....	
٩١ مفهوم الخوف من النار:.....	
٩١ مفهوم الخوف الشديد (كمال الخوف):.....	
٩١ لماذا تخاف من النار طالما أنك تعبد الله؟ ولماذا تتأثر بالبعث ولقاء الله تعالى؟:.....	
٩٢ مفهوم الشعور بالرجاء:.....	
٩٢ مفهوم كمال الرجاء:.....	
٩٣ الخوف والرجاء ينشأ من الحب والكره:.....	
٩٣ ادعاء تأثر المشاعر بالله والآخرة:.....	
٩٦ الفرق بين تحقيق مشاعر الإيمان والاقتناع بالعمل على تحقيقها:.....	
٩٦ العلامات التي تدل على غياب تعلق المشاعر:.....	
٩٧ شدة حب الدنيا معناه غياب حب الله تعالى، والتعلق بالدنيا معناه غياب التعلق بالله والآخرة:.....	
١٠٠ ارتباط عناصر التعلق بالدنيا دليلا على عدم تعلقها بالله والآخرة:.....	
١٠٠ التناقض بين اليقين وتعلق المشاعر:.....	
الفصل الثامن الهم الأكبر.....	١٠١

..... ١٠١	هل على الإنسان أن ينشغل همه بالخالق والآخرة؟
..... ١٠٢	مفهوم الهم الأكبر
..... ١٠٣	القضية الأساسية والقضايا الفرعية
..... ١٠٥	الشرع يأمرنا بأن يكون الهم الأكبر الآخرة
..... ١٠٦	الفرق بين الهم الأكبر (ال دائم) والهم الأصغر (المؤقت)
..... ١٠٨	أمثلة توضح الفرق بين الهم الأكبر (ال دائم) والهم الأصغر (المؤقت)
..... ١١٠	استمرارية الهم الأكبر
..... ١١٠	الهم الأكبر ينشأ من شدة التأله
..... ١١١	الهم الأكبر يدل على باقي عناصر التعلق الأربع (شدة التأله وتعلق المشاعر والنية وتعلق الجوارح)
..... ١١١	التناقض بين اليقين والهم الأكبر
..... ١١٣	الفصل التاسع مفهوم تعلق الجوارح
..... ١١٣	تعلق الجوارح نوعين هما:
..... ١١٤	ما يظهر على الجوارح يدل على نوع تعلق الجوارح
..... ١١٦	الفرق بين عمل الجوارح وتعلق الجوارح
..... ١١٧	الفرق بين تأثر الجوارح وتعلق الجوارح
..... ١١٧	الدّوافع الثلاثة لتعلق الجوارح بالله والآخرة
..... ١١٩	تعلق الجوارح بالله والآخرة لابد أن تنشأ من الدّوافع الثلاثة معاً
..... ١١٩	الطاعة ليست مطلوبة لذاتها ولكن كدليل على الخضوع والتعظيم وتعبير عن الخضوع والتعظيم
..... ١٢٠	العلاقة بين تعلق الجوارح وباقى عناصر التعلق
..... ١٢٢	تعلق الجوارح هو تعبير عن كمال الحب والخوف والرجاء
..... ١٢٢	الخالق هو المستحق للعبادة
..... ١٢٣	الطاعة للله بنية ثواب الله في الدنيا دليل على تعلق الإنسان بالدنيا
..... ١٢٤	التناقض بين اليقين وتعلق الجوارح
..... ١٢٦	الفصل العاشر مفهوم التعلق بالدنيا
..... ١٢٦	مفهوم كمال التأثر (مفهوم التعلق)
..... ١٢٧	كل إنسان له تعلق بأمر ما
..... ١٢٧	ما هي القضايا التي ينشغل بها الناس
..... ١٢٩	ترتيب القضايا التي ينشغل بها الناس
..... ١٣٢	ويمكن تقسيم الناس من ناحية تعلق القلب والجوارح إلى ستة أصناف كالتالي
..... ١٣٣	التعلق بأمور الدنيا الحلال والتي يأمر بها الشرع هو تعلق بالدنيا
..... ١٣٤	الفرق بين التعلق بأسباب الرزق وأسباب السعادة في الدنيا والأخذ بالأسباب
..... ١٣٥	الفرق بين التعلق بالمعصية والوقوع في المعصية



الفصل الحادي عشر الحياة من أجل المال والدنيا من الغباء.....

١٣٦.....	الحياة من أجل الدنيا جهد ضائع وعمر ضائع:.....
١٣٧.....	الحياة من أجل التغلب على أعباء الحياة جهد ضائع وعمر ضائع:.....
١٣٧.....	النظر إلى الدنيا نظرة تعظيم والتعلق بها من الغباء:.....
١٣٨.....	من كان يعيش للمال لينال متع الدنيا الفانية أضاع على نفسه متع الجنة الهائلة:.....
١٣٩.....	تضييع الوقت وشغله بالتسليمة وأمور الدنيا من الغباء لأنه يسرق عمر الإنسان:.....
١٤٠.....	التعلق بالدنيا من الغباء لأن ما يحتاجه الإنسان من الدنيا ضئيل:.....
١٤٢.....	الدنيا عبارة عن لعب ولهو والانسان إما أن يختار الخالق والآخر أو اللعب والله:.....
١٤٣.....	تقليد الناس والتعلق بهم من الغباء:.....
١٤٤.....	تعلق الناس بالدنيا من الغباء لأنهم بذلك يضرون أنفسهم بأنفسهم:.....

الفصل الثاني عشر مفهوم التعلق بالله (تعظيم الله - الخضوع لله).....

١٤٨.....	كيف ينشأ التعلق بالله:.....
١٤٩.....	أصل الدين هو التعلق بالغيبيات:.....
١٤٩.....	التعلق بالله هو الخضوع وهو التعظيم:.....
١٤٩.....	مفهوم الخضوع (التعلق بالغير):.....
١٥٣.....	الخضوع هو ابتعاد عن انصار التعلق الأربعية عن النفس وارتباطها بالغير:.....
١٥٤.....	أصل العبادة هو تحقيق معنى الخضوع (التعظيم - التعلق بالله تعالى):.....
١٥٧.....	مفهوم العبادة:.....
١٥٧.....	صعوبة العبادة (صعوبة الخضوع):.....
١٦٠.....	الانسان يتجاهل الخالق والآخر حتى لا يخضع:.....
١٦٠.....	وجود ظاهر الدين وغياب أصل الدين:.....
١٦٣.....	عدم التعلق بالله معناه عدم تحقيق العبادة:.....
١٦٤.....	ادعاء التعلق بالله وعبادته:.....

الفصل الثالث عشر اليقين وسيلة وأثره هو الهدف.....

١٦٦.....	لماذا يجب عليك تحقيق أثر اليقين؟:.....
١٦٧.....	المعرفة الحقيقة واليقين الحقيقى هو الطريق الوحيد لتحقيق العبادة:.....
١٦٧.....	لماذا يعظم الضعيف القوى؟:.....
١٦٨.....	لماذا يستحق الخالق التعظيم؟:.....
١٧٠.....	التعظيم ثلاث درجات:.....
١٧٠.....	أصل العبادة هي أثر لليقين بالخالق وحق له:.....
١٧١.....	الأدلة على أن أصل العبادة (الخضوع) ينشأ من اليقين:.....
١٧١.....	مفهوم الحياة (الخوف من مخالفة الحق):.....
١٧٢.....	كيفية تحقيق اليقين من أجل إيجاد أثره؟:.....
١٧٢.....	أثر اليقين هو الهدف ولا يمكن تحقيقه إلا من اليقين الحقيقى:.....
١٧٣.....	التغيير المطلوب:.....



١٧٤	مفهوم تغيير القلب:.....
١٧٦	الدنيا دار امتحان وليس دار إقامة:.....
١٧٧	الناس صنفين من حيث التعامل مع الدنيا:.....
١٧٧	تصور خطورة الامتحان:.....
١٧٨	أثر البيقين بأن الدنيا دار امتحان هو التعلق بخطورة الامتحان وليس بالدنيا:.....
١٨٠	تجاهل أننا نعيش حياتنا في حالة امتحان:.....
١٨٠	البيقين الحقيقي بأن الحياة في الدنيا عبارة عن اعداد للموت وما بعده:.....
١٨٢.....	الفصل الرابع عشر تجاهل الخالق والآخرة.....
١٨٢	المعرفة بالخالق والآخرة تتم بطريقتين هما:.....
١٨٢	تجاهل الخالق والآخرة يشمل أمران هما:.....
١٨٢	مفهوم التجاهل (التصام. التعامي. التغابي):.....
١٨٤	الفرق بين الجاهل لعدم السمع أو عدم الفهم والجاهل بسبب التجاهل والمعرفة الكاذبة:.....
١٨٤	لماذا يتجاهل الإنسان الخالق والآخرة؟:.....
١٨٥	لماذا يتجاهل الإنسان أمرا هو لا يوقن به أصلا؟:.....
١٨٦	التجاهل يشمل التصام والتعامي والتغابي:.....
١٨٦	التجاهل يشمل سبعة أمور هي:.....
١٩١	التجاهل له ثلاثة مراحل:.....
١٩٣	التجاهل (التصام. التعامي. التغابي) حيلة الاغبياء:.....
١٩٥.....	الفصل الخامس عشر الأدلة على تجاهل الخالق والآخرة.....
١٩٥	تجاهل الخالق والآخرة يشمل أمران هما:.....
١٩٧	تعبيرات القرآن عن تجاهل الخالق والآخرة وتجاهل كلام الله ورسله (أي تجاهل الذكر أو تجاهل ذكر الله تعالى):.....
١٩٧	١. التنسامي:.....
١٩٧	٢. التغافل:.....
١٩٨	٣. التعامي:.....
١٩٩	٤. التصام:.....
٢٠٠	٥. اتخاذ الأمر ظهرياً:.....
٢٠٠	٦. يجعل الأمر كالمنبود وراء ظهره:.....
٢٠١	٧. عدم الاهتمام بالأمر واللا مبالاة به:.....
٢٠١	٨. التعامل مع الأمر بغير جدية كأنه لعب ولهو (عدم الاهتمام بالأمر وعدم الانتباه إليه):.....
٢٠٣	٩. عدم التدبر التدبر والتفكير في آيات القرآن وآيات الكون:.....
٢٠٣	١. تجاهل المتحدث سواء على سبيل الحقيقة أو على سبيل المجاز:.....



الفصل السادس العاشر علاج عي القلب والتعامي (التفكير)..... ٢١٧

- طالما أن التفكير لا يزال لم يؤدي إلى التأثير فلا يزال يحتاج الإنسان إلى التفكير:..... ٢١٧
- الطريقة الصحيحة للتفكير:..... ٢١٨
- أولاً: الانتباه إلى وجود قوة خفية خارقة وراء الأشياء:..... ٢١٩
- ثانياً: تصور مدى علم الخالق:..... ٢٢٠
- ثالثاً: تصور قصد النفع للإنسان:..... ٢٢١
- رابعاً: يتصور الأمر كأنه يراه لأول مرة، وفي كل مرة يتصور كأنه يراه لأول مرة:..... ٢٢٣
- خامساً: الحرص على رؤية ومعرفة الآيات الكونية التي لم يكن يراها أو يعرفها من قبل:..... ٢٢٦
- سادساً: تصور عجز الأسباب عن تفسير الأمر:..... ٢٢٧
- سابعاً: تصور عجز الإنسان عن دفع الضرر والابتلاءات عن نفسه:..... ٢٢٩
- ثامناً: تصور عجز الإنسان عن دفع الموت عن نفسه:..... ٢٣٠
- تاسعاً: تصور الحكمة:..... ٢٣٢
- عاشرًا: تصور أصل القضية:..... ٢٣٢
- الحادي عشر: تذكر ضعف الإنسان في ذاته:..... ٢٣٣
- أمثلة تبين المعرفة الحقيقية للآيات الكونية:..... ٢٣٤
- اليقين الحقيقي بالحقائق العلمية!:..... ٢٤٣

الفصل السابع عشر علاج السمع الكاذب والتصام (الذكر)..... ٢٤٥

الهدف من خلق السمع والبصر والعقل هو التذكر والتفكير لمعرفة الله معرفة

- حقيقة:..... ٢٤٥
- الذكر والتفكير والمداومة عليه يؤدي إلى تحقيق المعرفة الحقيقية وتنقيتها وبالتالي تحقيق العبادة وتنقيتها:..... ٢٤٦
- الطريقة الصحيحة للذكر:..... ٢٤٨
- أولاً: يتصور الأمر كأنه يسمع عنه أول مرة، وفي كل مرة يتذكر فيها نفس الأمر يتصوره كأنه يسمع عنه لأول مرة:..... ٢٤٨
- ثانياً: المقارنة بين الأمر الغيبي والأمر الحسي:..... ٢٤٩
١. المقارنة بين آلام ولذات الدنيا أمام آلام ولذات الآخرة:..... ٢٥٠
٢. المقارنة بين قصر العمر في الدنيا أمام الخلود في الآخرة:..... ٢٥٠
٣. المقارنة بين دار الإقامة ودار الغربة:..... ٢٥١
٤. المقارنة بين صفات الإنسان وصفات الخالق:..... ٢٥١
- ثالثاً: التصور والوصف للآخرة كأنك تراها وكذلك قدرة الله وليس ذاته:..... ٢٥٢
- رابعاً: التخيل كأنك في الآخرة:..... ٢٥٣
- خامساً: تصور الآخرة كصورة من صور قدرة الله:..... ٢٥٣
- سادساً: التدبر لمعاني ما يسمعه وإدراك المغزى من الامر به:..... ٢٥٤
- سابعاً: التذكير بحقيقة المعرفة واليقين وأثره:..... ٢٥٤

الفصل الثامن عشر هل الغيبيات مرعبة ورائعة وتدعوا إلى شدة التأله والتعلق

بها؟..... ٢٥٦.....

وجود الملائكة والجن من حولنا يدعوا إلى الدهشة والذهول لما فيه من الآثار:..... ٢٥٧.....

وجود الخالق معنا بقدرته وبرؤيته لنا في كل لحظة يدعوا إلى الدهشة والذهول لما فيه من الآثار:..... ٢٥٩.....

صفات الخالق كالقدرة والملكية والانعام هي صفات مذهلة جداً وتدعوا إلى التأله وشدة التعلق:..... ٢٦٠.....

الخلود في لذات لانهائية أو عذاب رهيب يدعوا إلى أن يعيش الإنسان حياته في تأثر شديد بالأمر:..... ٢٦١.....

عذاب القبر وسؤال الملائكة يدعوا إلى الدهشة والذهول لما فيه من الآثار ويدعوا إلى الخوف:..... ٢٦١.....

قدرة الله على البعث تدعوا إلى الدهشة والذهول لما فيها من الآثار:..... ٢٦٢.....

الحياة في الآخرة تدعوا إلى الدهشة والذهول لما فيها من الآثار:..... ٢٦٣.....

الفارق بين الخيال والسحر وبين الغيبيات:..... ٢٦٦.....

الحياة عند لحظات وقوع الخطر:..... ٢٦٧.....

أثر اليقين بالغيبيات هائل جداً:..... ٢٦٨.....

الفصل التاسع عشر اليقين الحقيقى بضآلـة الدـنيـا وخطـورة الـآخـرـة..... ٢٧١.....

اليقين الحقيقى بالبعث:..... ٢٧١.....

اليقين الكاذب بالبعث:..... ٢٧١.....

خوف المهابة وانشغالهم بقضية الانتقال إلى حياة جديدة:..... ٢٧٢.....

خوف المهابة وانشغالهم بخطورة الانتقال للآخرة في أي لحظة:..... ٢٧٤.....

خوف المهابة وانشغالهم بالآخرة ولقاء الله:..... ٢٧٥.....

اليقين الكاذب بأنك غريب في الدنيا:..... ٢٧٧.....

اليقين بأن الدنيا دار سفر يؤدي إلى عدم التعلق بالناس:..... ٢٧٨.....

اليقين بأن الدنيا دار سفر يؤدي إلى عدم التعلق بالدنيا:..... ٢٧٩.....

اليقين الكاذب بأن الدنيا دار سفر:..... ٢٨١.....

اليقين الحقيقى بقصر العمر في الدنيا أمام الخلود في الآخرة:..... ٢٨٢.....

اليقين الحقيقى بالآخرة يؤدي إلى عدم التعلق بالدنيا:..... ٢٨٤.....

اليقين الكاذب بالآخرة:..... ٢٨٥.....

المقارنة بين التعامل مع قضية الآخرة وقضايا الدنيا تكشف حقيقة اليقين بالآخرة:..... ٢٨٧.....

الفصل العشرون اليقين الحقيقى بالحياة في الجنة والنار..... ٢٩٠.....

التعلق بنعم الدنيا معناه غياب اليقين الحقيقى بنعم الجنة:..... ٢٩٠.....

اليقين الكاذب بالجنة والنار:..... ٢٩١.....

أثر اليقين الحقيقى بوجود الجنة الآن:..... ٢٩١.....

اليقين الحقيقى بضآلـة قيمـة المـال أمـام مـتع الجـنة:..... ٢٩٧.....

٢٩٨	اليقين الكاذب بالجنة:.....
٢٩٩	المعرفة الحقيقة بخطورة الحياة داخل النار.....
٣٠١	الشعور بمدى عذاب وألم النار:.....
٣٠٢	الخوف والرجاء من فزع هول القيمة:.....
٣٠٣	الفصل الأخير اليقين الكاذب بضعف الانسان وقوه الخالق.....
٣٠٣	النعم تدل على قوه الخالق وضعف الانسان:.....
٣٠٤	الانسان يتعامل مع النعم على أنه مالكها لتدل على قوته بدلًا من أن تدل على قوه الله تعالى:.....
٣٠٨	التعلق بأسباب الرزق يدل على أن الانسان يتعامل مع النعم على أنها ليست من الله وبالتالي فهي قوه له:.....
٣٠٩	التعلق بالمال والنعم يكشف حقيقة اليقين بضعف الانسان وبأن النعم من الله تعالى:.....
٣١١	اليقين الحقيقى بمدى قدرة الخالق سبحانه:.....
٣١١	تصور مدى الفارق الهائل بين قدرة الإنسان وقدرة الخالق:.....
٣١٢	اليقين الحقيقى بعظمته صفات الله تعالى:.....
٣١٣	توحيد الصفات:.....
٣١٥	اليقين الحقيقى بصفات الانعام:.....
٣١٧	معنى أن الله هو المالك لكل شيء:.....
٣٢٠	اليقين الحقيقى بأن الله هو المالك لكل شيء:.....
٣٢٤	تصور معنى الملك والقاهر والقهار (الخضوع الكونى):.....
٣٢٥	أثر اليقين بالخضوع الكونى (الوقوع تحت السيطرة والهيمنة) هو عدم التعلق بالنفس:.....
٣٢٧	اليقين الكاذب بأن الأسباب لا تتفع ولا تضر وبأن الله هو الوكيل والرzaق والنافع الضار:.....
٣٢٨	اليقين الكاذب بأن الله هو الوكيل واليقين الكاذب بأنك تتوكل عليه:.....
٣٢٩	اليقين الكاذب بالقضاء والقدر:.....
٣٣١	اليقين الكاذب بخضوع الانسان للشيخوخة و تعرضه للأمراض والمحن:.....
٣٣١	اليقين الحقيقى بمراقبة الله ومراقبة الملائكة لنا:.....
٣٣٢	اليقين الحقيقى بوجود الخالق معنا بقدرته وبرؤيته لنا وسمعه لنا في كل لحظة:.....
٣٣٦	اليقين الحقيقى بأن الخالق تكلم إلى البشر (اليقين الحقيقى بآيات الله):.....
٣٣٩	الخاتمة.....